



معالم

مجلة نصف سنوية نعنون بترجمة
مسجديات الفكر العالمي

نصدر عن المجلس الأعلى للغة العربية

العدد الثاني
السداسي الثاني 2022





مجلة نصف سنوية تعنى بترجمة مستجدات الفكر العالمي
تصدر عن المجلس الأعلى للغة العربية

- العدد الثاني -

السداسي الثاني 2022

رقم الإيداع القانوني:

2009 - 6012

الترقيم الدولي الموحد للمجلات (ر.د.م.م):

2170 - 0052

مسؤول النّشر

أ.د. صالح بلعيد
رئيس المجلس الأعلى للغة العربيّة

اللجنة الاستشارية:

أ.د. خليل نصر الدين؛
أ.د. سعيدة كحيل؛
أ.د. بن عودة عديلة؛
أ.د. مريم بن لقدر؛
د. بوخلف فايزة؛
د. أحمد عناد؛
د. ماجدة شلي؛
د. محمدي إيمان.

رئيس التحرير:

د. شوشاني عبيدي محمد

نائب رئيس التحرير:

د. مربي سهيلا

سكرتيرة التحرير:

أ. راشدة بوربابة

المدقق اللغوي:

أ. حسن بهلول

اللجنة العلميّة:

أ.د. خليل نصر الدّين؛	د. بلعربي أحمد نور الدين؛
أ.د. سعيدة كحيل؛	د. جفال سفيان؛
أ.د. بن عودة عديلة؛	د. بوخالفة مسعود؛
د. مريم بن لقدر؛	د. فاسي ليلى؛
أ.د. شلي ماجدة؛	د. بوشريف نبيلة؛
أ.د. مريم بلقدر؛	د. برة بن سالم؛
أ.د. جمال قوي؛	د. غدير إبراهيم محمد؛
أ.حسينة لولو؛	د. عزيري بوجمعة؛
أ.د. عبيد عبد الرزاق؛	د. حال أحلام؛
أ.د. طجو أحمد محمد؛	د. ساسي هاجر؛
أ.د. الحراشة أحمد؛	د. بوساحة رحمة؛
أ.د. التجاني حلومة؛	د. قازي تاني ليندة؛
	د. بوخميس ليلى؛
	د. ذيب هاجر.

شروط النشر:

- ✓ أن تكون المداخلة أصيلة، مبتكرة، متّسمة بالطرافة والجدة؛
- ✓ أن لا تكون منشورة/ مستلّة لدى جهة أخرى؛
- ✓ أن تكون مستوفية لشروط البحث الأكاديمي من حيث الشّكل والمحتوى؛
- ✓ أن ترتبط بالضوابط العلميّة المتعارف عليها في حالة علامات الوقف والإحالات والضبط؛
- ✓ تقبل المجلّة الدّراسات حول التّرجمة والمقالات الفكرية المترجمة إلى اللغة العربيّة؛
- ✓ في حالة التّرجمة، يرفق المترجم عمله بالنّص الأصليّ؛
- ✓ تخضع المقالات للمنهجية العلميّة الأكاديميّة، وتهتمّش ألياً في آخر المقالة؛
- ✓ أن تنجز المداخلة من (12) إلى (30) صفحة؛ وتكتب بخطّ Simplified Arabic بنط (14)؛
- ✓ أن تكتب الهوامش ألياً بنفس الخطّ بنط (12). في آخر المداخلة؛
- ✓ أن تكتب المداخلة على مقاس (29/21)؛
- ✓ أن تكون المرجعيّات الكتابيّة: (2 سم) أعلى الصّفحة، (2 سم) أسفل الصّفحة، (2 سم) يمين الصّفحة، (2 سم) يسار الصّفحة؛
- ✓ وعليه؛ فإنّ اللّجنة العلميّة للمجلس تعتمد الآتي:
- ✓ تخضع كلّ المداخلات للتّحكيم العلميّ؛
- ✓ تحتفظ اللّجنة بالحقّ في تصحيح الأخطاء، وتقويم أساليب القول بما لا يخلّ جوهريّاً بمقاصد المداخلة؛
- ✓ المداخلات غير المقبولة لا تعاد إلى أصحابها؛
- ✓ ترسل المداخلة بنظام وورد/word على البريد الإلكترونيّ الذي يظهر في روابط الاتّصال؛
- ✓ لا تعبّر المداخلات المنشورة إلّا على آراء أصحابها، وهم وحدهم من يتحمّلون كامل المسؤولية حول حجّة البيانات، وما يتبع ذلك من قضايا الإخلال بقواعد الأخلاق العلميّة؛
- ✓ يلتزم صاحب المقالة بالتّعديل في الأجل المحدّدة، إن طُلِبَ منه ذلك؛
- ✓ يتسلّم صاحب المقالة ثلاث (03) نسخ من العدد الذي نشرت فيه مقالته؛



للتّصال

maalim.traduc@gmail.com

asjp.cerist.dz

الهاتف: 00 (213) 23 48 72 79 النّاسوخ: 00 (213) 23 48 72 62

المراسلة: مجلة معالم ، المجلس الأعلى للغة العربيّة

تسارم فرنكلين روزفلت الجزائر ص.ب. 575 ديدوتس مراد - الجزائر

الفهرس

الرقم	عنوان المقال	المؤلف (ون)	الجامعة	الصفحة
01	استراتيجية دور النشر في ترجمة قصص الأطفال.	د. سمير بوشاقور الرحماني	جامعة أحمد بن بلّة وهران 1؛ الجزائر.	13
02	الازدواجيّة اللّغويّة في الخطاب السّياسي الجزائري دراسة تحليليّة لخطاب الرئيس عبد المجيد تبون المنشور عبر حسابه في التويتر.	أ. بوساحية هشام	جامعة 08 ماي 1945- قالمة، الجزائر.	27
03	الأصوات العربيّة بين الفصحى واللهجات؛ لهجة منطقة ورقلة عينة.	د. فضيلة دقناتي	مركز البحث العلميّ والتقني لتطوير اللّغة العربيّة، وحدة ورقلة (الجزائر).	39
04	التّعايش اللّغويّ بين العربيّة والأمازيغيّة المستوى الصّرفي أنموذجا.	أ. شهرزاد بن يونس	جامعة الإخوة منتوري قسنطينة 1، الجزائر.	51
05	التّعدد اللّغوي والتّنوّع الثّقافي في الجزائر بين اللّغات الرّسمية واللهجات المحليّة الممارسات اللّغوية لمنطقة بوسمغون أنموذجا.	د. محمد لعمرى	مركز البحث العلميّ والتقني لتطوير اللّغة العربيّة وحدة ورقلة (الجزائر).	69
06	التّنشئة الاجتماعيّة والتّعايش	د. عمر داود	جامعة ابن خلدون	83

	تيارت، الجزائر.		اللّغوي، أي علاقة؟ دراسة حالة التّعايش اللّغوي عند بني مزاب.	
103	جامعة يحي فارس المدية، الجزائر.	أ. ابراهيم سعد الشاكر فزاني	التّنوع الثّقافي في الجزائر: التّعايش مع الاختلاف.	07
115	جامعة عباس لغرور خنشلة، الجزائر.	د. ميلود حركاتي	التّنوع اللّغوي أسبابه وشروطه في اللّغة العربيّة في نظر القدماء والمحدّثين من اللّغويين العرب.	08
133	مخبر البحوث والدراسات الاجتماعيّة، جامعة سكيكدة.	أ. خلوط مولود	التنوّع اللّهيّ القيميّ في فضاءات الأطفال الجزائريّة.	09
147	جامعة محمد لمين دباغين سطيف2، الجزائر.	أ. ذهبية سيدهم	الثّقافة واللّغة في الجزائر: تنوّع وتكامل.	10
161	جامعة الحاج لخضر باتنة 1، الجزائر.	أ. نوي فريدة أ.د معمر حجيج	الخصوصيّة الثّقافيّة ومظاهر التّعدد اللّغوي في الرواية الجزائريّة المعاصرة رواية "تاء الخجل" أنموذجاً.	11
175	مخبر الدّراسات النّفسيّة والاجتماعيّة، جامعة محمد خيضر، الجزائر.	أ. شايب الدراع وليد د. نجيب بخوش	الهويّة الثّقافيّة الجزائريّة بين التّنوع ورهانات الوحدة الوطنيّة.	12
189	جامعة برج بوعريّج الجزائر.	أ. كمال عسلوني د. بوبكر الصديق	الهويّة والتّنوع الثّقافي في الجزائر من منظور السّياسة اللّغويّة.	13

		صابري		
201	وحدة البحث اللساني وقضايا اللغة العربية بورقلة.	د. فتوح محمود د. قردان الميلود	آليات ترجمة المصطلح اللساني وفوضى المفاهيم في القاموس الوجيز في المصطلح اللساني لعبد الجليل مرتاض.	14
213	وحدة البحث اللساني وقضايا اللغة العربية بورقلة.	د. إيمان شاشه د. حسام الدين تاويريت د. مناع آمنة	أهمية الأطالس اللسانية في صناعة التعايش اللغوي بين العربية والأمازيغية.	15
225	مخبر الترجمة وتعدّد الألسن، معهد الترجمة جامعة وهران 1 الجزائر.	أ. محمد إبراهيم كحيل أ. حليلة الشيخ	ترجمة الاستعارة من الفرنسية إلى العربية: رواية «L'étranger» لألبير كامو بترجمة العيد دوان أنموذجًا، دراسة تحليلية نقدية.	16
247	جامعة أحمد بن بلة وهران 1 الجزائر.	أ. بشير عابد أ. بصافي رشيدة	ترجمة التناص المقدس في السياق المسيحي.	17
265	جامعة باجي مختار عنابة-الجزائر.	أ. ليلي لعيمش	ترجمة الصور البيانية في النصوص المالية من الانكليزية إلى العربية والفرنسية مقالات مجلة "التمويل والتنمية" - إصدار صندوق النقد الدولي - أنموذجًا.	18
293	جامعة باجي مختار	أ. عبد السلام بساس	ترجمة المصطلح المتخصص بين التنظير والتطبيق كتاب	19

	قسم الترجمة، مخبر الترجمة وتعليمية اللغات - عناية، الجزائر.		"Translation Studies" لسوزان باسنيت، ترجمة فؤاد عبد المطلب أنموذجا.	
311	جامعة عبد الرحمان ميرة بجاية، الجزائر.	أ. كريمة بلخامسة	ترجمة مفاهيم السيميائيات السردية في النقد العربي.	20
325	جامعة مصطفى اسطنبولي معسكر الجزائر.	د. بن أحمد عبد الفتاح	صناعة الترجمة في عصر العولمة - تواصل أم حدّ من الهيمنة؟	21
347	جامعة محمد لمين دباغين سطيف 2 الجزائر.	أ. عبد الحق عيد	لهجة منطقة سطيف من خلال الممارسات اللغوية لدى الفئة المسنّة (قراءة في النظام المعجمي).	22
359	جامعة أحمد بن بلة وهران 1، الجزائر.	أ. كريم الطاهري أ.د. حفيظة بلقاسمي	مصطلح التناص وترجمته بين التراث والدراسات اللسانية الحديثة.	23
377	المركز الجامعي عبد الحفيظ بوالصوف بميلة الجزائر.	أ. فاطمة قيدوش	مفهوم الثقافة من المنظورين الغربي والعربي (المحور الثامن).	24
393	جامعة محمد لمين دباغين سطيف 2 الجزائر.	ط.د. أمال نزار قبايلي أ.د. خالد هدنة	ملامح التعايش اللغوي بين اللغة التعليمية واللهجات الجزائرية؛ دراسة معجمية للألفاظ الحضارية	25

			في الكتب والمعاجم المدرسيّة.	
403	جامعة أبو القاسم سعد الله - الجزائر 2 معهد الترجمة.	أ. وسيلة بلقرون د: زليخة بن صافي	نقد ترجمة مالك عبيد أبو شهيوّة ومحمود محمد خلف باللّغة العربيّة (1999) لكتاب صموئيل هنتنغتون " صدام الحضارات وإعادة بناء النّظام العالمي " باللّغة الإنكليزيّة (1996).	26
425	معهد التّرجمة، جامعة الجزائر 2، الجزائر.	Rim Benmansour	Omission in Translating "Horror Symbolism" in Edgar Allan Poe's "The Fall of The House of Usher.	27
439	Université de Tlemcen	BENSAFA Abdelkader	Overcoming the Dilemma of Using Translation within an EFL Classroom.	28

الدكتور شوشاني عبيدي محمد
رئيس تحرير المجلة

تشرف أسرة تحرير مجلة معالم أن تضع بين أيدي قرائها الأفاضل، من الباحثين وطلبة الترجمة ومختلف التخصصات ذات الصلة، العدد الثاني لسنة 2022، والذي تضمن مجموعة متنوعة من المقالات والدراسات العلمية باللغات العربية والإنجليزية والفرنسية.

يأتيكم هذا العدد مع الطاقم الجديد للمجلة، ليقدم لكم دراسات مختلفة تخدم البحث الترجمي وتسهم في توفير مادة مرجعية للدراسات الأكاديمية الرصينة. حيث تناولت أغلب المقالات المختارة إشكالية التعايش اللغوي والثقافي وكيفية تحقيقه وسبل الاستفادة منه في توفير مناخ اجتماعي وثقافي متكامل ومتقارب.

والإضافة تضاف مجموعة من الدراسات المرتبطة بالترجمة الأدبية، وعلى رأسها إشكالية ترجمة الاستعارة وترجمة التناص وترجمة المصطلح اللساني والسميائي وغيرها من المواضيع التي تثير عددا من التساؤلات وتفتح الباب على مجموعة أخرى من الأبحاث تستثير اهتمام الباحثين والدارسين في مجال الترجمة عموما والترجمة الأدبية على وجه الخصوص.

كما حظيت الترجمة المتخصصة بحدّ من الدراسة، حيث أكدت مختلف الدراسات المرتبطة بها على الطرق والآليات العلمية في وضع المصطلح المتخصص وضرورة الالتزام بها، حتى تستقيم الترجمة وتبلغ الغاية.

إن هذا التنوع في المواضيع يؤكد رصانة أبحاث المجلة وقدرة الباحثين المميّزة على تقديم مادة علمية تثبت ثقل وزن الدراسات الترجمية ومكانتها بين مختلف المجالات والتخصصات من جهة، وعلاقتها بخدمة المجتمع وتحقيق الانسجام والتعايش بين جميع مكوناته من جهة أخرى.

كلنا أمل أن يكون هذا العدد في مستوى تطلعات القراء والمتابعين، وأن يسهم في توفير ما يغني الدارسين ويعزز من قيمة البحث الترجمي ويرفع من شأنه. شاكرين كل من أسهم فيه من باحثين ومراجعين، والله من وراء القصد.

إستراتيجية دور النشر في ترجمة قصص الأطفال

The Strategy of Publishing Houses in Translating Children's Stories

د. سمير بوشاقور الرحماني*

تاريخ القبول: 2021/06/21

تاريخ الاستلام: 2020/09/10

مُلخَص: تهدف هذه الدراسة إلى البحث في ما مدى اهتمام دور النشر والطبع في الوطن العربي وفي العالم الغربي ككل بعملية ترجمة قصص الأطفال. بدأنا الحديث عن الاستراتيجية المعتمدة من لدن هذه المؤسسات النّشرية في طبع وتوزيع مختلف المطبوعات بين القراء، ثمّ ما مدى اهتمامها بالكتب المترجمة مقارنة بتلك المؤلفة. وفي الختام؛ حصرنا هذا الاهتمام في تناول جانب ولوج قصص الأطفال المترجمة - والمكيّفة أحياناً ثقافياً من قبل مترجم واعٍ دور النشر وطريقة إخراجها في شكلها النهائي. خلصنا إلى أنّ قصص الأطفال؛ لما تحمله من خصوصية بالغة كونها تستهدف جمهوراً حسّاساً؛ تتأثر غالباً بالإستراتيجية التي تتبعها أيّ دار نشر في عملها مرتكزة في ذلك على إيديولوجية الناشرين. كلمات مفتاحية: إيديولوجية؛ ترجمة؛ دار نشر؛ طفل؛ قصّة.

Abstract: This study aims to investigate the interest of the publishing and printing houses in both Western and Arab worlds in the process of translating children's stories. It starts by presenting the strategy used by these publishing institutions in printing and distributing various publications among readers; then, how far these institutions are interested in translated books compared to written ones. Finally, it restricts this interest to the translated children's stories which are sometimes culturally adapted by a conscious translator and the way they are edited. It is concluded that due to their great particularity, children's stories, as they target a sensitive audience, are often influenced by the strategy that any publishing house follows in its work and it is based on the ideology of the publishers.

Keywords: Child; Ideology; Publishing house; Story; Translation.

1. المقدمة: لا ينفك علماء النفس والتربية والمهتمين بعالم الأطفال يحثون المترجمين الأدبيين على تكييف القصص محلياً أثناء ترجمتها، وبثّ في نفوس النشئ الصّغير الاعتزاز بثقافتهم الأصلية وبتاريخهم. دون أن يُنسبهم ذلك ضرورة بناء حضارة عصرية مبنية على العلم والخلق القويم والتعامل بالأسلوب المتحضّر مع الآخر، وأن يظفروا دومًا بلبّ الحضارة الإنسانية لا بقشورها.

لذلك نجد أنّ دور النشر والطّبع في الوطن العربي وفي العالم الغربي تسعى سعيها لتعريف الأطفال وأولياءهم بما تزرع به المكتبات من مؤلّفات وقصص كُتبت لهم وعنهم. وهذا التعريف يتم أحياناً عن طريق الترجمة، وغالباً ما تكون هذه الترجمة مكيفة ثقافياً أي مسؤولة وواعية.

فما مدى الاهتمام الذي توليه هذه المؤسسات لعمل المترجم وبالخصوص لقصص الأطفال المترجمة؟

وما هي الإستراتيجية التي تتبعها دور النشر والطّبع سواءً أكانت غربية أم عربية في عملها؟ وهل لها أصلاً إستراتيجية أم أنّها مجرد مؤسسة تجارية ربحية؟ وفوق ذلك كلّها؛ هل تتدخل دور النشر هذه حقاً في عمل المترجم؛ إذا ما كان بصدد التعامل مع نصوص ذات حساسية كما هو الحال مع قصص الأطفال؟

2. دور النشر في العالم الغربي:

1.2. صراع دور النشر في الغرب والمترجمين:

يكاد يتمثل هذا الصراع بين الطرفين في عدم ثقة المؤلّفين في دور النشر في أوروبا وبالخصوص الحديثة منها. لأنّ الكتاب هناك لا يخاطرون في وضع مؤلفاتهم التي تعبوا كثيراً في تأليفها بين يدي دار نشر حديثة أو غير معروفة.

لذلك نجد أنّ دار النشر تلجأ إلى ترجمة مؤلّفات سبق وأن وُزعت في السّوق بغية وضع قدم لها فيه. فهم غالباً ما يسعون لطبع وتوزيع كتب وقصص سبق وأن لاقى نجاحاً في لغاتها الأصلية أو على الأقلّ معروفة لدى جمهور القراء. مثل نشر الروايات الشهيرة لمغامرات هاري بوتر لصاحبها البريطانية جوان رولينغ (Joanne ROWLING) بعد ترجمتها إلى اللّغات الأوروبية المحليّة، حيث طُبعت منها الملايين من النسخ بأكثر من 35 لغة مختلفة.

أضف إلى ذلك أنّ المؤلّف الأصلي لن يمتنع -بل بالعكس- في إعطاء موافقته في نشر مؤلّفه في لغات أخرى، فهو لن يخسر شيئاً كون هذه النسخة المترجمة هي إضافة إلى إنتاجه الفكري.

Il faut savoir que pour une petite maison d'édition indépendante, la seule possibilité viable c'est de faire de la traduction. Parce qu'aucun auteur ne va nous faire suffisamment confiance pour nous donner un manuscrit inédit, puisque nous n'avons pas encore fait nos preuves. (Voir HERMANN, 2017)

يجب أن نعلم أنه بالنسبة لدار نشر صغيرة ومستقلة، فإن الخيار الوحيد المتاح هو الترجمة. لأنه لا يوجد مؤلف سيثق بنا كفايةً ليعطينا مخطوطة غير منشورة، حيث أننا لم نثبت أنفسنا بعد. -ترجمة لنا- وهنا يجب أن ننوّه إلى الاختلاف الموجود عندنا في الوطن العربي. فدور النشر لدينا سواءاً أكانت ذات صيت أم معروفة نسبياً أم مجهولة تماماً؛ فهي تُرهق المؤلف بإجراءات عديدة ومعقدة وأحياناً تُجبره على دفع تكاليف استباقية من أجل طبع مؤلفه أصلياً كان أو مترجماً.

من جهة أخرى يعاني المترجمون في أوروبا؛ وبدرجة أقل في فرنسا؛ من صعوبات جمّة خلال ممارستهم لمهنة الترجمة وبالتحديد مع الناشرين. فتكاد تتلخّص هذه العداوة بينهما إن جاز تسميتها كذلك، في احتقار أو ازدراء هؤلاء الناشرين للمترجم وعدّه شخصاً طُفيلياً أو وصولياً يحاول من خلال ترجمته للمؤلف الأصلي الظهور والتفوّق على نجاح الكاتب الأول. ويُمكن حصر هذه المشاكل بين الطرفين فيما يلي:

- مسألة الأتعاب المالية: فكثير من دور النشر في أوروبا لا تُقدّر عمل وتعب المترجم حقّ قدره.

La rémunération moyenne du feuillet est passée de 23 à 20 € entre 1996 et 2009. En revanche; le chiffre d'affaires de l'édition est augmenté de 34%. (Voir ASSOULINE, 2011:16)

انخفض الأجر المتوسط لترجمة منشور من 23 إلى 20 يورو بين عامي 1996 و2009؛ بينما ارتفعت أرباح دور النشر بنسبة 34٪. -ترجمة لنا-

نُشير هنا أنّ هذا الأجر هو ما يتقاضاه المترجم الفرنسي. أمّا الحال في باقي دول أوروبا مثل ألمانيا وإسبانيا فهو أسوأ. لذلك يلجأ المترجم هناك بالإضافة إلى عمله لدى الوكالات ودور النشر إلى المبادرة الفردية في ترجمة الكتب ومختلف المؤلفات حتّى يضمن العيش الكريم؛

- إلزام دور النشر والطّبع المترجمين على إتمام ترجمة عدد معين من المؤلفات خلال السنة.

Les traducteurs doivent tenir un rythme de six à sept livres par an. (Voir La rédaction, 2016)

يتوجّب على المترجمين ترجمة ستّة إلى سبعة كتب في السنة. -ترجمة لنا-

وبالتّالي فإنّ ضغطاً رهيباً سيُولد عند المترجم الأوروبي بُغية إنهاءه لعمله في الوقت المحدّد. وعليه نرى أنّ المعدّل الطبيعي لإنهاء ترجمة كتاب ذي صيت مقبول هو ثلاثة أشهر. فتكون مردودية المترجم الطّبيعية والمعقولة خلال السنة هي نقل كتاب/ ثلاثي.

- تجاهل دور النشر لحقّ المترجم في إعادة قراءة أو تنقيح ترجمته.

"Les traducteurs se plaignent de ne pas être consultés en cas de correction de leurs épreuves, ce qui explique parfois la publication de traductions aberrantes. Les éditeurs vont au plus pressé, au plus rentable et ne demandent pas de relecture finale." (La rédaction, 2016)

"يشكو المترجمون من عدم استشارتهم عند تصحيح إنجازاتهم، ممّا يُفسّر أحياناً نشر ترجمات مضلّة. إذ يسعى الناشر لربح الوقت وربح المال أكثر ولا يطلبون إعادة قراءة نهائية." -ترجمة لنا- وهناك دور النشر التي تقوم هي عينها بإعادة تصحيح الترجمات دون العودة إلى المترجم ثم طبعها للعمل، ظناً منها أنّ الناشر أو من يوكل إليه عمل التنقيح وإعادة القراءة -وغالباً ما يكون شخصاً ثنائي اللغة- بإمكانه أداء عمل المترجم وهذا غير صحيح. لأنّ المترجم الكفاء هو ذاك الناقل العارف باللغتين والملمّ بثقافتهما؛ والأهمّ من ذلك هو ذاك الكاتب في لغة أخرى الذي يملك تلك الملكة الأدبية في المقدرة على إعادة بعث نفس الشّعور عند المتلقّي الجديد لدى قراءته للنص المترجم.

2.2. استراتيجية دور النشر الغربية في ترجمة قصص الأطفال:

يُولي جلّ الناشرين في العالم المتقدّم أهمية بالغة لما سيقومون بطبعه وبيعه للمستهلك من قصص وكتب للأطفال. ففي كثيرًا من الأحيان ما يقوم المترجم بتوجيه من الناشر بتكييف النصوص على حسب البيئة التي ستولد فيها وعلى حسب الطّفولة التي ستقرأها. فتُشَبَّع تلك القصص بالأفكار والمفاهيم البيداغوجية التي يرغب الناشر في نشرها أو الإيديولوجية التي ينتمي إليها، خشية تنفير المتلقّي الصّغير من الاطّلاع عليها أو ترهيب الوالد في اقتنائها.

Le traducteur et l'éditeur ont souvent tendance à adapter le texte source selon le monde de l'enfant visé. Ils favorisent leurs propres idées sur l'éducation; leur idiologie, dans la crainte de troubler ou choquer le jeune lecteur et l'adulte qui achète ce livre. (Voir FRIOT, 2003:48)

غالبًا ما يميل المترجم والناشر إلى تكييف النص المصدر وفقًا لعالم الطّفل المقصود. إذ إنّهما يُفضّلان ترسيخ أفكارهما الخاصّة حول التّربية؛ وإيديولوجيتهما، كلّ ذلك خوفًا من إزعاج أو صدم القارئ الصّغير والشّخص البالغ الذي يشتري هذا الكتاب. -ترجمة لنا-

فالقصاص الجريئة والتي تدعو إلى العنف غير محبّدة أيضًا للترجمة من قبل الناشرين في الغرب. وحتى وإن كانت ثقافتهم غربية متحرّرة وغير تقليدية؛ إلّا أنّهم لا يبتغون تلك القصص لأطفالهم، وبالأخصّ إن كانت تحوي مقاطع جنسية فاضحة. وهذا يجرّنا إلى الاعتقاد بأننا كعرب ومسلمين ما زلنا محافظين على بعض القيم الأخلاقية وإن كانت منظومة القيم في بعض قصص الأطفال الأجنبية إشكالية لنا بحدّ ذاتها خلال ترجمتها للغة العربية، فإنّ الدّول الأوربية أو الغربية ككلّ تصطدم كذلك بهذه الإشكالية والتي مفادها تفرّد كلّ دولة أو كلّ أمة بأصالتها وثقافتها ورؤيتها الشّخصية في تربية أبنائها. فغالبًا ما تكون تربية الصّبي البريطاني تربيةً حازمة صارمة، أمّا الألماني أو الأمريكي الصّغير فنجدّه أكثر جرأة وتحرّرًا، والفرنسي يتوسّطهما، وتكاد تتشابه تربية أطفال الإسبان والطلّيان مع تربية العرب لانتمائهم كلّهم إلى ثقافة أكبر ألا وهي ثقافة البحر الأبيض المتوسط.

Les éditeurs refusent de traduire certains titres qu'ils jugent trop violents ou trop osés pour le jeune public français. Ou en meilleur cas, le traducteur serait invité 'par l'éditeur' à supprimer ou modifier quelques passages dans le texte, notamment en ce qui concerne des évocations trop explicites de la sexualité. Cela signifie que les normes éducatives ne sont pas identiques dans tous les pays et chez tous les peuples, et que, contrairement à ce qu'affirment bien des discours sur une littérature de jeunesse qui ne connaîtrait plus de tabous, ces normes continuent à peser sur les stratégies éditoriales. (Voir FRIOT, 2003:49)

يرفض النّاشرون ترجمة بعض العناوين التي يعدّونها عنيفة جدًّا أو جريئة جدًّا بالنسبة إلى الجمهور الفرنسي اليافع. وفي أفضل الأحوال، سيتمّ حتّ المترجم 'من قبل النّاشر' إلى حذف أو تعديل بعض المقاطع في النصّ خاصّة فيما يتعلّق بالإثارة الجنسيّة الصّريحة للغاية. وهذا يعني أنّ المعايير التّربويّة ليست هي نفسها في جميع البلدان وبين جميع الشّعوب، وأنه على عكس ما يدور حوله الكثير من الحديث عن أدب للأطفال من دون قيود فإنّ هذه المعايير لا تزال تُؤثّر على استراتيجيات النّاشرين. -ترجمة لنا- ممّا يعني أنّ للنّاشر في العالم الغربي تأثيراً مهمّاً في عمل المترجم عامّة وبالأخصّ إذا كان هذا المترجم يتناول في عمله قصصاً للأطفال. ولكن قد يتمادى هذا التأثير من لدن صاحب دار الطّبع في اختيار القصص الطّرفيّة التي يتوجّب ترجمتها أو في التّرجمة نفسها. فلا يتهافون إلّا على قصص تخدم مصالحهم الغربيّة التي لا تخدم في كثير من الأحيان ثقافة الشّعوب المحتلّة سابقاً أو ما يُسمّى بثقافة الشّعوب المغلوبة.

3. دور النّشر في الوطن العربي:

1.3. بدايات اهتمام دور النّشر العربيّ بعمل المترجمين:

يعود بداية إشراف مؤسّسات النّشر الرّسميّة في الوطن العربيّ على عمليّة التّرجمة إلى العهد العبّاسيّ إبّان خلافة المأمون، الذي كان يرعى 'بيت الحكمة' والتي كانت "تضمّ المصحّحين والمُراجعين والنّسّاخ وكلّ من له علاقة بصناعة الكتاب" (خمري، د.ت: 291).

فنلاحظ أنّ الدّولة وقتئذٍ أولت أهميّة لعمل المترجمين ولم تتجاهله بالرّغم من افتقارها لعدد هذه الدّور، ولكنّ الكيف والمراقبة النوعيّة شفعت لهم عن الكمّ الشّحيح من المؤسّسات النّشريّة. ولم يختلف الأمر كثيراً في الأزمان اللاحقة حيث تواصل تشجيع الدّولة متمثّلة في مؤسّسات النّشر الرّسميّة وذلك في مصر مثلاً إبّان عهد محمّد علي باشا، غير أنّ التّرجمة حينئذٍ "كانت تقوم بها هيئات متعدّدة" (الشّيال، 1951:207)؛ وذلك عائد لوعي المترجمين والدّولة على حدّ سواء بالمسألة، واحتكاكهم بزملائهم في أوروبا وأخيراً التّنظير الذي مسّ عمليّة التّرجمة.

أما في العصر الحديث فيمكن التمييز بين مرحلتين مختلفتين في الترجمة التي قامت بها دور النشر العربية لقصص الأطفال؛ فبعدما كانت هذه الترجمة خلال القرن العشرين وبالأخص في بدايته، عشوائية وتجارية محضة لا تستند إلى معايير أدبية ولا أخلاقية، إذ كانت هذه الدور تسعى وراء هذه الترجمة التي لا تخدم طموحات الطفل العربي وثقافته بقدر ما تخدم عائدات المطبعة وجيب المترجم التاجر؛ وهذا ما يؤكده علي أحمد مدكور في تسارع البعض إلى الإنتاج الغربي يُترجمونه إلى اللغة العربية بما فيه من مضامين تتصادم مع البيئة العربية الإسلامية شكلاً وموضوعاً وفي كثرة عدد العاملين في هذا الميدان من التجار أكثر من الأدباء. (يُنظر مدكور، 1991:229)

ولكن ما لبثت أن تحوّلت وتطوّرت هذه الترجمة الطفلية في مرحلة تالية لتصير أكثر مسؤولية وإماماً بدورها في تنشئة الطفل العربي تنشئة ثقافية عربية إسلامية. فتأسست دور نشر خاصة بالأطفال خاصة في مصر والعراق وبلاد الشام مثل "دار الفتى العربي الفلسطينية، وقد خصّصت هذه الدور جزءاً بسيطاً من إصداراتها للترجمات الحديثة أيامها لكن نادراً ما كان يُذكر اسم القصة الأصلية أو اسم المترجم، وذلك على الأغلب بسبب عدم توفر حقوق النشر". (أسعد، 2018) أو حاجة في نفس المترجم التاجر غير النزيه أحياناً في نسب القصة المعروفة عالمياً والمجهولة نسبياً في الوطن العربي وبين أوساط الأولياء وأبنائهم إلى نفسه. كلّ هذا بمباركة دار نشر تجارية والتي لا يهتمها سوى الربح السريع.

2.3. أهم أعمال دور النشر العربية في ترجمة قصص الأطفال:

تنال دور النشر في المشرق العربي مقارنةً بالمغرب العربي القسط الأوفر في نشر القصص الطفلية، وعلى رأسها بلاد الكنانة. فنذكر على سبيل المثال لا الحصر دار النشر 'إلياس'، والتي قامت بطبع ترجمات لعدة قصص منها: 'الحرب العجيبة' (Strange War) لمؤلفها الألماني مارتن أوير (Martin AUER) وقامت بترجمتها هالة شريف. (Voir Goethe, 2005) وقد أخرجتها الدار في شكل جذاب بغلاف أزرق جميل وبرسومات داعيةً للمتلقّي العربي الصّغير لقراءها. وطُبعت أيضاً: 'مؤتمر الحيوانات' (Animal Conference)، للكاتب الألماني كاستنر إريك (Kästner ERICH)؛ ترجمة هدى أحمد (Voir Elias, 2004).

كما لا يفوتنا أن نذكر في هذا المقام مجهودات 'المعهد الثقافي الإيطالي' بالقاهرة؛ والذي قام بطبع من عام 2000 إلى عام 2010 ست وثلاثين قصة على لسان الحيوانات وأخرى تتحدّث عن المغامرة، مترجمة من اللغة الإيطالية نحو اللغة العربية. مثل قصص 'النمر' و'القمح' و'النحلة الشغالة' من تأليف جايا فولبتشلي (Gaia VOLPICELLI) وترجمة نجلاء والي.

"L'Institut Italiano di Cultura du Caire a traduit et publié durant les dix dernières années 36 livres pour la jeunesse en arabe." (CHÈVRE, 2010:16)

"ترجم المعهد الثقافي الإيطالي بالقاهرة وطبع خلال العشر سنوات الفائتة 36 كتاباً للنشء نحو العربية." -ترجمة لنا-

وفي لبنان؛ العديد من دور النشر التي تهتم بنشر قصص الأطفال وترجمتها، ومن أبرزها 'دار العلم للملايين' و'الشركة العالمية للكتاب' و'شركة دار الشمال' و'دار المؤلف' و'دار المجاني'... وحسب 'نقابة اتحاد الناشرين في لبنان' فإنّ هناك ما يقارب 650 دار طبع في لبنان. حيث ينتج هذا البلد الصغير لوحده 30% من مجموع المؤلفات المنشورة من الخليج إلى المحيط. (يُنظر نقابة، 2020) وهذا إن دلّ عن شيء فإنّما يدلّ على أنّ دولة لبنان تهتمّ على الأقل بصورة واضحة وكبيرة بالطفل وقصصه الأصلية والمترجمة. وقد اتخذت دار النشر 'دار ربيع للطباعة والنشر' في سوريا من القول الآتي: 'ثقافة أطفالنا أولاً' شعاراً لها وذلك منذ سنة 1983. ولها موزعون في عديد البلدان العربية منها الجزائر وغربية مثل المملكة المتحدة. (يُنظر ربيع، 2020) كما نشرت 'دار حافظ للنشر والتوزيع' كتباً متنوّعة للأطفال منها الأصلية والمترجمة مثل سلسلة 'أحلى القصص المترجمة' المتكوّنة من ثمانية أجزاء، وهي قصص باللغتين العربية والإنكليزية. (يُنظر الحافظ 2020) غير أنّها من تأليف كاتبة عربية وهي أماني الزهيري والمترجمة من الأقارب وهي قمر الزهيري.

3.3. لمحة عن دور النشر الجزائرية وطبع كُتب الأطفال:

لا يختلف حال دور النشر الجزائرية في مسألة طبع الكتب ومختلف المؤلفات مع نظيراتها في الوطن العربي والعالم الثالث ككلّ. فنجد أنّ أغلبها تعتمد بشكل كامل على دعم الدولة؛ متمثلةً أساساً في وزارة الثقافة؛ وبالتالي فهي لا يمكنها بطبيعة الحال أن تُخرج للعلن كتاباً أو مؤلفاً سواءً أكان موجّهاً لشخص راشد أم قاصر لا يوافق إيديولوجية هذه الدولة.

فتحرص دور النشر على طبع المؤلفات الموجّهة للطفل الجزائري بما يخدم تاريخه وهويته ومستقبله. وذلك إمتثالاً لتوصيات وِزارتي الثقافة والتربية الوطنيّة في 'جزارة' الفكر لدى الطفل عندنا. ونلمس تزايد شدة الرغبة في تعريف أبنائنا بتراثهم وثقافتهم الجزائرية خصوصاً في السنوات القليلة الماضية. ولكن لا يُمكن أن يرقى كلّ ما كُتب هنا في الجزائر للأطفال من طرف بعض الكتاب الجزائريين إلى المستوى المطلوب. أضف إلى ذلك أنّ بعض القصص والروايات العربية والعالمية الشهيرة لا مناص للطفل الجزائري أن يحيط بها علماً كونها تبقى دُرراً من الأدب العالمي الناجح؛ كقصص ألف ليلة وليلة وقصص الأخوين جريم.

ومن أسماء دور النشر الجزائرية التي تجتهد في طبع المؤلفات بدعم من الدولة أو من دونه نجد 'دار الحكمة'، والتي أخرجت كتاباً للدكتورة لزرق مغنية عنوانه 'التعليق من الجزائر إلى بغداد' المترجم إلى اللغات العربية والإنكليزية والفرنسية. (الفجر، 2012)

ونجد كذلك 'دار الأنيس' المختصة في كتاب الطفل والتي تعي جيّداً المسؤولية الكبيرة الملقاة على عاتقها كونها تهتمّ بمؤلفات من شأنها تربية الناشئة. وفي هذا الخصوص يقول ممثلها أنّ الدعم الذي يلقونه من طرف السلطة شحيح؛ فهم لم يتحصّلوا "إلاّ على دعمين سنة 2005 الأولى لمجموعة قصصية

للطفل بالفرنسية والثانية بالعربية وفي ذات المجال. " (الفجر، 2012) ومع الأسف فإن اللغات الأخرى كالإنجليزية مثلاً مُغيّبة في ساحة القصص الجزائرية الموجهة للطفل.

تهتم 'دار سيديا' المتواجدة بالجزائر العاصمة هي أيضاً بنشر القصص المترجمة للأطفال، مثل: 'رحلات جدو' (Le secret de Papy Frioul) للكاتب الفرنسي جون لوك لوسيان (Jean-Luc LUCIANI) وترجمة سلمان عيّا. وقصة 'محوت المعلمة' (J'ai effacé la maitresse) للمؤلفة صوفي ريقال قولار (Sophie RIGAL-GOULARD) وترجمة محمد ساري. (يُنظر موقع سيديا، 2020)

4.3. مشاكل دور النشر العربية وترجمة قصص الأطفال:

إنّ من أبرز العوائق التي تواجه هذه الدور حديثاً هو نوعية النصوص التي ستتمّ معالجتها لغويّاً عن الغرب (يُنظر الحسين، 2011:08). فغالباً ما تُترجم سوى القصص المصوّرة وكتب المفاهيم للصغار كونها لا تُمثّل 'إلى حدّ ما' أيّ إشكالات ثقافية نوشك أن نختلف فيها مع الآخر؛ فموضوعاتها تدور حول الخوف من الظلام ومشاكل المدرسة وغيرها من الاهتمامات المشتركة لأطفال الدنيا. فهي لا تعكس وجهة نظر مؤلفيها ولا تحمل رأي أو ثقافة مجتمع محدّد، خلاف ما نجده في قصص الطّفولة الأخرى وخاصة قصص الطّفولة المتأخّرة والتي كثيراً ما تعزّف دور الطّبع في إيجاد المترجمين لها لتسويقها، لما تحمله من تحديات ثقافية. وهنا غالباً ما يلعب النّاشر دور الرّقيب على نفسه، فهو لا يريد أن يصطدم بـ'التّابو' الاجتماعي.

ولكن لا يُمكننا تغافل التّعنّت المستمر لبعض دور النشر العربية في ترجمة القصص عشوائياً للأطفال العرب. وبالرّغم من أنّ العديد من هذه العناوين ذات قيمة أدبية كبيرة وفيها من عوامل الجذب والإثارة ما يلفت الطّفل لها سريعاً، إلّا أنّ جزءاً منها يُسهم في عملية الغزو الثقافي، ممّا جعل الكثير من الأصوات في الوطن العربي تُنادي بضرورة الوقوف ضدّ هذا الغزو؛ فاكثفت بعض البلدان بمنع دخول هذه الإصدارات إلى أطفالها. ولكن هذا الإجراء وحده غير كاف، إذ لا بدّ من اقتراح بديل يُغني أطفالنا عن الجري وراء تلك الإصدارات (يُنظر الهيتي، 1988:225)، وذلك عن طريق تشجيع الكتابة للأطفال وإقامة الجوائز لكتّابها وتنظيم الملتقيات الوطنية والإقليمية التي تتدارس هذه القضية، ولم لا ترجمة هذه القصص الأجنبية المدسوسة بسمّ ثقافي رهيب ترجمةً وظيفية تواصلية وفق ما تقتضيه الغاية في أوطاننا العربية بعد تكييفها ثقافياً وبعد موافقة دور النشر العربية.

تتعرّض أيضاً دور النشر في الوطن العربي كما هو معلوم للجميع من مشكل الرّقابة المسلّط عليها من طرف السّلطة العليا؛ فـ"مسألة الرّقابة التي تزيد، عربياً، ولا تنقص. بل إنّ الرّقابة اليوم أشدّ من أيّ وقت مضى." (الشرق الأوسط، 2001) تجعل المؤلّفات التي ستنشرها دور الطّبع لا بدّ لها وأن تمرّ بلجنة القراءة المشكّلة في الوزارات المختلفة: التّربية، الثقافة، المجاهدين،... غير أنّ الرّقابة لا تصير مشكلاً أمام دور النشر والمؤلّفين والمترجمين حينما تتّصف بالاتّزان والموضوعية كونها تحافظ على عقيدة القارئ

وهويته من الاختلال والتشكيك. فمنع دخول قصص للأطفال توحى بمقاطع جنسية أو عنيفة جداً أو قصص دينية شيعية أو من الإسرائيليات هو أمر حتمي. أما إذا كانت هذه الرقابة سلاحاً في يد المشرع ليسمح بطبع من يرضاه عنه من مؤلفات ويمنع المغضوب عليهم؛ فهذا يصير الأمر ذاتياً وتعسفياً. بالإضافة إلى عامل الرقابة التي تتعرض له دور النشر في الوطن العربي؛ وبالتالي تأثر مؤلفات الكتاب العرب به، نجد تأثير إيديولوجية هذه الدور على إخراج هذه المنتجات للعلن. فلجان القراءة لدى كل دار تقرأ ما يريد الناشر أو مدير النشر قراءته وتقوم بإعداد تقارير عنه (الشرق الأوسط، 2001). فهناك دور نشر تُشجّع أو تدعو للوهابية، للحزب الواحد، للتشدد الديني، للتحرر والعلمانية، للتعايش بين مختلف أطياف الشعب الواحد للإخوانية، للسلفية،... باختصار كل دار نشر في كل بلد عربي تسعى لأن تسير الموجة السائدة في هذا البلد. فيظهر هذا السعي جلياً في قصص الأطفال مؤلفة كانت أو مترجمة. وبعض دور الطبع تنشر مؤلفات للأطفال أو للراشدين ليس أساساً على إستراتيجيتها التي تتبعها في النشر أو على أساس الإيديولوجية التي تعتنقها. وإنما تجعل من قيمة الكتاب النقدية معياراً لها في نشره وتسويقه. إذ يُعرض الكتاب "على لجنة متخصصة، فإن نال رضاهم وأعجبهم ووجدوا فيه غنيمة باردة، فسوف يوافقون على طباعته على حسابهم." (الصقير، 2009) وهذا برأينا يُعدّ حكماً ذاتياً شخصياً لا يمتُّ بمبادئ العلم والمعرفة العادلة بصلة.

4. أمثلة تطبيقية عن تأثر ترجمة قصص الأطفال بدور النشر التي تُخرجها:

من خلال هذا العنصر المهم في الدراسة؛ سنحاول تبين ما مدى تأثر المترجم وبالتالي المترجم؛ بدور النشر التي سوف تطبع وتوزع هذه القصّة. يتناول المثال الأول القصّة الشهيرة 'الأميرة النائمة'، حيث لاحظنا عدّة فروقات بين طبعتين مترجمتين؛ إحداها لدار نشر لبنانية 'هاشيت أنطوان' (مترجم مجهول، 2016)، وأخرى جزائرية 'دار البدر للطباعة والنشر والتوزيع' (عبد الجواد، د ت). ففي الطبعة اللبنانية نجد بعض النقاط الإيجابية كجودة الورق واحترافية في الرسومات المرافقة، كما نشاطر رأي المترجم مجهول الهوية في تعريب أسماء الشخصيات مع أنّ تركها على حالها لم يكن ليصدم المتلقي الصغير ومثال ذلك: Aurora شفق، Stefan مصطفى. أمّا النقاط السلبية فتمثّلت في عدم ذكر إسمي المؤلف ولا المترجم، وغياب ترقيم الصفحات، وعدم ترجمة العنوان (Sleeping Beauty) في النسخة العربية بـ 'الأميرة النائمة' كما هو شائع ومعروف، بل اعتماد العنوان الأجنبي في النسختين. هذا بالإضافة إلى ترجمة العبارة الإنكليزية: "Flora blessed her with the gift of beauty and Fauna provided the gift of song." (Unknown author, 2016)

ترجمة حرفية لا تخدم القارئ العربي الصغير: 'فأعطتها ريحانة هبة الجمال، وريانة موهبة الغناء.' ونحن المسلمين ندري أنّ من يرزق النعم والهيئات مثل هبة الجمال وهبة الصوت العذب هو الله سبحانه وتعالى. فحبذا لو تُرجمت العبارة الإنكليزية السابقة على النحو التالي مثلاً: 'فتمنّت لها ريحانة الجمال، ودعت لها ريانة بعدوبة الصوت.'

وهناك كذلك مسألة ترجمة الوسيلة التي ستوقظ بواسطتها الأميرة المسحورة ألا وهي قُبلة الحب الحقيقي: '...وقبل الأميرة بلطف، ففتحت عينها... لقد زالت اللعنة!'

"...and gently kissed his true love. Her eyes opened... The spell was broken!" (Unknown author, 2016)

ومع أنّ مكان القُبلة لم يُحدّد بدقّة لا في الأصل ولا في الترجمة، إلّا أنّه من الشائن وصف مثل هذه المشاهد للبراءة وحصر عواطف الحب بين الرجل والمرأة فقط. إذ أنّ القُبلة البريئة من طرف أي شخص مُحبّ بحقّ كأحد الوالدين، أو المريّة أو أحد الأقارب؛ يُمكن لها أن توقظ الأميرة النائمة من سباتها العميق. أمّا فيما يخصّ ترجمة العبارة الإنكليزية للغة العربية فنقترح مثلاً المقابل: 'فلما سمعت صوته الحزين، فتحت عينها.'

نوع ترك المترجم اللبناني لهذه العناصر الثقافية بعد موافقة الناشر اللبناني عليها، إلى طبيعة ثقافة المجتمع اللبناني المتحرّر نوعاً ما والمتعدّد الديانات والأطياف. كذلك دور النشر في لبنان غالباً ما تتّبع إستراتيجية محايدة أو علمانية -إن جاز التعبير- في عملها وفي إخراجها للمؤلفات أو حتى قصص الأطفال التي تنوي توزيعها. فدور النشر اللبنانية سبّاقة في هذا المجال في الوطن العربي، تأثرت ولا زالت بدور الطبع الأوروبية وبخاصّة الفرنسية منها. لذلك نجدها تُحفّز المترجم وتحثّه بطريقة مباشرة أو غير مباشرة إلى إعادة تأليف قصّة لطفل لبناني يقرأها الكلّ بغض النظر عن طائفته أو ثقافته.

أمّا الطبعة الجزائرية فجاءت أكثر تحفظاً من الأولى؛ طبيعة المجتمع الجزائري المحافظ. وهي ترجمة وُفّقت إلى حدٍ بعيد في تكييف المشاهد ثقافياً حسب الطفل الجزائري المسلم. فجاءت القصّة مرقّمة ومشكّلة بالكامل وذاكرةً لاسم المترجمة عكس النسخة اللبنانية.

كما تنبّهت المترجمة إلى خطورة تلقين الصغار أنّ أحداً سوى الله، من الممكن أن يرزق الجمال والنعم كلّها فكتبت: 'أتت الجنّيات لرؤية الطفلة الصغيرة، فتمنّت لها كلّ واحدة منهنّ أمنية جميلة.' (عبد الجواد، د ت، 5) ولم تكتب أعطتها أو باركتها، لأنّ من المعلوم أن المخلوق يتمنّى ويسأل والخالق هو من يُعطي ويرزق.

وفي موضع آخر قالت: '...وسوف يأتي أميرٌ ليوخطها.' ولم تُحدّد كيف وأين؟ وأيضاً نجد في القصّة العربية: 'ولما لمح الأميرُ الأميرة نائمةً، أمسك بيدها فاستيقظت.' وهنا تفادت المُتصرّفة ذكر القُبلة

وأبدلتها باللمس مع أن لمس المرأة الأجنبية غير جائز في الشريعة الإسلامية، لذلك نعود إلى اقتراحنا سابق الذكر بأن صوت الأمير الحنون هو من أيقظ الأميرة من سباتها.

وفي الأخير أحسنت المترجمة الجزائرية في ختم القصة عندما ذكرت أن الأمير لم يتزوج الأميرة إلا بعد موافقة وليها الشرعي ألا وهو والدها الملك؛ 'طلب الأمير الأميرة للزواج فوافق الملك...' وهنا تأكيد وتعليم للفتاة المسلمة الصغيرة أن من شروط الزواج الشرعي في الإسلام وجود الولي.

يبدو أن الأمر بدبي بعد القيام بتصفّح ومعاينة بعض المنشورات الخاصة بدار البدر للطباعة والنشر والتوزيع، أن هذه الدار ذات التوجّه الإسلامي والعربي لن تسمح أن يُخرج للعلن مؤلفات من الممكن أن تחדش حياء المتلقّي الجزائري الصغیر. لذلك تأثّر عمل المترجمة الجزائرية بإستراتيجية الدار في العمل المطبعي وهي بدورها -أي دار النشر- تتأثّر بإيديولوجية الدولة الحاضنة.

في مثال ثان يخصّ ترجمة القصة الشهيرة لمغامرات روبنسون كروزو (Robinson CRUSOE) لصاحبها دانيال ديفوي (Daniel DEFOE)، نلاحظ أن بطل القصة المفقود منذ عدّة سنوات في جزيرة نائية، وعندما كان يهيم ببناء سفينته؛ تساءل عن نوع الخشب الذي استعمله سيّدنا سليمان بن داود عليهما السلام في بناء الهيكل 'المزعوم' قائلاً:

"...I question whether Solomon ever had such one for the building of the temple at Jerusalem." (DEFOE, 1994: 127)

إنّ الإشارة إلى المعبد بمدينة أورشليم (القدس) في النصّ الأصل لا تعدّ كونها كذبة تاريخية اخترعها اليهود الصّهيانية من أجل دعم مزاعمهم في القدس الشريف وفي أحقيّتهم لفلسطين كلّ. لذلك عمدت كلّ من دار النشر ربيع السّورية (تر خشفة وحسين، 1992)، ودار النشر مكتبة المعارف اللّبنانية (مترجم مجهول، 1992) إلى حذف المقطع تماماً لأنّ ترجمته بأمانة يُعدّ اعترافاً بوجوده. بينما أصابت ترجمة لبنانية أخرى لدار العلم للملايين (تر أكرم الرّافعي، 1994) حينما كيّفت المعلومة المغلوطة بتبديلها بـ 'معبد في لبنان' وفق مبادئ وعقائد الدّور وإيديولوجية الدّول المجاورة للكيان الصّهيوني المغتصب لأراضيها.

ولا يجب أن ننسى مدى الإسهامات الأدبية والثّقافية التي جلبها المثقّفون الفلسطينيّون إلى دول الهلال الخصيب، فأغلب العاملون بدور النشر (رؤساء تحرير ومحرّرون مساعدون) وبمجال التّرجمة في لبنان وسوريا كانوا فلسطينيين أو من أصول فلسطينية، ولا يمكنهم تمرير هذه المعلومة الكاذبة التي يسعى الصّهيانية إلى نشرها في العالم إلى النّشء الصّغير في بلاد الشّام، سواءً أكانوا عرباً نصارى أم مسلمين.

وفي المثال الثّالث والأخير في هذه الدّراسة التي أردنا من خلالها تبيان ما مدى تأثّر التّرجمة الطّفولية بإيديولوجية النّاشر قبل تأثّرها بثقافة المترجم المحليّة، نجد في مجموعة قصصية باسم 'كورالي' أن المترجم قام بتعريب أسماء الشّخصيات جميعها ما خلا اسم بطلة القصص 'كورالي' (Coralie) وكلّها

المرافق لها 'مندريان' (Minederien). وهذا الاحتفاظ بأسماء الأبطال كما ذكرت في النسخ الأصلية يرجع سببه إلى أن هذه الأسماء أساسية؛ بها تُعرف السلسلة وتشتهر، فلا تستطيع دار النشر العربية أن تتصرّف فيها. ولأنّ دار النشر الأصلية في بلجيكا بعد أن أبدت موافقتها وأعطت تصريحها بترجمة القصص إلى اللغة العربية، فهي لن تسمح للمترجم العربي بالضرورة بتغيير أسماء الأبطال، فهم بمثابة علامة تجارية لها.

5. خاتمة: لحسن الحظّ أصبح المترجم المتخصّص في نقل القصص للأطفال بين مختلف اللغات يحرص على ما سوف يتمّ نقله لهذا الطفل. ولحسن الحظّ كذلك مازال السواد الأعظم من النّاشرين في العالم يوافقون هذا المترجم حرصه أثناء النّقل سامحين له بتكييف القصص ثقافيًا إمّا بالحذف أو الزيادة وأحياناً أخرى بالتغيير.

والحديث عن واقع ترجمة قصص الأطفال سواءً أمن قبل دور النشر العمومية أم الخاصة يقودنا إلى التنويه بما تشهده هذه العملية من حركية واسعة، ومجهودات تستحقّ الثناء. غير أنّه لا يجب علينا أن ننكر حجم المؤلفات التي يطبعها العالم الغربي لأطفاله مقارنة بنا، خاصّةً في دول متطورة كالسويد وفنلندا وكندا... إلّا أنّ الوعي بضرورة ترجمة قصص الأطفال في الوطن العربي ومن اللغة العربية وإليها صار ملموساً وفي تزايد. إذ نلمس هذا الاهتمام في تشجيع بعض المؤسسات الرّسمية في بعض الدّول العربية لعملية التّرجمة بإقامة لها ملتقيات وجوائز معتبرة.

وختاماً تسعى بعض دور النشر إلى مواكبة العصر، والتّجديد والانفتاح على الآخر، وذلك من خلال شراء حقوق طبع ترجمة القصص الموجهة للطفل وتطبيقها على أرض الواقع. فهناك العديد من النّاشرين الخواص بالتّحديد؛ من يقوم باختيار المؤلفات التي حقّقت رقم مبيعات كبير في لغاتها الأصلية ثمّ يقومون بتعريفها للطفل العربي بعد غمسها غالباً في إيديولوجية الدّار والدّولة على حدّ سواء.

6. قائمة المراجع:

• المؤلفات:

1. الشّيال جمال الدّين، تاريخ التّرجمة والحركة الثقافيّة في عصر محمّد علي، دار الفكر العربي، 1951، القاهرة، مصر.
2. الهيتي هادي نعمان، ثقافة الطفل، فلسفته، فنونه، وسائطه، سلسلة عالم المعرفة 123، مطابع الرّسالة، الكويت، مارس 1988.
3. خمري حسين، جوهر التّرجمة، دار الغرب للنّشر والتّوزيع، دط، دت، وهران، الجزائر.
4. ديفوي دانيال، روبنسون كروزو، ترجمة خشفة محمّد نديم وذكرى الحاج حسين، دار النّشر ربيع، دمشق، سوريا، 1992.

5. ديفوي دانيال، روبنسون كروزو، ترجمة لجنة من المتخصصين، مكتبة المعارف، بيروت، لبنان، 1992.
6. ديفوي دانيال، روبنسون كروزو، ترجمة الرّافعي أكرم، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1994.
7. عبد الجواد صوريا، الأميرة النائمة، سلسلة قصص عالمية، دار البدر للطباعة والنشر والتوزيع، د.ط، د.ت، الجزائر العاصمة.
8. مترجم مجهول الإسم، كورالي (سلسلة)، شركة دار الشمال، طرابلس، لبنان، د.ت.
9. مترجم مجهول الإسم، Sleeping Beauty، سلسلة حكايتي الصغيرة، هاشيت أنطوان، بيروت، لبنان، 2016.
10. مذكور علي أحمد، تدريس فنون اللغة العربية، دار الشّواف، 1991، الرياض، المملكة العربية السعودية.
11. ASSOULINE Pierre, La condition du traducteur, Centre nationale du livre, Paris, France, 2011.
12. CHÈVRE Mathilde, Traduire la littérature de jeunesse en Méditerranée, Transeuropéennes, Paris; France et Fondation Anna Lindh, Alexandrie; Egypte, 2010.
13. DEFOE Daniel, Robinson CRUSOE, Penguin books, 1994, London, UK.
14. HIVER Jeanne et COURONNE Pierre, Coralie, 6 aventures passionnantes, éd Hemma, Belgique, 2004.
15. Unknown author, Sleeping Beauty, (My Tiny Tale), Hachette, Antoine Kids, Beyrouth, Liban, 2016.

• المقالات:

1. محمّد الحسين فاطمة، ترجمة كتب الأطفال... خيار أسهل وإثراء أسرع، المجلة العربية، العدد 417، شوال 1432هـ/ سبتمبر أيلول 2011م، المملكة العربية السعودية.
2. FRIOT Bernard, Traduire la littérature pour la jeunesse, Le français aujourd'hui, 2003/3, n°=142, édition Armand COLIN, Paris, France.

• مواقع الإنترنت:

1. أسعد دنيس، الترجمة في أدب الأطفال العربي، 2018.
<https://www.facebook.com/267817826657027/posts/1474304462675018/>
(11-07-2020/22:07)
2. الصّغير سليمان، المؤلّف والتّأليف ودور النّشر والطّباعة والتّوزيع، 2009.

<http://www.naseemnajd.com/w/?p=708> (02-06-2020/ 19:05)

3. جريدة الشرق الأوسط، ناشرون: نحترم حقوق الملكية الفكرية ولا نشترى عقل المؤلف، 2001.

<https://archive.aawsat.com/details.asp?issueno=8070&article=31637#.XzUHEsD7SM8>

4. جريدة الفجر، متى يخرج الناشر الجزائري من عباءة وزارة الثقافة؟، 2012.

<https://www.djazairiess.com/alfadjr/206421> (13-08-2020/ 11:17)

5. دار الحافظ للنشر والتوزيع، 2020.

<https://daralhafez.net/product/أحلى-القصص-المتجمة-مجموعة-من-8-أجزاء>

(13-06-2020/ 19:08)

6. دار ربيع للنشر، 2020.

<http://rabie-pub.com/ar/> (10-07-2020/ 19:15)

7. دار سيديا، 2020.

<https://sedia-dz.com/portal/livre/> (10-07-2020/ 20:01)

8. نقابة اتحاد الناشرين في لبنان، 2020.

<http://publishersunionlb.com/ar/index.php/publishers/338-internationalbook>

(15-07-2020/ 13:46)

9. Elias Modern Publishing House, Animal Conference, 2004.

http://www.eliaspublishing.com/children_books/animal_conference.html

(01-09-2020/ 21:04)

10. Goethe Institut, Strange War, 2005.

<http://www.goethe.de/ins/eg/prj/uak/gwl/kju/aur/arindex.htm> (08-09-2020/ 20:43)

11. HERMANN Marie, Traduction et édition, 2017.

<https://www.aplv-languesmodernes.org/spip.php?article6672> (22-06-2020/ 18:14)

12. La rédaction, Le traducteur; parent pauvre de l'édition, 2016.

[https://www.actualitte.com/article/monde-edition/le-traducteur-parent-pauvre-de-l-](https://www.actualitte.com/article/monde-edition/le-traducteur-parent-pauvre-de-l-edition/64565)

edition/64565

(15-08-2020/ 15:05)



الازدواجية اللغوية في الخطاب السياسي الجزائري:

دراسة تحليلية لخطاب الرئيس عبد المجيد تبون المنشور عبر حسابه في التويتر

An analytical study of the seppch of : Bilingualism in the Algerian political discourse

President Abdelmadjid Tebboune which was published on his Twitter account

أ. بوساحية هشام*

تاريخ القبول: 2021.12.23

تاريخ الاستلام: 2021.04.10

ملخص: يعيش المجتمع الجزائري تنوعا في لغات التخاطب والتي تكونت نتيجة عدة عوامل وأنتجت جملة من الثنائيات اللغوية المكونة أساسا من العربية، الأمازيغية، الفرنسية، والتي انتهت لازدواجية لغوية (عربية، عربية) بسبب تأثير باقي اللغات فيها ما أنتج مستويين لها أحدهما فصيح وآخر عامي، ومع انعكاس الازدواجية على الخطاب السياسي وتوظيفه لها وفق مستويات عالية وأخرى عامية، فعملنا في دارستنا هذه على تحديد أثر الازدواجية اللغوية على فعالية الخطاب السياسي الجزائري وقد قمنا بإجراء دراسة تحليلية لخطاب الرئيس تبون تم نشره عبر حسابه في تويتر حينما كان في ألمانيا، وتوصلنا لأن ظاهرة الازدواجية اللغوية في الخطاب السياسي تسهم في نجاحه وفعاليتها.

كلمات مفتاحية: الازدواجية اللغوية؛ الخطاب السياسي؛ التنوع اللغوي؛ التويتر؛ اللغة العامية.

Abstract: Algerian society lives in a diversity of spoken languages, which were formed due to various factors ,and gave rise to a set of bilinguals consisting mainly of Arabic ,Berber and French , which ended with linguistic duality (Arabic, Arabic) due to the influence of the rest of the languages in the Arabic language which placed it at the level of eloquent and public, and with the reflection of bilingualism on political discourse and employing it at high levels and colloquial. So We worked in our study to determine the effect of bilingualism on the effectiveness of the Algerian political discourse, and we conducted an analytical study of President Tebboune's speech, published on his Twitter, and we reached that bilingualism in political discourse contributes to its success and effectiveness

Keywords: linguistic bilingualism; Political speech; Linguistic diversity; Twitter; Slang.

* - مخبر الفلسفة والدراسات الإنسانية والاجتماعية ومشكلات الإعلام والاتصال، جامعة 08 ماي 1945، قالمة، الجزائر.

البريد الإلكتروني: Boussahia.hicham@univ-guelma.dz (المؤلف المرسل)

1. مقدمة: عرف المجتمع الجزائري منذ بداية تشكله انفتاحا كبيرا على باقي الشعوب بسبب الموقع الجغرافي الذي يحوزه وهو ما أدى إلى خلق تنوع ثقافي انجر عنه تنوع لغوي سادته اللغة العربية، ومع تواجد الأمازيغية والتي تمثل اللغة الأصلية للسكان ساد نوع من التبادل اللغوي بين هاتين اللغتين مما أدى خلق بيئة نشطة من الناحية اللغوية قادرة على إفراز أنماط لغوية مميزة لسكان المنطقة الأمر الذي أعطى مستويات عدة لممارسة التواصل اللغوي لدى الفرد الجزائري، ومع التراكمات والحقب التاريخية التي مرت بها الجزائر كالأستعمار الفرنسي الذي سعى لطمس الهوية المجتمعية عبر زرع اللغة الفرنسية واجتثاث باقي اللغات كالعربية والأمازيغية بمختلف لهجاتها، الأمر الذي خلق نوعا من التعدد والازدواجية اللغوية داخل المجتمع خاصة مع تأثيرات اللغة الفرنسية ومختلف اللهجات الأمازيغية على المفردات العربية الأمر الذي أسهم في تنامي وظهور لهجة عامية شائعة الاستعمال والتداول إلى درجة تحولها إلى نمط لغوي مستقل يوظف في أغلب أنماط الخطاب والتواصل حتى الرسمي منها.

وقد صارت الازدواجية اللغوية سمة خاصة في المجتمع الجزائري ولها تأثيراتها في شتى مناحي الحياة بداية من الحوارات اليومية وصولا للخطاب السياسي الرسمي الذي صار يتميز بازدواجية لغوية ويتم توظيف اللغة العربية فيه على مستويين الأول رسمي فصيح والثاني تميزه الصبغة العامية، وهذا لضمان نجاح محتوى الخطاب والوصول لأكبر عدد من الجمهور وضمان أعلى درجات التأثير.

ومع تنامي دور الازدواجية واتجاه الخطاب السياسي الجزائري نحو توظيف هذه الأخيرة فنجد أن أغلب التصريحات الإعلامية للمسؤولين والسياسيين الجزائريين لا تخلو من توظيف لغة مزدوجة بين العامية والفصحى وهو ما يعكس تغلغل الازدواجية اللغوية في الخطاب السياسي الجزائري، حيث أن أغلب الخطابات التي ألقاها الرئيس عبد المجيد تبون في خرجاته الإعلامية تشكل نموذجا للازدواجية اللغوية في الخطاب السياسي.

ومما سبق نطرح التساؤل التالي: ماهو أثر الازدواجية اللغوية في فعالية الخطاب السياسي الجزائري؟ وللإجابة على التساؤل السابق نضع من مجموعة الأسئلة الفرعية التالية:

- ماهو واقع الازدواجية اللغوية في الجزائر؟
 - فيم تتمظهر الازدواجية اللغوية في الخطاب السياسي للرئيس الجزائري عبد المجيد تبون؟
 - كيف أثرت الازدواجية اللغوية في بنية وفعالية الخطاب السياسي للرئيس عبد المجيد تبون؟
- وتهدف هذه الدراسة للاطلاع على واقع الازدواجية اللغوية في الجزائر دراسة مدى تأثيرات مختلف مستويات الخطاب وفي مقدمتها الخطاب السياسي الجزائري، والتعرف أكثر على بنية الخطاب السياسي في ضوء توظيف المستويات المختلفة للغة العربية (الفصحى والعامية).

2. مفاهيم الدراسة:

1.2 التنوع اللغوي: يقصد به تعدد الصيغ المختلفة في لغة من اللغات، وقد عرف "هدسون" -كما نقل عنه الدكتور صبري إبراهيم السيد- التنوع اللغوي بأنه "مجموعة من المواد اللغوية ذات التوزيع المتماثل، ويعرفه "فرجسون" بأنه "مجموعة نماذج الكلام الإنساني، متجانسة التكوين، يمكن تحليلها بواسطة أساليب الوصف السنكروني الفنية المتوافرة، وفيها ذخيرة من العناصر بترتيبها أو عملياتها، ومجال دلالي واسع يعمل في كل سياقات الاتصال الرسمية. (دمياطي، 2017، ص50).

ويعرفه "جوليت غرمادي" بأنه "الثنائية اللغوية أو التعددية اللغوية أو التنوع اللغوي؛ أي استعمال منظومتين أو أكثر من جانب المتكلمين في متحد واحد. (التنوجي والأسمر، 1993، ص546).

في حين يرى الباحث "كمال بشر" التنوع اللغوي أنه "حتمية طبيعية تتجه باللغات نحو الانقسام والتشعب والتفرع وهذه الحتمية ليست من طبيعة اللغة ولكن مردها إلى عوامل تؤدي إلى هذا الاتجاه أو ذاك. (عواريب 2017، ص54).

2.2 الازدواجية اللغوية: يقصد بالازدواجية اللغوية في بعدها اللغوي بأنها الزوج؛ والزوج خلاف الفرد والنمط يطرح على الهودج واللون من الديباج ونحوه، يقال للاثنتين هما زوجان. (آبادي، 2005، 199)، والزوج خلاف الفرد؛ والأصل في الزوج كل شيئين مقترنين وكل واحد منهما زوج. (جمال الدين والمصري، 1992، ص291).

أما "أندري مارتني" André فيعرفه "على أنه موقف لغوي اجتماعي تتنافس فيه لهجتان لكل منها وضع اجتماعي وثقافي مختلف، فتكون الأولى شكلا لغويا مكتسبا ومستخدما في الحياة اليومية، والثانية لسانا يفرض استخدامه في بعض الظروف الممسوكة من طرف السلطة. (المصري وأبو حسن، 2014، ص43).

ويراها عبد الرحمان بن محمد القعود بأنها "وجود مستويين في اللغة العربية، مستوى فصيح، ومستوى الدارجة أو ما يقابلها من العامية أو اللهجة (القعود، 1997، ص19)، وقد يطلق على الازدواجية اللغوية مصطلح الثنائية اللغوية والتي تعني عند استعمال لغتين عند الفرد (ROBEPT, 1996, p184).

3.2 الخطاب السياسي: هو خطاب إقناعي يهدف إلى تمرير فكرة محددة بين جماهير ما، يسعى صاحبها إلى توظيف مختلف الأدلة والحجج لجعلهم يقتنعون ويقبلون المعطيات الموجهة إليهم (Boylon, 1996, p248)، أما الخطاب السياسي فيراد به خطاب السلطة الحاكمة في أغلب الاستخدامات وهو الخطاب الموجه عن قصد إلى المتلقي المقصود للتأثير عليه وإقناعه بمضمون الخطاب، ويتضمن هذا المضمون أفكار سياسية أو يكون موضوع الخطاب في ذاته سياسيا. (حورية، 2018-2019، 33) ويوظف آليات عديدة كالشرح، التحليل الإثارة ومن خلاله تتغير الأفكار والقناعات. (دحمان، 2019، ص224).

الخطاب السياسي يعرف بأنه شكل من أشكال الخطاب المتعددة، ويستخدم من قبل فرد أو جماعة أو حزب سياسي معين من أجل الحصول على سلطة معينة عند حدوث أي صرع أو خلاف سياسي، وهو أداة ضرورية في العمل السياسي.

4.2 التويتر Twitter: هو خدمة تدوين اجتماعية صغيرة تسمح للأعضاء المسجلين بنشر منشورات صغيرة تسمى "تويته"، "twitt"، ويستطيع الأعضاء النشر ومتابعة منشورات الآخرين من خلال استخدام منصات وأجهزة عديدة، ويمكن الرد أو النشر على تويتر باستخدام الهاتف المحمول بواسطة الرسالة النصية، أو من خلال واجهة المستخدم على الموقع. (ممدوح والعود، 2011-2012، ص 08).

هو موقع اجتماعي يقدم خدمة تدوين مصغر، والتي تسمح لمستخدميه بإرسال تغريدات عن حالتهم بحد أقصى (140) حرفاً للرسالة الواحدة (الجبور، 2014، ص 267)، كما يتيح خدمة التدوين والمشاركة ظهر سنة 2006 في سان فرانسيسكو الأمريكية وعرف انتشارا واسعا خاصة لدى الطبقة السياسية في الغرب.

3. واقع الازدواجية اللغوية في الجزائر: يعيش المجتمع الجزائري واقعا لغويا غير متجانس بسبب عديد اللهجات التي تتبناها مختلف الجماعات فيه، حيث تنتشر العربية والفرنسية والأمازيغية بشكل متباين داخل الفئات المجتمعية المختلفة، وهو الأمر الذي يرجع لعوامل تاريخية واقتصادية واجتماعية وسياسية كونت هذا الواقع اللغوي الذي يقسم كالتالي:

- اللهجات ذات الانتشار الواسع كالعامية أو الدراجة العربية وهي متنوعة لكنها متقاربة لأنها من مصدر واحد؛

- اللغات الرسمية -الدستورية-: اللغة العربية الفصحى واللغة الأمازيغية؛

- اللغة الفرنسية وهي اللغة الأكثر نفوذا خاصة في المؤسسات الرسمية للدولة؛

- اللهجات الأمازيغية كالشاوية، الشلحية، التارقية، المزابية. (تونسي، 2020، ص 103).

فأبرزت هذه الخارطة الفسيفسائية واقعا لغويا يميزه الصراع بين مختلف اللغات، فكان لكل لغة طبيعة وخاصة تميزها عن الأخرى، حيث أن اللغة العربية على اعتبارها اللغة الرسمية للدولة تأخذ الأغلبية في الحيز السوسيوثقافي بالجزائر كونها أهم عنصر في مقومات الهوية الوطنية التي عمل الاستعمار على طمسها إلا أنها تستعمل اليوم كلغة خطاب رسمية (يعقوب، 1992، ص 144) على المستويين الرسمي والعامي.

فعلى الصعيد الرسمي يمكن اعتبار اللغة العربية الركيزة الأساسية في بناء المجتمع الجزائري بعد فترة الاستعمار وقد عملت الدولة الجزائرية على تجسيده من خلال قانون التعريب وإنشاء المدرسة الأساسية (تازروتي، 2003، ص 46) ولكن رغم كل الاهتمام الرسمي بها إلا أنها لا تؤدي أي دور وظيفي في التواصل الاجتماعي اليومي بين الجزائريين ليبقى استعمالها محصورا في التواصل الثقافي والفكري وكتابة الخطابات

السياسية الرسمية، الأمر الذي يجعل اللغة العربية في مستواها العامي هي الأكثر تداولاً واستعمالاً من مختلف الجزائريين حيث أن الجزائر تمتاز بانتشار كبير للهجات العامة وهي عبارة "عن اللغة التي تستخدم في الشؤون العادية، والتي يجري بها الحديث اليومي ويطلق عليها "اللهجة العامية" و"العربية العامية" و"اللغة الدارجة" و"الكلام الدارج" و"الكلام العامي" و"لغة الشعب" (يعقوب، 1992، ص 145) وهي لغة التواصل الرسمية والأساسية بل تعتبر اللغة الأم للفرد الجزائري، وهو ما يفسر انتهاز لغة الخطاب العامي لمختلف المؤسسات والهيئات الرسمية لمخاطبة الشعب لأنه ما يصلح للتواصل بين المسؤول والمواطن لكونه يمثل البيئة المشتركة لهما.

بينما تعتبر اللغة الأمازيغية بمختلف لهجاتها أحد أهم مقومات الهوية الوطنية وهذا لكونها تعطي للجزائر بعدها التاريخي والجغرافي الكبير غير أن هذه الأخيرة حكمتها عدة عوامل سياسية جعلتها تتراجع بشكل كبير حيث أن السلطة في فترة الاستقلال عملت على فكرة توحيد الشعب بمختلف أطيافه حول هوية واحدة كانت أهملت البعد الأمازيغي للشعب الجزائري عبر تبنيها لثنائية العروبة، الإسلام وهو الأمر الذي كان له أثر مباشر على اللغة الأمازيغية وبالتالي انحصار استعمالها كلغة تواصل في مناطق القبائل الصغرى أو الكبرى، الشاوية والميزاب، طوارق الصحراء.

لكن السلطات الرسمية عملت على إعادة الاعتبار للغة الأمازيغية عبر ترسيمها كلغة وطنية رسمية بتاريخ 27 ديسمبر 2017 بالإضافة لتعميم استعمال اللغة الأمازيغية في مجال الإعلام السمعي البصري وإدراج اللغة الأمازيغية في المنظومة التربوية وإنشاء مركز وطني بيداغوجي و لغوي لتعليم الأمازيغية وذلك بموجب المرسوم التنفيذي رقم 470/03 المؤرخ في 2 ديسمبر 2003 (الجريدة الرسمية 2003، صص 5-9).

أما اللغة الفرنسية فتعتبر لدى غالبية الجزائريين كأداة للاستعمار يتم توظيفها من أجل طمس الهوية ومحاربة اللغة العربية وذلك عبر خلق جيل متشبع بالثقافة الفرنسية، ويتم من خلالها إزالة هويته وتجهيله غير أن هذه اللغة ظلت محل استخدام من قبل عدة طبقات خاصة المثقفة منها والتي تلقت تعليمها في المدارس الفرنسية خلال فترة الاستعمار وتوظيفها في عديد الشعب العلمية وبعض وسائل الإعلام والطبقة السياسية مما جعلها ذات تأثير كبير في الواقع اللغوي للفرد الجزائري مما جعل الدولة الجزائرية تنتهج عديد الإجراءات للحد من انتشارها كفرض سياسية التعريب في التعليم سنة 1978 بإنشاء المدرسة الأساسية.

4. الدراسة التحليلية:

1.4 مجتمع البحث وعينة:

- مجتمع البحث: يعرف على أنه ذلك المركب من الوحدات التي يستقي منه الباحث العينة التي يريد دراستها (تمار، 2007، ص 12)، ومجتمع بحثنا هو خطاب الرئيس الجزائري عبد المجيد تبون.

- عينة الدراسة: تعرف بكونها جزءا من المجتمع، يتم اختيارها لتمثيل المجتمع بأجمعه (أبو شعير، 1997 ص13)، قد اعتمدنا في دراستنا على العينة القصدية للتحكم في موضوعنا وهنا اخترنا خطاب الرئيس عبد المجيد تبون الذي ألقاه بتاريخ 13 ديسمبر 2020 بعد إصابته بفيروس كورونا المستجد ونقله لألمانيا لتلقي العلاج حيث نشر هذا الفيديو على حسابه الرسمي بالتويتر وكانت مدته 05:06 دقيقة.

الجدول رقم 1: التعابير العامة نص خطاب الرئيس عبد المجيد تبون

التعبير العامي	التفسير
واليوم رانا نهار وصيت الرئاسة يشوفوا مع اللجنة هذي المكلفة بتحرير قانون الانتخابات باش يكون واجد في أقرب وقت عشر أيام ولا خمستاوش نيوم باش ننطلق في العملية.	نلاحظ أن الخطاب جاءت به مفردات قليلة بالعامة وكان الهدف منها في الغالب توضيح المغزى بلغة بسيطة وتدارك بعض الأخطاء في نطق الكلمات كقوله في لخر بدلا من الأخير، وكذلك لتسريع وتيرة الخطاب وهذا راجع للحالة الصحية للرئيس وغياب ورقة يقرأ منها كما هو معتاد.
الحياة الاقتصادية الأمور ماشية لاباس وانا في الطريق لي سطرناه وكنا نتتضروا فيه، والجزائر ماتتزعزعش، الوجبات السخونة، وفي لخر نشاء الله.	

المصدر: <https://www.youtube.com/watch?v=OhQXv414rPc>

تم نشره في: 2020/12/13، تمت الزيارة في: 2021/04/07، في الساعة: 11:34

الجدول رقم 2: التعابير الفصيحة في نص خطاب الرئيس عبد المجيد تبون

التعبير الفصيح	التفسير
"بسم الله الرحمان الرحيم وصلى اللهم وسلم على إمامنا وحبیبنا محمد، أيتها المواطنات أيها المواطنون الأعزاء منذ ما يقرب شهرين أخذت إلى الخارج على جناح السرعة بما كان قد أصابني من وباء كورونا واليوم الحمد بفضل الله ولطفه بفضل أطباء بالمستشفى العسكري والأطباء الألمان طريق التعافي بدأت فيه ربما يأخذ أسبوعا أسبوعين أو ثلاثة أسابيع أخرى بعدي عن الوطن ليس معناه نسيان الوطن فأنا أتابع كل ساعة بساعة وعند الضرورة أسدي تعليماتي فبالنسبة للمسار	نلاحظ أن الخطاب الذي قدمه الرئيس عبد المجيد تبون أعتمد فيه على اللغة العربية الفصحى بدرجة كبيرة حيث شكل ما يفوق ثلثي نص الخطاب وهذا يعود بالأساس لقصر مدته التي لم تتجاوز 06 دقائق من جهة ومحاولة إظهار رزانة كبيرة في الإلقاء نظرا لأهمية ورمزية الخطاب الذي يعد أول ظهور للرئيس بعد أصابته بفيروس كورونا وخروج عديد الشائعات حول حالته

الصحية وبالتالي يكون الخطاب قد حضر بشكل جيد وتم انتقاء المفردات بشكل متعمد لبث الطمأنينة في الجزائريين حول صحة الرئيس. مع قلة تواجد التعابير العامة والتركيز على تنويع محاور الخطاب للتحديث عن ابرز الأحداث الاجتماعية والسياسية والاقتصادية مع توظيف عديد الاستعمالات العاطفية والحجج والبراهين لطمأنة الرأي العام.	الذي سطرنا مع بعض، بالنسبة لفيروس كورونا تم التحكم في الوضع والشكر لله وكل من أسهم في الحد من هذا الفيروس وخفضها من 1300 إلى 520 حالة أما أوضاع الاقتصاد جيدة والأوضاع السياسية الجزائرية قوية قال ولي الله الصالح عبد الرحمان الثعالبي "إن الجزائر في أحوالها عجب ولا يدوم فيها للناس مكروه ما حل بها عسر أو ضاق متسع إلا ويسر من الله يتلوه. بالنسبة للدخول المدرسي والجامعي الحمد لله الحمد لله أوصي فقط مرة أخرى بالأخص بعد سقوط الثلوج والأمطار والبرد أوصي السيد وزير الداخلية والولاية على تطبيق حربي لما اتفقنا عليه بالنسبة لمناطق الظل في الختام أتمنى أن أكون بينكم في أقرب وقت وأسرع وقت وليس بذلك على الله بعزير شكرا شكرا على سعة صدركم المجد والخلود لشهادتنا الأبرار تحيا الجزائر تحيا الجزائر والسلام عليكم.

المصدر: <https://www.youtube.com/watch?v=OhQXv414rPc>

تم نشره في: 2020/12/13، تمت الزيارة في: 2021/04/07، في الساعة: 11:34

2.4 الدراسة التحليلية للخطاب:

من خلال ما جاء في الخطاب فنلاحظ أنه حمل العديد من مفردات الفصحى وبالتالي غلب عليه الطابع اللغوي الرسمي وهو ما يجب أن يميز الخطابات الصادرة عن رئيس الجمهورية ومع إمكانية توظيف بعد المفردات العامة بنسب قليلة لإيصال المعنى للمتلقي وهو الأمر الذي يعكس مستوى متوسطا للازدواجية اللغوية في خطاب الرئيس.

1- من حيث طبيعة الموضوع: ركز الخطاب السياسي على عدة جوانب وموضوعات تهم المواطن وتأتي في أولويات الرئيس خاصة وأنها على علاقة بالالتزامات الانتخابية التي أطلقها ووزعت ضمن الخطاب كالتالي:

- الجانب الصحي: حيث كان للموضوع الصحي أولوية ضمن خطاب الرئيس خاصة وأنه على علاقة مباشرة بوضعه الصحي، فوظف الرئيس أثناء حديثه عن وضعه الصحي ونقله إلى ألمانيا لتلقي العلاج إثر إصابته بفيروس كورونا المستجد الجملة التالية "أخذت إلى الخارج على جناح السرعة بما كان قد أصابني من وباء كورونا واليوم الحمد بفضل الله ولطفه بفضل أطباء المستشفى العسكري والأطباء

الألمان طريق التعافي بدأت فيه ربما يأخذ أسبوعا أسبوعين أو ثلاثة أسابيع" والتي تميزت باعتماد اللغة العربية الفصحى، وهي خالية تماما من العبارات العامية الأمر الذي يعكس حرص الرئيس في هذه النقطة ومحاولة إبراز صرامة اتجاه الملف الصحي خاصة في ظل تداعيات أزمة كورونا في تلك الفترة، مع توظيف استعمالات لتأثير في المتلقي بالإشادة بالطواقم الطبية الجزائرية في السيطرة على فيروس كورونا.

- الجانب الاجتماعي: فخطاب الرئيس لم يخل من الجانب الاجتماعي والذي جاء في منتصف الكلمة وركز فيه على الدخول الاجتماعي قائلا "بالنسبة للدخول المدرسي والجامعي الحمد لله الحمد لله فقط وبعد سقوط الثلوج والأمطار والبرد أوصي السيد وزير الداخلية والولاية على تطبيق حربي لما اتفقنا عليه بالنسبة لمناطق الظل بتوفير النقل الوجبات السخونة" وهذه الفقرة من نص الخطاب يتجلى الازدواج اللغوي في الخطاب السياسي، فعلى الرغم من طغيان اللغة العربية الفصحى فيها أن الرئيس ختمها بتوظيف مفردة عامية "السخونة" لإيصال وإيضاح المقصود وهو تقديم وجبات ساخنة للتلاميذ في مناطق الظل.

حيث أنه أستهل الفقرة بتكرار "الحمد لله الحمد لله" للدلالة على الرضا عن الوضع الاجتماعي موظفا إستمالات دينية لإقناع المتلقي، مع اعتماد ضمير المخاطب في سياق الأمر "أوصي" كدلالة على متابعة الرئيس للوضع الاجتماعي في البلاد والعمل على تحسينه عبر إعطاء الأوامر للمسؤولين للتكفل به.

- الجانب السياسي: لعل الجانب السياسي هو ما وزع على مستويين الخطاب الرئيس حيث تحدث عن قانون الانتخابات في الشق الأول بقوله " وصيت الرئاسة يشوفوا مع اللجنة هذي المكلفة بتحرير قانون الانتخابات باش يكون واجد في أقرب وقت عشر أيام ولا خمستايش نيوام باش ننطلق في العملية" وهنا وظفت اللهجة العامية في توضيحات الرئيس حول مستجد قانون الانتخابات ولعل الأمر هنا يعود كونه يخص الشأن المحلي الداخلي وبالتالي تعتمد الرئيس مخاطبة الشعب باللهجة العامية خاصة وأن غالبية الناخبين من كبار السن والذين يكون التواصل معهم عبر اللهجة العامية أكثر تأثيرا وفعالية من العربية الفصحى، أما في الشق الثاني فقد تحدث الرئيس عن السياسية الخارجية والتغيرات الحاصلة في دول الجوار كالتطبيع مع الكيان الصهيوني وتطورات قضية الصحراء الغربية، حيث استعمل الرئيس عبارة "الجزائر قوية ماتزعزعش" وهي إشارة واضحة وصريحة لموقف الجزائر الثابت اتجاه عديد القضايا الإقليمية والدولية والملاحظ أنه استعمل مزيجا بين العامية والفصحى في تجل واضح للازدواجية اللغوية.

- الجانب الاقتصادي: جاء الموضوع الاقتصادي في الخطاب كضرورة تملها تداعيات أزمة كورونا من تراجع كبير في الأنشطة الاقتصادية وكان لا بد من انتقاء لغة بسيطة ومطمئنة فكانت الازدواجية اللغوية السبيل لهذا، حيث استعمل الرئيس عبارة "أوضاع الاقتصاد جيدة، الأمور ماشية لاباس ورانا في الطريق لي سطرناه".

الشأن الاقتصادي في أصله يتعلق بالنخب وبالتالي اللغة المستعملة فيه تكون معقدة صعبة الفهم غير المتخصص الأمر الذي جعل الرئيس يوظف عبارة " الأمور ماشية لاباس وانا في الطريق لي سطرناه" وهي عبارة عامية بسيطة الفهم لدى المتلقي مع دعمها بالحجج الطبيعية المستندة للواقع في قوله "بأن لا يمس أي مواطن من ذي الدخل الضعيف بضرائب جديدة" مع الاستناد أيضا للحكم الشعبية لزيادة درجات الإقناع بتبنيه أبيات "عبد الرحمان الثعالبي":

إن الجزائر في أحوالها عجب * ولا يدوم فيها للناس مكروه
ما حل بها عسر أو ضاق متسع * إلا ويسر من الله يتلووه

2- من حيث مسارات البرهنة: يعتمد الخطاب السياسي على مجموعة من الأدلة والبراهين المستخدمة للإقناع وقد تكون أدلة وبراهين عقلية أو عاطفية وهو ما تجلى في خطاب الرئيس، حيث تم انتقاء لغة هذه الحجج وفق سياقات تواجهها في نص الخطاب ويمكن تقسيمها كالتالي:

- الحجج الدينية: فقد وظف استعمالات الدينية للتأثير في المتلقي عبر توظيف حجج دينية جاءت في فقرات مختلفة من خطاب الرئيس حيث غلبت على الحجج الدينية اللغة العربية الفصحى، حيث يبدأ الخطاب بجملة " بسم الله الرحمان الرحيم وصلى اللهم وسلم على إمامنا وحبيبنا سيدنا محمد"، "اليوم الحمد بفضل الله ولطفه" وقد طغت اللغة الفصحى عليها بسبب أن أغلب هذه الحجج هي عبارات دينية وتستند للقرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة وبالتالي تكون باللغة العربية الفصحى، وختمه بعبارة "وفي لخرنشاء الله" وهنا نجد توظيفا للعامية في الحجج الدينية وهذا قد يرجع إلى سهو من الرئيس خاصة وأن العبارة جاءت في ختام الخطاب وعوض أن يقول "وفي الأخير" قال "وفي لخر".

- الحجج العقلية: فالخطاب السياسي لطالما اعتمدت على استعمالات عقلية من أجل زيادة التأثير ورفع درجات الإقناع، حيث اعتمد الرئيس على الأرقام والإحصائيات في دعم خطابه ففي حديثه عن وضعه الصحي بصفة خاصة وضع البلاد بصفة عامة جراء جائحة كورونا قال "وخفضها من 1300 إلى 520 حالة"، " منذ ما يقرب شهرين"، " أسبوع أسبوعين أو ثلاثة أسابيع"، ومن المعروف أن درجة الإقناع التي تعطيها أي حجة تنبثق أصلا من لغة توظيفها حيث تعتبر اللغة العربية الفصحى الأكثر إقناعا بسبب ارتباطها بالنخب والطبقات الأكثر وعيا في المجتمع وبالتالي فالناطق بها يكون أكثر حجة وإقناعا وهو ما يفسر توظيفها بشكل كبير خاصة في الأرقام والإحصائيات، كما الاسترسال في إلقاء الخطاب قد يكون وراء توظيف جملة بالعامية حيث قال "عشر أيام ولا خمستا عش نيوم" بدل قوله "خمسة عشر يوما".

- الحجج التاريخية: لم يهمل الخطاب السياسي الجزائري طوال مساره توظيف البعد التاريخي والثوري للجزائر ومن أجل اللعب على الروح الوطنية وإثارة العواطف لضمان إنجاح المرتد من الخطاب السياسي، حيث لم يختلف الأمر عن خطاب الرئيس عبد المجيد تبون فوظف الحجية التاريخية بقوله "المجد والخلود لشهدائنا الأبرار، تحيا الجزائر، تحيا الجزائر"، وهي جملة متداولة ومعروفة في الخطابات

السياسية الجزائرية وعادة ما يختتم بها الخطاب، صياغتها العربية الفصحى مختصرة ودالة حتى تعطي درجة تأثير أكبر وتعكس مدى حرص السلطة على المحافظة على مقومات الهوية الوطنية وفي مقدمتها اللغة العربية.

5. خاتمة: إن ازدواجية اللغوية تمثل ظاهرة متأصلة في شتى المجتمعات حيث يتعايش الأفراد معها بتنوع ألسنتهم اللغوية ويتكيفون مع متغيراتها، فالمجتمع الجزائري يمثل أحد النماذج التي يعرف واقعها اللغوي تنوعا منقطع النظير بانتشار عديد اللغات واللهجات التي يوظفها الفرد في تعاملاته اليومية في بيئته الاجتماعية، حيث أن هذا التنوع ألقى بظلاله على توظيف اللغة في مستويات عدة للخطاب الرسمي الذي تأثر بعوامل التنوع اللغوي.

الخطاب السياسي الجزائري في صورته الحالية أحد أبرز مخرجات هذه الظاهرة التي أعطته صبغة تميزه عن باقي الخطابات، حيث أن ازدواجية اللغوية صارت تظهر جلية فيه بتوظيف السياسيين لمستويات لغوية مختلفة بين العربية الفصحى والعامية كون الأولى عبارة عن لغة رسمية لمؤسسات الدولة في حين الثانية تفرض نفسها كاللغة الشعبية الأكثر انتشارا وبالتالي صارت مكملة العربية الفصحى في الخطاب السياسي لها، ولعل الخطاب السياسي الذي ألقاه الرئيس عبد المجيد تبون من ألمانيا في فترة علاجه من فيروس كورونا يمثل نموذجا للتكامل بين اللغة العربية الفصحى والعربية العامية ويبرز الدور الذي تلعبه ازدواجية اللغوية في إثراء الخطاب السياسي الجزائري.

ومن خلال كل ما قدمناه من تحليل تمكنا من الوصول إلى النتائج التالية:

- كشفت الدراسة على أن الخطاب السياسي الجزائري في الغالب هو عبارة عن نص متنوع يحمل عديد المفردات وتتجلى به ظاهرة ازدواجية اللغوية، حيث توظف هذه الأخيرة بشكل دائم ويمكن اعتبار العلاقة بين الخطاب السياسي والازدواجية اللغوية بكون الازدواجية ظاهرة مادتها الخطاب والخطاب يشكل نوعا من أنواعها.

- تبين لنا من خلال الدراسة أن الخطاب السياسي الجزائري بالرغم من تجلي الازدواجية اللغوية فيه إلا أن السياسي الجزائري في الغالب يفضل توظيف مفردات اللغة العربية الفصحى وهذا لثبوت فعاليتها في الإقناع مقارنة بالعامية، وهذا ما لمسناه في خطاب الرئيس الذي وإن تجلت معالم الازدواجية اللغوية فيه إلا أنه كان بتعبير فصيح في أغلب فقراته؛

- كشفت الدراسة أن الخطاب السياسي الرسمي لا يخلو من مفردات عامية على الرغم من التأكيد على أهمية اللغة العربية الفصحى، حيث أن توظيف العامية يمثل ضرورة لتبسيط الخطاب والتواصل بين السلطة والشعب فالسلطة مجبرة على مخاطبة بالشعب بما يفهم عندما يتحدث، فخطاب الرئيس عبد المجيد تبون كان مرآة لهذا التعايش اللغوي المزدوج بين العامية والعربية فقد استعمل العامية لتوصيف الوضع وإيضاح عديد الأفكار؛

- بينت الدراسة على استعمال مستوى اللغة حسب السياق المراد، فيتم توظيف اللغة العربية الفصحى في النقاط التي تهدف إلى التأثير بطريقة مباشرة كحديث الرئيس في خطابه عن وضعه الصحي بمفردات فصحى دقيقة وكذلك تواجدها ضمن مسارات البرهنة والحجج المستعملة في الحجج الدينية والتاريخية والعقلية يتم انتقاء مفرداتها من أجل زيادة درجات تأثير هذه الحجج؛
- توظف العامية بشكل متواصل ضمن فقرات الخطاب السياسي كون هذه الأخيرة تخدم السياسي في إيصال فكرته عبر توظيفه لمجموعة من المفردات منها قد تكون عبارة عن أمثال من الموروث الشعبي، شعارات، أدعية حيث اعتمد خطاب الرئيس عليها بشكل واضح في شرح مختلف النقاط في عدة ملفات خاصة في الملف الاقتصادي الذي اعتمد فيه اللغة العامية ليفهم المواطن البسيط الواقع من وجهة نظر السلطة؛
- ظاهرة الازدواجية اللغوية في الخطاب السياسي لا تنقص أو تحط من قيمته بل تسهم في نجاحه وفعاليته.

6. قائمة المراجع:

• المؤلفات:

- 1- أبو الفضل جمال الدين ومحمد مكرم بن المنظور الإفريقي المصري، لسان العرب، (بيروت: دار البصائر، 1992)، ص 291.
- 2- إيميل بديع يعقوب، فقه اللغة العربية وخصائصها، (بيروت: دار العلم للملايين، 1992)، ص 144.
- 3- حفيظة تازروتي، اكتساب اللغة العربية عند الطفل الجزائري، (الجزائر: دار القصبة للنشر والتوزيع، 2003)، ص 46.
- 4- سناء محمد الجبور، الإعلام الاجتماعي، (عمان: دار أسامة للنشر والتوزيع، 2014)، ص 267.
- 5- عبد الرحمان بن محمد القعودة، الازدواج اللغوي في اللغة العربية، (الرياض: فهد الوطنية، 1997)، ص 19.
- 6- عبد الرزاق أمين أبو شعير، العينات وتطبيقها في البحوث الاجتماعية، (الرياض: مكتبة فهد الوطنية، 1997)، ص 13.
- 7- محمد التنوحي وراجي الأسمر، المعجم المفصل في علوم اللغة، (بيروت: دار الكتب العلمية، 1993)، ص 546.
- 8- محمد بن يعقوب الفيروز آبادي مجد الدين، القاموس المحيط، (بيروت: دار الجيل للنشر والتوزيع، 2005)، ص 199.
- 9- محمد عفيف الدين ديمياطي، مدخل إلى علم اللغة الاجتماعي، (اندونيسيا: مكتبة لسان العرب للنشر والتوزيع، 2017)، ص 50.

- 10- يوسف تمار، تحليل المحتوى للباحثين والطلبة، (الجزائر: كوم للدراسات 2007)، ص12.
- 11- يوسف عبد علي حسين، الإعلام السياسي، (الأردن: دار دجلة، 2016)، ص208.
- 12- المجلس

• المقالات:

1-حنان عواريب، مدخل إلى التعددية اللغوية نحو تصور شامل للمصطلح والمفهوم، مجلة الذاكرة، العدد

09، 2017، ص54.

2-عباس المصري وعماد أبو حسن، الازدواجية اللغوية في اللغة العربية، المجمع، العدد 08، 2014، ص 43.

3-مريّة تونسي، اللغة العربية في ظل التعدد اللغوي بالجزائر، المجلد 03، العدد 10، 2020، ص 103.

4-نور الدين دحمان، سيميائية الخطاب السياسي في الجزائر قراءة سيميولوجية للشعار والصورة الموظفة

من قبل الأحزاب السياسية الجزائرية في موقع الفايسبوك، المجلد 05، العدد 03، 2019، ص224.

• أطروحات ومذكرات:

1- بقدوري حورية، الخطاب السياسي الرسمي والمشاركة السياسية للمرأة في الجزائر الطالبة الجامعية نموذجا، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه في علم الاجتماع السياسي، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة محمد بن أحمد وهران 02، 2018-2019، ص33.

2- عبد الله ممدوح ومبارك الرعود، دور شبكات التواصل الاجتماعي في التغيير السياسي في تونس ومصر من وجهة نظر الصحفيين الأردنيين، رسالة ماجستير، جامعة الأردن، 2011-2012، ص08.

• النصوص القانونية:

1- المرسوم التنفيذي رقم 470/03 المؤرخ في 02 /12/ 2003، المتضمن إدراج اللغة الأمازيغية في المنظومة التربوية، الجريدة الرسمية، العدد 76، 2003، صص 5-9.

• المراجع الأجنبية:

1- POUL ROBERT ،LE PETIT ROBERT،AVENUE RMENTIER ،PRIS ،1996، P، 184.

2- Christion Boylon. « Sociolinguistique Société.Langue discours ». Nathan. Université

..1996.p248



الأصوات العربية بين الفصحى واللهجات؛ لهجة منطقة ورقلة عينة
Arabic phonemes between formal language and dialects.

The dialect of the Ouargla region is a sample

د. فضيلة دقناتي *

تاريخ القبول: 2021.09.16

تاريخ الاستلام: 2021.04.17

ملخص: لكل لغة نظام صوتي خاص، يميزها عن غيرها من اللغات، وإن تشابهت جل اللغات في عدد الأصوات عموماً، إلا أن الخصائص الصوتية تتمايز وتختلف، وقد تختلف الأصوات في اللغة الواحدة ضمن أداءات متعددة تشكل لهجات تنتهي كلها إلى اللغة الواحدة. سندسلط الضوء في ورقتنا البحثية هذه على أصوات اللغة العربية الفصحى، وما أصابها من تغير في الأداء في لهجاتها اليوم، من خلال تقديم نماذج من لهجة منطقة ورقلة.

كلمات مفتاحية: لغة؛ صوت؛ صوتيات، فصحى؛ لهجة

Abstract: Each language has its own sound system, which distinguishes it from other languages; even if they are similar in the number of linguistic sounds; And the sounds in the same language differ in dialects that all belong to the same language.

In our research paper, we will study the sounds of the classical Arabic language, and the change in performance in its dialects today, by presenting samples of the dialect of the Ouargla region.

Keywords: language; phoneme; phonetics; formal language; dialect.

1. مقدمة: تخضع اللغات إلى مبدأ التغير والتحول في فترات زمنية متعاقبة، لاسيما إذا اتسعت رقعتها الجغرافية وزاد عدد المتكلمين بها، ويظهر هذا التحول بجلاء في المستوى الصوتي للغات، مع وجوده بتفاوت في المستويات اللغوية الأخرى.

لقد حافظت اللغة العربية الفصحى على نظامها الصوتي بفضل القرآن الكريم، الذي وصل إلينا متواترا عن طريق المشافهة، وبفضل الدراسات الصوتية الضخمة التي رافقت النص القرآني في فتراته المختلفة، ومع ذلك فإن العاميات العربية اليوم تتنوع وتختلف.

وعليه فما هي أهم مظاهر التغير الصوتي التي أصابت المستوى العامي للعربية؟
نهدف من خلال هذه الورقة الكشف عن بعض الأداءات الصوتية في العامية العربية، وذلك بانتقاء عينة للدراسة حددت بمنطقة وركلة، وتحديدًا بتتبع جماعة لسانية متمثلة في عرش المخادمة.
قامت الدراسة على التتبع والوصف للظواهر الصوتية، فكان المنهج الوصفي ما اعتمدناه في عرض المعلومات بهدف الوصول إلى نتائج ذات قيمة علمية.

2. مفاهيم نظرية:

1.2 اللغة والأصوات:

اللغة: تعد اللغة من علامات تميز الإنسان عن الكائنات الحية جميعها، فهي آية من آيات إبداع الله عز وجل، واللغة في أبسط تعريفاتها. "أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم" (جني، 2000) فالمكون الأول للغة هو الصوت، والغاية منها هو التعبير والتواصل.

وقريب من التعريف السابق، تعرّف اللغة بكونها "نظاما من النواقل ذات المعنى وتستلزم اثنين فأكثر - (حتى) عندما تتكلم إلى نفسك فأنت تجرد من شخصك فردا متكلما وآخر سامعا)- تعتمد على الاصطلاح والاتفاق الجماعي السابق، بين أعضاء الجماعة اللغوية، على المعنى أو المعاني المعينة التي تستدعيها أصوات خاصة" (باي، 1989، ص40)، وإن تعددت تعريفات اللغة وتنوعت فإنها تتفق جميعها في النظر إلى مادة اللغة (الصوت) والغاية منها (الدلالة).

الصوت اللغوي: الصوت ظاهرة فيزيائية طبيعية، تحدث بطريقة آلية عند احتكاك جسمين (فأكثر)، بما في ذلك الهواء والصوت اللغوي هو كل صوت صادر عن الإنسان، ويسهم في تشكل معنى ما، ويمتاز الإنسان بقدرته على نطق اللغة، "وترتبط هذه المقدرة بفطرته التي فطره الله عليها من ناحية، وبقدرته العقلية من ناحية ثانية، وبوجود جهاز نطق متطور قادر على القيام بوظيفته" (الخولي، 1990، ص18).
وليس كل صوت صادر عن الإنسان هو صوت لغوي، فقد يصدر الإنسان أصواتا غير مقصودة، فالمحدد هنا هو أن يدخل الصوت في تشكيل اللغة.

جهاز النطق عند الإنسان: يطلق مصطلح جهاز النطق تجوزا؛ لأن الأصل أن الأعضاء التي تسهم في إصدار الصوت عند الإنسان تقوم بوظائف حيوية أخرى هي الهضم والتنفس؛ حيث "تتطلب عملية

النطق أن يعمل أكثر من نصف الجسم الإنساني بشكل مباشر أو غير مباشر، وبدءاً من عضلات البطن ووصولاً إلى الرأس" (رمضان، 2006 ص 11)، فمصدر "الصوت الإنساني في معظم الأحيان هو الحنجرة، أو عبارة أدق الوتران الصوتيان فيها. فاهتزازات هذين الوترين هي التي تنطلق من الفم أو الأنف ثم تنتقل خلال الهواء الخارجي" (أنيس، 1950 ص 9).

وتشترك كل من الأعضاء الآتية في إنتاج الصوت:

-الشفتان، الأسنان، أصول الأسنان ومقدمة الحنك، الحنك الصلب (وسط الحنك)، الحنك اللين (أقصى الحنك)، اللهاة.

طريقة تشكل الصوت الإنساني: يرتبط حدوث الصوت الإنساني بعملية التنفس ارتباطاً وثيقاً، إذ يتم إنتاج الأصوات عادة مع عملية الزفير، وعن طريق تيار الهواء تعمل أعضاء النطق، فتيار الهواء هو الأساس لكل أصوات الكلام الإنساني بكل تنوعاته وموجدة ما يسمى بميكانيكية تيار الهواء (رمضان، 2006، ص 17).

المخارج: المخرج هو موضع الخروج، ومخرج الصوت هو الموضع الذي يتشكل فيه، يقول ابن جني: "اعلم أن الصوت عرض يخرج مع النفس مستطيلاً متصلاً، حتى يعرض له في الحلق والفم والشفيتين مقاطع تثنيه عن امتداده واستطالته، فيسمى المقطع أينما عرض له حرفاً، وتختلف أجراس الحروف بحسب اختلاف مقاطعها" (ابن جني، 2000، ص 19).

ونلاحظ أن ابن جني قد استعمل مصطلح الحرف للدلالة على التشكيل الصوتي المحدد، وبين مصطلح الحرف والصوت عموم وخصوص، فالحرف ثابت بصورته النطقية أو الكتابية، أما الصوت فهو متغير حيث يمكن أن نجد للحرف الواحد (الراء مثلاً) صوراً صوتية مختلفة (الراء المرققة، والراء المفخمة)، ومع ذلك فإننا اعتمدنا المصطلحين للدلالة على شيء واحد تقريباً، واختارنا مصطلح الصوت لشموليته.

الصفات: عند اتفاق مجموعة من الأصوات في مخرج واحد، تقوم الصفات بوظيفة تمييزية يتشكل من خلالها الصوت بصورة لا يمكن أن يشاركه فيها غيره، وتنقسم صفات الأصوات (الحروف) في اللغة العربية على قسمين؛ هما:

صفات لها ضد: وهذه الصفات تغطي الأصوات جميعها، وهي: الشدة والرخاوة -الجهر والهمس - الانفتاح والإطباق -الإصمات والإذلاق

صفات منفردة: وهي صفات تتميز بها بعض الأصوات دون غيرها، مثل: الصفير، الاستطالة، التفشي، القلقلة...

الصوتيات: أو ما يسمى بعلم الأصوات وهو فرع من فروع اللسانيات يهتم بدراسة "أصوات اللغة بما في ذلك الإمكانات الصوتية الفيزيائية للإنسان، والخصائص الأصواتية للغة أو لهجة، والتغيرات الصوتية

التي تتعرض لها خلال تاريخها" (المبرج، دت، ص 7-8). وتتفرع الصوتيات بدورها إلى فروعين رئيسين هما الصوتيات العامة، والصوتيات الوظيفية.

2.2 الفصحى واللهجة:

اللغة الفصحى: الفصحى في اللغة "خلوص الشيء مما يشوبه، وأصله في اللب، يقال: فصح اللبن وأفصح فهو فصيح ومفصح إذا تعرى من الرغوة... ومنه استُعير فصح الرجل: جادت لغته وأفصح" (السيوطي، دت) فالفصاحة بذلك هي اللغة الخالصة النقية. ويختلف معيار الفصاحة في اللغات باعتبار الثقافة والخلفيات؛ فالفصاحة في اللغة العربية مرتبطة بالنص القرآني الكريم؛ ولقد حدّد علماء اللغة معايير تحفظ الفصحى وأطروه زماناً ومكاناً لكي يسلم من كل شائبة.

واللغة الفصحى "تأخذ شكل القاسم المشترك الذي ينتسب إليه الجميع، والنموذج الذي يتمثله ويحاول تقليده وتحقيقه كل مستعملي العربية" (الودغيري، 2013، ص 8).

اللهجة: تعرف اللهجة بأنها "مجموعة من الصفات اللغوية تنتمي إلى بيئة خاصة، ويشارك في هذه الصفات جميع أفراد هذه البيئة. وبيئة اللهجة هي جزء من بيئة أوسع وأشمل تضم عدة لهجات، لكل منها خصائصها، وتلك البيئة الشاملة التي تتألف من عدة لهجات هي التي اصطلح على تسميتها باللغة" (أنيس، في اللهجات العربية 1992).

العامية: يشترك مصطلح العامية مع مصطلح اللهجة بكونه يعبر عن لغة يستعملها العامة، ويقصد به كل تحريف للفصحى سببه الاستعمال وأصبح دارجاً على لسان العامة، فالعامي من الكلام هو "ما نطق به العامة على غير سنن الكلام العربي والعامية: لغة العامة، وهي خلاف الفصحى" (مجمع، 2004).

ومن المصطلحات المعبرة عن اللهجة أيضاً مصطلح الدارجة.

الاختلاف بين الفصحى واللهجات:

- اختلاف في مخرج بعض الأصوات اللغوية؛
- اختلاف في وضع أعضاء النطق مع بعض الأصوات؛
- اختلاف في مقياس بعض أصوات اللين؛
- تباين في النغمة الموسيقية للكلام؛
- اختلاف في قوانين التفاعل بين الأصوات المتجاورة حين يتأثر بعضها ببعض (أنيس، في اللهجات العربية 1992).

أسباب تشكل اللهجات: تعددت الآراء حول أسباب تشكل اللهجات؛ ويجمل إبراهيم أنيس الأسباب المؤدية إلى نشوء اللهجات في عاملين اثنين هما:

- الانعزال بين بيئات الشعب الواحد؛
- الصراع اللغوي نتيجة غزو أو هجرات.

3. مظاهر التغير الصوتي بين الفصحى ولهجة ورگلة:

1.3 نبذة تعريفية بمنطقة الدّراسة: تقع مدينة ورگلة في الجنوب الشرقي للجزائر، وتمتاز بمكانتها الاجتماعية والاقتصادية في البلاد، حيث تعد مكانا متنوعا لغويا وعرقيا (قبائل عربية متنوعة، وقبائل أمازيغية) و يتفق أغلب المؤرخين على أنّ سكان مدينة ورگلة الأصليين هم أمازيغ، ينحدرون من قبيلة زناتة، وتطلق عليهم تسمية بني ورگلة، أما العرب فقد دخلوا المنطقة مع الهجرات الهلالية حوالي القرن الخامس الهجري، ومن الملاحظ أنهم قد حافظوا على خصائصهم وسماتهم الذاتية، فقد عرفوا بحياة البداوة والترحال وحافظوا على ذلك إلى وقت غير بعيد، وتوافدت القبائل العربية إلى المنطقة على فترات، فاستقرت في ورگلة قبيلة الشعانبة، وقبيلة سعيد وقبيلة المخادمة، وقبيلة بني ثور. وبسبب المكانة الاقتصادية للمدينة فقد توافد عليها العديد من السكان من مختلف ولايات الوطن.

لقد "نزحت اللغة العربية إلى تلك البيئات المتعددة في صورتين: إحداهما موحدة منسجمة وتلك هي لغة الآثار الأدبية والقرآن الكريم، تلك اللغة النموذجية التي نمت وازدهرت قبل الإسلام في بيئة مكة والحجاز، والأخرى تشتمل على تلك الصفات الكلامية التي امتازت بها لهجات القبائل المتباينة إبان الفتوح الإسلامية" (أنيس، في اللهجات العربية، 1992، ص 26).

ونلاحظ أن الواقع اللغوي في منطقة ورگلة تتقاسمه لغتان مختلفتان هما اللغة العربية واللغة الأمازيغية، ونظرا للاحتكاك المباشر بين اللغتين فإنه لا بد من وجود حتمية علاقات التأثير والتأثر بين اللغة والأخرى. فاللغة العربية ليست حكرا على العرب فحسب، فهي لغة الدين والتعليم والتواصل العام في المنطقة.

2.3 الصوامت العربية بين الفصحى ولهجة ورگلة: إن المتأمل للأداء النطقي للهجة العربية في منطقة ورگلة يلاحظ جملة من الظواهر الصوتية التي تشترك مع بقية اللهجات العربية في بعضها، وتتميز بها في بعضها الآخر. ومن الظواهر العامة التي تشترك فيها جل اللهجات هي الابتداء بالساكن مما يخالف قواعد العربية الفصحى التي يحظر فيها الابتداء به مطلقا؛ ففي قولنا "شربت" يقابلها في اللهجة "شربت" مثلا.

ومن الملاحظات الصوتية التي سجلناها حول صوائت اللهجة في منطقة ورگلة نذكر:

تسهيل الهمزة: الهمزة "صوت يخرج من أقصى الحلق كما يقول علماؤنا القدامى ومن الحنجرة-على ما توصل إليه علم الأصوات... وينطبق معها الوتران تماما ثم ينفرجان فيخرج صوت له دوي وانفجار وفرقة شديدة، ولذا كانت تحتاج إلى مجهود عضلي كبير حال نطقها" (هلال، 1993، ص 210).

ونلاحظ أن هناك اختلافا بين تحديد مخرج الهمزة وصفاتها بين القدماء والمحدثين؛ فهي عند القدماء صوت مجهور يخرج من أقصى الحلق، أما عند المحدثين "فهي صوت يخرج من الحنجرة ذاتها نتيجة

انغلاق الوترين الصوتيين تماما، ثم انفتاحهما في صورة انفجار مهموس" (شاهين، 1980، ص182)، ويرجع هذا الاختلاف إلى طريقة الوصف والدقة لا إلى طبيعة الصوت في ذاته.

ويتراوح أداء الهمزة في اللغة العربية بين التحقيق (الهمز أو النبر)، وبين التسهيل؛ وما يرتبط به من حذف وإبدال، والتحقيق ظاهرة لغوية قديمة أجمعت كتب العربية على أنها "من لهجات تميم وقيس وبني أسد ومن جاورها، أي قبائل وسط شبه الجزيرة وشرقها، وأن تسهيلها لهجة أهل الحجاز" (الراجعي، 1996، ص105).

ويرجع سبب هذا التنوع في الأداء إلى أن الهمزة تحتاج إلى جهد في النطق؛ يقول سيبويه (ت 180هـ): "واعلم أن الهمزة إنما فعل بها هذا من لم يخففها لأنه بعد مخرجها، ولأنها نبرة في الصدر تخرج باجتهاد، وهي أبعد الحروف مخرجا" (سيبويه، 1988).

ويلاحظ أن لأداء الهمزة (قديما) ارتباطا ببيئة المتكلم، حيث أن "القبائل التي كانت تحقق الهمزة قبائل كانت تعيش في البادية، أما قبائل التسهيل فهي تلك التي كانت متحضرة في الحجاز وبخاصة قريش في مكة، والأوس والخزرج في المدينة" (الراجعي، 1996، ص106).

ويرى علماء التجويد أن "التسهيل عبارة عن تغيير يدخل الهمزة، وهو على أربعة ضروب: بين بين، وبديل وحذف وتخفيف. فبين بين: نشوء حرف بين همزة وبين حرف مدّ، والبديل: إقامة الألف والياء والواو مقام الهمزة عوضا منها، والحذف: إعدامها دون خلف لها" (السماتي، 2007، ص68-69).

وبملاحظة الأداء اللهجي لعينة الدراسة، نقف على الآتي:

- الهمزة في بداية الكلمة أو في آخرها: تحذف الهمزة في بداية جل الكلمات؛ سواء أكانت همزة قطع أم همزة وصل؛ وكذلك إذا جاءت متطرفة ومن ذلك:

الهمزة في أول الكلمة		الهمزة في آخرها	
في الفصحى	في اللهجة	في الفصحى	في اللهجة
أحمد	حمد	سماء	سَم
أحمر	حمر	صحراء	صَحْرَ
امتحان	مُتْحان	ضوء	ضُو

ويستثنى من ذلك بعض الأسماء الحديثة (لم تعرف في المنطقة من قبل)، مثل: أمين، وأشرف، وإكرام... ومع ذلك فإننا نجد كبار السن ممن ترسخت لديهم العادات النطقية اللهجية لا يحققون همزاتها، ولا يحذفونها تماما، بل يسهلونها (يعطونها زما بين الهمزة وحرف المد المجانس لحركتها).

الهمزة في وسط الكلمة: تسهل الهمزة في جل المواضع، ومن ذلك:

الهزمة في الكلمة الفصيحة	مقابلها في اللهجة	التغير الصوتي
فأس	فاس	أبدلت الهزمة ألفا (حسب الفتحة قبلها)
بئر	بير	أبدلت الهزمة ياء مدية (حسب الكسرة قبلها)
مؤمن	مومن	أبدلت الهزمة واوا مدية

ويحدث أن تتحول الهزمة -في كلمات معدودة- إلى حرف العين، ومن ذلك كلمة "قرآن"، نجدهم ينطقونها: "قُرْعان"، وتعد هذه الظاهرة من الظواهر التي عرفت لها اللهجات العربية القديمة، وهي ما سمي بالعنعنة (مع أن الأصل في العنعنة أن تكون في أول الكلمة؛ يقول ابن فارس (ت 395هـ): "فقلهم الهزمة في بعض كلامهم عيناً، يقولون: "سمعتُ عَنْ فلاناً قال كذا" يريدون "أَنَّ" (ابن فارس، 1997، ص 29))، ولعل السبب في قلب الهزمة عينا هو تقاربهما في الأداء الصوتي.

التغير في مخرج الحرف أو في صفاته: ويصطلح على هذه الظاهرة بالإبدال؛ يقول الثعالبي (ت 429هـ): "من سنن العرب، إبدال الحروف وإقامة بعضها مكان بعض، في قولهم: مدح ومده، وجد وجذ، وخرم وخزم، وصقع الديك وسقع، وفاض: أي مات، وفاظ، وفلق الله الصبح، وفرقه، وفي قولهم: صراط وسراط، ومسيطر ومسيطر، ومكة وبكة" (الثعالبي ص 418)، ومن الحروف التي أصابها الإبدال في لهجة مدينة ورگلة، نذكر:

حرف الضاد: حرف الضاد من الحروف التي دار حولها جدل كبير بين علماء اللغة قديما وحديثا، ولقد نُسبت العربية لهذا الصوت فأصبحت تسمى لغة الضاد، يقول ابن جني: "واعلم أن الضاد للعرب خاصة ولا توجد في كلام العجم إلا في القليل" (جني، 2000)

و"يأتي صوت الضاد على قمة السمات الصوتية التي تنفرد بها اللغة العربية. وذلك أن هذا الصوت - بوصفه وحدة صوتية ذات قيمة ووظيفة في تركيب الكلمة ودلالاتها- ليس له وجود على الإطلاق في أية لغة معروفة لنا على وجه الأرض... إنما هو صوت الدال، ولكنه نطق مفخما فأشبه ضادنا في النطق، ولكن شتان بين الصوتين في القيمة والوظيفة" (بشر، 1998، ص 198).

ونجد أن علماء التجويد يركزون كثيرا على هذا الحرف؛ يقول أحدهم: "ولا بدّ له (للقارئ) من التحفظ بلفظ الضاد حيث وقعت، فهو أمر يقصر فيه أكثر من رأيت من القراء والأئمة لصعوبة من لم يتدرب فيه (...) والضاد أصعب الحروف تكلفا في المخرج وأشدّها صعوبة على اللافظ، فمتى لم يتكلف القارئ إخراجها على حقها أتى بغير لفظها وأخل بقراءته" (القيسي، 2005، ص 184).

كما أن الخلط بين حرف الضاد وحرف الظاء يقع فيه أكثر الناس، فيقع فيه المتعلمون على مختلف مستوياتهم ويجد أغلبهم صعوبة في التمييز بين الحرفين (كتابة ونطقا)، مع أن لكل منهما خصائصه التمييزية في الكلام، فكلمة "ظلّ" تختلف عن كلمة "ضلّ" اختلافا كلياً، كما تختلف كلمتي "ناظرة" و"ناضرة" في قوله تعالى: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۖ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ (القيامة، الآية 23، 22)

أما في لهجة وركلة فإننا نجد أن حرف الضاد ينطق دالا مفخمة، ولا يختلف حرف الظاء على ذلك فكلاهما ينطقان نطقا واحدا دون تمييز بين الكلمات التي يرد فيها الضاد والكلمات التي يرد فيها الظاء. ومن ذلك: الظل.....دَل (دال مفخمة)، الضوء.....ضَو (دال مفخمة)

حرف الغين: صوت طبقي حنكي (قصي)، احتكاكي (رخو) مجهور ومفخم. "يتكون حين يندفع الهواء من الرئتين مارا بالحنجرة فيتحرك الوتران الصوتيان ثم يتخذ مسراه إلى الحلق حتى منطقة أدنى الفم، فيرتفع أقصى اللسان، بحيث يكاد يلتصق بأقصى الحنك، وفي نقطة الالتقاء يسمح للهواء بالمرور ليحدث احتكاكا مسموعا.

يعد حرف الغين من أول الحروف التي ينطق بها الطفل (المناغة)، وذلك بحركة آلية، لكن ما يلاحظ على مناطق كثيرة من منطقة وركلة تغيير هذا الصوت بصوت "القاف"، فنجدهم ينطقون "الغابة" بقولهم "لقابة" وقس على ذلك.

إن هذا التغيير في صوت الغين بصوت قريب منه مخرجا قد أصبح سمة أدائية في بعض العاميات ويصعب على أصحابها (لاسيما كبار السن) تصحيحها، مع معرفتهم بالصواب خاصة في قراءة القرآن. ويعمم نطق حرف الغين قافا أينما ورد، في كل الكلمات، في اللهجة العربية الوركلية، ولقد لمسنا هذا - كما أسلفنا- خاصة عند كبار السن، وحتى إن تدرب أحدهم على نطق الغين مفردا إلا أنه لا يحسن أداءه في درج الكلام.

صوت القاف: القاف حرف لهوي انفجاري (شديد) مهموس، يتشكل هذا الصوت حين يرتفع أقصى اللسان حتى نقطة التقائه بأدنى الحلق واللهاة. وفيه يرفع مؤخر الطبق حتى يلتصق بالجدار الخلفي للحلق حيث يسد المجرى الأنفي. ومعه لا تتذبذب الأوتار الصوتية، وحين يطلق سراح مجرى الهواء يأتلف الصوت محدثا انفجارا مسموعا، وتتمثل مظاهر التغيير في هذا الصوت في نطقه صوتا غير موجود في اللغة العربية، وهو صوت بين القاف والكاف، بما يمثله الصوت الإنكليزي "ga" وهذه الظاهرة الصوتية مطردة في جل اللهجات العربية وبخاصة لهجات المناطق الجنوبية، حتى أننا نجد من يضع لهذا الصوت الغريب رمزا كتابيا متمثلا في حرف القاف بنقطة ثالثة فوق نقطتها، فنجدهم ينطقون: "قال" بـ"قال"، و"قلب" بـ"قلب" (مع تحفظنا من الكتابة بهذا الحرف).

لكن هذا الأداء الصوتي ليس شاملا لكل الكلمات، فهناك كلمات تبقى فيها القاف على حالها، لكنها تفقد صفة التفخيم بدرجة كبيرة، ففي كلمات مثل: الوقت، والقلم، والقوة، تبقى القاف على حالها، ولم يتمكن من إيجاد معيار التمييز بين الكلمات التي تبقى فيها القاف والكلمات التي تغير، وعموما فإن الكلمات الجديدة. والكلمات المرتبطة بالتعليم والتعلم تنطق فيها القاف على حالها.

كما قد نجد بعض الكلمات التي يكون فيها مظهران لنطق القاف، ويشكل كل نوع دلالة مختلفة؛ مثل: يقلّي: بالقاف؛ تحمل معنى الطهي باستعمال الزيت، ب (ga)؛ تحمل معنى نوع من طهي الحبوب مباشرة على إناء الطهي، قرعة: بالقاف؛ تحمل معنى القارورة (قينة)، ب (ga)؛ تدل على نوع من الخضار (القرع). صوت الثاء: صوت أسناني احتكاكي (رخو) مهموس مرقق. ويتشكل هذا الصوت حين يوضع طرف اللسان بين أطراف الثنايا العليا بحيث يترك ممرا ضيقا للهواء الخارج من الرئتين عبر الحنجرة، حيث لا تتذبذب الأوتار الصوتية معه، وفيه يكون وضع اللسان مستويا مع رفع الطبق لسد المجرى الأنفي. وصوت الثاء من الأصوات التي أصابها التغيير في عامية المنطقة، فأصبح ينطق "تاء" في جل مواضعه، فالأداء الصوتي لكلمة "ثلاثة" هي "ثلاثة"، وكلمة ثعلب تنطق ب: تعلب، وينطبق هذا على كل كلمة حوت هذا الصوت.

صوت الذال: نجد صوت الذال قد أصابه التغيير في اللهجة، فأصبح ينطق دالا، وقلما لحرف له حضورا فيها، فكل كلمة ورد فيها ذال ينطق في لهجة ورقلة دالا خالصة؛ فكلمة "ذهب" تنطق في اللهجة "ذهب" وقس على ذلك. ومما يلاحظ حول الإبدال في اللهجة عموما، أنه يكون بسبب تقارب المخارج بين الحرفين، حيث يبحث المتكلم في الغالب على الأسهل نطقا.

القلب المكاني: يعد القلب المكاني من الظواهر الصوتية الشائعة في اللغة العربية واللغات السامية، وهو ظاهرة لغوية واضحة لا يمكن إغفالها لكثرة أمثلتها في المنطوق العربي، ويقصد به "تبادل الأصوات المتجاورة أماكنها في السلسلة الكلامية" (عمر، 1997، ص335).

ومن أمثلة القلب المكاني في لهجة ورگلة نذكر:

في الفصحى	في اللهجة	التغيير
يَلْعَنُ	يَنْعَل	تقديم اللام على العين والفاء
يَجْعَل	يَعْجَل	تقديم العين على الفاء
مَعَ	عَمَ	تقديم العين على الفاء

وقد لا يكون هناك مبرر علمي لهذه الظاهرة، ومع قلتها وانحصارها مع الزمن في عينة الدراسة، إلا أنه لا يمكن إغفالها بعدها ظاهرة موجودة في اللغة العربية منذ القدم. هذه أبرز الصوامت التي يظهر التغيير فيها جليا، مع الإشارة إلى أن الكثير من الصوامت قد مسها تغيير في بعض صفاتها، فالخاء العامية مرققة، مع أن أصلها مفخمة مثلا.

3.3 الصوامت العربية في لهجة ورقلة: حركات اللغة العربية ثلاث هي الفتحة والضمة والكسرة، وهي "في حقيقتها حروف مد قصيرة وطريقة الكتابة العربية هي التي أوهمتنا أن بينها وبين حروف المد فرقا نوعيا مع أن الفرق كمي" (المبارك، فقه اللغة وخصائص العربية، دت)، وقد كان هذا التصور واضحا عند القدماء؛ يقول ابن جني: "اعلم أن الحركات أبعاد حروف المد واللين وهي الألف والياء والواو، فكما أن هذه الحروف ثلاثة فكذلك الحركات ثلاث، وهي الفتحة والكسرة والضمة، فالفتحة بعض الألف، والكسرة بعض الياء، والضمة بعض الواو. وقد كان متقدمو النحويين يسمون الفتحة الألف الصغيرة والكسرة الياء الصغيرة والضمة الواو الصغيرة وقد كانوا في ذلك على طريق مستقيمة" (ابن جني، 2000). إن التغير في الصوائت العربية في لهجة منطقة ورقلة يظهر أساسا في طريقة الانفتاح في الفتحة وألف المد؛ فنجد أن أداءها ممال نوعا ما، وهذه الإمالة تشكل سمة من سمات اللهجة، أما على مستوى الكسر والضم فعلى الرغم من أن أداءهما ليس مماثلا للفصحى تماما إلا أنه لا يمثل سمة بارزة. إضافة إلى التغيرات الصوتية على مستوى الصوامت والصوائت فهناك مظاهر أخرى تميز اللهجة في مدينة ورقلة مرتبطة أساسا بالنبر والتنغيم، وهي سمات يمكن ملاحظتها من خلال السياق اللغوي للمتكلم.

كما تمتاز هذه اللهجة بالسرعة في الأداء اللساني، ويرجع البعض هذه الظاهرة إلى ارتباطها بالبداوة على عكس الحضر الذين يتسم كلامهم بالبطء والأناة.

ملاحظة: بعد تقديم هذه النماذج من التغيرات الصوتية في لهجة مدينة ورقلة، تجدر الإشارة إلى أن لهذه الأداءات علاقة بالتطور الثقافي والحضاري، فنجد البعض من أبناء المنطقة يربطون هذه التغيرات بقضية التحضر والثقافة، فينظرون بازدراء ودونية لهذه اللهجة، فيحاولون بجد التغير من هذه الأداءات، كما نجد البعض الآخر يقرون بأن هذه الأداءات الصوتية تخالف الفصحى، ويسعون إلى تقريبها من الفصحى؛ وعليه نلاحظ وجود مستوى آخر للهجة في المنطقة تقل فيها التغيرات الصوتية السابقة الذكر، لكن هذا المستوى يبقى خاصا ببيئات معينة بعيدة عن البيئة العائلية.

5. خاتمة:

بعد أن قدمنا عرضا لأهم القضايا المرتبطة بالأصوات في اللغة العربية، وحاولنا تتبع بعض النماذج من التغيرات الصوتية بين الفصحى والعربية ولهجة مدينة ورقلة، خلصنا إلى ما يلي:

- يعد المستوى الصوتي من أبرز المستويات اللغوية التي تعكس التغير بين الفصحى واللهجات؛
- إن وجود اللهجات المتعددة للغة الواحدة هو مظهر صحي للغة، فلا يمكن أن تبقى لغة، مهما كانت، على نمط واحد عبر عصورها وجغرافيتها؛

- على الرغم من الاختلاف في بعض المظاهر الصوتية بين العربية الفصحى واللهجات (لهجة مدينة ورقلة) إلا أن مظاهر التوافق والتقارب أكبر من ذلك؛

-يعدّ تسهيل الهمزة سمة بارزة في لهجة مدينة ورگلة؛

-يمثل الإبدال في الصوامت العربية من أهم الظواهر الصوتية التي تميز اللهجة عن الفصحى؛

-إن التغير الصوتي لبعض الأصوات بين الفصحى ولهجة مدينة ورگلة هو في الأصل ظاهرة لغوية كانت

موجودة في اللهجات العربية القديمة؛

-يمثل التحول في طريقة نطق الصوائت العربية ملمحا تميزا للهجة مدينة ورگلة؛

-إن التوجه لوصف اللهجات ودراستها إنما هو من أصيل الدرس اللغوي العربي، ولا يمثل ضربا

للفصحى ولا مساسا بقيمتها؛

6. قائمة المراجع:

- 1- إبراهيم أنيس. (1950). *الأصوات اللغوية* (المجلد 2). مصر: مكتبة نهضة مصر.
- 2- إبراهيم أنيس. (1992). *في اللهجات العربية*. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية.
- 3- ابن الطحان السماتي. (2007). *مرشد القارئ إلى تحقيق معالم المقارئ*. القاهرة، مصر: مكتبة التابعين.
- ابن فارس. (بلا تاريخ). *الصاحبي*.
- 4- أبو الحسن أحمد بن فارس. (1997). *الصاحبي*. بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية.
- 5- أبو الفتح عثمان بن جني. (2000). *سر صناعة الإعراب*. بيروت: دار الكتب العلمية.
- 6- أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي. (2005). *الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة*. عمان الأردن: دار عمار.
- 7- السيوطي. (دت). *المزهر في علوم اللغة وأنواعها* (المجلد 3). (محمد أحمد جاد المولى بك وآخران المحرر) القاهرة: مكتبة التراث.
- 8- برتيل مالمبرج. (دت). *علم الأصوات*. يروت: مكتبة الشباب.
- 9- رمضان عبد الله. (2006). *أصوات اللغة العربية بين الفصحى واللهجات*. الإسكندرية، مصر: مكتبة بستان المعرفة.
- 10- سيوييه، عمرو بن عثمان بن قنبر. (1988). *الكتاب*. القاهرة، مصر: مكتبة الخانجي.
- 11- عبد الصابور شاهين. (1980). *المنهج الصوتي للبنية العربية*. مؤسسة الرسالة.
- 12- عبد العلي الودغيري. (2013). *لغة الأمة ولغة الأم*. بيروت: دار الكتب العلمية.
- 13- عبد الغفار حامد هلال. (1993). *اللهجات العربية نشأة وتطورا*. القاهرة، مصر: مكتبة وهبة.
- 14- عبد الله رمضان. (2006). *أصوات اللغة العربية بين الفصحى واللهجات*. الإسكندرية، مصر: مكتبة بستان المعرفة.
- 15- عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي. (بلا تاريخ). *فقه اللغة وسر العربية*.

- 16- عبده الراجحي. (1996). اللهجات العربية في القراءات القرآنية. الإسكندرية، مصر: دار المعرفة.
- 17- غانم قدوري الحمد. (2008). الدراسات الصوتية عند علماء التجويد. عمان، الأردن: دار عمار.
- 18- كمال بشر. (1998). دراسات في علم اللغة. القاهرة: دار غريب.
- 19- ماريو باي. (1989). أسس علم اللغة. القاهرة: عالم الكتب.
- 20- مجمع اللغة العربية بالقاهرة. (2004). المعجم الوسيط. مكتبة الشروق الدولية.
- 21- محمد المبارك. (دت). فقه اللغة وخصائص العربية. دمشق: دار الفكر.
- 22- محمد علي الخولي. (1990). الأصوات اللغوية. عمان: دائرة المكتبات والوثائق الوطنية.



التّعايش اللّغويّ بين العربيّة والأمازيغيّة المستوى الصّرفي أنموذجا

Linguistic coexistence between Arabic and Berber Morphological level as a model

أ. شهرزاد بن يونس*

تاريخ القبول: 2021.09.02

تاريخ الاستلام: 2021.04.09

ملخص: تسعى هذه الورقة البحثية إلى الوقوف على فكرة التعدّد اللّسانيّ في المجتمع الجزائري من زاوية التّعايش اللّغويّ بين اللّغتين العربيّة والأمازيغيّة، وهذا استنادا لتباين أصلهما اللّساني. وقد اخترنا في ذلك المستوى الصّرفيّ كنموذج إجرائيّ للمقارنة بين اللّغتين، وذلك لمعرفة حدود التّقارب والانسجام بينهما، ناهيك عن مقارنة نقاط الاختلاف إن وجدت. والغاية من هذه الدّراسة هي معرفة إلى أيّ مدى تحقّق التقارب والانسجام اللّسانيّ بين اللّغتين، وتبيان تأثير هذا التّدخل في التّلاقّي الثقافيّ في المجتمع الجزائريّ، ورسم حدود هويّته التي تميّزه عن غيره من المجتمعات. وقد توصّلت الدّراسة إلى وجود تشابه بيّن بين العربيّة والأمازيغيّة في التّأنيث، وجمع المذكر السّالم، بينما تختلفان في صيغة التّثنية؛ حيث تأكّد لنا أنّ الأمازيغيّة تطابقت قواعدها مع اللّهجات العاميّة بدل اللّغة العربيّة الفصحى، ممّا يؤكّد لنا تحقّق الانسجام بين اللّغتين في بعض جوانبه فقط. كلمات مفتاحية: التّعايش اللّغويّ؛ المستوى الصّرفيّ؛ التّأصيل الاشتقائيّ، التّلاقّي الثقافيّ، الهوية.

Abstract: This research paper seeks to identify the idea of linguistic pluralism in Algerian society from the angle of linguistic coexistence between the Arabic and Berber languages, which based on the contrast of their linguistic origin. We have chosen morphological level as a procedural model for the comparison between the two languages, in order to find out the limits of convergence and harmony between them.

The purpose of this study is to know the extent to which linguistic rapprochement and harmony achieved between the two languages, to demonstrate the impact of this overlap on cultural convergence in Algerian society, and to draw the boundaries of its identity that distinguishes it from other societies.

Keywords: Linguistic coexistence; Morphological level; Derivative rooting; Cultural convergence; Identity.

مقدمة: يتشكل المجتمع اللغوي الجزائري من بنيات لغوية كثيرة، تتشابه أحيانا في مستوياتها الصوتية والصرفية والتركيبية والدلالية وتتباين مرات أخرى، وهذا ما هو إلا صورة من صور التعدد اللغوي والتنوع الثقافي في هذا الوطن، حيث إن كل جهة من ربوعه تتميز بلهجة متميزة ليضعنا أخيرا كباحثين أمام لوحة فسيفسائية في غالبية أوجهها تلتقي مع اللغة الأم وهي اللغة العربية، ولكنها قد تتمايز عنها أحيانا فتبدو دخيلة عليها.

والأمازيغية كلغة إفريقية، وكلهجة جزائرية تمثل واحدة من أهم التشكيلات اللغوية في الخطاب اللساني المغربي عموما والجزائري على وجه التخصيص، إذ مثلت حلقة من الحلقات المفقودة في الثقافة الجزائرية الحديثة والمعاصرة بكل أبعادها، وهذا نظرا لاختلاف التيارات في تمثيل أبعاد هويتها؛ فبينما يسير تيار المستعمر الفرنسي في خط زعزعه الوحدة الوطنية عندما ينسب سكان شمال إفريقيا عرقيا إلى العنصر الأوروبي، ومن ثم يحكم على أجنبية هذه اللغة المتحدث بها بغاية خلق البلبلة والتزعزعة البربرية، بينما نجد في المقابل تيارا آخر يقول بعكس هذا الطرح، ويُرجع البربر إلى أصول سامية حامية، ومن ثم ينسبونهم إلى العرب أصلا ولغة.

إن إشكالية هذه الورقة البحثية ستبتعد قدر الإمكان عن التأصيل للمجتمع الأمازيغي والخلافات القائمة حول ذلك، نظرا لأن الإجابة لم تصل إليها الدراسات الأنثروبولوجية أو تلك المتخصصة في علم الآثار إلى يومنا هذا، وإنما ستحاول هذه الدراسة تقديم قراءة ثنائية للغتين العربية والأمازيغية في مستوييهما الصّرفي، وهذا لنكشف إلى أي مدى تحقق الانسجام أو التنافر بين اللغتين، لأننا أصبحنا في واجهة أزمة مجتمع وأزمة ثقافة وأزمة تطور، مما يجعل موضوعنا هذا متشعبا ومعقدا يصعب توصيفه، ولكننا رغم ذلك سنحاول جهدنا الإجابة عن جملة من الإشكاليات نوجزها في الآتي:

- هل يوجد تعايش لغوي بين العربية والأمازيغية؟ وما هي أبعاد هذا التعايش إن وجد؟ ما هي طبيعة العلاقة بين العربية والأمازيغية في مستوياتها اللسانية عموما وفي مستواها الصّرفي خصوصا؟ وما دامت الهوية هي السمة العامة لثقافة من الثقافات فما تأثير هذا التقاطع أو التنافر في رسم حدود هوية الجزائريين؟ وهل يجدي أن يقول العربي الأمازيغي الجزائري لكم لغتكم ولي لغتي؟

أولا: الأمازيغ واللغة الأمازيغية:

1- الأمازيغ وأصولهم: تباينت الدراسات في تحديد دلالة هذه الكلمة، وهذا لأنّها لم تظهر إلا في العهد الإسلامي، حيث سبقتها إلى ذلك كلمة (بربر) التي كانت الوصف الذي أطلق على سكان شمال إفريقيا بعد التسميتين السابقتين لها وهما: "لوبي" و"إفري". فتسمية (لوبي) كانت شائعة لدى اليونانيين، و(إفري) من مبتكرات الفينيقيين وكلمة "البربر" هي تسمية الرومان بتأثير من اليونان حيث « يقال أن مصدرها الأول هي الكلمة اليونانية (فارفاروس) Varvaros وهي تعني اللفظ وتداخل الأصوات في الكلام»¹، لذلك فهم ينعنون بها كل ناطق بغير لغتهم، كما عدّت عندهم مصطلحا يقال استخفافا وتحقيرا لهذه الشعوب التي

خرجت عن نفوذهم فيقولون عنها: بارباريسي أو باربارجيا، وتوجد بمصر مدينة سميت "بارباري"، وفي الصومال توجد منطقة (بربرة)، كما سميت الشعوب الجرمانية (بربار) بمعنى القساة والهمج والجهلة. لقد أجمع الدارسون على أن كلمة (بربر) لا تخرج عن سياق دلالتين؛ إما أنها تعني الشخص الغريب الذي يتكلم لغة لا يفهمها الرومان، وإما هي من باب التنابز بالألقاب تحقيرا لهؤلاء الأقوام. أما الباحث (Bousquet) فقد فسّر الكلمة بقوله: «أنّها مشتقة من كلمة (Barbarus) وهي كلمة لاتينية تنعت بها فئات مختلفة ليست خاضعة لسلطان الرومان؛ والقصد منها هو وصف تلك الفئات بالتخلف»². وهذا يعني أن الكلمة لا تخصّ المجتمع المغاربي الكبير في شمال إفريقيا، إنّما أطلقت على شعوب كثيرة اختلفت لغة وجنسا وعادات وتقاليده عن المجتمع الروماني، ولكنها أضحت لصيقة بهذه الفئة البشرية لأنّ الفتح الإسلامي أقرّها بدلالة أخرى حيث إنّنا تعني الأحرار الأقوياء.

هذا عن التسمية، أمّا إذا أردنا أن نبحث في الأصول الحقيقة للبربر فإن السبل تنشتت بنا، وهذا لاختلاف الآراء والأخبار الواردة عن طريق الدارسين والمؤرخين، بالإضافة إلى ذلك عدم إمكانية صحة الافتراضات الأنثروبولوجية المقدمة دائما؛ فعلم الحفريات عن الجماعم البشرية اكتشف أربع جماعم في مناطق مختلفة من البلاد العربية (الجزائر، ليبيا، اليمن وفلسطين)، تتطابق كلياً وعمرها ما يقارب 50.000 ق.م سنة وهذا يؤكد الأصل المشترك لتلك السلالات البشرية³.

وتوصّلت دراسات أخرى من خلال الأبحاث الأثرية التي تمّت في مناطق عديدة من المغرب العربي إلى اكتشاف أقدم أثر لإنسان الأطلس (Atlantropes) الذي حدّدت الفترة الزمنية التي عاش فيها بـ 400.000 سنة قبل الميلاد «ويعتقد المختصون أنّه شبيه بالأثر المكتشف في الصين؛ الذي سموه (Sinanthrope)؛ ثم الذي عثر عليه في جاوة وتانزانيا المسمى (Pithécanthrope)»⁴.

وهذا في العصر الحجري السفلي، يضاف إلى ذلك تلك البقايا المكتشفة في مناطق عدّة في شمال إفريقيا التي صعب على العلماء تحديد إنسانيتها لأنّها أقرب إلى الهيمية، وهذا دليل آخر على أنّ هذه العيّات لم تحدّد كيف ظهر الإنسان في شمال إفريقيا وما هو موطنه الأصلي، ومن أيّ سلالة هو؟

وإنّنا نتفق مع الباحث "بوزياني الدراجي" الذي يرى أنّ سكان البلاد المغربية مشكلين من مزيج بشري تكوّن عبر قرون قديمة قد خلت من سلالات مختلفة، وأجناس متباينة، هاجرت من مناطق عديدة واستقرّت في شمال إفريقيا، ولا تزال الدراسات إلى يومنا هذا لم تصل إلى الحقائق العلمية الدقيقة.

أمّا الطّرف الثاني من الخيط وهو تسمية شعوب شمال إفريقيا (الأمازيغ) (تامازيغت) فينسبها الدارسون إلى جدّهم (مازيغ) الوارد في الخبر الذي مفاده: فسألهم -كما جرت عادة العرب - عن نسبهم؛ فأجابوا: أنّ جدّهم هو مازيغ⁵.

وتبقى هذه الرواية قابلة للمناقشة ما دامت الأدلّة القطعية مغمورة في تلايب التاريخ، ولكن الذي يجب تأكيده في هذا المقام هو أن (الأمازيغية) هي إحدى اللغات الشّفوية الحيّة المنتشرة في شمال

إفريقيا، وهي لها هويتها التي تميّزها عن بقية اللّغات تبعا للمنطق القائل لا وجود لهوية خارج المجتمع وخارج التاريخ، أثبتت القواميس اللّغوية عروبة المصطلح المشتق من (الأمازر) من الرّجال هو الأقوياء أشدّاء القلوب.

تنتشر هذه اللغة بأشكالها المختلفة في المغرب الأقصى، الجزائر، تونس ليبيا، غرب مصر، شمال السودان، مالي، النيجر بوركينا فاسو، جزر الكناري، الأندلس وجزر صقلية بإيطاليا. وسنركز في دراستنا على الجزائر التي تتضمن مجموعات تمايزت لغاتها من ذلك الشاوية التي تطلق على سكان الشرق الجزائري نسبة إلى الشاة كذلك الميزابية وهي لهجة قبائلية يتكلمها المتواجدون بمنطقة غرداية نسبة إلى وادي ميزاب الذي يقيمون به، أما القبائل فهي الكلمة عربية تطلق على المتواجدين في شمال الجزائر⁶.

-اللغة الأمازيغية:

تحدّثنا في العنصر السابق وقلنا أنّ الجزائر تشهد تلوينات لغوية كثيرة في مناطق عدّة منها، وهذا يرجع أساسا إلى تعدد القبائل التي تقطن هذه المنطقة؛ حيث منهم من كان من قبيلة كتامة مثل قبائل بني خطاب في القل وبجاية ومجانة، أو قبائل بني سيلين قرب الميلية، وأولاد محمد قرب جيجل، أو قبائل عياد قرب أقبوا وغيرها⁷.

أمّا القبيلة الثانية فهي صنهاجة حيث نجد منها مزتية، عجيسة، واسيني، بني يفرن في جبال الأوراس وجبال جرجرة المسماة القبائل الكبرى. أمّا في منطقتي شرشال والتنس نجد زوارة، وفليسة، بني راتن، بطرون، عمور وغيرها.

وتظهر قبيلة زناتة في الغرب الجزائري خاصّة في شمال غرب تلمسان مع الطرارة ولهاصة، ومديونة في مستغانم، أمّا في الجهة الشرقية على مقربة من قسنطينة تنتشر قبائل أولاد عبد النّور، تالغمة امتدادا إلى سطيف، وزردانة بين عزّابة والحروّش، وصنهاجة بالقرب من عنابة، وبني ولبان في السّمندو، النمامشة بتبسة والحنانشة في سوق أهراس وغيرها⁸.

إنّ القاسم المشترك بين كلّ هذه القبائل هو لغتها الأمازيغية رغم تباينها من منطقة إلى أخرى، هذه الأخيرة التي أرجعها المؤرخون إلى أصول حامية من خلال جنس الأمازيغ المنتمي إلى حام، حيث إنّ هؤلاء السكان كانوا من القوم السّمر البشرة سكنوا إفريقيا الشمالية قبل الإسلام وكذا تعلموا العربية بسرعة، وقد كان هذا مبعث تساؤل وتأويل بين المؤرخين، وقد علّل المؤرخ "بيروني" هذا الاتساق والانسجام بين العربية والأمازيغية إلى تقارب العربية من الفينيقية فضلا عن تشابه العرب والبربر في العادات والأخلاق، والاتّحاد في النّسب الذي يقرب الطبائع⁹ لهذا نجد الأمازيغ يشيدون قصورهم على النّمت العربي، ولم يرفضوا لغة العرب، ولم يكتبوا بغيرها، وقد خدموا الإسلام بإخلاص، فتطوّعوا في جنود حسان بن النّعمان، وكذا مع موسى بن نصير، وفتحوا الأندلس بقيادة طارق بن زياد البربري تأييدا للخلافة بدمشق.

إنّ للأمازيغ ثقافتهم الخاصّة التي توارثوها جيلا بعد جيل في الفنون والتقاليد الاجتماعية وأنواع اللباس والأطعمة، والمعمار، والرّقص، والغناء والأدب الشفوي، وكذا لغتهم " الأمازيغية " التي ميّزتهم عن شعوب أخرى حاولت طمسها وإلغاءها من خارطة اللّغات، غير أنّها كانت قوية بتعايشها مع الفينيقيّة واليونانية واللاتينية والعربية، وفي هذا الصّد يقول جون لوي كالفي (J.louis-calvet) «لقد سجّل التاريخ حرب اللّغات منذ أن تمكّنت الإنسانية من تحويل أولى أصواتها وحركاتها إلى علامات»¹⁰ ممّا يؤكد أنّ التعدّد اللغوي هو القاعدة، والوحدة اللّغوية هي الاستثناء.

ويؤكّد الدّارسون أنّ الأمازيغية لغة قائمة بذاتها وليست لهجة متفرعة عن لغات أخرى، بل هي لها لهجاتها المتفرعة عنها في الشّمال الإفريقي، ورغم اختلاف هذه اللّجات جزئيا فيما بينها، فهي تتقاطع في معطياتها اللّغوية، وهذا ما أكّد عليه الباحث "André Basset" قائلا: «إنّ بنية اللّغة الأمازيغية وعناصرها وأشكالها الصّرفية تنسّم بالوحدة إلى درجة أنّه إن كنت تعرف حقّ المعرفة لهجة واحدة منها استطعت في ظرف اسابيع أن تتعلم أيّ لهجة أخرى، تدلك على ذلك التجربة، إذ اللّغة هي اللّغة نفسها، وقد عجبت لذلك...»¹¹، وهذا يؤكد إلى أيّ مدى حافظت الأمازيغية على بنيتها اللسانية عبر عصور التاريخ، وكم كانت قوية أمام المد اللّغوي الذي كان يحاصرها ويريد القضاء عليها، فهي لاتزال حية محافظة على كيائها الذاتي.

لقد أصبحت الأمازيغية ضمن المكونات الأساسية لهوية الشعب الجزائري في ديباجة دستور 28 نوفمبر 1996م، حيث أصبحت هذه المكونات ثلاث هي: «الإسلام والعروبة والأمازيغية» بينما كانت في الدّساتير الثلاثة التي سبقت هذا الأخير، اثنتين هما: الإسلام والعروبة¹²، وقد جاء هذا المطلب تبعا للضغوطات التي عرفت الحكومة الجزائرية، ويبدو أنّ كثرة القبائل الأمازيغية المترامية الأطراف كان لها وقعها في تحقيق هذا المبتغى.

ثانيا: التّداخل اللّغوي بين العربيّة والأمازيغية:

يمثّل موضوع التداخل اللّغوي أو التّقارب الحاصل بين اللّغات موضوعات إشكاليا ومتداولا لدى الدارسين منذ القديم، فقد فطن ابن حزم الأندلسي (ت 564هـ) إلى علاقة القربى بين العربيّة والعبريّة والسريانية حيث جعلها من الأسرة السامية إذ يقول: « فمن تدبّر العبرانية والعربية والسريانية، أيقن أن اختلافها إنما هو من نحو ما ذكرنا من تبديل ألفاظ الناس على طول الزّمان واختلاف البلدان ومجاورة الأمم وأنّها لغة واحدة في الأصل»¹³ كما كشف النقاب أبو حيان (ت 754هـ) الأندلسي على أواصر القرابة، والتقاطع القواعدي بين اللّغة العربيّة واللّغة الحبشية حيث تتفقان في حروف المضارعة وتاء التأنيث وهمزة التّعديّة¹⁴. وهو الخطّ نفسه الذي سارت على إثره دراسات المحدثين من علماء اللّغة، كالاكتشاف الذي تقدم به وليم جونز (Jones) عندما كشف أوجه التّشابه بين اللّغة السنسكريتية واللّغتين اللاتينية واليونانية¹⁵.

ولم يكن مبدأ التّشابه بين اللّغات هو محور هذه الدراسات فحسب، بل إنّ منها ما اتجه في سياق الكشف عن التنوعات اللغوية، مركّزين على العناصر الاختلافية ومواطن التباين بين اللّغات؛ وهذا لأنّ اللّغات البشرية عموماً تشهد تنوعاً إمّا داخل الإطار العام للغة، وهذا يكون في الشكل والرموز الصوتية، حيث يمكننا التمييز بين اللّغات الإنسانية بصرياً وفق نوع الخط المستخدم كالإختلاف العربية عن الروسية والفرنسية.

أمّا التّنوع الثاني فيقع داخل اللغة الواحدة جغرافياً، وهو ما يصطلح عليه اللهجة، حيث يتجلى لنا بوضوح في «التباين الفونيمي والصرفي والتركيبى للغة الواحدة، وهو إما تباين كلّى وإمّا تباين جزئي»¹⁶. مثال ذلك مثلاً نطق كلمة (بطاطا) بطرق مختلفة في الأقطار العربية، فتسمى (بطاطا) في الشام وشمال إفريقيا، وتسمى (بطاطس) في مصر والخليج.

سنحاول من خلال دراسة نقاط التلاقي والاختلاف بين العربية والأمازيغية أن ننطلق من فكرتين رئيسيتين؛ فكرة المشابهة وفكرة التباين وهذا حتى تكون دراستنا أكثر موضوعية للإجابة عن سؤال جوهريّ ما هي نقاط التقاطع والتّلاقي بين اللّغتين العربية والأمازيغية؟

إنّهُ قبل الإجابة عن هذا السّؤال علينا أن نشير أولاً إلى أنّ اللّغتين تنتميان إلى أسرة لغوية واحدة، وهذا إذا سلّمنا بصحّة ما أُلْمع إليه ماكس مولر (Max Muller) الذي ذهب إلى أنّ اللّغة البربرية (الأمازيغية) تنتمي إلى اللغة الحامية، وتنتمي العربية إلى اللغة السامية وكل منهما جزء من أسرة اللغات السامية الحامية¹⁷.

ويستند دارسون آخرون على الموطن المشترك للساميين والحاميين مما يدعم فكرة المشابهة بين النظامين اللغويين، فالمستشرق (تيودور نولدكه) يقول في هذا السياق: «والقاربة الكائنة بين اللّغتين: السّامية والحامية تدعو إلى الاعتقاد بأنّ الموطن الأصلي للساميين، كان في إفريقيا؛ لأنّه من النّادر أن يظنّ أنّ الحاميين، كان لهم موطن أصلي، غير القارة السوداء»¹⁸. حيث استند هذا الباحث في تعميق افتراضه على التّشابه الخُلقي بين الحاميين والساميين، وعلى الأخصّ بين سكان جنوبيّ الجزيرة العربية وسكان إفريقيا الأصليين.

وفي دائرة المعارف الفرنسية Encyclopedia Universalis المحرّرة بعد الاستقلال سنة 1968م، نجد إشارة إلى نسبة البربر إلى العرب، أصلاً ولغة حيث ورد فيها: «أكثر طريق إلى الحقيقة إعادة البربرية إلى أصول حامية سامية التي تجمع في بوتقة واحدة البربرية، والمصرية القديمة، والكوشية، والسّامية»¹⁹، ويقر أصحاب هذه الموسوعة بأن جميع اللّهجات البربرية مطبوعة بطابع اللّغة العربيّة.

ويرى من ناحية أخرى الباحث (ويليام لانغر) بأنّ العربية والبربرية تتّصلان بأصل سام، ومن ثمّ فهما تنتميان إلى أصل واحد، وهذا في قوله «وتتّصل اللغة المصرية القديمة باللغات السامية ولغات البربر بأصل واحد»²⁰.

وتسير الأمازيغية أيضا باتجاه الشرق الأدنى، فهي لغة الكنعانيين الذين هاجروا في عصور ما قبل التاريخ كما هاجروا إلى شمال إفريقيا خلال اجتياح الإسرائيليين بقيادة يوشع لبلادهم واستقروا في ليبيا والجزائر، تونس وليبيا²¹، حيث صنّفها (مرسيل كوين) العالم اللغوي مع اللغات الحامية الكنعانية وهي فرع من اللّغة السامية الأصل، وذكر منها (الكنعانية، الفينيقية، العبرية، المصرية، الليبية، البربرية، ولغة الزنوج (الأثيوبية)). ويؤكد هذا الطّرح مقوله: «وقد ظلّت اللّهجات الكنعانية حيّة بين سكان شمالي إفريقيا حتّى القرن الخامس الميلادي وإلى ما بعد دخول الفاتحين العرب، ولكن اللّغة العربية طغت على اللّغة الكنعانية عندما أصبحت اللّغة الرّسمية ابتداء من عهد الأدارسة ومع ذلك فقد ظلّت الكنعانية موجودة في الصدور وعلى ألسنة سكان السهول والجبال خصوصا بين قبائل صنهاجة ومصمودة وزناتة»²².

ممّا يدل على الاحتكاك المستمر بين العربية والكنعانية لقرون خلت، وهذا يفسر نقاط التشابه بينهما. يضيف عثمان سعدي المؤرخ الجزائري من ناحية ثانية دليلا آخر على عروبة الأمازيغ، عندما قال بأنّ البربر من العرب العاربة استقروا بالمغرب العربي بسبب الهجرات السّابقة للفتح الإسلامي، حيث أكّد على ذلك التعايش بين اللّغة البونيقية (عربية قديمة) وبين العربية الحديثة ومنها البربرية²³، وهو ما ذهب إليه الكثير من الدارسين أمثال: (Grantier و Marcai) اللّذين قدما الدلائل على أنّ البربر عرب في أصولهم وأنّ البربرية لهجة من لهجات العربية القديمة (اللغات السامية).

وإلى هذه الفكرة ذهب المؤرخ التونسي "عثمان العكاك" الذي أشار إلى «أنّ البربر قدموا من الجزيرة العربية في زمن لا يقل عن ثلاثين قرنا قبل الميلاد، وأنّ الفينيقيين اختلطوا بالبربر على طول السواحل الإفريقية المغربية في القرن الثاني عشر قبل الميلاد، ولما كان البونيقيون عربًا من بني كنعان، فقد اختلطوا بالبربر، الذين هم من العرب القحطانية»²⁴.

إنّنا أمام هذه الدلائل التاريخية نستنتج أنّ الأمازيغية ذات أصول عربية ماضية في القدم، ليس من السّهل التعرف عليها أمام هذا التعدد اللّغوي للأمازيغية، حتّى أنّه لا يكتشف لنا المصدر اللغوي الرئيس لها، فالبربرية في الجزائر ليست هي القبائلية، وليست هي الشّاوية، وليست هي الطوارقية، وليست هي الميزابية، مما يجعلنا نتساءل أين هي اللّغة الأم في كلّ هذا؟ إنّنا أمام واقع لهجوي محيّز سنقف مع ما اتصل منه باللّغة العربية في هذه الدراسة ونترك الباقي لدراسات أكثر عمقا وأكثر استقصاء للباحثين، حتّى لا نحكم على اللغة البربرية بأنّها لم تكن ولن تكون لغة الحضارة لأنّها لم تقدم لغة واحدة موحّدة كما يقول الباحث أندريه باسي (Besset) في كتابه "اللّغة البربرية" المنشور سنة 1929م.

1/ التداخل بين العربية والأمازيغية في المستوى الصّرفي:

تحقيقا للمقولة التي تؤكد الطابع العربي لبعض القواعد في اللغة الأمازيغية مع مشابهتها لها، ارتأينا أن نقف عند بعض من هذه القواعد الصّرفية لتعيين سمات التشابه بين الأمازيغية والعربية.

1- تاء التأنيث: المعروف في اللغة العربية أنّ التاء تأتي حرف بناء في الكلمة، كما تأتي حرفا زائدا. فقد تجيء اسما إذا كانت ضميرا متصلا له محل من الإعراب باعتبارها فاعلا مثل كتبتُ. وقد تكون حرفا مثل: ذهبتُ. فقط لأجل الدلالة على التأنيث. وللتاء وظائف دلالية كثيرة بحسب موقعها داخل السياق، وما يهمننا منها فقط هو دلالتها على التأنيث.

تكتب التاء في آخر الأسماء بغرض التفرقة بين المذكر والمؤنث كقولنا: معلّم / معلمة، مكتب / مكتبة، وهي تحذف في الجمع المؤنث وتحلّ محلّها ومقامها الألف والتاء فنقول: معلّمات، مكّبات طالبات. ونجد الحالة نفسها أو القاعدة نفسها في الأمازيغية حيث تستبدل التاء بالثاء في تحديد المؤنث من الأسماء أحيانا، وتبقى تاء أحيين كثيرة، مثال ذلك:

- إمغار ← إمغارث ← العجوز

- تافلكوث: سفينة / الفلك (قبائلية).

- إحلاوث: حلوى

- تازربيث: زربية (قبائلية).

- تازلافت: القصعة (الزلفة: الصفحة مملئة: عربية).

وقد لا تستبدل بالثاء مثل قولهم: لَحْبِيبَتُ: حَبِيبَةٌ²⁵.

تاجنانت: الحديقة.

تونزّارت: الأحجية مغربية.

تودمّت: المحسوبة.

تأحقّرت: المرأة المحقورة²⁶.

تابحوت: حنجرة.

تأحنيت: شاوية نافذة.

أسْتُوت: امرأة خبيثة (قبائلية/ شاوية).

توغريفت: خبزة، كسرة (رغيف).

تيمخدت: مخدة.

تاقرنيت: ركن أوزاوية (شاوية).

أخلخال - تأخلخال: خلخال (شاوي)

أوشن: للذئب / توشنت الذئبة.

والغريب أنّ هذه القاعدة ليست قارّة ولا تنسحب على كلّ الألفاظ المؤنّثة، حيث وجدنا مذكرا به تاء وثناء، رغم أنّه لا يدلّ على المبالغة كما في العربية كقولهم: "علامة" بمعنى كثير العلم، ومن أمثلة ذلك في الأمازيغية:

- تازُولَات: عبث (شاوية).

- تازِمَارْت: مزمار (قبايلية).

وهنا نرد على الباحث عثمان سعدي لنقول إنّ الأسماء المؤنّثة في الأمازيغية نغم تقع بين تاءين في أغلبها وكما وضح ذلك في معجمه²⁷، ولكنّها قد تكون بين تاء وثناء، وقد تكون هذه قاعدة للمذكر أيضا، وهنا نتساءل لماذا؟ أهو من الشاذ الذي يحفظ ولا يقاس عليه؟ أم نحن بحاجة إلى نظرة أكثر عمقا لمعرفة القواعد في اللّغة الأمازيغيّة؟

* **الاسم المذكر:** المشهور في الأسماء الأمازيغية بصيغة التذكير أن تبتدئ بهمزة مفتوحة في الغالب الأعم²⁸، وتجيء على أوزان متنوّعة، من مثل:

الجدول رقم 1: الأسماء المذكّرة في اللّغة الأمازيغية

الكلمة الأمازيغية	مقابلها بالعربية	الكلمة الأمازيغية	مقابلها بالعربية
أمازيغ	أمازيغي	أزاغار	السهل
أمغار	الشيخ	أمالو	الظل
أركاز	الرجل	أضو	الهواء
أدرار	الجبل	أعلاو	البرنوس
أسلم	السمة	أقدوخ	القدح

وقد تأتي الهمزة مضمومة مثل: أوشن: الذئب، أو مكسورة مثل: إخف: الرأس.

* **التثنية:** لا توجد صيغة التثنية في اللّغة الأمازيغية كما هي الحال في العربية الفصيحة، التي تضيف الألف للدلالة على المثنى المذكر والمؤنث على السواء كما في: كتابان، قلمان، مدرستان، تفاحتان، وإنّما يوظّف الجمع مسبقا بالصيغة (سنت) في الأمازيغية، وهذا شبيه بالعامية الجزائرية عند قول المتكلّم: زوج كتابات، زوج خييزات، زوج عراس، ففي حالة ما إذا ثني الاسم في الأمازيغية أضيفت له (سنت) أي اثنان مثل: "سنت إيركازن" أي رجلان²⁹.

* **الجمع:** ينقسم الجمع في العربية إلى ثلاثة أقسام (مذكر، مؤنث، وجع تكسير)، وهي الحالة ذاتها في قواعد اللغة الأمازيغية، حيث نلمس تشابها في صياغته، فالجمع المذكر السالم فيها تكون علامته النون،

أو الألف والنون أو الواو والنون، ونلاحظ هنا أنّ علامة المثنى والجمع المذكور في العربية هي نفسها علامة الجمع في الأمازيغية، مثال ذلك:

أركاز ← أركازن. (الرجل-الرجال).

أقاو ← أقاون. (الضوء-الأضواء).

ئفري ← ئفران. (الغار-الغيران).

ئتري ← ئثران. (النجم-النجوم).

ؤدم ← وُدمان. (الوجه-الوجوه).

أمّا علامة جمع المؤنث فهي متّحدة بين العربية والأمازيغية بالنسبة للمذكر فهي (ون) مثل: تيط: العين الباصرة تجمع على (تيطاون)³⁰، ويتشابه جمع التكسير مع اللغة العربية بصيغه المختلفة، مثل: أغبالو: العين الجارية تجمع على (إِغْبُولَا).

* المبني للمعلوم والمبني للمجهول: يصاغ المبني للمجهول في الأمازيغية بإضافة (إ) أو بإضافة السابقة (تو)، وهي تقابل الضمة في العربية الدالة على المجهولية مثال ذلك:

- إزطّا ← إيتّوزطّا (طَحَن / طُحِن)

- توكّر ← إيتتّوكّر (سَرَق / سُرق).

* صبغ الأفعال:

الأفعال في البربرية كالأفعال في العربية منها الثنائي والثلاثي والرباعي، ومنها المجرّدة والمزيدة؛ مثال ذلك الأفعال المجرّدة الآتية:

- يَطَسْن: نام (جذره ثنائي طس).

- إكْرَزْ: حرث (جذره ثلاثي كرز).

- إكركب: دحرج (جذره رباعي كركب)³¹.

أمّا الأفعال المزيدة فهي تكون بزيادة الشدة أو زيادة أحرف أخرى بغرض التكثير أو المبالغة، وهذا شبيه بقواعد العربية نوضحه بالأمثلة الآتية³²:

الجدول رقم 2: الأفعال المجرّدة والمزيدة في الأمازيغية

الفعل المجرد	مدلوله	الفعل المزيد	مدلوله
ئِسْن	عَلِم	ئِيسِسْن	عَلَّم
ئِرْوَل	هرب	ئِسرْوَل	هَرَّب
ئِنكْر	قام	ئِسنكر	أقام

أدخل	نُكشَم	دخل	نُكشَم

نلاحظ من خلال الأمثلة أعلاه زيادة السين للفعل المزيد إمّا بصياغته على (فعل) أو (أفعل) وهو المقابل العربي. كما يلاحظ القارئ للغة الأمازيغية أو سماعها، ظهور بعض الصيغ الصرفية البارزة في أغلب ألفاظها من ذلك (أفعل، و أفعال، و أفْعُول).

فصيغة (أفعال) مثلا نجدها بكثرة في أسماء الأماكن، مثل: الأوراس، الأبيار، أدرار؛ ف(الأوراس) تعني: بلاد الأرز ذو اللون الأشقر، أما لفظة (أبيار) فهي أمازيغية من (Irdhen) بمعنى موطن القمح، و(أدرار) تعني الجبل، وتنطق (Adhrer)، وكذلك (Arguez) المذكورة.

وقد فسّر الباحث "عبد الحميد زوزو" ذلك مرجعا دلالات هذه الكلمات إلى القوة والصلابة والشدة، وهذا لأنّ هذه الألفاظ البربرية فيها حرف الراء اللينة أو المشدّدة، لهذا رأى تقاربا دلاليا بين كلمتي (أوراس / أَرِيس) ففسّرهما قائلا: «الواقع أن لفظتي (أوراس وأريس) القريبتين من بعضهما من حيث النطق ومن حيث الموقع الجغرافي تحملان ما يوحي بمعنى الحيوانات غير الأليفة والمتوحّشة وخصوصا منها الأسد»³³. ليصل أخيرا إلى نتيجة مؤدّاها أنّ أوراس تعني الجبل أو الغابة المأهولة بالأسود ذات الجلد الصّهباء، وهذا يعني أنّ الكلمة تدل على اسم مكان.

وقد احتلت منطقة (الأوراس) عبر تاريخها الطويل مكانة هامة في تاريخ شمال إفريقيا، حيث تشكّلت فيها أول دولة جزائرية وهي دولة نوميديا التي كانت لقبيلة "ماسينيسا" الدور الكبير في إنشائها. وقد أثبت بعض الدارسين أنّ كلمة (أوراس) اشتقت من الأصل (Aurasius) وقد أضيفت لها الألف واللام من العربية، وقد ذكر البكري أنّها مدينة بقرب مسيلة اسمها (تَأُورَاسْت) ومعناها بالبربرية "الحمراء"⁽³⁴⁾، والكلمة هي تصغير أو تأنيث لكلمة أوراس، وهذا تبعا لقواعد اللغة الأمازيغية التي تضيف التاء للاسم كعلامة للتأنيث أو التصغير في الآن ذاته.

وجاء معناها اللون الأسمر أو اللون الأحمر كما وردت في بعض خطابات المناطق الشاوية مثال ذلك قولهم:

-أَفَاطْمَةُ أَمَمَزُورَآرَاسْ؛ يا فاطمة يا صاحبة العصابة السّمراء.

- أَيْآ قَشِيشْ آرَاسْ؛ أيّها الشابُّ الأسمر.

فالقول إنّ (آرَاسْ) تعني اللون الأحمر ليس المقصود منها اللون الأحمر، وإنّما تقترب منه (*) أو تقترب من اللون الأسود، وقد سميت "الأوراس" بالحمراء لأنها بنيت بأحجار تميل إلى اللون الأحمر.

إنّ دليلنا على أنّ هذه الصيغة (أَفْعَالُ) هي عربية هو اتفاق دلالتها على المكان مع ما أشار إليه البكري في القرن الخامس الهجري (ت 487هـ)، عندما أورد كلمات كثيرة كلّها عربية تدل على أماكن³⁵ من ذلك:

أَحْجَاء: اسم موضع.

أَحْجَار: جمع حجر، موضع كثير الحجارة.

أَحْرَاضُ: ماء بالمدينة.

أَحْقَافُ: قيل جبل بالشام، أو قبر هود بحضرموت³⁶.

أَحْرَابُ: موضع ما بين مصر والمدينة.

أُحْرَاصُ: موضع بتهامة

كما أنّ البكري أشار في معجمه أيضا إلى صيغة (أَفْعِيلُ) التي جاءت على وزنها (أَرِيس) التي قال عنها: «بئر بالمدينة معروفة»³⁷. لنخلص إلى أنّ هذه الصيغ المذكورة أنفا كلها عربية أصيلة، وحتى صيغة (أَفْعُولُ) ذكر عثمان سعدي إلى أنّها لا تزال موجودة في اليمن إلى يومنا هذا، مما يزيد من صحّة التأكيد على عروبة الأمازيغية.

2/ التعايش اللساني بين العربية والأمازيغية في المستوى التأصيلي:

إنّه من خلال استطلاع اللغتين العربية والأمازيغية نجد بعض الكلمات التي تشترك في الأصول العربيّة فاستقينا بعضها من معجم الجذور العربية للباحث عثمان سعدي، وأخرى من المعجم العربي الأمازيغي لصاحبه محمد شفيق ندرجها في الجدول الآتي:

الجدول رقم 3: الألفاظ الأمازيغية ذات الأصول العربيّة

الكلمة الأمازيغية	الأصل العربي	الكلمة الأمازيغية	الأصل العربي
تَافِيَاوَت	مجمع الناس في حزن وهو المأتم قال عنها شفيق مشتقة من أتمم ³⁸ ، ونرى غير ذلك بل هي من الوفاة، وقد حدث قلب بين أصواتها	بَتَّكْ	قَطَعَ، بتك الشيء قطعه
بير	من المادة (بأر) بمعنى بئر ³⁹ .	أَفِغَرُ	ثعبان، الفاغر في العربية دويبة تعض
إِلِيّ	بمعنى ابنتي، عربية من الإلّ القرابة بالعامية ولية أنثى.	تَاجَرَّارْتْ	الجرّار، الحلقة التي تسحب أو تجر المواد أو الماء.
مانرَاكْ	ما نراك أين أنت؟	إِنُوغِب	جشع، النّغب الابتلاع
تَاوَسَا	الجلوة: هدية العريس للعروس يوم الزفاف. في العربية أسا: أعطى والهدية عطية.	جمعه	الجمعة: عربية
تاربيعت	جماعة صغيرة من الناس في	جوم	أسفل الشيء في العربية

العربية: الربع: جماعة الناس	المجم: مستقر الماء.		
غاشي	جمهور، عربية: الغاشية الزوار والأصدقاء ينتابونك ⁴⁰ .	إخطا	تجنب، تخطّاه
تُمهِبِلَتْ	من أصابه خلل في عقله، جن	أجهور	صوت الرجل الخشن جَهْورِيّ: في العربية الصوت العالِي.

ج- انسجام لغويّ أم انسجام اجتماعي؟

أثبتت الدّراسة من خلال الطروحات المقدّمة سابقا أنّ الانسجام اللّغوي بين العربية والأمازيغية يظهر بشكل قوي على مستوى بناء القواعد من جهة، وعلى مستوى أصول الكلمات من جهة ثانية، ونستثني في ذلك بعض الكلمات ذات الأصول الأجنبية مثل كلمة: (أكروجو) التي تعني الوجع في العنق فهي من الكلمة الفرنسية (gorge)، لأنّه بالعربية يسمع (الإجل) ولا علاقة بين الكلمتين وغيرها كثير، ونظّمها كلمات مستحدثة ظهرت بعد الاستعمار حيث يوجد الشبيه بها في اللهجة الجزائرية عموما مثل (كارطابل)، توافق الفرنسية (Cartable).

فماذا عن الانسجام الاجتماعي؟ الواقع المعيش يقول أنّ هذا الانسجام نادر جدا وسببه الرئيس انعدام التّواصل اللّغوي بين متكلمي العربية والأمازيغية، رغم أنّ البرلمان قد صادق سنة 1998م على قانون تعميم استعمال اللغة الأمازيغية، إلا أنّ الواقع لا يترجم هذه الحقيقة، وهذا ما جعل مسؤولا على اللغة العربية مثل محمد العربي ولد خليفة يؤكد أنّ المسألة اللغوية في الجزائر «تطرح من موقف سياسي وتوجه إيديولوجي ومن النادر أن تحظى بدراسات مسعفة للمعجمية والرصيد المتداول، ومسارد الكلمات وحقوقها الدلالية من الوجهة الاجتماعية، وتواترها الصّوتي فيها وأسباب استعمال مفردات دون أخرى حسب المناطق...»⁴¹، وقد أصاب الباحث فيما دعا إليه لأنّ الأمازيغية لا تحظى بدراسة معمّقة في الجزائر، وهذا الخلل سيؤدي لا محالة إلى وجود تنافر بين أبناء الوطن الواحد وهذا ما لا يجب أن يكون.

الزاوية الثانية من الإشكالية تكمن في أنّ الجزائري لم يهجر الأمازيغية فحسب -رغم ظهور ألفاظ أمازيغية في كل العاميات الجزائرية- بل هجر العربية اللغة الأم حيث أضحت عامية الجزائريين هجينا على شاكلة (créole) المتداولة في الجزر الأمريكية، حيث إننا نجد كل اللّافئات الدّعائية الموضوعية على المحلّات التجارية وغيرها مدوّنة بالفرنسية ك(Pizzeria)، (Bijouterie) هذه اللّغة الثالثة التي جاءت لتطمس التّوحد اللّغوي بالجزائر، وخلق توتر لسانيّ بين العربية والأمازيغية، وهذا رغم سياسة التعريب المطبّقة في هذا البلد والدّاعية إلى التّخلّص من الفرنسية في الإدارة والتعليم على وجه التّحديد.

خاتمة:

مما سبق ذكره، نستنتج أنّ واقع الحال يقول إنّ الفرد الجزائري فوق القانون دائما، فهو يتعايش مع هذه اللّغات (العربية والأمازيغية والفرنسية) في توظيفه لخطاباته اليومية، وهذا يدلّ على عدم وجود توازن نفسي فيما يتعلق بمسألة الهوية، لأنّ الارتباك في التعبير والجمع بين كل هذا الكم من اللّغات إنما يدلّ على حالة نفسية معينة، لأنّ همّ الفرد الجزائري الوحيد هو خلق لغة تواصلية للتفاهم، ولا يهمه أن يحافظ على العربية أو على الأمازيغية لأنّه ليس معنيا بهما، وهنا نتساءل من المعنيّ بهذه المسؤولية إذن؟ كما أنّ هذا الفرد الجزائري قد نجح بامتياز في توصيل بعض الكلمات من لغته الجديدة إلى خارج الوطن، كقوالب لغوية جديدة تعبّر عن جزائريته مثل: (كيف كيف) بمعنى (سيّان)، أو بزّاف (كثير)، أو مشوي (مشوي)، حيطيست... وغيرها التي دخلت القاموس الأكاديمي الفرنسي من خلال جاليتنا في فرنسا.

ومن العُقد اللّغوية التي تعرقل الانسجام اللّغوي داخل الجزائر، إحساس بعض الأمازيغيين بأنّ لغتهم أرقى وأجود وأكثر أصالة من العربية، وهذا يجعلهم يتكبرون ويترفعون بها في المجالس عندما يتحدثون بها فيما بينهم، مع إقصاء العربي من نظرهم الذي لن يفقه شيئا مما يقولون أليست هذه عقدة لغوية؟ كيف يتحقق الانسجام الاجتماعي بهذه السلوكيات غير الواعية؟

ومّا سبق ذكره توصّلنا إلى النتائج الآتية:

- ارتسمت معالم التّعايش اللّغوي بين اللّغتين العربية والأمازيغية عبر إثبات أنّ الأمازيغية كسائر اللّغات لغة اشتقاقية تقوم على نظام الأبنية مثلها مثل العربية.
- أثبتت الدّراسة أنّ المستوى الصّرفي شكّل بعدا من أبعاد التّبادل الثقافيّ « Transculturation » بين اللّغتين في التّأنيث والتّثنية والجمع على وجه الخصوص.
- رغم تحقّق الانسجام اللّسانيّ في المستوى الصّرفيّ والاشتقائيّ، غير أنّ الانسجام الاجتماعيّ الثقافيّ لا يزال في مرحلة الميلاد.

وختام هذه الدّراسة نلخصها في التّوصيات الآتية:

1. يجب فتح آفاق للدارسين كي يقدموا دراسات سوسيو لغوية تقف عند تحديد طبيعة اللّغة المتكلمة لدى الجزائريين.
2. تعميم تدريس الشّاوية والقبائلية والميزابية والطوارقية في كل ربوع الوطن فمن غير المعقول أن يتحاور جزائريان ولا يفهم أحدهما الآخر إلا بوجود وسيط هو الفرنسيّة، مع وجوب فتح مدارس خاصّة لهذا الشأن حتى تكون العملية اختيارية أكثر منها إجبارية.

3. الدّعوة إلى إنشاء مراكز بحوث لغوية، تناقش فيها المسائل اللّغوية بكلّ موضوعيّة، بعيدا عن العاطفة والسياسة والجهوية.

4. نعتقد أنّ الجزائريين بحاجة إلى (مصالحة لسانية) وهو المصطلح الذي قال به رئيس المجلس الأعلى للغة العربية محمد العربي ولد خليفة في إحدى حواراته مع جريدة الخبر، وإنّنا نتبنّى هذا الطّرح لأنّ العربيّة قادرة على تحقيق الانسجام الاجتماعي بين الجزائريين، كما أنّ الأمازيغية يمكنها أن تكون سندا لغويا قويا لإقصاء لغة المستعمر الفرنسي التي لا تزال تؤثر في ثقافتنا وهويّتنا، خصوصا وأنّ السلطة السياسيّة أسست مجموعة من العقد النفسيّة بحفاظها على الفرنسيّة في كتابة وثائقها الرّسميّة، وكذا حديث بعض المسؤولين في السّلمة بها، كما أنّ المختصّين في إصلاح المنظومة التربوية لا يفهمون بعضهم البعض، وهذا يؤثّر سلبا على التّنمية الاجتماعيّة والثّقافيّة للمجتمع الجزائريّ الموحد.

قائمة المصادر والمراجع:

1. أحمد بن سودة، الموسوعة العامّة لتاريخ المغرب والأندلس، دار الأمير للثقافة والعلوم، (بيروت: دار الأمير، 1995م).
2. أحمد بوساحة: أصول أقدم اللّغات في أسماء أماكن الجزائر، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع (الجزائر: دار هومة، 2007م).
3. أحمد درّاج، الاتجاهات المعاصرة في الدّراسات اللّسانية، مكتبة الآداب، (القاهرة: مكتبة الآداب 2009م) ط1.
4. أديب عبد الله النّوايسة، المعجم الشّامل للقبائل العربيّة والأمازيغية، دار كنوز المعرفة العلمية للنشر والتوزيع، (عمّان: دار كنوز المعرفة، 2007م)، ط1، ج1.
5. بشير كاشة الفرحي، السّياسة اللّغوية في الجزائر، دار الأفاق، (الجزائر العاصمة: دار الأفاق، 2004م).
6. البكري الأندلسي، أبو عبيد الله عبد الله بن عبد العزيز، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع تحقيق: جمال طلبة، دار الكتب العلميّة، (بيروت: دار الكتب العلميّة، 1998م)، ط1، ج1.
7. بوزيانى الدّراجي، القبائل الأمازيغية أدوارها مواطنها أعيانها، دار الكتاب العربي، (القبة-الجزائر: دار الكتاب العربي، 2007م).
8. حلي خليل، مقدمة لدراسة فقه اللّغة، دار المعرفة الجامعيّة، (الإسكندرية: دار المعرفة الجامعيّة 2003م).
9. رمضان عبد التّواب، فصول في فقه العربيّة، (القاهرة: مكتبة الخانجي، 1999م)، ط6.
10. عبد الحميد زوزو، الأوراس إبّان فترة الاستعمار الفرنسي (التطورات السياسيّة والاقتصاديّة والاجتماعيّة) 1837-1939، دار هومة، (الجزائر: دار هومة، 2009م)، ج1.

11. عثمان سعدي: عروبة الجزائر عبر التاريخ، الشركة الوطنية للنشر، (الجزائر: الشركة الوطنية للنشر 1982م).
12. عثمان سعدي: معجم الجذور العربية للكلمات الأمازيغية (البربرية)، منشورات مجمع اللغة العربية (طرابلس: مجمع اللغة العربية، 2007م)، ط1.
13. عثمان سعدي، الأمازيغ عرب عاربة وعروبة الشمال الإفريقي عبر التاريخ، (1996م).
14. عثمان سعدي، معجم الجذور العربية للكلمات الأمازيغية (البربرية)، مجمع اللغة العربية، (طرابلس-ليبيا: مجمع اللغة العربية، 2007م)، ط1.
15. محمد العربي ولد خليفة: المسألة الثقافية وقضايا اللسان والهوية، منشورات ثالة، (الأبيار-الجزائر: منشورات ثالة، 2007م).
16. محمد رشدي الجندي، تاريخ الشّعوب القديمة، دار الكتاب، (الدار البيضاء: دار الكتاب، 1963م) ط1.
17. محمّد شفيق: ثلاثة وثلاثون قرنا من تاريخ الأمازيغية، (الرباط: 1988م).
18. محمد شفيق، المعجم العربي الأمازيغي، أكاديمية المملكة المغربية، (الرباط: أكاديمية المملكة المغربية، 1990م)، ج1.
19. ميلود التوري، الأمازيغية والفينيقية وبينهما العبرية واليونانية، سلسلة تاريخ اللغات المغاربية، مطبعة الرباط نات، (الرباط: مطبعة الرباط نات، 2009م)، ط1.



الهوامش:

- 1- بوزياني الدّراجي، القبائل الأمازيغية أدوارها مواطنها أعيانها، دار الكتاب العربي، (القبة- الجزائر: دار الكتاب العربي، 2007م)، ص14.
- 2- بوزياني الدّراجي، المرجع نفسه، ص15.
- 3- ينظر: عثمان سعدي: عروبة الجزائر عبر التاريخ، الشركة الوطنية للنشر، (الجزائر: الشركة الوطنية للنشر، 1982م)، ص11-12.
- 4- بوزياني الدّراجي، المرجع السابق، ص31.
- 5- بوزياني الدّراجي، المرجع السابق، ص15.
- 6- ينظر: عثمان سعدي، الأمازيغ عرب عاربة وعروبة الشمال الإفريقي عبر التاريخ، (1996م)، ص73.
- 7- أديب عبد الله النّوايسة، المعجم الشّامل للقبائل العربية والأمازيغية، دار كنوز المعرفة العلمية للنشر والتوزيع، (عمّان: دار كنوز المعرفة، 2007م)، ط1، ج1، ص102-103.
- 8- أديب عبد الله النّوايسة، المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

- 9- ينظر: محمد رشدي الجندي، تاريخ الشّعوب القديمة، دار الكتاب، (الدار البيضاء: دار الكتاب، 1963م)، ط1، ص17.
- 10- ينظر: ميلود التوري، الأمازيغية والفينيقية وبيهما العبرية واليونانية، سلسلة تاريخ اللغات المغاربية، مطبعة الرباط نات، (الرباط: مطبعة الرباط نات، 2009م)، ط1، ص53.
- 11- محمّد شفيق: ثلاثة وثلاثون قرنا من تاريخ الأمازيغية، (الرباط: 1988م)، ص62.
- 12- بشير كاشة الفرجي، السياسة اللّغوية في الجزائر، دار الآفاق، (الجزائر العاصمة: دار الآفاق، 2004م)، ص25.
- 13- ابن حزم الأندلسي: الإحكام في أصول الأحكام، ج1، ص30.
- 14- ينظر: أبو حيان: البحر المحيط، ج4، ص162.
- 15- ينظر: حلمي خليل، مقدمة لدراسة فقه اللّغة، دار المعرفة الجامعية، (الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، 2003م)، ص116.
- 16- أحمد درّاج، الاتجاهات المعاصرة في الدّراسات اللّسانية، مكتبة الآداب، (القاهرة: مكتبة الآداب، 2009م)، ط1، ص51.
- 17- ينظر: حلمي خليل، المرجع السابق، ص124.
- قسّم ماكس مولر اللغات الإنسانية إلى ثلاثة أقسام أو أسر: الأسرة الهندو أوروبية، الأسرة السامية الحامية، والأسرة الطورانية.
- 18- رمضان عبد التواب، فصول في فقه العربية، (القاهرة: مكتبة الخانجي، 1999م)، ط6، ص38.
- 19- ينظر: دائرة المعارف الفرنسية، المجلد الثالث، ص172. نقلا عن عثمان سعدي: عروبة الجزائر عبر التاريخ، ص13.
- 20- وليم لانغر، موسوعة العالم، ج1، ص45، نقلا عن عثمان سعدي: المرجع السابق، ص40.
- 21- ينظر: أحمد بن سودة، الموسوعة العامّة لتاريخ المغرب والأندلس، دار الأمير للثقافة والعلوم، (بيروت: دار الأمير، 1995م)، ص95.
- 22- أحمد بن سودة: المرجع السابق، ص128.
- 23- ينظر: عثمان سعدي، الأمازيغ (البربر) عرب عاربة، ص12.
- 24- عثمان سعدي، المرجع نفسه، ص22.
- 25- عثمان سعدي: معجم الجذور العربية للكلمات الأمازيغية (البربرية)، منشورات مجمع اللغة العربية، (طرابلس: مجمع اللغة العربية، 2007م)، ط1، ص71.
- 26- عثمان سعدي، المرجع نفسه، ص82.
- 27- عثمان سعدي، معجم الجذور العربية للكلمات الأمازيغية (البربرية)، مجمع اللغة العربية، (طرابلس- ليبيا: مجمع اللغة العربية، 2007م)، ط1، ص10.
- 28- محمد شفيق، المعجم العربي الأمازيغي، أكاديمية المملكة المغربية، (الرباط: أكاديمية المملكة المغربية، 1990م)، ج1، ص33.
- 29- عثمان سعدي، معجم الجذور العربية للكلمات الأمازيغية، ص10.
- 30- عثمان سعدي، معجم الجذور العربية للكلمات الأمازيغية، المرجع نفسه، ص11.
- 31- عثمان سعدي، المرجع السابق، ص11.
- 32- محمد شفيق، المرجع السابق، ص52.
- 33- عبد الحميد زوزو، الأوراس إبّان فترة الاستعمار الفرنسي (التطورات السياسية والاقتصادية والاجتماعية)، 1837-1939، دار هومة، (الجزائر: دار هومة، 2009م)، ج1، ص16.

- 34- ينظر: أحمد بوساحة: أصول أقدم اللغات في أسماء أماكن الجزائر، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، (الجزائر: دار هومة، 2007م)، ص13.
- (*) توجد كلمة أخرى في الأمازيغية تدلّ على الأحمر وهي "أزقّاغ" كما أنّ العرب تفضل الخيل التي يكون لونها بين السّمرة والاحمرار، وتطلق عليها تسمية "الكُمَيْت".
- 35- البكري الأندلسي، أبو عبيد الله عبد الله بن عبد العزيز، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، تحقيق: جمال طلبة، دار الكتب العلمية، (بيروت: دار الكتب العلمية، 1998م)، ط1، ج1، ص108.
- 36- البكري، المصدر نفسه، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع ج1، ص110-111.
- 37- البكري الأندلسي، أبو عبيد الله عبد الله بن عبد العزيز، المصدر نفسه، ج1، ص134.
- 38- محمد شفيق، المعجم العربي الأمازيغي، المرجع السابق، ص136.
- 39- عثمان سعدي، معجم الجذور العربية، ص32.
- 40- عثمان سعدي، المرجع السابق، ص65.
- 41- محمد العربي ولد خليفة: المسألة الثقافية وقضايا اللسان والهوية، منشورات ثالة، (الأبيار-الجزائر: منشورات ثالة، 2007م)، ص167.

التعدد اللغوي والتنوع الثقافي في الجزائر بين اللغات الرسمية واللهجات المحلية
الممارسات اللغوية لمنطقة بوسمغون أنموجا

Multilingualism and cultural diversity in Algeria

between official languages and local dialects

Language practices of Boussemghoun region as a model

د. محمد لعمرى *

تاريخ القبول: 2021.07.02

تاريخ الاستلام: 2021.04.13

ملخص: يهدف هذا المقال إلى تسليط الضوء على واقع التعدد اللغوي في الجزائر للغات الرسمية واللهجات العامية في ظل التنوع الثقافي الذي يزخر به الوطن، ودراسة الآثار المترتبة عن ذلك والجهود المبذولة في التخطيط الناجع لمعالجة الظاهرة، وكيفية ضبطها وجعلها عامل إثراء وتكامل، والبحث في منافع الثنائية اللغوية وتأثيراتها من خلال رصد بعض الممارسات اللغوية لسكان منطقة بوسمغون بولاية البيض كأنموذج لدراسة التنوعات اللغوية واللهجية والثقافية الموجودة وعلاقتها بالتنقلات السكانية من المناطق المجاورة ومظاهر تعايش اللغة العربية الفصحى والمازيغية بكيفية تكاملية مع اللهجات المحلية. يوصلنا البحث إلى نتائج منها أن لهجة سكان بوسمغون تحمل في طياتها خليطا من التعبيرات والتراكيب العربية والمازيغية (الشلحية) والعامية والفرنسية.

كلمات مفتاحية: التعدد اللغوي؛ التنوع الثقافي؛ اللغة الرسمية؛ اللهجة.

Abstract : This article aims to highlight the reality of multilingualism in Algeria, official languages, and colloquial dialects in light of the country's cultural diversity, as well as to investigate the implications and the efforts of effective linguistic planning to address the phenomenon. The study also dealt with how to adjust the phenomenon and make it an enrichment and integration factor by monitoring some language practices of Boussemghoun region citizens in the province of Bayadh as a model for studying linguistic, dialectic, and cultural diversities in linguistic practices and their relationship to population movements. This study reached several conclusions, most notably the coexistence of Modern Standard Arabic and Tamazight in a way that is integrated with local dialects in Algeria in general and the Boussemghoun region in particular. It also concluded that language practices of the People of Boussemghoun tolerated a combination of Arabic, Shilha, colloquial and French compositions in their linguistic performance.

Keywords: Multilingualism, cultural diversity, Official language, Dialect, Boussemghoun.

٭ - مركز البحث العلمي والتقني لتطوير اللغة العربية وحدة ورقلة، الجزائر.

البريد الإلكتروني: mohammed.lamri@gmail.com (المؤلف المرسل)

مقدمة: اللغة حجر الزاوية لأي نمو ثقافي في كل المجالات وعلى جميع الأصعدة، فبقدر ثراء اللغة يمكن الحكم على درجة تحضر المجتمع، فاللغة وعاء الفكر وأداة العلم في متباين صوره، ووسيلة لبناء شخصية الفرد وانصهاره في الجماعة بغية تحقيق الوحدة الوطنية، واللغة تعبر عن التغيرات النفسية والحضارية والثقافية في حياة الشعوب، فتعكس لا محالة ثقافتها وفكرها وانتماءها، فتكون بمثابة صندوق تخزين لموروثاتها وقيمها الاجتماعية والثقافية والوطنية.

تتأثر اللغة أيما تأثر بثقافات الأمم، ونظمها، وتقاليدها، وعقائدها، واتجاهاتها العقلية، ونظرتها إلى الحياة وشؤونها الاجتماعية العامة وما إلى ذلك فكل تطور يحدث في ناحية من هذه النواحي يتردد صدها في أداة التعبير، ولذلك تعد اللغات أصدق سجل لتاريخ الشعوب بالوقوف على المراحل التي اجتازتها اللغة، وفي ضوء خصائص كل مرحلة يمكن استخلاص الأدوار التي مر بها أهلها في مختلف مظاهر حياتهم.¹ وبقدر ما تتنوع وتتعايش الثقافات تتنوع وتتعايش اللغات، وهنا تطرح إشكالية التعدد اللغوي، فما هو التعدد اللغوي؟ وما هي أسبابه؟ وما هي نتائجه؟ وكيف يتأثر بالتنوع الثقافي؟ وما هي الآثار المترتبة عنه على الصعيد الاجتماعي؟ وكيف تكون الجهود المبذولة في التخطيط لضبطه وجعله عامل إثراء وتكامل؟

تنوع الممارسات اللغوية في الجزائر بالتنوع الثقافي الذي يميز المجتمع، فتتعدد اللهجات في اللغتين الرسميتين فتأتي الدراسات اللغوية لتوضح معالم هذا التعدد وفق منهج وصفي تاريخي يصف الأداءات اللغوية وتاريخها.

2. التعدد اللساني والتنوع الثقافي: إنَّ للتعدد اللغوي والتنوع الثقافي بيئة خاصة تحتفي بالتنوع تجعلهما من أسس العيش المشترك، دون أن ينفي ذلك إجرائية وأهمية التدبير اللغوي في إحداث التنظيم الإيجابي والفعال للواقع اللغوي داخل مجتمع معين بغرض إيجاد وسائل للتواصل والتعايش بين اللغات واللهجات، وكذلك بهدف التصريف الإيجابي لصراع القيم والمرجعيات بوصفه حالة طبيعية يفرضها منطق العلاقات بين الأفراد والمجتمعات، ليتم تحويلها إلى حالات إغناء وإثراء للمنظومات القيمية والمرجعيات على مختلف تمظهراتها وتجلياتها عوض جعلها سببا للإقصاء والعنف وكذا توتر العلاقات بين الأفراد والمجتمعات.² كما تسهم ثقافة كل جماعة بشرية بشكل فعال في تشكيل أنظمة اللغة والدين والفن والمأكّل والملبس والمسكن وغيرها في الحفاظ على علاقة اللغة الوطنية باللغات الأجنبية واللهجات المحلية داخل المجتمع الواحد، وهنا يبرز دور اللغة في حماية الموروث الثقافي المتعدد للوطن الواحد.

يرى فرجسون (Fergusson) أنَّ التعدد اللغوي تعايش تنوعين لغويين في صلب الجماعة الواحدة، وقد أطلق على أحدهما صفة: التنوع الرفيع (variété haute) أو (high variety)، أما الثاني فيسمّيه: بالتنوع الوضعي (low variety) أو (basse variété)، فقد بنى تصوره هذا بعد إعمال النظر في بعض

الأوضاع اللغوية التي تسم بعض البلدان كالبلدان العربية حيث تتعايش العربية الدارجة مع الفصحى، واليونان حيث تتعايش اللغة الإغريقية العامية (dematiki) والإغريقية الصّافية.³

التعدد اللّساني (Le multilinguistique) هو ظاهرة لسانية شبه عامة تظهر في المجتمعات أثناء الأداء الكلامي عند استعمال مجموعة الألسن المتباينة أو المتقاربة في مجتمع واحد، كأن " يستعمل المجتمع لغتين في وقت واحد بحكم الاستعمار أو الممارسة العفوية للغة من اللغات الى جانب اللغة الوطنية"،⁴ ومنه فإنّ التعدد اللّغوي هو التّعرف على أنظمة لغوية متعددة قد لا تكون بالمستوى نفسه، ولا القيمة نفسها، ولا درجة الإتقان نفسها... ولكنّها القدرة على التّواصل، والتّحاور، والفهم، والقراءة، والكتابة... ويعرف التعدد اللّغوي على أنّه استعمال أكثر من لغة واحدة، أو القدرة على التّواصل بأكثر من لغة سواء كانت تتعلق بالفرد أم المجتمع الذي يتكلم أكثر من لغتين.

يعرّف الباحث المغربي محمد الأوراعي التعدد اللّغوي فيقول: «التعدد اللّغوي مقابله (Multilinguisme) وهو تصدق على الوضعية اللّسانية المتميزة بتعايش لغات وطنية متباينة في بلد واحد، إمّا على سبيل التساوي إذا كانت جميعها لغات عالمة كالألمانية والفرنسية والإيطالية في الجمهورية الفدرالية السويسرية، وإما على سبيل التفاضل إذا تواجدت لغات عالمة كالعربية بجانب لغات عامية...»⁵

تمتاز الثقافات بالتنوع والاختلاف بين المجتمعات وحتى داخل المجتمع الواحد، سواء كان ذلك من ناحية الأفكار والمعتقدات ووسائل المعيشة والنّظم السّياسية والاقتصادية وغيرها وهذا إنما يدل على اختلاف عناصر الثقافة وتغيّر معالمها، وقابليتها للانتقال بين الأفراد والشّعوب، وهذا ما يجعلها قابلة للتغيير والتنوّع. وعليه فالحكمة من التنوّع في الثقافات بين الشّعوب هي تبادل هذه الثقافات، فالتنوّع الثقافي كمفهوم يشير إلى اتسام الثقافة البشرية بسمّة التنوّع والاختلاف لذلك يسعى كل مجتمع للحفاظ على هويته وما يميزه ويعبر عن خصوصيته واستقلاله عن باقي الثقافات الأخرى ويتواصل ثقافيا مع المجتمعات الأخرى.

يشير مفهوم التنوّع الثقافي إلى اتسام الثقافة البشرية بسمّة التنوّع و الاختلاف الذي يتمثّل في المعتقدات وقواعد السلوك و اللغة و الدّين و القانون و الفنون و التّقنية و العادات و التّقاليد و الأعراف و النّظم السّياسية والاقتصادية، وقد حظي هذا المفهوم بتعاريف كثيرة من قبل عدة فلاسفة،⁶ فقد عرفه روزينير ليدن (Rosener Liden): بأنّه ما يميز مجموعة أفراد عن غيرها اعتبارا لجملة من الأبعاد الأولية و الثّانوية و التي لها تأثير مباشر على هويته مثل: النّوع الاجتماعي، العرق، القدرات العقلية و الجسدية، التوجّه الجنسي، أما الأبعاد الثّانوية فتشمل الخلفية التّعليمية، الموقع الجغرافي، الدّين، اللغة و الخبرات العملية و التنظيمية.⁷

3. التعدد اللساني والتنوع الثقافي في ضوء اللغة الرسمية واللهجة المحلية: تكتسي اللغة طابعا مميزا في نظر المجتمع فهي وسيلة للحفاظ على الهوية وضمان لتربطها وتماسكها فهي أساس كل نهضة وتطور مستقبلي، واللغة الرسمية للدولة هي اللغة التي خط بها دستور تلك الدولة وبذلك تعد لغة الإدارة و التشاور في دولة ما، كما أنها اللغة التي ينطق ويتم التعامل بها في جميع مؤسسات الدولة وخاصة المؤسسات الحكومية منها، وهي لغة الخطابات الوطنية و الرئاسية، والبرلمانية ولغة الموثائق الدولية وهي اللغة التي يتم استخدامها لإصدار المعاملات المختلفة عن مؤسسات الدولة الحكومية و الخاصة. أما اللهجة فيرى الدكتور إبراهيم أنيس أنها: «مجموعة من الصفات اللغوية التي تنتمي إلى بيئة خاصة ويشترك في هذه الصفات جميع أفراد هذه البيئة، وبيئة اللهجة هي جزء من بيئة أوسع وأشمل، تضم عدة لهجات، لكل منها خصائصها، ولكنها تشترك جميعا في مجموعة من الظواهر اللغوية، التي تيسر الاتصال بين أفراد هذه البيئات بعضهم ببعض، ولهم ما قد يدور بينهم من حديث فهما يتوقف على قدر الرابطة التي تربط بين هذه اللهجات»⁸

إن اللهجة التي يتاح لها التغلب في أمة ما على بقية أخواتها أو على معظمها تصبح عاجلا أو آجلا لغة الدولة، أو ما يطلق عليه اسم اللغة القومية أو الرسمية أو اللغة الفصحى أو لغة الكتابة، فتعلم وحدها في مدارس الدولة، ويجري بها تدريس المواد المختلفة في معاهدها وتؤلف بها الكتب والصحف والمجلات، وتصدر بها المكاتبات الرسمية وغيرها، وتستخدم في مختلف نواحي الخطابة، وتلقى بها الأوامر ويجري بها التخاطب في الجيش، فقد ترتب على تغلب لهجة باريس على معظم أخواتها أن أصبحت لغة الدولة بفرنسا؛ وعليها وحدها يطلق الآن اسم اللغة الفرنسية، وهذا ما حدث عقب تغلب لهجة لندن بإنكلترا ومدريد بإسبانيا واللهجة السكسونية بألمانيا والتوسكانية بإيطاليا فقد أصبحت هذه اللهجات لغات رسمية، وعليها وحدها يطلق الآن اسم اللغات الانكليزية و الإسبانية و الألمانية و الإيطالية، وتسلك لغات الكتابة في تطورها طريقا خاصا تختلف عن الطريق التي تسلكها لغات المحادثة، وقد لا يكون للأمة أية لغة قومية مستقلة، كما هو الشأن في النمسا فإن لغتها هي الألمانية، وقد يكون للدولة أكثر من لغة رسمية واحدة، كما هو شأن سويسرا، فإن بها ثلاث لغات رسمية هي الألمانية و الفرنسية و الإيطالية، وقد تكون اللغات الرسمية ولغة الكتابة في الأمة هي اللغة القديمة التي تشعبت منها لهجتها، كما كان شأن اللاتينية بفرنسا وإيطاليا وإسبانيا والبرتغال ورومانيا، وكما هو شأن اللغة العربية الآن بمصر وبلاد العرب وشمال إفريقيا، وقد تكون اللغة القومية لغة ميتة أحيائها المجتمع في صورة ما وجعلها لغة تخاطب وكتابة.⁹

4. الممارسات اللغوية بين التعدد اللساني والتنوع الثقافي: يرى الدكتور صالح بلعيد أن الممارسة اللغوية هي صيغ و إبداعات ثقافية ومادية تمارس على مستوى الأفراد والمجتمعات ضمن قانون لغوي وعرف متوارث تنطوي على مفهوم المداومة وكثرة الانشغال بالشيء ويقابله في المازيغية "تلال" "تليل"، "مارس"، "تليلث" جمع تيلال (الممارسة)... امترس الشعراء أو الخطباء في الخصومة "مكفان" "مشفان"،

المدلول الأول لهذا الفعل هو "تعاطوا" وفي القبائلية بمعنى استخدم وفي الفرنسية "pratique" " وفي الإنجليزية "pratical" ولقد استخدمت الكلمة للدلالة على النشاط المستمر الذي توضع من خلاله مبادئ العلوم موضع التطبيق.¹⁰ فالممارسة اللغوية تشير إلى مفاهيم الإنتاج اللفظي من النطق "Enonciation" إلى الكلام "parole" أو الأداء "performance" لكنه يختلف من الوجهة النظرية إلى التركيز على مفهوم الممارسة، وما اللغة سوى جزء من مجموعة من الممارسات الاجتماعية سواء كانت ممارسة إنتاج أم تحويل أم إعادة إنتاج، إذ إن ربط الممارسة باللغة فيه تركيز على البعد الفعلي "praxéologique" من هذا النشاط البشري.¹¹

تظل لغة الانسان في تنام وتطور مستمرين ما دام اتصاله بأفراد مجتمعه مستمرا متطورا نشطا مرنا فكلما زادت وتوثقت وتنوعت وتعددت علاقاته الاجتماعية كانت مساحة اللغة التي يكتسبها أوسع وأكبر، بينما تضيق هذه المساحة كلما مال إلى العزلة أو قل نشاطه الاجتماعي حيث تصبح العناصر اللغوية التي يكتسبها أقل عددا، كما تصبح خلال مراحل نموه أقل تداولا واستعمالا مما يجعلها أو يجعل طائفة منها تترسب في قاع الذاكرة وتراجع تدريجيا حتى تضر وتندسى أو تكون فاعليتها ضئيلة أو قاصرة أو متعثرة. ولذلك فإن عملية الانفتاح على المجتمع وإنشاء وتوثيق العلاقات مع أفرادهم بمختلف طبقاتهم وفئاتهم ومستوياتهم وأعمارهم وأجناسهم تصبح ذات أثر كبير في تنمية المهارات اللغوية وإغناء حصيلة الفرد من مفردات اللغة وصيغها وتراكيبها وأساليبها المتنوعة.¹²

تعد الاختلافات اللهجية شيئا طبيعيا بالنسبة لكل الجماعات اللغوية، ربما فيما عدا الجماعات المتناهية في الصغر، وحتى في هذه الحالة من الممكن التعرف على بعض الخلافات الأسلوبية "idiolectic" بين المتكلمين وهذا راجع إلى الميل الطبيعي للغة نحو البعد عن المركز، إلا إذا اتخذت خطوات إيجابية مضادة، واللغة لو تركت وشأنها سوف تنقسم سواء عبر الزمان أم المكان، والتغير الذي يحدث عبر الزمان يرتبط أساسا بمباحث علم اللغة التاريخي أما ذلك الذي يحدث عبر المكان فيهتم به علماء اللغة بأنواعهم الثلاثة، وإن عالم اللغة الوصفي يجب أن يخضع لتحليله الخلافات اللهجية، لتكون صورته التي يعقدها عن اللغة صورة كاملة، أما عالم اللغة التاريخي فيجب أن يأخذ في اعتباره الخلافات اللهجية كما تتضح في الماضي، وكما تؤثر في تطور اللغة موضوع دراسته، أما عالم اللغة الجغرافي فيجب أن ينظر إلى هذه الخلافات في ضوء لغة اليوم، ومدى تأثيرها على صورة الكرة الأرضية.¹³

5. التعدد اللساني والتنوع الثقافي في الجزائر: إن الشعور بالانتماء إلى هوية ثقافية معينة هو بمنزلة الحاجة النفسية والاجتماعية الضرورية التي لا غنى عنها لأي إنسان، فهذا الانتماء هو المجال العاطفي والرمزي لنمو الذات وإثباتها وتفتحها، فالكائن البشري يمكن تشبيهه بشجرة ليس بمقدوره أن ينمو ويعيش حياة عادية إذا لم تكن له جذور ثقافية عميقة يتغذى منها روحيا ومعنويا، ويستمد منها معاني حاضره ومستقبله، والإحساس بالهوية الثقافية والوعي بها لا يصطنع أو يصنع صنعا بل يوجد دائما

كالمكبوت في حالة الكمون يستيقظ ويشتد في ظروف التحوّلات والانتقالات الكبرى التي تجتازها الشعوب وتتخللها الأزمات والتصدعات الاجتماعية، والنكسات ذلك لأن التّشبث بالهوية الثقافية في هذه الحالة يكون بمنزلة الملجأ والملاذ الآمن.¹⁴

إنّ التّنوع الجغرافي الذي تزخر به الجزائر أكسبها خصوصية وثراء، ودفع بأبنائها إلى البحث في أصولهم العرقية والثقافية، رغبة منهم في إثبات الذات وتأكيد الانتماء إليه، واعتزازا بمقوماتها التي على رأسها اللغة المشتركة بين أبناء الوطن الواحد، بيد أنّنا نلمس تنوعا لهجيا منقطع النظير، لا يفقه تفاصيله ولا يسبر أغواره إلا من عاش في ربوعها، أو كانت له صلة وثيقة بأبنائها ومن ثمة إمكانية تمييز لهجة عن أخرى وجهة نظيرتها ومن هنا تتجلى أهميّة اللّسان في اكتساب الفرد هويته وانتمائه.

يشير التعدد اللّساني في الجزائر، أو ما يصطلح عليه (plurilinguisme) إلى الهوية والانتماء الحضاري والثقافي للمجتمع الجزائري ولابد أثناء دراسته للعودة للخلفية التاريخية والجغرافية، فأمام مُعطى التاريخ، نجد أن المسألة محكومة بالتراكُمات والتّعاقبات اللّغوية، بدءا بـمازيغية الأصل، مروراً بعربية الفتوحات، وصولاً للفرنسية كغنيمة حرب وفي هذا الشأن يقول حسين بن زروق: "تعاقبت على الجزائر ثمانية أجناس ودول وحضارات منذ فجر التّاريخ إلى الاستقلال حاملة معها عاداتها وتقاليدها، وخاصة لغاتها".¹⁵ فالعلاقة بين التعدد اللّغوي واللّسانيات الاجتماعية موصول تاريخيا وواقعيا في البحوث العالمية؛ ومنه فكل تعدد كالتّعدد اللّغوي في الجزائر أو الدّول العربية مشروط بحته ونقده في ضوء اللّسانيات الاجتماعية، ذلك لأن آفاق الاستعمال المتعدد نابعة من طبيعة المجتمع المعني الذي تصدر عنه المواد اللّغوية المتعددة، فتكون مواد التّلقي اللّغوي المتعدد مشبعة بثقافة المصادر اللّغوية المتعددة، كخلط ما بين الجذور الفكرية للهوية العربية في اللّسان العربي و الجذور الأخرى القابعة خلف المصادر اللّغوية في اللّسان العامي واللّهجي والأجنبي مثل ما هو الحال في الجزائر اليوم.¹⁶

إنّ اللّغتين العربية والمأزيغية كلغتين رسميتين كانتا اللّغتين الرّائدتين قبل الاستعمار بغض النّظر عن اختلاف الأداءات اللّسانية الكثيرة التي يختص بها سكان بعض المناطق دون غيرها، فللمأزيغية لهجات وعاميات متنوعة كالشّلمحية والمأزيغية المتوسطة والرّيفية، والشّاوية، والمزابية... وللعربية كذلك عاميات ولهجات حيث نجد العربية الفصحى والوسيلة والدّارجة العامية ولعل توزعها لم يكن مفروضا وفق سياسة لغوية مدروسة أو مفروضة بقدر ما كان توزعها تلقائيا، وكان التّفاعل بينها كبيرا فلم يكن هناك صراع بينها، إلى أن شهد الواقع اللّغوي في الجزائر تغييرا طارئا أحدث الفرق بفرض الاستعمار لغته التي هيمنت على المشهد اللّغوي على حساب العربية في تلك الفترة ولا زالت مؤثرة في اللّسان الجزائري حتى الآن، فكثيرا ما نصادف في حديث أحد السّكان المحليين شيئا من هذا التعدد والتنوع اللّساني واللّهجي، فنجد أحيانا سياقات دارجة ومفرنسة وأمازيغية وفصحى، تفرضها طبيعة الشّخص المتكلم. لذا يعد السّعي إلى تدبير وتوجيه التعدد اللّغوي وفق سياسة لغوية محددة الأهداف أمرا ضروريا ليكون هذا

التعدد عامل ثراء وعنصرا مسهما في دفع عجلة التنمية وتحقيق الوحدة الوطنية ومصدرا للتقدم والغنى المجتمعي في ظل التنوع الثقافي الذي تمتاز به الجزائر بسبب تعاقب الحضارات عليها، في مختلف الحقب الزمنية كالحضارة الفينيقية، والرومانية، والوندالية، والعثمانية...

إن شساعة القطر الجزائري مكنته من خلق فسيفساء متنوعة من الأنماط الثقافية انطلاقا من التنوع في العادات والتقاليد والمذاهب الدينية، والألبسة التقليدية، والطابع الموسيقي، والصناعات التقليدية وصولا إلى التعدد اللغوي واللهجي. إذ ساهم هذا الثراء والتنوع الثقافي في الاطلاع على ثقافات المجتمعات الأخرى والانفتاح الثقافي معها، والتعايش معها سلميا كما أسهم أيضا في تشكّل معالم لهجات عديدة، من اليسير ملاحظة الفوارق بينها كلّهجة سكان العاصمة وقسنطينة، وتلمسان، ووهران وبشار والنعام وغيرها.

إنّ الواقع اللغوي الجزائري المتراوح بين فصحي وعامية وحتى إن صح هذا التوصيف للحالة اللسانية الجزائرية فيما يلاحظ من خلال الإنتاج الكلامي والتداول الفعلي هو تجاوز المتكلم لهذه الازدواجية اللغوية، أي ليس هناك استعمال لهجي صرف ونظير له فصيح خالص، إذ يكشف التداول والتواصل الحقيقي سطحية النظرة التقسيمية (عامي- فصيح)، وعموميتها؛ ذلك أن هناك تداخلات في استعمال المستويين اللغويين شفاها، بل وحتى من الناحية التحريرية، وغني عن البيان التذكير في سياق الحديث عن تعالق المستويين الفصيح والعامي أنه كثيرا ما حفلت الآداب الشعبية، والمقامات، والموشحات بمواد لسانية مستمدة من التعابير المحكية.

إن الممارسة اللغوية للجزائريين، مثقفين وغير مثقفين تعكس بصدق التداخلات المعقدة في الإنتاج الكلامي وفي لغة التواصل اليومي، ولقد حللت خولة الإبراهيمي طائفة من التفاعلات، الناجمة عن تداخل توظيف مستويات اللغة لدى الجزائريين، مبينة مما يؤول إليه هذا التوظيف، فيما يشبه نوعا من الاسترسال (Continuum) الذي ينشأ من باب التنقل من مستوى لغوي لمستوى آخر.¹⁷ ولا ترى حرجا في وصف الوضع اللغوي في الجزائر بالتعدد بل ترى أنه علينا أن نعرف كيف نتعامل مع هذا الواقع المتعدد والاعتراف به، وتذهب إلى أن إشكالية اللغة إشكالية ثقافية وليست مشكلة عرق أو جنس وفي حديثها عن مسببات هذه المسألة ترى أن المشهد اللغوي في الجزائر نتاج حراك تاريخي شهدته منطقة المغرب العربي عموما، فلقد توافدت شعوب وأقوام وأعراق على المنطقة تركت كلها بصماتها في الثقافة بما فيها اللغة. وبعد أن عادت بالمسألة إلى جذورها وأسبابها لمحت إلى تدخل المتكلمين في إحداث المشاكل المتصلة بهذه المسألة عندما قالت: "العربية والمزيجية عرفتا بتعايشهما لأكثر من عشرة قرون أما المسألة اللغوية بالمفهوم الحديث فلم تظهر إلاّ مع الجزائر المعاصرة وظهر معها التشنج" و في جواب على سؤال طرّح عليها في أحد الحوارات دعت إلى الاعتراف بظاهرة التعدد اللغوي واستثمارها علميا وصرحت أن التعددية لا تلغي الوطنية، وأنها تعاملت علميا مع واقع لغوي في الجزائر موجود ولا يمكن

تجاهله، وحقيقة لا بد من الاعتراف بها هي أنّ المجتمع الجزائري متعدد لغويا نتاج ظروف تاريخية موضوعية¹⁸. إذ ترى أن اللغة نشاطٌ مؤسس اجتماعيا وهو بهذا الاعتبار ليس كيانا موحدا بل التنوع من طبيعته وجزء من كيانه، وينظم هذا التنوع في المجتمع على محورين: الأول أفقي محور الزمان والمكان حيث أن مختلف لغات العالم تعرف التنوع اللّهي الذي تتداخل فيه العوامل الاجتماعية بالتاريخية والجغرافية، ولا ينحصر هذا الجانب في الجانب الصّوتي فقط بل يشمل مستويات اللغة الأخرى، أمّا المحور الثاني عمودي محور التنوع الاجتماعي يساير انتظام المجتمعات في مستويات وطبقات اجتماعية¹⁹. إنّ دراسة اللّهجات ممكن أن تتوقف عند منطقة معينة بغية رصد بعض الظواهر الصّوتية أو الصّرفية أو التركيبية أو دلالة المفردات المختلفة والصّيغ المختلفة، وليس بالضرورة أن يكون الاختلاف كبيرا بينها بل يكفي أن يكون في النطق كمد الحركات في كلمة معينة أو التّريق أو التّفخيم أو اختلاف في الدّلالة، لذا من الضّروري أن يكون الباحث على دراية تامّة بكل خصائص لغة الميدان، وتحديد المصطلحات والمفاهيم الخاصّة بالبحث لذا كان من الضّروري التّعرف على منطقة بوسمغون تاريخيا، واجتماعيا، ثقافيا في بحثنا هذا قبل دراسة الوضع اللّساني بها إضافة إلى الإلمام بأدوات البحث اللازمة، والمنهج المناسب، ومجتمع الدّراسة المتنوع المتمثل في العينة...

6. الممارسات اللّغوية في ظل التنوع الثقافي في منطقة بوسمغون: تقع بلدية بوسمغون في الجنوب الغربي للجزائر وبالضّبط في ولاية البيض، حيث تبعد عن مقر الولاية بـ 160 كلم، يحدها من الشمال بلدية الشّلالة، ومن الجنوب بلدية البنود، ومن الشرق الأبيض سيد الشّيوخ ومن الغرب بلدية عسلة، تقع بوسمغون بين خطي عرض 32° و 33° درجة قريب من خط غرينتش، وترتفع على مستوى سطح البحر بـ 1149م، وتقع بالتّحديد بين سلسلتين جبليتين هما "تمدة" شرقا ويبلغ علوها 1989م و"تانوت" (ومعناها في المازيغية البئر الصغيرة) غربا ويبلغ علوها 1932م، وتبلغ مساحة بوسمغون 586.1 كم² و يبلغ عدد سكانها حوالي 4500 نسمة.²⁰ يتكون المجتمع السّمغوني من عنصرين عرقيين، الأول أمازيغي وهو الغالب، والثاني عربي ينتمي إلى القبائل العربية التي كانت سابقًا ترحل في البوادي، وفي السّنوات الأخيرة انتقلت للاستقرار في بوسمغون والبلديات المجاورة لها. وتؤكد الروايات الشّفوية المتداولة عند السّكان أنّ المنطقة كانت تدعى "بوادي الأصنام" ثم "وادي الصّفاح" نسبة إلى الأحجار المصفحة الموجودة بالوادي. وكانت بالمنطقة صراعات قائمة بين أهل تلك المنطقة بسبب الحدود الأرضية و مياه السّقي، وعندما حل الولي الصّالح "سيدي بوسمغون" بالمنطقة أقام فيها وأخذ في حل تلك النّزاعات، وتؤكد الروايات الشّفوية أنّه من أصل مغربي وبالضّبط من "السّاقية الحمراء"، حيث كان متجها لأداء فريضة الحج ففضل البقاء، ونال شهرة بين السّكان بما امتاز به من خصال وفضائل، فنزل عند قبيلة "آت نقيت"، وهكذا لم يتم طريقه إلى الحجاز، ومكث لحل وفك النّزاعات وبفضل حنكته استطاع تحقيق ما بقي من أجله، ونظرا لأعماله الجليلة أصبحت المنطقة تسمى باسمه إلى يومنا هذا.

ينتمي أغلب السكان في بوسمغون إلى العنصر الأمازيغي، يتكلمون المازيغية والتي استطاعوا المحافظة عليها عكس البلديات المجاورة مثل الشلالة، عسلة، مفرار، تيوت وسفيسيفة، أين اختفت الأمازيغية فيها ولم يُعَدَّ يتحدث بها إلا كبار السن بسبب التأثير العربي القوي فيها.

يلاحظ ريني باسي "Réné Basset" في كتاباته التي تحدّث فيها عن اللهجات المازيغية والمنشورة في الجريدة الأسبوعية عن اللهجات المستعملة بأنّ السكان في المناطق الممتدة من "مشرية" إلى "بني عباس" (تيوت الصفيصة، بوسمغون، مفرار، الشلالة، عسلة وإيش وفجيج، متشابهة تمام التشابه وأن المنطقة الممتدة ما بين عمالة وهران إلى حدود تافيلالت تتحدث بلغة بربرية واحدة.²¹ ولا زالت هذه اللهجة هي السائدة دون غيرها فلم تستطع القبائل العربية التي مرّت بالمنطقة أو استوطنت بعض أطرافها التأثير فيها، بل على العكس من ذلك فقد تبرّرت عناصر بني جابر ونفس الشّيء بالنسبة لبعض بقايا بني عامر بن زغبة.²² ويتحدث سكان بوسمغون بما يطلق عليه محلياً "شلحة" أو "تشلحيت".²³

إنّ المجتمع في منطقة بوسمغون يتميز بتنوع ثقافي و نظام اجتماعي ناتج عن تلك الروابط العائلية التي تفرض نفسها كبنيات أساسية تسمح للإنسان بتحديد انتمائه، فسكان القصر ينحدرون من قبائل "زناتة" الأمازيغية التي اعتنقت الإسلام، وأخذت منه قيمه وتقاليده دون أن تتلاشى كليا، فتبقى الأسرة في قصر "بوسمغون" محافظة على الكثير من التّقاليد المرتبطة ببعض المظاهر الاجتماعية كالاحتفال بمناسبات الزواج والختان، وأيضا كل ما يتصل من العلاقات الاجتماعية والتّعاون فيما بين أفراد المجتمع، فالنّظام الاجتماعي كان يشبه في تركيبته إلى حد كبير نظام القبيلة العربية، التي تقبل إمرة شيخ، وتقبل أيضا سلطة الأب على أفراد أسرته، ومن هذا المنطلق كان تنظيم قصر بوسمغون من النّاحية الاجتماعية يجمع في الأصل إلى قبائل متقاربة في النّسب تتعايش فيه القبائل العربية الوافدة والأمازيغية.

تحمل لهجة سكان بوسمغون في طياتها خليطا من التّعبيرات والتّراكيب العربية والشلحية والعامية والفرنسية، وفي بعض منها نلاحظ أن هذه الألفاظ التي تعد ألفاظا أمازيغية هي مفردات ذات جذور عربية غير أن اللّسان البربري أثر فيها وغيّر منها مثل: كلمة "حانوت" أو "حوانيت" وهي في المازيغية "حانت" أو "تحونة" وكلمة "السّطح" والتي تقابلها في المازيغية "أسطوح"، وكلمة "الزاوية" التي هي في المازيغية "زاويت"، وكلمة "السقف" هي "اسقف"، و"السّلام" التي هي "تيدوارجين" المأخوذة من الدّرج أو الدّرج في العامية، ويطلق على فناء الدّار في العامية والشلحة لحوش، النّوافذ يطلق عليها طاقت وهي مأخوذة من الطّاقة في العامية والفصحى الطوب وهي في المازيغية أوطوب وهو الطوب في الفصحى والعامية ومثال ذلك كثير... ومن هنا فإنّ التّنوع اللّغوي الذي شهدته الجزائر عبر التاريخ، كان له أثر كبير على لغة أهل المنطقة حيث أدى هذا إلى بروز لهجة جديدة كانت نتاج عملية تأثر وتأثير بين اللّغات من المازيغية بلهجاتها الشلحية، والقبائلية... (التي تعد اللّغة الأصلية لسكان القصر والعربية الفصحى لغة الفتح الإسلامي وغيرها من اللّغات الضّاربة في عمق التّاريخ. إذ تستخدم عادة العائلات المنحدرة من القصر مثل

أولاد سليمان و أولاد ناسي وأولاد تبون "الشلحة" في التواصل مع بعضها البعض، بينما تتواصل القبائل العربية مثل أولاد بودخيل والمجازبة بالعامية فيما بينها وبين القبائل الأمازيغية)، والملاحظ أن الذي يتحدث بأمازيغية المنطقة لا يمزجها بتراكيب و مصطلحات فرنسية، عكس المتحدث بالعامية التي يوظف كلمات فرنسية ضمن حديثه، إذ لازال أمازيغ المنطقة يحافظون على لغتهم الأصلية التي تخلو في الغالب من استخدامات لغوية خارج دائرتها، وهذا ما لا نلمسه في لغة القبائل العربية في المنطقة إذ لازال ذلك المزج فيها متفشيا، وبفعل هذا الاحتكاك والتعايش تسربت بعض المصطلحات المازيغية إلى ألسنة سكان المنطقة الذين ينحدرون من قبائل عربية، وإضافة لما سبق رصده من تعدد لساني في المنطقة بين المتحدثين بالعامية والمتحدثين بالمازيغية إلى أن اللغة العربية هي اللغة المستعملة بشكل أكبر في الوسط المدرسي وفي المعاملات الرسمية والإدارية كلغة رسمية تليها اللغة المازيغية.

7. خاتمة: إن التعدد اللغوي والتنوع الثقافي شيان متلازمان يتجلى ذلك في هذه الدراسة من خلال الإشارة إلى اختلاف وتنوع الأداءات والممارسات في لغات ولهجات الوطن بتنوعاته الثقافية، وكذلك في ربط تلك اللهجات بالعربية الفصحى والمازيغية كلغتين رسميتين، والدّارس لهذا الموضوع والمتعمق فيه لاحقا لاشك أنه يلمس التغيرات التي طرأت على الاستخدامات اللغوية في مختلف المستويات اللسانية الصوتية و الصرفية و النحوية والدلالية، ومدى تأثير حركة تنقلات السكان -وهذا ما وجدناه في إقليم منطقة بوسمغون- على اللغة إذ يمكنه تتبع حركة المجتمع من خلال المظاهر الثقافية السائدة فيه ومحاولة ربطها بما يشاهدها في المجتمعات الأخرى (مع دراسة عوامل التأثير والتأثير)، واستنتاج قوانين التطور اللغوي المحلي وصياغتها في نماذج عامة قابلة للتعميم يستفاد منها في الحالات و الظواهر المماثلة على المستوى الوطني بجمع كل التنوعات الأدائية المنطوقة في مختلف المناطق، وتصنيفها بطريقة موضوعية، بعد تتبع أصولها التاريخية من منشأ الأول إلى عصرنا هذا كون التركيبة السكانية للجزائر تفرض تنوعا ثقافيا وإثنيا ولغويا كبيرا.

8. قائمة المراجع:

- إبراهيم أنيس: في اللهجات العربية، (مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، مصر 1984).
- أحمد مزيان: فجيح مساهمة في دراسة المجتمع الواحي المغربي خلال القرن التاسع عشر (1845-1903) د.ط المغرب 1988م).
- بشير خليفي، التعدد اللغوي وسؤال الهوية في ظل صراع القيم والمرجعيات (الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والانسانية قسم الاداب والفلسفة، جامعة الشلف العدد 18 جوان 2017م).
- حسين بن زروق، أسماء المدن والأماكن الجزائرية وأصولها العربية، دراسة لغوية، صرفية، دلالية، مقارنة بين الفصحى والعامية (اللغة والأدب، مجلة أكاديمية يصدرها قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة الجزائر 2، العدد 22).

- خولة طالب الابراهيمي، مبادئ في اللسانيات، (دار القصبة، الجزائر، ط2، 2006).
- رمزي منير بعلبكي وآخرون، اللغة والهوية في الوطن العربي إشكاليات تاريخية وثقافية وسياسية (المركز العربي للأبحاث والدراسات السياسية، ط1، الدوحة، قطر 2013م).
- صالح بلعيد، اللغة الجامعة (مخبر الممارسات اللغوية في الجزائر، الجزائر 2015م).
- صالح بلعيد، بحث في مصطلح الممارسات اللغوية (مجلة الممارسات اللغوية، جامعة مولود معمري تيزي وزو، العدد التجريبي: 0، ط1، 2010م).
- عبد الواحد وافي، اللغة والمجتمع، (دار عكاظ للنشر والتوزيع، ط4، جدة 1983م).
- عبد الواحد وافي، علم اللغة (نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ط9، 2004م).
- ماروي باي تر: أحمد مختار عمر، أسس علم اللغة، (عالم الكتب القاهرة 1998م).
- محمد الأمين خلادي، التعدد اللغوي في الجزائر (مجلة الإنسان والمجال، المركز الجامعي نور البشير البيض، العدد 01 2015م).
- محمد الأوراني، التعدد اللغوي وانعكاساته على النسيج الاجتماعي، (مطبعة النجّاح الجديدة، كلية الآداب، الرباط، ط1 2002م).
- محمد بسناسي، التعبير اللّهي الجزائري وتوظيفه في القواميس الثنائية (مجلة جسور المعرفة، جامعة حسيبة بن بو علي الشلف، العدد 03).
- محمد يحياتن، التعددية اللسانية من خلال الأبحاث اللسانية الاجتماعية الحديثة، (مجلة اللسانيات، مركز البحوث العلمية والتقنية لترقية اللغة العربية، ع11).
- مقران شطة، المسألة اللغوية في الجزائر مواقف وأفكار خولة طالب الإبراهيمي نموذجا (مجلة المقري للدراسات اللغوية النظرية والتطبيقية، جامعة محمد بوضياف المسيلة، العدد الأول).
- يسمينة صدوقي، مظاهر و نتائج التنوع الثقافي في الجزائر، (مجلة دائرة البحوث والدراسات القانونية والسياسية -مخبر المؤسسات الدستورية والنظم السياسية، العدد الرابع - جانفي 2018).
- Caleb Rosado, what Do We mean , by Managing Diversity, Work force Diversity, Hyderable India ICAFAI university ,vol 3, 1996.
- Emmanuelle cambon, Isabelle l'église, pratiques langagiereset registres discursifs. Langage etsociété, maison des sciences de l'homme paris,Nº:124, 2008.
- Gouvernement Général De L'Algérie ,répertoire statistique des communes de - l'Algérie, territoires du sud, décembre 1936, Ancienne Impr. Victor Heintz, 41 rue Mogador,Alger, 1937.

- Mohamed Benali, Boussemghoun: Espace confrérique et pratiques linguistiques, Dar El Gharb: Oran 2004.
- René Basset ,Nates De Lexicographie Berberes , Dialecte Des Kçours Oranais Et De Figuig , J. A.,Tome 6,Juillet 1885.



9. هوامش:

- 1- عبد الواحد وافي، اللغة والمجتمع، (دار عكاظ للنشر والتوزيع، ط4، جدة 1983م)، ص12.
- 2- بشير خليفي، التعدد اللغوي وسؤال الهوية في ظل صراع القيم والمرجعيات (الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والانسانية قسم الاداب والفلسفة، جامعة الشلف العدد 18 جوان 2017 م)، ص75.
- 3- محمد يحياتن، التعددية اللسانية من خلال الأبحاث اللسانية الاجتماعية الحديثة، (مجلة اللسانيات، مركز البحوث العلمية والتقنية لترقية اللغة العربية، ع11)، ص73.
- 4- صالح بلعيد، اللغة الجامعة (مخبر الممارسات اللغوية في الجزائر، الجزائر 2015م)، ص8.
- 5- محمد الأوراني، التعدد اللغوي وانعكاساته على النسيج الاجتماعي (مطبعة النجاح الجديدة، كلية الآداب، الرباط، ط1 2002م)، ص11.
- 6- يسمينة صدوقي، مظاهرو نتائج التنوع الثقافي في الجزائر، (مجلة دائرة البحوث والدراسات القانونية والسياسية -مخبر المؤسسات الدستورية والنظم السياسية، العدد الرابع، جانفي 2018م)، ص185.
- 7- See: Caleb Rosado, what Do We mean, by Managing Diversity, Work force Diversity, Hyderable India ICAFAI university, vol 3, 1996, p34-p36.
- 8- ابراهيم أنيس: في اللهجات العربية، (مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، مصر 1984)، ص16.
- 9- عبد الواحد وافي، علم اللغة (نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ط9، 2004م)، ص184-185.
- 10- صالح بلعيد، بحث في مصطلح الممارسات اللغوية (مجلة الممارسات اللغوية، جامعة مولود معمري تيزي وزو، العدد التجريبي، 2010م)، ص15-16.
- 11- See: Emmanuelle cambon, Isabelle l'eglise, pratiques langagieres/ et registres discursifs. Langage et société, maison des sciences de l'homme paris,N°:124, 2008,p20.
- 12- أحمد معتوق محمد، الحصيلة اللغوية أهميتها ومصادرها وسائل تنميتها (سلسلة عالم المعرفة عدد 212، الكويت 1996م) ص72.
- 13- ماروي باي، أسس علم اللغة، تر أحمد مختار عمر، (عالم الكتب القاهرة 1998 م) ص210.
- 14- ينظر: رمزي منير بلعبيكي وآخرون، اللغة والهوية في الوطن العربي إشكاليات تاريخية وثقافية وسياسية (المركز العربي للأبحاث والدراسات السياسية، ط1، الدوحة قطر، 2013م)، ص227.
- 15- حسين بن زروق، أسماء المدن والأماكن الجزائرية وأصولها العربية، دراسة لغوية، صرفية، دلالية، مقارنة بين الفصحى والعامية، (اللغة والأدب، مجلة أكاديمية يصدرها قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة الجزائر 2، العدد 22) ص03.

- 16- محمد الأمين خلادي، التعدد اللغوي في الجزائر، (مجلة الإنسان والمجال، المركز الجامعي نور البشير البيض، العدد 01 2015م)، ص14.
- 17- ينظر: محمد بسناسي، التعبير اللّهي الجزائري وتوظيفه في القواميس الثنائية، (مجلة جسور المعرفة، جامعة حسيبة بن بو علي الشلف، العدد 03)، ص26
- 18- مقران شطة، المسألة اللغوية في الجزائر مواقف وأفكار خولة طالب الإبراهيمي نموذجاً، (مجلة المقرري للدراسات اللغوية النظرية والتطبيقية، جامعة محمد بوضياف المسيلة، العدد الأول)، ص180.
- 19- خولة طالب الإبراهيمي، مبادئ في اللسانيات، (دار القصة، الجزائر، ط2، 2006)، ص173.
- 20- See: Gouvernement Général De L'Algérie, répertoire statistique des communes de l'Algérie, territoires du sud, décembre 1936, Ancienne Impr. Victor Heintz, 41 rue Mogador, Alger, 1937, p230,231
- 21- See: René Basset, Nates De Lexicographie Berberes, Dialecte Des Kçours Oranais Et De Figuig, J. A. Tome 6, Juillet 1885, p302.
- 22- أحمد مزيان: فجيح مساهمة في دراسة المجتمع الواحي المغربي خلال القرن التاسع عشر (مطبعة دار السعادة، الدار البيضاء المغرب 1988م)، ص80.
- 23- See: Mohamed Benali, Boussemghoun: Espace confrérique et pratiques linguistiques, Dar El Gharb Oran 2004, p16.

التنشئة الاجتماعية والتعايش اللغوي، أي علاقة؟

دراسة حالة التعايش اللغوي عند بني مزاب

Socialization and linguistic coexistence, what is a relationship?

A case study on the linguistic coexistence of the Mozabites

د. عمرداود*

تاريخ القبول: 2021.07.27

تاريخ الاستلام: 2021.04.11

ملخص: تقدم هذه الورقة البحثية قراءة لواقع جزائري، ولحالة تعايش لغوي لإحدى مكونات بنية المجتمع الجزائري وذلك بمحاولة تتبع مسار بني مزاب التاريخي بالعودة إلى مرحلة التأسيس وفهم السياقات الثقافية والعمليات الاجتماعية التي أسهمت في تشكيل هذا النموذج من التعايش اللغوي، بهدف تسليط الضوء على هذه الحالة، والاستفادة من تجربتها الواقعية. وتمّ التوصل إلى انفتاح المزابيين على الثقافات، وتعايشهم اللغوي بفضل مؤسسات التنشئة الاجتماعية الأساسية وتعاملها مع ظاهرة التعدد اللغوي، والاستثمار فيها، واستبعاد كل ما يُعتقد أنّه تناقض وصراع لغوي في الجزائر. كلمات مفتاحية: التنشئة الاجتماعية؛ التعدد اللغوي؛ التعايش اللغوي؛ مزاب. المحور الرابع: التعايش اللغوي بين العربية والفرنسية والمازيغية.

Abstract: This research document offers a reading of the Algerian reality, and of the state of linguistic coexistence of one of the components of Algerian society, and we have tried to follow the historical path of Beni M'zab by returning to step of the foundation to understand the cultural context and social processes that contributed to the formation of this model of linguistic coexistence.

The results of this research have reached the Mozabite openness to the cultures and languages that have achieved this linguistic coexistence, thanks to the basic socialization

* - جامعة ابن خلدون تيارت، الجزائر.

البريد الإلكتروني: o.daoud@hotmail.fr (المؤلف المرسل)

institutions and their relations with the phenomenon of multilingualism, the Mozabite investment in it and their exclusion of all linguistic conflicts in Algeria.

Keywords: Socialization; Multilingualism; Linguistic coexistence; M'zab.

1. مقدمة: تظهر وحدة المجتمع الجزائري بكل أطرافه ومناطقه على المستوى الجغرافي والحضاري والهوياتي إذ احتك الجزائري بحضارات إنسانية متعاقبة، وتفاعل معها، وتعامل مع لغاتها المتناوبة كالليبية والفينيقية واليونانية والآرامية والعبرية والعربية والتركية والإسبانية والفرنسية، وأكسب هذا التفاعل الجزائري هويةً وطنيةً بخصوصياتها المازيغية والعربية والإفريقية والمتوسطية، وواقعًا سوسيو-لسانيًا يتسم بالتعدد اللغوي، وخريطةً لغويةً تقوم على لغاتٍ ولهجاتٍ مازيغية وعربية.

من هذا المنطلق يظل سؤال الواقع اللغوي الجزائري ملجأً وتتعاظم أهميته والبلد يمر بمرحلة عسيرة نحو التحول إلى التحضر والتمدن وتكريس روح المواطنة، لذلك تحاول هذه الورقة البحثية التساؤل عن دور المكوّن اللغوي في تحقيق أو زعزعة استقرار المجتمعات من منظور سوسيو لساني، وتحاول استحضار علاقة التنشئة الاجتماعية بالتعايش اللغوي في إحدى الجماعات المكونة للمجتمع الجزائري، وتتساءل عن دور مؤسسات التنشئة الاجتماعية المزابية (الأسرة، والمدرسة والمحلات التجارية) في استيعاب أو رفض التعدد اللغوي في الجزائر، وفي تحديد كيفية تعامل المزابيين مع اللغات واللهجات الأخرى المختلفة؟ وهل تمّ استيعاب هذا التعدد وأعتبر أمرًا طبيعيًا؟ أم رفضه المزابيون واعتبروه اختلالًا اجتماعيًا يسهم في تنامي الهويات الفرعية ويزيد من الاستقطابات الفئوية والجماعية والفئوية؟

وونفترض أنّ المزابيين وبفضل مؤسساتهم التنشئية الأساسية يعتبرون التعدد اللغوي أمرًا طبيعيًا في كلّ المجتمعات الإنسانية، ويقدمون بذلك نموذجًا واقعيًا عن التعايش اللغوي في الجزائر.

ولتناول هذا الموضوع تمّ تحديد المفاهيم الأساسية كالتنشئة الاجتماعية، والتعدد اللغوي، والتعايش اللغوي قبل الخوض في التعريف بالمجتمع المزابي ومسار تشكّله وثقافته ولغته، والوصول بعد ذلك إلى علاقة مؤسسات التنشئة الاجتماعية الأساسية في مزاب بالتعايش اللغوي.

وقد هدف هذا المقال إلى تسليط الضوء على حالةٍ وطنيةٍ واقعيةٍ قد تصلح كي تكون بمثابة نواةٍ لمشروع تعايش لغويٍ منسجمٍ مع حاضره وماضيه، ومترفعٍ عن الاستغلال السياسي والأيدولوجي.

2. مفاهيم أساسية:

1.2 التنشئة الاجتماعية:

التنشئة الاجتماعية هي عملية تشريب الفرد قيم ومعايير المجتمع الذي يعيش فيه¹، فهي بذلك تقوم بتمرير ثقافة المجتمع إلى أفرادها، وتهيئتهم للاندماج فيه، وعليه فالتنشئة الاجتماعية هي التي تصل الأجيال

بعضهم ببعض وتتم فيها عملية التعلم الثقافي²؛ باكتساب الأفراد اللغة وأنماط السلوك الأساسية، وتُنقل إليهم منظومات القيم والمعايير والمعتقدات والرموز، وتلقن التنشئة الاجتماعية الفرد أدواره الاجتماعية والسبل الكفيلة بأدائها وتجعله قادرًا على مسايرة ثقافة جماعته والتوافق والانسجام معها، وتكوّن لديه ضوابط داخلية توجه سلوكه وتحدده وتقيده.

وبالرغم من محاولات الاحتواء والتأثير التي تقوم بها الأسرة والمدرسة ومختلف المؤسسات التنشئية الأخرى فلا يمكن تصور تلك الوضعية السلبية للفرد وانتظاره من يأمره ويوجهه ويرمجه، بل إنه يسعى من جهة أخرى إلى التكيف مع الثقافات الأخرى، ومسايرة مستجدات الحياة والسياقات المتحولة التي تتيح المجال له كي ينمي نفسه، ويُبدع، ويُطوّر طاقاته ويشكّل شخصيته المميّزة.

وهكذا تطورت الثقافات البشرية بنماذجها ورموزها ومعانيها ومعارفها وإبداعات الأفراد وانتقلت إلى الخلف بفضل التنشئة الاجتماعية، وما تتيحه من إمكانيات التفاعل الاجتماعي الذي لم يكن ليحصل لولا تعلم اللغة ونقلها عبر الأجيال باعتبارها جزءاً لا يتجزأ من الثقافة، والثقافة بدون لغة هي ضربٌ من المحال³، وكلّما صارت الثقافة أكثر تعقيداً ازدادت الحاجة إلى الاتصال والاستجابة للرموز، وابتكار رموز جديدة تسهم في تطوير الإنسان للغته لغرض زيادة فعاليتها في نقل الأفكار، وبذلك تشكّلت المجموعات الصوتية وتعددت اللغات الإنسانية.

2.2 التعدد اللغوي: يشير هذا المفهوم إلى وجود مجموعة من اللغات المتقاربة أو المتباينة في مجتمع واحد⁴، بحيث لا تتداخل كلمات هذه اللغات فيما بينها أثناء الخطاب الواحد.

ونادراً ما توجد مجموعات كلامية تتصف بأحادية قطبها اللغوي، وقد حاولت بعض الجماعات سواء بشكل علني أم بشكل خفي تحقيق سياسة لغوية هادفة لتأسيس مبدأ أحادية لغتها، إلا أنه من المرجح أن لا يتحقق ذلك دون أن يشكّل مزجاً وهجيناً لغوياً بأشكاله المعقدة والمتعددة.

وبالمنظور التاريخي، تعود ظاهرة التعدد اللغوي في المجتمعات إلى عدّة عوامل، منها العامل المتعلق بظاهرة الغزو والاستيلاء على بعض المناطق اللغوية المختلفة، وفرض سياسة الوحدة اللسانية بجعل جميع السكان يتداولون لغة الغازي، كما حدث في الجزائر إبان الغزو الفرنسي، وغالباً ما يؤدي هذا الوضع الجديد إلى المقاومة الثقافية، ومع مرور الزمن واشتداد الممارسة الثقافية العنيفة يتشكل تدريجياً ذلك التعدد اللغوي، غير أن الأمر لا يحصل دومًا بنفس الوتيرة، لأن اللغة الأصلية للسكان قد تعرف الاضمحلال كما حدث عندما ألحقت مناطق البروتون والألزاس والبروفانس بفرنسا.

كما تقوم ظاهرة الهجرة بدور أساسي في تشكيل التعددية اللغوية، إذ عند تنقل الجماعات اللغوية من حيز جغرافي إلى حيز آخر غالباً ما تنصهر لغتها في لغة الجماعة المُستضيفة، كما يمكن أن تسهم بعض

العوامل الأخرى في ذلك كوجود جو اجتماعي مشحون يمنع أي شكل من أشكال القرآن، فتحافظ بذلك كل مجموعة بذخيرتها اللغوية حتى تتشكل التعددية اللغوية، وبمرور الزمن قد تزول تلك العوامل ويحدث التفاعل الثقافي واللغوي حتى تمتزج اللغتان لتتشكل بعد ذلك اللغة المشتركة.

وقد عمل الوجود العثماني في الجزائر على غرس قيمه وثقافته ولغته التركية في المؤسسات الإدارية والعسكرية بصفة خاصة، ما جعل القنصل الأمريكي في الجزائر يعتبرها من بين اللغات المتعددة للمجتمع الجزائري قبل الاحتلال الفرنسي⁵، غير أنها وكما يبدو لم ترق إلى مستوى الإنتاج الأدبي والفني الذي حققته اللغة العربية، فتركت بعض ألفاظها تقتحم القاموس اللغوي الجزائري دون أن تحافظ على وجودها الكامل.

وبما أن اللغة وظيفتي الاتصال والمشاركة، فهل من الممكن للمجتمعات المتعددة اللغات أن تتعايش فيها هذه اللغات لتحقيق الوظيفتين المذكورتين؟

2-3 التعايش اللغوي: تُشتق لفظة "تعايش" من فعل "عاش"، وكلمة "عيش" التي تحمل دلالة الوجود في المكان والزمان نفسه

والملاحظ أن تركيبة لفظة التعايش تبدأ بالتاء لتعطي لها معنى القبول والرغبة والإرادة في التفاعل بين المختلفين، ما يدل على وجود الاعتراف المتبادل والانسجام والتلاحم والتكامل المقصود والاتفاق بينهم على عدم الاعتداء والعيش في ألفة ومودة⁶، مع محافظة كل طرف على خصوصياته.

وإذا تمت إضافة عبارة اللغة للفظ "التعايش" أصبح المفهوم من اختصاص الحقل المعرفي اللغوي الذي يُنعت باللسانيات الاجتماعية، والتي تهتم بها السوسولوجية اللغوية على وجه الخصوص، وذلك بتبيان علاقة اللغة المستعملة بالحياة الاجتماعية وأثر المجتمع وحضارته ونظمه وتاريخه وتركيبه في مختلف الظواهر اللغوية كالتباين اللغوي، والتعايش اللغوي... الخ.

ويُستعمل مفهوم التعايش أو المعايشة (Commensalism) في علم الاجتماع للدلالة على العلاقات المتبادلة والاشتراك معاً، وقد استعمله عالم الاجتماع الأمريكي سميلك (Smilk) في كتابة: علم الاجتماع الريفي (urban Sociology) مرادفاً لمعنى التكامل، وبين في تحليله للبناء الطبقي أن الأفراد المنتمين للطبقة نفسها يتعايشون معاً وتجمعهم علاقات الصداقة والأخوة والمودة⁷، وقد يبدو الأمر منطقياً في هذه الحالة، غير أن الإشكال يُطرح بإلحاح في حالات الاختلاف الطبقي أو الفئوي أو الثقافي، بحيث تصبح اللغة في الغالب أداة تزيد بها الجماعات المختلفة من حشدها الأيديولوجي ومزايدات واستقطابات السياسية، وتحويل التعدد اللغوي إلى حقل للصدام والصراع وإثبات الوجود كما كان حاصلًا إبان

الحقبة الاستعمارية في الجزائر، وما خلفه الاحتلال من وضع لغوي مكّن وصف واقعه في الجزائر انطلاقاً من ثلاثة تصنيفات:

- اللغة العربية المكتوبة والمسماة بالكلاسيكية أو الرسمية أو الفصحى؛
- اللغة الشفهية والمسماة باللهجات، والتي نفضل تسميتها بلغات أمّ، وتقسم بدورها إلى:
- ✓ اللهجات العربية: وتتصف بتنوعها، إذ يمكن التمييز بين اللهجات العربية الجزائرية القروية والحضرية والشرقية والغربية والعاصمية والصّحراوية... الخ، وبالرغم من اختلافها إلا أنّها تتيح لمتكلميها فرص التواصل والتفاهم فيما بينهم؛
- ✓ اللهجات المازيغية: ويمكن تصنيفها إلى مجموعات مازيغية: زناتة، وصنهاجة، ومصمودة أو كتامة⁸ وتمثل هذه اللهجات المازيغية بمختلف تنويعاتها لغة الجزائر الأصلية التي تمتد من العصر النوميدي إلى يومنا هذا؛ بحيث صمدت هذه اللهجات أمام التحوّلات التاريخية والثقافية واللغوية التي عرفت الجزائر ببقائها لغة التعامل اليومي في عدّة مناطق من الوطن كالأوراس ومنطقة جرجرة والهقار ومزاب وتيبازة وبوسمغون... الخ، وتنوعت إلى لهجات: الشاوية والقبائلية والترقية والمزابية والشنوية والشلحية... الخ.
- اللغة الفرنسية: والتي أدخلها المستعمر الفرنسي، ولا تزال تحتل مكانتها في السياق الراهن بالرغم من أنّها لم تعد من اللغات الرسمية في الجزائر المستقلة، إلا أنّها لا تزال سائدة في عدّة قطاعات حيوية كالقطاع الاقتصادي والقطاعات الإدارية الأكثر تقنية كالمالية وغيرها.

3. مزاب: المنطقة ومميزاتها: تضم منطقة مزاب القرى الخمس المشكّلة على ضفاف الوادي المسمى بوادي مزاب، ويضاف إلى هذه القرى قريتي القرارة وبريان الموجودتين في الجهة الشمالية للوادي، وتقع منطقة مزاب في الجزء الشمالي من الصّحراء الجزائرية، ضمن حدود ولاية غرداية، وتبعد بمسافة 600 كلم عن العاصمة بين خطي عرض 15 و31 شمال خط الاستواء، وخطي طول 2 و30 شرقاً، وترتفع عن مستوى سطح البحر في حدّها الأقصى بحوالي 780م في الجهة الشماليّة الشرقيّة بالقرب من ناحية بريان، ويتناقص هذا الارتفاع تدريجيّاً حتى يبلغ في الجهة الجنوبيّة الشرقيّة حوالي 300م⁹.

تتربع منطقة مزاب على مجموعة من الهضاب والتلال المستوية تقريباً والقليلة الارتفاع، وتخرقها الشعاب ومجاري الوديان، فتكوّن بذلك وحدةً طبيعياً شبيهة بشبكة من الهضاب الصّخرية التي يصعب التنقل عبرها، ما يجعلها معزولةً عن النشاط البشري المكثّف، وقد تكوّنت صخورها الرسوبية من طبقات كلسية أفيّة رمادية اللون يغلب عليها الكلس الدولوميتي الذي تشكّل في العصر الجيولوجي الثاني، وتحديداً في العصر الطباشيري¹⁰ بينما تميل الطبقات العلوية منها إلى اللون الأسود الممزوج باللّونين البني والأصفر، وتختلط هذه الطبقات بالجبس المستعمل كمادة للبناء بالمنطقة¹¹.

وفي الزمن الجيولوجي الرابع تعرضت هضاب هذه المنطقة إلى عمليات التعرية القويّة، نتيجة تسبب هبوب الرياح العاتية عليها، والتدفق القويّ للأنهار وسيلانها على سطوحها في ظهور أخاديد وروافد الوديان وشعابها ومن أهم هذه الوديان وادي مزاب¹² الذي يدخل المنطقة من الجهة الشماليّة الغربيّة ويتقاطع بعد ذلك مع وديان أخرى كواد توزوز، وواد أنتيسا، وواد أزويل، وواد نميرات، وواد نيمل...، ما يوفر للمنطقة مياهًا جوفيّةً تشكّل جيئًا مائيًا يرتبط منسوبه بمدى وفرة تساقط الأمطار وقلّته¹³.

وتمتاز منطقة مزاب بمناخها الجاف على غرار المناطق الصحراوية الأخرى، لذا فإنّ تساقط الأمطار بها يكون شحيحًا وغير منتظم في أغلب فترات السنة، إذ لا يتجاوز معدلها 68 مم سنويًا في الغالب¹⁴، وقد يزيد عن ذلك بقليل فيما يُعرف بالسنوات المُمطرة، ما يجعل سيلان الأودية بها حدثًا استثنائيًا، لا يقع إلّا بالتهطل القويّ للأمطار ولساعات متتالية.

وتهبّ على المنطقة رياح شماليّة غربيّة باردة محمّلة بالرطوبة في فصل الشتاء، بينما قد تعصف عليها الرياح الجنوبيّة الجافة في فصل الصيف، والتي تتسبب في ارتفاع درجات الحرارة بالمنطقة¹⁵، وغالبًا ما تشهد المنطقة على العموم هبوب زوايع رملية في شهريّ مارس وأفريل، وقد تستمر لعدّة أيام في المناطق الجنوبيّة منها على وجه الخصوص.

تتميز درجات الحرارة في مزاب بالتباعد النسبيّ للحدّين الحراريّين بين النهار والليل في فصليّ الشتاء والصيف، فتبلغ بذلك أدنى درجات الحرارة في الشتاء -01°C ، وتبدأ المرحلة الحارّة من شهر ماي لتستمر إلى غاية شهر سبتمبر وتبلغ فيها أعلى درجات الحرارة 47°C ⁽¹⁶⁾.

4. بنو مزاب: التميّز التاريخي واللغوي: يبدو أنّ التميّز التاريخي واللغوي للجماعات البشرية بالصحراء الجزائرية في عمومها مرتبطٌ بالتغيّرات الجغرافيّة والإيكولوجيّة التي حدثت فيها، ويعتقد شارل أندري جوليان (Charles-André Julien) أنّ جغرافيّة المنطقة ومناخها تميزا بالاستقرار منذ 3000 سنة على الأقل، ولم يطرأ أيّ تغيّر عليهما باستثناء ربما نسبة الرطوبة التي كانت أعلى نسبيًا على ما هي عليه اليوم بسبب تضاؤل النبات¹⁷، ويرى البعض الآخر أنّ الأشجار الغابية كانت تغطي المناطق الصحراوية حتّى جبال الهقار والطاسيلي في الألفيّة الثالثة قبل الميلاد على أقل تقدير، ثم بدأ الجفاف ينتاب تدريجيًا تلك المناطق¹⁸.

كما اختلفت بعض الدراسات التاريخيّة والأثريّة في الإقرار بوجود استيطانٍ بشريّ بمنطقة مزاب في عصور ما قبل التاريخ، إذ يستبعد ذلك الباحث مارسيل مرسيل (Marcel Mercier) لعدم وجود دلائل وقرائن ماديّة تدلّ على ذلك¹⁹، في حين توصّل بعد ذلك كلّ من الباحثين بيار روفو (Pierre Roffo)²⁰، وجويل أبونو (Joël Abonneau)²¹ إلى استخلاص نتائج تحمل دلالات قطعيّة على وجود نشاطٍ إنسانيّ في

فترة ما قبل التاريخ بهذه المنطقة، بعد عثورهما على عدد كبير من المخلّفات الأثريّة كالأدوات الحجرية، والرسومات الحيوانية والهندسية المنقوشة على الصخور المتناثرة، والتي ترجع إلى العصور الحجرية القديمة والوسطى والحديثة خاصة، لأنّ من أهم مميّزات العصر الحجري الحديث في شمال إفريقيا وصحرائها انتقال الإنسان من حياة الترحال والصيد والجمع، إلى الاستقرار النسبي والارتباط بالأرض بمزاولة الرعي والزراعة الموسميّة²².

وهو ما يدعم احتمال تشكّل معظم تلك المخلّفات الأثريّة في تلك الحقبة التاريخيّة التي تميّزت ببدايات الاستقرار الإنساني في المنطقة، ولا تزال الكثير من تلك الرسومات والخطوط موجودة إلى يومنا هذا، وتظهر بشكل جليّ على مساحاتها صوراً مختلفة وحروف ورموز على غرار تلك النقوش الموجودة في كلّ من: منطقة لعذيرة ببوهرارة وبابا السعد بغرداية وقار الطعام، ومومو وأنتيسة ببني يزقن، وأوخيرة بالعطف، وعطفة الكتبة بضاية بن ضحوة، وسيدي مبارك ببريان...، إضافةً لمجموعات كبيرة من الأصداف المثقوبة التي كانت تُستعمل على ما يبدو للزينة، والكثير من الأدوات الحجرية المصقولة ذات الأشكال الهندسية المتنوعة والمنحوتة على شكل سهام وفؤوس والعصي القاذفة (BOOMERANG) المتناثرة هنا وهناك، يقوم بعض شباب المنطقة بالتقاطها وجمعها.

وبالعودة إلى أندري جوليان نجده يتحدث عن وجود تجمعات سكنيّة كثيفة في تلك العصور على شكل قصور بها مجموعة من الأكواخ المربعة المبنية من الحجر والطين الجاف، كما يشير إلى استغلال السّكان الكهوف والمغارات للاحتباء بها وجعلها ملاجئ ومساكن²³، وهو ما يتفق تمامًا مع ما كان يُداول قديمًا عن وجود ستّ مغارات وسرايب واسعة عند سفوح بعض جبال المنطقة، تمّ دفن بعضها في وقت لاحق خوفًا من التجاء العدو إليها، وهو ما ورد في مخطوط الشيخ إبراهيم متياز حول تاريخ وادي مزاب²⁴، ولا يزال البعض الآخر شاهدًا عليها، على غرار دهاليز ومغارات بنورة والعطف...، التي كانت تشكّل المأوى الآمن للإنسان في تلك العصور الغابرة.

أمّا في العهود اللاحقة التي أعقبت ما يُسمى بفجر التاريخ، وفترات الحكم الروماني والوندالي والبيزنطي فتكاد تنعدم المصادر والمراجع التي تشير إلى منطقة مزاب وسكانها على حدّ اطلاعنا، لذلك فإنّ هذا العصر يبدو ضائعًا في ظلمات الزمن، ويشكّل تقطّعًا في المراحل التاريخية للمنطقة لعزلتها عن المراكز الحضارية حينها واعتمادًا على غابريال كامبس (GABRIEL CAMPS) فإنّ القبائل الجيتوليّة التي كانت منتشرة في السّهوب امتدّت تواجدها إلى مناطق كثيرة من شمال الصّحراء، واستقر بعضها حينًا في حوافي الوديان التي تغمرها دوريًا الفيضانات وكانوا يُغامرون في زراعة شيءٍ من القمح والشعير، ويضطرون في أحيانٍ أخرى إلى ترك قراهم وقلاعهم وبساتينهم لرعي قطعانهم مع ترك ممتلكاتهم ومؤنهم في قراهم²⁵، ما

يمكن أن يُدعم احتمال استيطان بعضٍ من الجيتول ما يسمى ببلاد الشبكة أي منطقة مزاب، وما يزيد من تأييد هذه الفكرة ما ذهب إليه غوتيه (GAUTIER) حينما اعتقد أن بربر الشمال لم يدخلوا إلى الصحراء إلا في وقت متأخر عندما اشتد الضغط الروماني عليهم في الشمال وتطور تربية الجمال²⁶، ما مكّنهم من الالتحاق بمناطق الجيتول، وكما تشير الحفريات LES FOSSILE إلى حياة مزارعين أكثر ممّا تشير إلى بدو ورحل، بمعنى أنّهم قد استطاعوا حينها تحويل المناطق القاحلة إلى واحات غُرست فيها النخيل والخضر والفواكه²⁷.

ومهما يكن من أمر فإنّ منطقة مزاب قد كانت تمثل مركزاً هاماً لعبور قوافل القبائل البربرية والزناطية على وجه الخصوص²⁸، وإنّ تماثل الخطوط والرسمات المنتشرة في المنطقة، مع غيرها من الرسوم المتواجدة في مناطق شمال الصحراء الجزائرية، وحتى الطاسيلي والهقار وغيرهما، إضافةً إلى الدلائل اللسانية والممارسات الثقافية، يوحي بوجود نسقٍ موحدٍ مرتبط بالظروف التاريخية التي كانت سائدة حينها، ومُعبرةً عن بنية اجتماعية وثقافية مشتركة إلى حدٍ ما تُؤمن الذاكرة الجماعية لسكان تلك المناطق.

وبالرغم من الاستقرار الذي فرضته الزراعة على سكان شمال الصحراء عامّة على الأقل في القرن الخامس قبل الميلاد كما يذكر المؤرخ الإغريقي هيرودوت²⁹، فإن الترحال المستمر ظلّ ميزة أساسية لعدد كبير منهم، وهو ما لا ينفي تماماً وجود تجمعات سكانية كثيرة لأحفاد الجيتول وبربر الشمال، الذين شكّلوا فروعاً من القبائل الزناطية التي انضمت إلى بني عمومتها وتوافدت في فترات تاريخية متعاقبة كانت تعيش على البساطة وفق النمط البدويّ، فارتادت هذا المكان النائي واحتمت به، وبسكانه هروباً من مراكز السلطات المتعاقبة بالشمال، وتجنباً للالتزامات العسكرية والمالية، وقد تعلّمت تشييد القرى وتحصينها من النوميديين³⁰.

وخلال تلك الفترة الغابرة، ولظروف تتعلق بالرغبة في الاستقرار والاحتماء، اختار فرعٌ من فروع زناتة والمسمى بمصّاب³¹ الاستقرار بمنطقة مزاب لتشييد قراها وقصورها، فأسسوا قرى: العطف "تجنينت"، وبنورة "آت بنور"، وغرداية "تغردايت"، ومليكة "آت أمليشت"، وبني يزقن "آت يسجن"، والقرارة "إقرارن"، وبريان "آت إبرقان" بعد أن اكتسبوا خبرات أجدادهم، ونقلوا تجارب المناطق البربرية الأخرى التي كانوا يقطنونها.

واستمرت هجرة القبائل الزناطية من مختلف مناطق شمال إفريقية خاصّة الغربية منها كسلجاسة هروباً من النزاعات والحروب التي ميّزت تلك المناطق، كما أنّ بعض المغادرين لقصور توات نزل بقصور تيميمون وبعضهم الآخر واصل مساره إلى أن بلغ منطقة مزاب فاستقر بها وانضم إلى قبائل بني مصّاب، ثم

تواصل النّزوح الجماعي إلى المنطقة خاصّة بعد رحيل الفاطميّين، وملاحقة بلقين بن زيري لزناتة وهوارة ونفزة في البوادي والصّحاري ومحاربته لهم بعد أن استولى على تاهرت والمسيلة وطبنة وباغاي³²، وتعقب الموحّدين - بعد قيام دولتهم - للفرع الزّناتي واضطهادهم لهم.

وهو ما يتوافق مع ما نقله لنا الشيخ متياز في مخطوطه، إذ اعتقد أنّ مصاب كانوا متحالفين مع إخوانهم من بني بادين في وجه كل معتدٍ يحاول تهديد استقرارهم، إلّا أنّهم فشلوا في مقاومة قبائل كتامة وصنهاجة، فاضطّروا إلى النّزوح نحو مناطق الشّمال الصّحراوي³³، ويذكر ابن خلدون في هذا الشأن أنّ سكان "مصاب" من بني واسين الذين نزلوا فيها بعد أن اختطوها، تعود أصولهم إلى قبائل زناتة من شعوب بني بادين الذين تفرّعوا من أولاده الأربعة وهم: بنو عبد الواد، وبنو توجين، وبنو زردال، وبنو مصاب³⁴، والمقصود بكلمة بني مصاب هو بني مزاب، إذ غالبًا ما يُقلب حرف الصاد ويصبح زايًا مفخمًا عند بعض البربر، وأمثلة ذلك كثيرة³⁵، وفي هذه الرّبوع الجرداء النائية وبين الجبال الصّخرية، شيّد المزابيون في صبرٍ وأناة قراهم وقصورهم³⁶، فكانت بذلك الوّحدة المعنوية بين المزابيين وحدةً اثنيّةً سابقةً للتّوطين ومستمرّةً في تشكّل التّكوّن والتميّز الاجتماعي وباعتناق المزابيين للمذهب الإباضي، وتأسيس ما يُعرف بحلقة العزّابة تغذّت هذه الوحدة بمضمونٍ مذهبيّ جديدٍ دون أن يمسّ بعمقٍ بقيّة مقومات الهويّة المزابيّة، بل زاد من تدعيم عناصرها وتماسكها ورسم خطوط تميّز المنتسبين إليها بشكلٍ جليٍّ وواضح، حتّى أصبحت السّلطة الجديدة - حلقة العزّابة - تمثل الوّحدة المذهبيّة والاثنيّة معًا، وزاد هذا الأمر من محافظة المزابيين على تميّزهم الثقافي واللّغوي.

اهتمت حلقة العزّابة منذ تأسيسها بالجوانب الروحية والتربوية للمزابيين، وأشرفت بذلك على النظام التعليمي الدّيني باللّغتين العربيّة والمزابية، وأسهمت في النشر المحدود للغة العربيّة بين الأوساط الشعبيّة باعتبارها اللّغة الرّسمية للتدريس.

وبعد الاحتلال الفرنسي لمنطقة مزاب تعرض السكان لركودٍ حضاري وتريّ أخلاقي وجهلٍ مطبقٍ لم يسبق له مثيل على غرار باقي مناطق الوطن، ما هيأ الوضع لظهور الحركة الوطنية الجزائرية وانخراط العديد من المزابيين فيها، وأسهموا في تأسيس الجمعيات الدّينية الإصلاحية بمزاب التي كان لها الفضل الكبير في المحافظة على التعليم القرآني والنشر الواسع للقراءة والكتابة باللّغة العربيّة كما سنراه لاحقًا.

5. مؤسسات التنشئة في مزاب والمسألة اللغوية: تُعتبر التنشئة الاجتماعية عملية طويلة ومستمرّة ترافق الفرد طوال حياته، وتتكفل بها عدّة مؤسسات اجتماعية بدايةً بالأسرة ودور الحضانة ورياض الأطفال والمدرسة وجماعات الرفاق والمؤسسات الدّينية والجمعيات المختلفة ووسائل الإعلام وغيرها من المؤسسات الاجتماعية الأخرى، لذلك لا يمكن حصرها في حقبة زمنية دون أخرى غير أنّ هذه

التنشئة تكون أكثر فعالية وتأثيراً على سلوك الفرد في مرحلة طفولته، لذلك يتم التركيز أكثر على المؤسسات التنشئية في هذه المرحلة كالأُسرة والمدرسة، واعتباراً لخصوصية النشاط الاقتصادي المزايي يمكن إضافة المحلات التجارية إليها لذلك سيتم التطرق إلى دور هذه المؤسسات الاجتماعية الثلاث في تكريس ظاهرة التعايش اللغوي عند المزاييين.

5.1 التنشئة الأسرية: مما لا شك فيه أنّ الأسرة هي الخلية الأولى والوحدة الميكروسوسولوجية والإطار الأساسي الذي يحدد سلوك الفرد وبفضل التنشئة الأسرية يتلقى الطفل نسقاً من القواعد ويستمدج قيم وسلوك وأفعال والديه وتمثله لشخصية أحدهما أو كليهما باعتبارها الشخصية الاجتماعية القاعدية، ويتعرف من خلالها على ميكانزمات الضبط وقيم المجتمع ونظامه المسموح والمرغوب وسلوكه المستهجن والمنبوذ، فتقوم بذلك هذه التنشئة بإعادة إنتاج الأسرة والمجتمع بالقيم والتمثيلات والمعايير نفسها التي ورثتها.

وتشكّل الأسرة المزابية الصورة النواة للمجتمع الذي توجد فيه، لأنّها حاضرة وبقوة وبكل ثقلها وموروثها وأعرافها وعاداتها وطقوسها ورموزها الثقافية في حياة المزايي لإعادة إنتاج المشترك الجمعي والخصوصية الثقافية ومسايرة النمو الطبيعي للمجتمع والمحافظة على ثوابت هويته.

وإن كانت اللغة أداة للتواصل، فهي وسيلة للتعبير عن الوجود وتحديد البنية الرمزية للجماعة، وبفضل تمسك الأفراد بلغتهم الأم يحافظون على جزءٍ معتبرٍ من هويتهم الاجتماعية.

لذلك سعت الأسر المزابية إلى الحفاظ على لغة الأم، أي اللهجة المازيغية المزابية، ومما يُذكر أنّ المرأة المزابية كانت شديدة الحرص على تلقين الأبناء والبنات لهجتهم المزابية منذ أمٍ بعيد، إذ أنّها لا تتحدث أمامهم إلّا بها، كما كانت لا تتردد في تصحيح أي خطأ يحدث لأبنائها الصغار حين يتعلمون التواصل بها من باب: «لا تقل كذا، بل قل كذا»، وتعبّر بها عن مشاعرها ومخاوفها وأمنياتها، وغالباً ما تُوظف القصص والأهازيج والأمثال والحكم والألغاز والأحاجي.

- القصص: وتروى هذه القصص "تَنفَاسٌ" الواقعية أو الخيالية منها خلال سهرات السّمر حينما تغزل الأم الصّوف أو تقوم بأي عمل آخر أمام الموقد ويتجمع الأطفال حولها، أو حينما تشتغل رفقة قريباتها أو بناتها بواجباتها المنزلية أو أشغال النّسيج، وتحاول من خلال القصص تنشئتهن، وذلك بتمرير مختلف القيم كقيم الصّبر والطّاعة والأمانة والصّدق والإخلاص وإتقان العمل وطلب الرزق الحلال... الخ.

- الأهازيج: يمتلك المزاييون رصيماً ثرياً من الأهازيج باللهجة المازيغية المزابية، ويرددونها أثناء قيامهم بالعمل الجماعي كجني تمر نخيلهم وجمعها، وعمليات الحصاد قديماً، وفي مختلف المناسبات

الاجتماعية والدينية، كما ترافق هذه الأهازيج النساء أثناء ممارسة العمل الجماعي كصبغ الصوف وغسله، فتُسلي بها المرأة المزابية نفسها، وتنسبها همومها، وتؤنس بها وحشتها بغياب زوجها، وتقوي بها عزيمتها لتحقيق أمنياتها، وقد نقلت إلينا الباحثة أميلي ماري قواشون في كتابها: "الحياة النسوية في مزاب" الصادر سنة 1927 مجموعة معتبرة من تلك الأهازيج³⁷، ولا يزال قسم كبير منها متداولاً إلى يومنا هذا، وبترديد مثل هذه الأهازيج في مختلف المناسبات العائلية تقوم الأسرة المزابية بدور فعال -قد لا يكون مقصوداً- في نقل اللهجة المازيغية المزابية عبر الأجيال، والإسهام في الحفاظ عليها، وتنشئة أبنائها وضمان استمرارية كينونتهم الاجتماعية.

- الأمثال والحكم والأحاجي والألغاز: تتنوع الأمثال والحكم وتتعدد مواضعها وتلامس المعيش اليومي للفرد المزابي فتقتحم حقله التجاري والفلاحي والأسري وعلاقاته الاجتماعية وتصحح بوضوح عن السلوك المسموح به والمرغوب فيه، وتخطب به كلّ الفئات العمرية، كما تُعتبر جزءاً من الثقافة الشعبية المزابية التي تنتقل عبر الأجيال بالمشافهة،

- وتُعبر عن المنظومة الرمزية لهذا المجتمع وقيمه ومعاييره، وبتميرها تقوم الأسرة بدورها في عملية التنشئة الاجتماعية لذلك فإنّ الفرد المزابي سواء كان رجلاً أم امرأة غالباً ما يستشهد بمجموعة من الأمثال والحكم المزابية في حديثه ومحاولات إقناعه الطرف الآخر بصحة رأيه، وصواب سلوكه، وتُصرّ المرأة في وسطها الأسري على تلقين هذه الأمثال والحكم باللهجة المازيغية المزابية لأطفالها بغية تنشئتهم وفق ثقافة المجتمع وشخصيته القاعدية من جهة، والمحافظة على هذه اللهجة باعتبارها مقوماً أساسياً من مقومات هوية مجتمعه.

في حين تُعتبر الألغاز بالمزابية من الفنون الأدبية الرائجة بين الشباب المزابي، فيحاول كلّ واحد منهم تعجيز الآخر في فك شفرات لغزٍ من الألغاز، وتشتد أحياناً المنافسة في جوٍ مفعمٍ بالسرور والمرح. وغالباً ما يلجأ أفراد الأسرة إلى تبادل الألغاز في فترات المسامرة الليلية، وتبدأ الألغاز المزابية غالباً بعبارة: "أزق إباتا" بمعنى: "تكهن ما معنى" ويُذكر بعد هذه العبارة نص اللّغز، ويتنافس الجميع في محاولة إيجاد الحل.

وتشبه الأحاجي المزابية "الألون" أو "إلون" ما يُعرف بالبوقالات عند سكان العاصمة، وتُمارس في المناسبات العائلية والدينية وغالباً ما تحضر في السهرات الرمضانية، وتتخصص بعض السيدات والعجائز في تسيرها بحيث تبرعن بأسلوبهن الشيق والجذاب في سردها وتزداد مستويات جلب الاهتمام بتوظيفهن لروائع الأمثال والحكم والأدعية باللهجة المازيغية المزابية، ويُعتقد أنّ ما تذكره بعضهن من

آمال وفال حسن قد يتحقق على أرض الواقع مستقبلاً، فيصدق بذلك حدسها، وتنصت إلى كلامها كل النساء المشاركات والحاضرات على حدٍ سواء، وما من شأن ذلك إلا أن يمرر القيم التي يحملها حديثها للمتلقيات وتُغرس في نفوسهن، وتُلقن بفضلها مجمل القواعد السلوكية، وتُكتسب الأنماط التفاعلية عن طريق التقمص والمحاكاة، وتسهم الأحاجي في استمرارية التواصل بلسان المجتمع المزابي، وتضمن له عدم الاندثار والزوال أو الاختراق.

وهو ما لا يعني أنّ المزابيين قد حرصوا حرصاً شديداً على نقاء لسانهم، وتمكنوا من منع المفردات الأجنبية الولوج إلى قاموسهم اللغوي التداولي؛ بل أنّهم قد أسهموا في إضافة العديد من المفردات العربية إلى لسانهم وانسجمت معه حتى صارت جزءاً منه، كالصلاة "تزاليت"، والصوم "أزومي"، ولفظة مبارك "أمبارش"... الخ³⁸ كما أنّ هذا التعايش اللغوي والثقافي قد يظهر بشكلٍ جلي في ظاهرة تسمية الأبناء؛ بحيث تتعدد مرجعيتها وتنحدر من ثقافات وطنية مختلفة، ويزخر بذلك مزاب بأسماء أبطال الإسلام، والوطن ومن مختلف الجهات والمناطق.

5.2 التنشئة في المدارس القرآنية: لقد كان دور حلقة العزّابة في مزاب مقتصرًا على التعليم ونشر الإسلام، فاهتمت بالتعليم القرآني منذ نشأتها وتفرعت منها جماعة "إروان" أي طلبة العلم على يد شيخ الحلقة، الذي يبدأ بتعليمهم اللغة العربية وعلومها، ويفقههم بعد ذلك في الدين، ويُخصص لهم مكاناً مميّزاً في المسجد تقديرًا لما يحملونه من علم، ويساعد شيخ الحلقة أعوانٌ يسمون بعرفاء تحفيظ القرآن، وعرفاء تنظيم أوقات الدراسة... الخ، ويتم التدريس باللغة العربية الفصحى، ويحرص المعلم والمتعلم على عدم الحديث غيرها في المحاضرة أو في حلق العلم بالمسجد، ونجاح الطالب يجعله يرتقي إلى مصاف طلبة فنون العلم، ويجتمع هؤلاء دورياً للبحث والمذاكرة والمناظرة، وحين يحضر الشيخ يناقشوه في بعض المسائل، ويُشترط على السائل أن يكون أفصح الطلبة لساناً وأكثرهم بياناً³⁹ فكان إتقان اللغة العربية وقواعدها معياراً مهماً لتحديد مستوى كلّ طالب علم في مزاب حينها.

وبحلول القرن العشرين شهد العالم الإسلامي والعربي حركات النهضة الإصلاحية، وبوصولها إلى مزاب تحولت هذه النهضة إلى حركةٍ تحاول أن تكيّف مشروعها وفق الخصوصيات المجتمعية، وتجسده ميدانياً متأثرةً بما كان يحدث حينها في العالم الإسلامي، ومحاولة الاستفادة من التجربة التونسية بما فيها إسهامات الشيخ الثعالبي في مجال التربية والتعليم بإرسال بعثات علمية إلى تونس بغية التكوّن في المجال الإصلاحي، وكان مقصدهم جامع الزيتونة، ومعهد الخلدونية⁴⁰.

وأسهمت هذه الحركة الإصلاحية في تجنيد الأفراد للمشاركة في محاربة الجمود الفكري، ومناهضة الاستعمار الفرنسي، مركزةً على منابر المساجد وقاعات التدريس، ومقالات الصحف⁴¹، حتى أدّت بعض

شخصياتها المحلية أدوارًا قيادية في الحركة التّهضوية والوطنية الجزائرية، واتسعت نشاطاتهم العلمية والسياسية لتشمل العالم العربي والإسلامي⁴²، وبعد أن كان التعليم بدائيًا وتقليديًا غير مبال به من قبل المجتمع، تعالت دعوات علماء الإصلاح بمزاب وعلى رأسهم الشيخ بيوض إبراهيم بن عمر بضرورة الاعتناء بتعليم الناشئة، ونُصرة اللغة العربية بمنع الحديث باللهجة المازيغية المزابية في المدرسة، وإعداد الفتيات بتعليمهن أصول اللغة العربية وما يجب عليهن من أمور دينهن بالإضافة إلى إكسابهن بعض الصنائع والحرف المنزلية لمساعدة أزواجهن في تحمّل الأعباء المعيشية، وتحضيرهن للقيام بوظيفتهن الفطرية المتمثلة في رعاية البيت الزوجي، وتربية الأجيال⁴³.

واستطاع بذلك المزابيون إحداث إصلاح تربوي تعليمي جذري بالاستمرار في فتح الأعداد المعتبر من المدارس والمعاهد في أغلب القرى المزابية، وحرصهم على تطوير برامجها ومناهجها بعد استفادتهم من التجارب المماثلة التونسية والمصرية والجزائرية، واهتمامهم الخاص بتعليم البنت والمرأة، والإسهام في التقليل الواضح لنسب الأمية في المجتمع المزابي⁴⁴، حتى أسهمت هذه التنشئة في المدرسة القرآنية بمزاب في إتقان الناشئ المزابي للغة الضاد، وأحدثت فيه تلك القابلية للتجاوب السريع مع محاوريه، وسهّلت له عملية الاندماج المحلي والوطني، وفتحت المجال لمشاركة المزابيين إخوانهم الجزائريين بالعمل جنبًا إلى جنب والمساهمة بالرأي والموقف في مختلف القضايا الوطنية، وحرّكت عجلة التأليف بلغة الضاد⁴⁵، غير أنّها قد ركزت حينها على محورية شخصيتها القيادية "الشيخ بيوض" حيث كان رمزها وإمامها وقودتها وزعيمها وناطقها الرسمي، ولا يمكن تفسير ذلك إلا من منطلق محاولة الانسجام مع ظاهرة بروز الفكر الزعامي في العالم العربي والإسلامي، كما قد يعبر ذلك عن توافق أفكار الشيخ مع رغبة المزابيين في الانفتاح على الثقافات الأخرى، وقابليتهم للتعايش اللغوي مع لغة القرآن الكريم، ولا أدل على ذلك تضمن المناهج التعليمية لكل المدارس الدينية الحرة في مزاب مادة اللغة العربية وبمعامِل عالٍ في كلّ المراحل التعليمية، وإدراج اللهجة المازيغية المزابية جنبًا إلى جنب مع اللغات الأجنبية كالفرنسية والانكليزية في الطّورين المتوسط والثانوي، ولا أدل على هذا التعايش اللغوي عدم شهود منطقة مزاب أي خطاب مطلبّي لغوي يُذكر في تاريخها.

5.3 التنشئة في المحلات التجارية: لقد كان لتزايد عدد السكان في منطقة مزاب، وشح موارد العيش في المنطقة بضعف المردود الفلاحي دورًا أساسيًا في إجبار المزابيين على السّفر إلى مدن التّل الجزائري، فكانت البداية على شكل رحلات مؤقتة بالقوافل نحو مدن الشرق الجزائري خاصّة، لجلب بعض البضائع إلى الأسواق المحلية، قبل أن يستقر بعضهم لمزاولة التجارة في مدن التّل، فكانت تجارتهم تتم في الإطار الأسري في بادئ الأمر قبل أن تتوسع، وقد امتلك المزابيون تقنيات التجارة في فترة وجيزة، إذ لم يكن

يهيمن جني الأرباح الطائلة بقدر اهتمامهم بتعلّم تقنيات الشراء والبيع وأساسيات المحاسبة⁴⁶، ويبدو أنّ المزايين قد حققوا نجاحات باهرة في هذا المجال فنافسوا اليهود والفرنسيين بانتقالهم التدريجي من تجارة التجزئة إلى الجملة ثم الاستيراد والتصدير الذي كان حكرًا على اليهود⁴⁷.

ومن شأن هذا التحوّل الاقتصادي التدريجي أن يجعل هذا المجتمع مبنياً على الديناميكية التجارية، وتزداد ظاهرة الهجرة من مزاب لأجل التجارة انتشاراً، حتى يذكر بورديو (Bourdieu) أنّ ثلث 1/3 السكان الذكور كانوا يعيشون خارج مزاب⁴⁸، ويغيب بذلك المزابي عن أهله ومنطقته لمدة طويلة قد تتجاوز الثماني سنوات متصلة معانٍ من مشقة العمل المضني وظروف المعيشة القاسية، وكساد السلع وتراكم الديون واستغلال اليهود لأي إعلان عن الإفلاس لأجل التّدخل لجدولة ديون التاجر بإضافة الفوائد الربوية، فيفضل التاجر المزابي في هذه الحالة عدم إعلان إفلاسه على الخوض في المعاملات الربوية، التي تعرضه للزجر والتهميش في مجتمعه، وعدم قبول صدقاته وتبرعاته⁴⁹، ويتناوب الإخوة أو الشركاء بين العمل التجاري في مدن الشمال والعناية بالموارد الفلاحية في مزاب، «المزابي لا يعرف الراحة والخمول، بل يغيّر شقاوة التجارة بأعمال الفلاحة»⁵⁰.

ومن الطبيعي حينها أن تتحول المحلات والمتاجر إلى مؤسسات تنشئية أساسية، تسهم بشكل ينافس الأسرة في إعداد الفرد المزابي وتشكيل شخصيته، خاصة وإن علمنا أنّ الولد يظل مع أمه إلى أن يبلغ أربع أو خمس سنوات، فيقوم رب الأسرة بفعل تصفه غواشون بنادر الحدوث في المجتمعات الأخرى، حيث يأخذ معه ابنه إلى مقر عمله بإحدى مدن الشمال⁵¹ أو يبعثه للعمل في إحدى المتاجر بتلك المدن⁵²، وبانتقاله يتعلّم في إحدى مدارس تلك المدن، وفي الآن ذاته يتعلّم أبجديات التجارة في فترات الراحة، ويقتضي هذا التعلّم التدرج في الوظائف؛ بحيث عليه أن يتقن أولاً الطبخ وكل عمليات التنظيف، ثم ينتقل بعد ذلك إلى ترتيب البضائع والتعرّف عليها، ويلزمه صاحب المحل بملاحظة كيفية التعامل مع الزبون دون أن يقوم بذلك لفترة زمنية قد تطول لكي يكتسب بذلك مختلف المهارات والتقنيات المطلوبة، وفي الآن ذاته يعرضه صاحب المحل لمواقف عديدة يختبر بها مكتسباته وإن نجح في ذلك مكّنه من الوصول إلى مرحلة التكفل بالزبون.

ومن شروط الوصول إلى هذه المرحلة الالتزام بعدم الحديث باللهجة المازيغية المزابية في الدكان طيلة فترة العمل، لأنّ الحديث بلسان لا يفهمه الآخر يُعتبر من قلة اللباقة والأدب، وبالمقابل على المزابي إتقان لغة الزبون، لذلك يتعلّم المزايون مختلف اللهجات العربية في أي منطقة من مناطق الوطن، من منظور أنّ التعدد اللغوي هو إغناء للثقافات، وتعزيز لقدرات الفرد التواصلية، واكتساب للأبعاد الإنسانية، وإطلاق لعنان وآفاق الإبداع المنتج.

6. خاتمة: لقد استهدفت السياسة الاستعمارية الفرنسية بوضوح استئصال الهوية الوطنية بمحاربة لغة الجزائريين بإقصائها بيداغوجيًا والخط من شأنها ثقافيًا، وتشجيع ذلك الجدل المفتعل والصراع العقيم بين اللغة العربية والأمازيغية والذي يُراد له أن لا ينتهي.

وقد بين هذا المقال إمكانية التعايش اللغوي بين لغات ولهجات الجزائريين، وكيف استطاع المزابيون تفادي إقحام المسألة اللغوية وتعددتها في دوائر الجعجعة الفارغة واللامتناهية للحشد الأيديولوجي الاستقطابات والمزايدات السياسية، وبينوا بالمقابل تلك الصلة التلازمية والعضوية بين لغات ولهجات الجزائريين، بحيث لا يمكن الحديث عن إحداها دون استحضار الأخرى.

ولن تستطيع الجزائر تجاوز مخلفات الحقبة الاستعمارية وامتداداتها إلا بالإشادة بمثل هذه النماذج الواقعية التي برهنت على تعايشها اللغوي الذي يحمل دلالات تلاحم المجتمع، ومعاني توحد أطره المرجعية والفكرية والأيديولوجية، وتماسك مكونات هويته، لذلك فإنّ الانفتاح اللغوي والثقافي الذي تعرفه الجزائر حاليًا لا يمكن اعتباره سوى مكسب حضاريًا نفتخر به جميعًا، ويكون منطلقًا أساسيًا في معالجة قضايا أخرى تمس الوضع اللغوي والمواطنة اللغوية والتدبير المؤسسي للتعدد اللغوي بالجزائر.

7. قائمة المراجع:

المؤلفات:

- إبراهيم مدكور وآخرون، معجم العلوم الاجتماعية، (الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1985).
- ابن خلدون عبد الرحمان، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، مج 7، (دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر، بيروت، 1981).
- أبوبكر صالح، القرارة من دخول الاستعمار الفرنسي إلى ما بعد الحرب العالمية الأولى 1882-1921، (نشر جمعية التراث، الجزائر، 2015).
- الحاج أيوب إبراهيم بن يحيى، رسالة في بعض أعراف وعادات وادي مزاب، تح: يحيى بن بهون حاج أمحمد، (نشر جمعية النهضة، الجزائر، 2009).
- الحاج سعيد يوسف، تاريخ بني مزاب: دراسة اجتماعية واقتصادية وسياسية، (المطبعة العربية، ط2 الجزائر، 2006).

- العربي إسماعيل، التنمية الاقتصادية في الدول العربية في المغرب، (الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر، 1974).
- بلعيد صالح، في الأمن اللغوي، (دار هومة، الجزائر، 2010).
- بلعيد صالح، المازيغية في خطر، (منشورات مخبر الممارسات اللغوية في الجزائر، الجزائر، 2011).
- دبوز محمد علي، نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، ج01، (المطبعة التعاونية، دمشق، 1965).
- دينكن ميتشيل، معجم علم الاجتماع، تر: إحسان محمد الحسن، (دار الطليعة، ط02، بيروت، 1986).
- شارل اندري جوليان، تاريخ إفريقية الشمالية: تونس، الجزائر، المغرب الأقصى، منذ البدء إلى الفتح الإسلامي 647م، تر: محمد مزالي والبشير بن سلامة، (مؤسسة توالث الثقافية، ط1، 2011).
- رشيد الناظوري، المغرب الكبير، ج01، (الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، 1966).
- متياز إبراهيم، تاريخ مزاب، مخطوط، موجود بمكتبة آل متياز، بني يزقن.
- غابريا كامبس، في أصول بلاد البربر: ماسينييسا أو بدايات التاريخ، تر: العربي عقون، (منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، ط2، الجزائر، 2012).
- عماد عبد الغني، سوسيولوجيا الثقافة: المفاهيم والإشكاليات: من الحداثة إلى العولمة، (مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2006).
- طلاي إبراهيم محمد، مزاب بلد كفاح: دراسة تاريخية اجتماعية، (د.ن، ط02، الجزائر، 2013).
- معروف بالحاج، العمارة الإسلامية: مساجد مزاب ومصلياته الجنائزية، (دار قرطبة، الجزائر، 2007).
- هيرودوت، تاريخ هيرودوت، تر: عبد الإله الملاح، (المجمع الثقافي، أبو ظبي، 2001).
- Amelie Marie Goichon, La vie Féminine au MZAB: étude de sociologie musulmane, tome 01, (Librairie orientaliste Paul Geuthner, Paris, 1927).
- Madeleine Grawitz, Lexique des sciences sociales, édition DALLOZ, (8e éd, Paris, 2004).

- Bourdieu Pierre, La sociologie de l'Algérie,(EPF, Alger, 1967).
- Coyne.A, Le M'Zab, in: La revue Africaine, (Adolphe Jourdan, Alger, 1879).
- R. Capot-Rey, Glossaire des principaux termes géographiques et hydrologiques sahariens, Institut de recherches sahariennes,(Université d'Alger, Alger, 1963).
- Ville, Exploration Géologique du Beni- M'Zab du Sahara et de la région des steppes de la province d'Alger ,(Imprimerie nationale, Paris, 1872).
- Marcel Mercier, La civilisation urbaine au M'zab : Ghardaïa la mystérieuse, (éd PAG Soubiron, Alger, 1932).
- Direction de la Programmation et du Suivi Budgétaires, Annuaire Statistique de la Wilaya de Ghardaïa, (édition 2011).
- H.J.Hugot, Le sahara avant le désert, (éd des Hespérides, 1974).
- Roffo Pierre, Contribution à l'étude de la préhistorique du Sahara,(septentrional, Ancienne Imprimerie, 1934, Alger).
- Joël Abonneau, Préhistoire du M'zab, (thèse de doctorat 3e cycle en archéologie, Sorbonne, Paris, 1983).



8. هوامش:

- 1- دينكن ميتشيل، معجم علم الاجتماع، تر: إحسان محمد الحسن، (دار الطليعة، ط02، بيروت، 1986)، ص225.
- 2- See: Madeleine Grawitz, Lexique des sciences sociales, (édition DALLOZ, 8e éd, Paris, 2004), p377.
- 3- عماد عبد الغني، سوسيولوجيا الثقافة: المفاهيم والإشكاليات: من الحداثة إلى العولمة، (مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت 2006)، ص39.
- 4- بلعيد صالح، في الأمن اللغوي، (دار هومة، الجزائر، 2010)، ص224.
- 5- العربي إسماعيل، التنمية الاقتصادية في الدول العربية في المغرب، (الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974)، ص39.
- 6- مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، (مكتبة الشروق الدولية، ط04، القاهرة، 2004)، ص639.

- 7- إبراهيم مذكور وآخرون، معجم العلوم الاجتماعية، (الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1985)، ص554.
- 8- بلعيد صالح، المازيغية في خطر، منشورات مخبر الممارسات اللغوية في الجزائر، الجزائر، 2011، ص136.
- 9- See: Coyne.A, Le M'Zab, in: La revue Africaine, (Adolphe Jourdan, Alger, 1879), p172.
- 10- See: R. Capot-Rey, Glossaire des principaux termes géographiques et hydrologiques sahariens, Institut de recherches sahariennes, (Université d'Alger, Alger, 1963), p29.
- 11- Ville, Exploration Géologique du Beni- M'Zab du Sahara et de la région des steppes de la province d'Alger, (Imprimerie nationale, Paris, 1872), p58.
- 12- R. Capot-Rey, Op.cit, p29.
- 13- A. Coyne, Op.cit, p05.
- 14- Ibid, p12.
- 15- Marcel Mercier, La civilisation urbaine au M'zab: Ghardaïa la mystérieuse, (éd PAG Soubiron, Alger, 1932), p38.
- 16- Direction de la Programmation et du Suivi Budgétaires, Annuaire Statistique de la Wilaya de Ghardaïa, édition 2011, p12.
- 17- شارل أندري جوليان، تاريخ إفريقيا الشمالية: تونس، الجزائر، المغرب الأقصى، منذ البدء إلى الفتح الإسلامي 647م، تر: محمد مزالي والبشير بن سلامة، مؤسسة توالث الثقافية، ط1، 2011، ص30.
- 18- H.J.Hugot, Le sahara avant le désert, (éd des Hespérides, 1974), p83.
- 19- Marcel Mercier, Op.cit, p40.
- 20- Roffo Pierre, Contribution à l'étude de la préhistorique du Sahara, (septentrional, Ancienne Imprimerie, 1934), Alger.
- 21- Joël Abonneau, Préhistoire du M'zab, (thèse de doctorat 3e cycle en archéologie, Sorbonne, Paris), 1983.
- 22- رشيد الناظوري، المغرب الكبير، ج01، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، 1966)، ص124.
- 23- شارل أندري جوليان، مرجع سابق، ص46.
- 24- متياز إبراهيم، تاريخ مزاب، مخطوط، موجود بمكتبة آل متياز، بني يزقن، ص04.
- 25- غابريال كامبس، في أصول بلاد البربر: ماسينيسا أو بدايات التاريخ، تر: العربي عقون، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، ط2، الجزائر، 2012)، ص287.
- 26- Gautier E, Le passé de l'Afrique du nord, (Les siècles obscurs, Paris, 1934), pp48-51.
- 27- Pinta.P, Libye:des cites antiques aux oasis du Sahara, (Olizana, Genève, 2007), p46.
- 28- معروف بالحاج، العمارة الإسلامية: مساجد مزاب ومصلياته الجنائزية، دار قرطبة، الجزائر، 2007)، ص42.
- 29- هيرودوت، تاريخ هيرودوت، تر: عبد الإله الملاح، المجمع الثقافي، أبو ظبي، 2001)، ص364.
- 30- شارل أندري جوليان، مرجع سابق، ص110.

- 31- الحاج أيوب إبراهيم بن يحيى، رسالة في بعض أعراف وعادات وادي مزاب، تح: يحيى بن بهون حاج أمحمد، نشر جمعية النهضة، الجزائر، (2009)، ص21.
- 32- (المؤلف مجهول)، مفاخر البربر، تح: عبد القادر بوباية، دار أبي قراق للطباعة والنشر، ط1، الرباط، (2005)، ص98.
- 33- متياز إبراهيم، مرجع سابق، ص06.
- 34- ابن خلدون عبد الرحمان، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، مج 7، مرجع سابق، ص123، 128، 129.
- 35- الحاج سعيد يوسف، تاريخ بني مزاب: دراسة اجتماعية واقتصادية وسياسية، المطبعة العربية، ط2، الجزائر، (2006)، ص07.
- 36- طلاي إبراهيم محمد، مزاب بلد كفاح: دراسة تاريخية اجتماعية، (د.ن، ط02، الجزائر، (2013)، ص15.
- 37- Amelie Marie Goichon, La vie Féminine au MZAB: étude de sociologie musulmane, tome 01, (Librairie orientaliste Paul Geuthner, Paris, 1927), p276-309.
- 38- الحاج سعيد يوسف بن بكير، مرجع سابق، ص12.
- 39- نفسه، ص36.
- 40- أبوبكر صالح، القرارة من دخول الاستعمار الفرنسي إلى ما بعد الحرب العالمية الأولى (1882-1921)، نشر جمعية التراث، الجزائر، (2015)، ص210.
- 41- الشيخ بالحاج قاسم، معالم النهضة الإصلاحية عند إياضية الجزائر، (شر جمعية التراث، غرداية (الجزائر) 2011)، ص310-311.
- 42- ولد خليفة محمد العربي، الجزائر المفكرة والتاريخية: أبعاد ومعالم، (دار الأمة، الجزائر، (1998)، ص300.
- 43- الشيخ بالحاج قاسم، مرجع سابق، ص556.
- 44- المرجع نفسه، ص602.
- 45- قاسم بن أحمد الشيخ بالحاج، مرجع سابق، ص117.
- 46- Bourdieu Pierre, La sociologie de l'Algérie, (EPF, Alger, 1967), p45-46.
- 47- دبوز محمد علي، نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، ج01، (المطبعة التعاونية، دمشق، (1965)، ص188.
- 48- Bourdieu Pierre, Sociologie de l'Algérie, Op.cit, p37.
- 49- أبو بكر صالح، مرجع سابق، ص445.
- 50- المرجع نفسه، ص446.
- 51- Goichon, Op.cit, Tome 01, p54.
- 52- أبو بكر صالح، مرجع سابق، ص444.

التنوع الثقافي في الجزائر: التعايش مع الاختلاف Cultural diversity in Algeria: coexistence with difference

أ. ابراهيم سعد الشاكر*

تاريخ القبول: 2021.10.02

تاريخ الاستلام: 2021.04.12

ملخص: تهدف هذه الدراسة إلى التعرف على واقع التنوع الثقافي في الجزائر، فتاريخ البنية الثقافية للجزائر بين أن التنوع الثقافي والحضاري أصيل فيها، غير أن المستعمر الفرنسي عمل على طمس الهوية العربية الإسلامية من خلال تهميش اللغة العربية، وبعث المسألة الأمازيغية لصالح هيمنة اللغة الفرنسية وثقافتها، وهذا ما طرح عشية استقلال الجزائر مشكلة ثقافية، زادت حدتها مع تسييس الذوات الثقافية في الجزائر للمسألة الثقافية، فبرزت التباينات الثقافية، وعلى الرغم من الاختلاف فإن هناك تعايش بين هذه الذوات في إطار الوحدة الوطنية.
كلمات مفتاحية: التنوع؛ التباين؛ اللغة، التعايش، الثقافة.

Abstract This study aims to identify the reality of cultural diversity in Algeria. The history of Algeria's cultural structure has shown that the cultural and civilizational diversity there is authentic. However, French colonialism took the initiative to erase the Arab-Islamic identity by marginalizing the Arabic language and reviving the Amazigh question for the benefit of the hegemony of the French language and its culture, and this presented to the eve of the independence of Algeria a cultural problem, which has intensified with the politicization of cultural trends in Algeria, cultural differences have appeared and despite the difference, there is coexistence between these trends within the framework of the national unity.

Keywords: Diversity; variance; Language; coexistence; culture.

* - جامعة يحي فارس - المدينة، الجزائر.

البريد الإلكتروني: chakerfezzani@gmail.com (المؤلف المرسل)

1. مقدمة : يعتبر تحقيق الانسجام والاندماج داخل الدولة الوطنية الغاية والهدف الأسى لكل نظام سياسي وبذلك يكون الرهان هو العمل على جعل التنوع الثقافي في المجتمع وسيلة لتحقيق الاندماج بين المكونات الثقافية للدولة، وهذا ما يقود في النهاية إلى التسامح، الذي يضمن التعايش. إن تتبع مسار تطور المسألة الثقافية في الجزائر يبين بأن التنوع الثقافي فيها هو تنوع أصيل تاريخيا، تطور عبر مراحل زمنية في الماضي، ليأخذ صورته الحالية في الحاضر، وهي تعكس بأن المكونات الثقافية للأمة الجزائرية لها ماضي وثقافة مشتركة، غير أن تسييس المسألة الثقافية في الجزائر، إضافة إلى تأثير العامل الخارجي أدى إلى تأزم المسألة.

عمل الإستعمار الفرنسي على تفكيك النسيج الإجتماعي الجزائري من خلال تسييس التباينات الثقافية وتقسيمها إلى تكوينات ثقافية موالية للإدارة الفرنسية، ومتشعبة بالثقافة الفرنسية. وعلى هذا الأساس حاول صانع القرار في الجزائر منذ الإستقلال انتهاج سياسة ثقافية، الغاية من ورائها تحقيق الانسجام والتعايش بين الذوات الثقافية للأمة الجزائرية.

إلى هنا وبناءً على ما سبق نطرح الإشكالية التالية: ما هو واقع التنوع الثقافي في الجزائر؟

2. ماهية التنوع الثقافي: إن بروز أزمة الهويات في العالم بقوة، أدى إلى طرح النقاش بغزارة بين الباحثين والمفكرين حول التنوع الثقافي في المجتمعات، وأصبح الرهان قائما على كيفية جعل هذا التنوع في خدمة الانسجام الاجتماعي داخل الدولة.

1.2 مفهوم التنوع الثقافي:

تباينت تعريفات التنوع الثقافي، وذلك بسبب اختلاف الرؤى والمواقف حول التباينات الثقافية، ومن بين أهم هذه التعريفات ما يلي:

• «وجود جماعات ذات خصائص ثقافية مشتقة، وليست خصائص فردية أو بيولوجية فريدة من نوعها، وهذه الجماعات تشترك في بعض القواسم المشتركة الخاصة بالأصل والتاريخ والتقاليد، بالإضافة إلى بعض النظم من المعتقدات والممارسات في هذا الصدد». (سيابيرا، 2012، صفحة 32)؛

• عرفت اليونسكو عام 2002 التنوع الثقافي بأنه: «الثقافة تأخذ أشكالا متنوعة عبر الزمان والمكان، وهذا التنوع يتجسد في تعدد هويات الجماعات والمجتمعات، والتنوع ضروري للجنس البشري مثل التنوع البيولوجي الطبيعة». (Dietz, 2007, p.07)؛

إن الحديث عن التنوع الثقافي ساعد على بروز مفهوم آخر، هو مفهوم التعددية الثقافية، والذي بدوره عرف مجموعة عديدة من التعريفات، ومنها ما يلي: «التعددية الثقافية هي تعبير عن التنوع الثقافي للمجتمع، و يراد به التعايش داخل نطاق المجتمع السياسي ما بين الجماعات المتميزة دينيا أو اثنيا أو عرقيا، التي يرى أعضاؤها تبايناتهم الثقافية عن غيرهم من زاوية كونها تشكل عناصر رئيسية في هويتهم». (علي مجيد، 2010، صفحة 13).

انطلاقاً مما سبق يتضح بأن التباينات الثقافية داخل المجتمع، فرضت التنوع الثقافي، وإن هذا الأخير أوجب التعددية الثقافية التي تعني ضرورة التعايش بين التباينات الثقافية داخل المجتمع.

2.2 أسباب التنوع الثقافي: هناك أسباب عديدة تؤدي إلى التنوع الثقافي داخل المجتمع الواحد، وتتمثل أهم هذه الأسباب فيما يلي:

(أ) اللغة: تعتبر اللغة من أهم الأسباب المؤدية إلى التنوع الثقافي، حيث أصبحت اللغة تلعب دوراً كبيراً في رسم حدود المجتمعات السياسية في البلدان المتعددة اللغات.

ويرى علم الاجتماع اللغوي المعاصر بأن الهوية هي ظاهرة لغوية، حيث أن الدور الذي تلعبه اللغة في التفكير والإدراك هو دور كبير، وتتأسس عليه شخصية الإنسان، فاللغة دور بارز في تكوين الثقافات وتشكل الهويات، سواء كانت هوية دينية أم سياسية أم عرقية.

(ب) البناء الفكري للحركات الوطنية: إن الطرح الفكري الذي يشكل إيديولوجية الحركات الوطنية له دور كبير في بروز التنوع الثقافي، حيث تعمل تلك الحركات على تعبئة الأقلية ورص صفوفها من خلال هيكلية مطالبها في النشاط السياسي المجابهة لعملية بناء الأمة، وذلك من خلال الربط بين الحرية الفردية والانتماء الثقافي.

3. تاريخ البنية الثقافية الجزائرية: إن الاستعماري الفرنسي في الجزائر أسس لمشكلة ثقافية ذات بعد تمزيقي سياسياً، فكرياً واجتماعياً، بدأت عناصرها تتفاعل لتتعدد بعد الاستقلال، وبالتحديد في آخر عشرية من القرن العشرين. (بن قينة، 2000، صفحة 13).

وإذا كانت المشكلة الثقافية في الجزائر برزت معالمها وطنياً منذ الثلاثينيات وأربعينيات القرن العشرين في صورة مناقشات ذات طابع عرقي وإيديولوجي، فإنها أصبحت في الوقت المعاصر تمثل حقيقة مشكلة متأزمة.

1.3 الإستعمار الفرنسي واللغة العربية: لقد أدرك المستعمر الفرنسي منذ احتلاله للجزائر بأن اللغة العربية تمثل الركيزة الأساسية في هوية المجتمع الجزائري، الأمر الذي جعله يؤسس لحلف قوي بين المؤسسات العسكرية والفكرية والدينية لوضع استراتيجية هدفها الأساسي هو احتقار اللغة العربية لدرجة أنها تصبح تمثل عقدة لدى الفرد الجزائري، وطرح البديل عن ذلك وهو اللغة الفرنسية.

قبل الحرب العالمية الأولى كانت الإدارة الإستعمارية في الجزائر تُظهر نوعاً من الليونة اتجاه الكتابات القرآنية التي كانت تدرس اللغة العربية، غير أنه بعد تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في 05 ماي 1931 - أي بعد مضي قرن على احتلال الجزائر - قامت الإدارة الإستعمارية باتخاذ مجموعة من الإجراءات والقوانين التعسفية الهادفة إلى إجهاد الحركة الإصلاحية وتهميش لغة القرآن باعتبارها أداة مهمة للتفقه في الدين، وإحداث النهضة الفكرية التي تسبق كل ثورة، حيث كان من بين أهم القوانين

الجائزة التي سنّها المستعمر هو ذلك القانون الذي يعتبر اللغة العربية لغة أجنبية في الجزائر، وهذا ما نتج عنه ملاحقة واضطهاد معلمها وتغريمهم وحبسهم بعد غلق المدارس.

لقد كان هدف المستعمر الفرنسي من وراء اعتبار اللغة العربية لغة أجنبية وترسيم اللغة الفرنسية هو تكريس " الجزائر الفرنسية " إلى أبد الأبد، ففي إطار الاحتفال بالمشيئة المشؤومة للإستعمار الفرنسي في الجزائر قال أحد المغرورين الفرنسيين: « إن هذا الاحتفال إنما لنصلي صلاة الجنازة على الإسلام والعروبة في الجزائر، فقد قبرناها إلى الأبد... الجزائر فرنسية في كل أشياءها ». (زيري، 1999، صفحة 50، 51)

2.3 الإستعمار الفرنسي والمسألة الأمازيغية: أما الأخطر في ذلك كله هو استغلال المستعمر الفرنسي للمسألة الأمازيغية في المغرب العربي، وذلك من خلال التركيز على الجزائر باعتبارها قلب المغرب العربي فبعدما تمكن الإحتلال الفرنسي من المغرب العربي (الجزائر سنة 1830، تونس سنة 1881، المغرب الأقصى سنة 1912) واجهته مقاومة شرسة قوية، تيقن من خلالها بأن هذا المغرب العربي تجمعه وحدة، جعلته متماسكا وقويا، وهذه الوحدة قوامها الإسلام والعروبة، ولكسر هذه الوحدة اهتدى المستعمر الفرنسي إلى ابتداء قضية " أمازيغ " و " عرب " على أساس أنهما أمتين مختلفتين في كل شيء ولا تجمعهما إلا الأرض، وذلك لضرب الصلة بين الإسلام عقيدة، والعربية لسانا وإطارا. لم يقف المستعمر الفرنسي عند هذا الحد، وإنما دعا كذلك إلى جعل العربية الفصحى " عربيات عامية " ليكون بعد ذلك الإنتقال من الأمازيغية إلى الفرنسية.

ومن هنا انطلق المستعمر الفرنسي في الترويج لفكرة أن سكان شمال إفريقيا بعضهم عرب، وبعضهم أمازيغ وأن الأمازيغ هم الأغلبية، وعليهم أن يعودوا إلى عاداتهم وتقاليدهم، وحتى نصرانيتهم قبل الإسلام، وأن يُعادوا العربية، وتبني الأمازيغيات المغاربية كخطوة أولى للابتعاد عن العربية، واحتضان الفرنسية بمضمونها النصراني.

ولتجسيد هذه الفكرة على أرض الواقع عملت الإدارة الإستعمارية على تأسيس دور للرعاية الإجتماعية كغطاء للتنصير، مستغلة في ذلك ظروف الجهل والفقر في الأرياف والجبال، وفي هذا السياق اعتبر " جود فروي ديموبين " (Gaude Froy DEMOMBYNES) وجود العنصر الأمازيغي قوة نافعة لسياسة فرنسا في التفرقة بين العرب والأمازيغ، حيث قال: «إن الفرنسية ينبغي أن تصبح عند الأمازيغ عمليا هي لغة الإدارة والإقتصاد واللغة الفرنسية هي التي ينبغي أن تكون الأداة اللغوية للحضارة الحديثة بالنسبة إليهم». (بلكا حراز 2014 صفحة 125).

استعمل المستعمر الفرنسي البربرية ضد التعريب، وذلك عن طريق ترقية اللهجات القبائلية المختلفة، وفي هذا الإطار أنشأ المستعمر الفرنسي عام 1885 كرسي للهجات البربرية بدار الآداب بالعاصمة. (ريسليو 2016 صفحة 218)

لقد عملت فرنسا إبان استعمارها لبلدان المغرب العربي عموماً، والجزائر خاصة على فرنسة تلك المجتمعات من خلال الغزو اللغوي والغزو الثقافي. (السحمراني، 2002، صفحة 92).

لقد انفجرت المشكلة الأمازيغية في الجزائر عام 1949 بعد بروز زعيم الحركة الأمازيغية "محمّد علي يحي" في فرنسا، التي أصبحت ملاذاً للحركة الأمازيغية، والتي دعا بعض أعضائها إلى تكوين حزب الشعب القبائلي بعد الإستقلال، وبالضبط سنة 1967 تم إنشاء "الأكاديمية الأمازيغية" في فرنسا برعاية فرنسية، للوقوف في وجه التعريب في التعليم والإدارة. انطلاقاً من هنا يتضح بأن المستعمر الفرنسي لعب دوراً أساسياً في صناعة المشكلة اللغوية في الجزائر، حيث أنه عمل على زرع البذور الأولى لهذه المشكلة ولتشتد وتتعدد أكثر غداة الاستقلال.

4. الذات الثقافية في الجزائريين الاختلاف والتعايش: إن توجه السلطة في الجزائر بعد الاستقلال إلى توحيد اللغة والثقافة في إطار وجود تعددية لغوية، وتنوع ثقافي، أدى إلى بروز تيارات خارج الدولة، تطالب باحترام الخصوصيات اللغوية والاختلاف الثقافي، وهذا ما تمخض عنه طرح متناقض للمسألة الثقافية في الجزائر في شكل: "عربي-بربري"، "مفرنس-مغرب"، "سلفي-حدائي".

لقد ازدهر النقاش في السنوات الأخيرة حول البناء الثقافي الجزائري، وما يطرحه من مسألة "تعايش الذات المتناقضة"، (دليو، 2002، صفحة 202) وفي هذا الصدد يمكن القول بأن هناك أربعة ذوات ثقافية في الجزائر أسهمت في رسم المشهد الثقافي في الجزائر، وهي كالتالي:

1. الذات المعربة: التي ترى في العربية أصل الأمة الجزائرية؛
2. الذات الإسلامية: التي تنطلق من الإسلام في تفسيرها للهوية الثقافية الجزائرية؛
3. الذات الأمازيغية: التي تدعو إلى الاعتراف التاريخي بالهوية الجزائرية؛
4. الذات المفرنسة: وهي المولعة بثقافة الغالب.

ولقد دخلت هذه الذوات في صراع، وأصبحت كل ذات تعمل على تشويه صورة الذات الأخرى، وتطرح نفسها كنموذج ناجح لآمال الشعب الجزائري.

1.4 الذات المعربة: فمن خلال النصوص الأساسية لجهة التحرير الوطني حول المشروع الثقافي الجزائري يتبين من أن الثقافة الجزائرية وطنية، ثورية وعلمية (جهة التحرير الوطني، 1979، صفحة 79) وعلى هذا الأساس فإنه عشية الإستقلال طغت على الخطاب الرسمي السياسي حول الثقافة ثوابت أساسية، وهي:

- ارتباط الثقافة باللغة والأصالة: فاللغة العربية هي أداة لإعادة بحث التراث الوطني، واستعادة الماضي الثقافي والحضاري، الذي هُمّش أثناء الإحتلال الفرنسي، والذي نتج عنه تراجع اللغة العربية كوسيلة رسمية في التواصل، نظراً للعلاقات بين الغالب والمغلوب في الحقبة الإستعمارية؛

- ارتباط الثقافة بالتغيير والثورة، وذلك من خلال محاربة ثقافات الطوائف (الرياشي، 1996، صفحة 472).

عمل الإستعمار الفرنسي على طمس معالم الهوية الثقافية الجزائرية، من خلال إقصاء وتهيمش اللغة العربية وعليه حاولت النخبة المعربة الجزائرية منذ الإستقلال إعادة المكانة المرموقة للغة العربية، وذلك من خلال انتهاج سياسة التعريب، وهذا ما يعرف بالتخطيط اللغوي، الذي هو من أهم الأدوات التي تهدف إلى تدعيم مكانة اللغة الرسمية، وتحقيق التوازن بين اللغات إن وجدت. وما ينبغي الإشارة إليه هو أن التعريب في الجزائر لم يكن يهدف منه إقصاء اللغات الأجنبية (فضيل 2013 صفحة 76)، وإعلان تحريم الفرنسية في التعليم و التعاملات، وإنما هو الحرص على استعادة اللغة العربية لمكانتها.

وفي هذا السياق أثارت، -ولأول مرة - نيكول غونيه (Nicole Gueunier)، مصطلح "الأمن اللغوي"، فهي ترى بأن الحاكم يجب أن يحترم منزلة كل لغة، ووصلت إلى ربط أهمية الأمن اللغوي بنظيره من الأمن الفكري والغذائي والمائي، و أما النتيجة الأساسية التي وصلت إليها الباحثة هي أن الأمن اللغوي لا تهدده اللهجات المحلية، إذ أن كل دولة في العالم توجد بها لغة رسمية ولهجات، وأن الذي يحول دون تحقيق الانسجام الإجتماعي هو دخول اللغات الأجنبية في مزاحمة اللغة الوطنية (فضيل، 2013، صفحة 76). وما ينبغي التأكيد عليه هو أن دستور 1989 شكل منعطفا حاسما في سياسة التعريب، ففي 16-01-1991 جاء قانون تعميم استعمال اللغة العربية، ومن بين أهم ما جاء فيه هو إلزام جميع الإدارات العمومية والهيئات والمؤسسات باستعمال اللغة العربية وحدها في كل أعمالها، بالإضافة إلى تحرير كل الوثائق الرسمية باللغة العربية.

إن هذا القانون أثار حفيظة المثقفين الأمازيغ، الذين يقرون باللغة العربية لغة وطنية ورسمية للوطن الجزائري، غير أنهم يطالبون إضافة اللغة الأمازيغية كلغة وطنية لها حقوقها الطبيعية على الدولة الجزائرية. (مناصرة، 1999، صفحة 25).

2.4 الذات الإسلامية: وهي تنطلق من أن التراث والثقافة الإسلامية هي البديل الأمثل لحل مشاكل المجتمع، وذلك يكون عن طريق إقامة الدولة الإسلامية على أساس ديني، ولقد لاقى هذه الذات تجاوبا كبيرا من طرف الشعب خلال سنوات التسعينات، وفي هذا السياق يرى "عمار بلحسن" بأن هذا الواقع هو عبارة عن إجابة المجتمع التقليدي المهمش عن انحطاط الدولة وفساد نظامها، وقد اتخذت الحركات الدينية من المساجد منبرا لها، للتعبير عن برامجها وأهدافها، إلا أن انزلاق هذه الحركات نحو العنف أدى إلى إضعافها، كما أن هذه الحركات وصلت إلى حد تكفير الديمقراطية، حيث أعلن "علي بلحاج" صراحة: «أنا أكفر بالديمقراطية» (عياشي، 1993، صفحة 46).

وما ينبغي الإشارة إليه هو أنه ضمن المعارضة الإسلامية توجد أربعة اتجاهات:

1. اتجاه الجماعات الإسلامية الراديكالية بتوجهاتها الفكرية والسياسية والعسكرية.

2. اتجاه الحركات الإسلامية المعتدلة.

3. اتجاه الإسلاميين المحايدون من مثقفين ومفكرين.

4. اتجاه الإسلاميين المتشددون، والمؤيدين للسلطات الاستبدادية.

وما يجب التأكيد عليه هو أن موجة العنف التي عرفتها الجزائر، لا علاقة لها بالدين الإسلامي السمح

وإنما مرجعها إلى الانسداد السياسي، وغياب العدالة الاجتماعية والقمع الأمني.

3.4. الذات الأمازيغية: عرفت منطقة تيزي وزو عام 1980 أحداث عنف، أيقظت مسألة الثقافة

والهوية الوطنية، وفي هذا السياق قال "محمد حربي": « إن انتفاضة تيزي وزو تستهدف الدولة التسلطية،

وتطرح أمام الجزائريين كل مشكلة الإثنية والحق في التغير » (دليو، 2002، صفحة 211).

لقد تمخض عن أحداث الربيع الأمازيغي ما يلي:

1. تعليم اللغة الأمازيغية، وزيادة البرامج الإذاعية

2. إنشاء جمعيات لشباب أمازيغيين على مرحلة الثمانينات.

3. التمهيد لانتفاضة أكتوبر 1988، وفتح باب التعددية السياسية (مناصرة، 1999، صفحة 54).

وفي إطار الحركة الأمازيغية يمكن التمييز بين أربعة اتجاهات:

(أ) - نزعة التعددية الثقافية: و التي تنادي بضرورة الاعتراف الرسمي بحق الأقلية في الاحتفاظ بلغتها و

ثقافتها؛

(ب) - نزعة الإحياء الأمازيغي العرقية: و هي الأكثر تطرقا، حيث تدعو إلى وقف سياسة التعريب، باعتبار

أن العربية هي لغة أجنبية، وتركز هذه النزعة على نقطتين أساسيتين: الأولى مفادها أن مادام العرب

المسلمين كانوا مستعمرين و ليسوا فاتحين، فإن اللغة العربية فرضت عليهم بالقوة والإكراه، وأن الدين

الإسلامي دين غريب عنهم، وأما النقطة الثانية فجوهرها أن الفرنكوفونية هي الأقرب للثقافة الأمازيغية،

وهذا ما فرض كتابة الأمازيغية بالحروف اللاتينية، وحسب بعض المفكرين فإن هذه النزعة تلقت الدعم

والمساندة من طرف فرنسا؛

(ج) - نزعة ديمقراطية الحياة السياسية: و هي التي تحرص على إقامة الديمقراطية في الجزائر، وهي التي لا

تؤكد على عنصر اللغة والثقافة، باعتبارهما تدخل ضمن شؤون الدولة.

(د) نزعة شعبية ائتلافية: وهي تضم عامة الناس، وهي تؤكد على الانتماء العربي الإسلامي، وعلى

استخدام اللغة العربية في رسم الأمازيغية، وتعتقد هذه النزعة بأن الانتماء إلى القبائل الأمازيغية، لا يؤثر

على المجال العربي الإسلامي.

وفي أوت 1998 تقدمت "الحركة الثقافية البربرية" المعروفة اختصارا باسم (أمسيي) بشكوى، تطلب فيها تدخل الأمم المتحدة للتحقيق في الأوضاع الإنسانية بالجزائر، عبر وثيقة موسومة بـ: " انتهاكات حقوق الهوية الثقافية واللغوية للأمازيغيين الجزائريين"، و تمثلت مطالب هذه الحركة في: الاعتراف بالأمازيغية كثاني لغة وطنية رسمية، واعتماد اللغة العربية العامية بدل اللغة العربية الفصحى، وكذلك المساواة بين اللغات والثقافات الجزائرية أمام القانون (بن قينة، المشكلة الثقافية في الجزائر، صفحة 87).

يمكن تفسير هذه الدعوى الداخلية للتدخل الخارجي بفشل النظام السياسي في احتواء الحركة الأمازيغية، و في هذا السياق يقول " نذير معروف " حول التنوع الثقافي في الجزائر: «إن عجز النظام السياسي الجزائري عن إنتاج الدولة، هو الذي أدى إلى طرح مسألة الهوية في الجزائر بهذه الحدة المبالغ فيها كملجأ، سواء كان الأمر يتعلق بالمستويات ما قبل الوطنية أم الوطنية، فهذه العودة نحو قضايا الهوية في المجتمع تمثل بديلا و تعويضاً عن الدولة العاجزة» (Marouf, 1993, p.14).

إن المسألة الأمازيغية تظهر إلى السطح، وتتخذ الطابع السياسي عندما تضعف الدولة، وقد استغلت الحركات الأمازيغية الظروف الصعبة التي مرت بها الجزائر منذ أكتوبر 1988.

في الحقيقة إن اللغة العربية ليست لها أية مشكلة أو عداوة مع الأمازيغية ولا مع الناطقين بها، بل على العكس من ذلك، فالأمازيغيون أسهموا بقسط كبير في ترقية وسائل الحضارة والثقافة، ومنها اللغة العربية، وفي هذا المضمار يقول " الودغيري " : «العربية لم ينظر إليها في يوم من الأيام على أنها لغة جنس من الأجناس يسمون العرب، بل كانت في نظر المسلمين جميعا لغة القرآن الكريم والعقيدة والإسلام، ولغة الوحدة والرابطة اللاحمة بين مختلف الشعوب والأجناس المنضوية تحت لواء الدين، فلم ينازعوا في مكانتها وسيادتها إلا حين تراجع الوازع الديني، وبدأت تحل محله نوازع قومية وطائفية وعرقية، وفلسفات مادية، ومصالح سياسية ودوافع إيديولوجية داخلية وخارجية». (الودغيري، 2000، صفحة 142)

لقد عاش المجتمع الجزائري قرونا من التعايش التلقائي بين مكوناته وتناقضاته، حيث لم يسجل هذا التاريخ الطويل حروبا بين العرب والأمازيغ، ذلك أن الشخصية المستقلة والهوية لم تظهر إلا في العصر الحديث وكانت بداياتها كما ذكرنا سابقا مع الإستعمار الفرنسي، ليتطور الأمر مع بلورة ثقافة وإيديولوجية بظهور نخب جديدة واعية بثقافة الحقوق الثقافية، وبالتالي أعادت الحركة الأمازيغية النقاش حول قضية الهوية، وأسس الدولة الجزائرية، لتكون بذلك المسألة الأمازيغية من القضايا الكبرى المطروحة اليوم على الدولة والمجتمع والفاعلين السياسيين في الجزائر.

4.4. الذات المفروسة: لغة الحياة عندها هي اللغة الفرنسية، وتعيشها واقعا إداريا، إجتماعيا وثقافيا، وهي ترى بأن اللغة الفرنسية يجب أن تبقى في المجتمع كوسيلة للتعامل والتعلم والبحث والعمل،

ولذلك فهي تعارض قانون التعريب، وتطالب بقانون التمييز، أي القانون الذي يعمم استعمال اللغة الأمازيغية ويرسمها، وهي تريد من وراء ذلك استخدام الأمازيغية كورقة ضغط للحد من انتشار التعريب الذي سيضيق الخناق على اللغة الفرنسية وفي هذا السياق يقول أحد الكتاب الجزائريين المتحمسين للغة الفرنسية وثقافتها وهو " كاتب ياسين ": « إن اللغة الفرنسية هي عبارة عن غنيمة ثقافية كسبتها تلك المجتمعات من المستعمر الفرنسي، وينبغي إذن المحافظة عليها ».(الودغيري، 2000، صفحة 142)

إن معنى الغنيمة في لغة الضاد هي الفوز بالشيء دون مشقة، ومن ثم فإن " كاتب ياسين " وغيره من المثقفين والمتعلمين المغاربة المتشبعين بالتكوين اللغوي والثقافي الفرنسي نادوا بضرورة الحفاظ وصون الموروث اللغوي الثقافي الفرنسي بين أغلبية سكان أقطار المغرب العربي التي تعرضت للإستعمار الفرنسي وهي الجزائر، تونس، المغرب وموريتانيا.

إن التيار الفرنكفوني يُحمّل المدرسة المعربة التطرف والانحراف الذي يحدث في المجتمع، إذ أنه ربط التخلف وضعف المستوى بالتعريب، والعنف والتطرف بالإسلام.

ومن جهة أخرى يرى التيار الفرنكفوني بأن التعريب هو عائق في ترقية الأمازيغية، وهذا الموقف الرافض لقانون التعريب يلتقي فيه زعماء الأفافاس والأرسيدي، لأنهم ينظرون إليه على أنه نوع من الإقصاء اللغوي والثقافي، وبذلك فهم يرون بأن اللغة العربية لا يمكنها أن تتطور على حساب اللغات الأخرى.

يرى أصحاب هذا الاتجاه بأن اللغة الفرنسية هي وسيلة لتحقيق النهضة العلمية والاقتصادية، وبالتالي لابد من إدراجها في كل مراحل التعليم، وفي المقابل يعتقد هؤلاء بأن تقديس والتمسك بالخصوصيات الثقافية بما فيها اللغة العربية، يعتبر شكلا من أشكال الانغلاق على الذات والعالم، لاسيما في عصر العولمة التي تفرض انفتاحا على الثقافات الأخرى (فضيل، 2013، صفحة 42).

ولذلك يدعو بعض أنصار هذه النزعة أمثال فؤاد لعروسي إلى تحالف فرنكفوني -أمازيغي ضد ما يسميه الأيديولوجيا العربية-الإسلامية.

لقد لعب المستعمر الفرنسي عبر التاريخ على بعث المسألة البربرية منذ 1944، وأعاد إحياءها بتأسيس الأكاديمية البربرية في باريس عام 1967، وكانت الغايات من وراء ذلك هو تحقيق ما يلي:

1. الحيلولة دون تحقيق الانسجام الثقافي في الجزائر؛
2. زعزعة مقومات الوحدة الوطنية عبر ابتداع لغة ثانية للمجتمع، والضغط على الدولة لإيقاف سياسة التعريب.
3. " لبننة الجزائر " (عبد الله، 1995، صفحة 36).

وقد أسهم التيار الفرنكفوني في تأجيج هذه المشكلة، والتي له فيها مصلحة، وفي هذا السياق يقول "الودغيري": «أليست الفرنسية إذن هي المستفيد الوحيد من غياب العربية في المغرب أو التقليص من

وجودها ؟ أليس من الأفضل للغة الأمازيغية أن تقف في خندق واحد مع العربية لمجابهة الافتراس اللغوي الأجنبي الذي تتعرضان له معا، بدل الوقوف بجانب الحركة الفرنكوفونية المهددة لهما معا» (الودغيري، 2000 صفحة 145).

5. خاتمة: إن دراسة تاريخ البنية الثقافية الجزائرية، وإبراز منطلقات الذوات الثقافية الجزائرية مكنت الوصول الى جملة النتائج والاستنتاجات والتي يمكن تلخيصها في النقاط التالية:

- إن عامل التباينات الثقافية هو متغير أساسي في بحث أزمة الهويات، وأن الدولة كلما اتجهت للسيطرة عليه، فإنه قد يؤدي إلى اختلالات اجتماعية واقتصادية ما بين الأكثرية والأقليات المتباينة عنها ثقافيا؛

- عرفت الجزائر عبر تاريخها الطويل مشاكل سياسية كبيرة، ولكنها لم تعرف يوما مشكلة ثقافية بمضمون عرقي، حتى بعد غزو الاحتلال الفرنسي، الذي شن حربا حضارية إلى جانب الحرب العسكرية لضرب العلاقة بين العربية والدين الاسلامي اللذين يمثلان محور الهوية، فأوجد الصراع بين العربية والأمازيغية والعامية لصالح اللغة الفرنسية؛

- إن المطالب الأمازيغية الثقافية في الجزائر تخفي وراءها مطالب أخرى سياسية واقتصادية، ومن هنا يمكن القول بأن اللغة لا تتحول إلى صراع لغوي إلا عندما ترتبط برهانات أخرى اقتصادية، اجتماعية وسياسية ومن هنا كان لا بد من الاهتمام بتنمية المناطق الأمازيغية، ودمجها في الحركة الاقتصادية والاجتماعية للبلاد؛

- لابد من احترام اللهجات والثقافات المحلية في إطار مراعاة قضية التنوع الإنساني والثقافي بما لا يشكل تهديدا للهوية الوطنية والتماسك والوحدة، وعلى هذا الأساس لا يجوز الوقوف ضد مسعى ترقية الأمازيغية، ولا ينبغي كذلك وضع اللغة العربية الفصحى في مواجهة ضد الأمازيغية، ولا ضد العامية، لأن ذلك يهدد الأمن المجتمعي، ويخدم في المقابل اللغات الأجنبية ومخططات القوى الإستعمارية التقليدية؛

- ما ينبغي التأكيد عليه في النهاية هو أن الانتماء الإسلامي والعربي والمحلي (الأمازيغي) لا يعني الانغلاق على الذات، كما أن التعريب لا يلغي الانفتاح على حضارات العصر وثقافته، كما لا يكون عائقا أمام تعلم اللغات الأجنبية، التي لا تطغى على اللغة الوطنية ولا تنافسها على موقعها؛

- وفي نهاية هذه الدراسة يوصي الباحث بضرورة المواءمة بين الوحدة السياسية والتنوع الثقافي في الجزائر، والتركيز على الاندماج المؤسساتي الذي يقوم على الاندماج في مؤسسات مشتركة تعمل على أساس اللغة المشتركة دون اعتبارات العادات والتقاليد والعرق، والسماح للذوات الثقافية بالحفاظ على هويتها في إطار الوحدة الوطنية.

6. قائمة المراجع:

1. فضيل دليو وآخرون، مستقبل الديمقراطية في الجزائر، (بيروت، لبنان، مركز الدراسات الوحدة العربية 2002)، صفحة 202
2. جهة التحرير الوطني، النصوص الأساسية لجهة التحرير الوطني (1954-1962)، (الجزائر: وزارة الإعلام والثقافة، 1979)، ص 79.
3. عبد القادر فضيل، اللغة ومعركة الهوية في الجزائر، (الطبعة الأولى، الجزائر: جسور للنشر والتوزيع 2013)، الصفحة 76.
4. عبد القادر فضيل، اللغة ومعركة الهوية في الجزائر، مرجع سبق ذكره، الصفحة 76.
5. أحميدة عياشي، الحركة الإسلامية في الجزائر: الجذور، الرموز، المسار، (الدار البيضاء، المغرب النجاح الجديدة، 1993)، الصفحة 46.
6. فضيل دليو وآخرون، مستقبل الديمقراطية في الجزائر، مرجع سابق ذكره، صفحة 211.
7. عز الدين مناصرة، المسألة الأمازيغية في الجزائر والمغرب: إشكالية التعددية اللغوية، (مصر، دار الشروق للنشر والتوزيع، 1999)، الصفحة 54.
8. عمر بن قينة، المشكلة الثقافية في الجزائر: التفاعلات والنتائج، (الطبعة العاشرة، عمان الأردن: دار أسامة للنشر والتوزيع، 2000)، صفحة 87.
9. Nadir Marouf, " l'Algérie pluri-culturelle : droit à la différence et différence du droit", NAQD, 1993/2 N° 5, p. 14.
10. عبد القادر فضيل، اللغة ومعركة التنويه في الجزائر، مرجع سبق ذكره، الصفحة 42
11. حسن عبد الله، الأقليات في الواقع العربي: الاندماج والتجزؤ، (دمشق، سوريا: دار مشرق-مغرب 1995)، ص 36.
12. عبد العالي الودغيري، اللغة والدين والهوية، (المغرب: الدار البيضاء: النجاح الجديدة، 2000) ص 145.
13. يوجينا سيابيرا، التنوع الثقافي والاعلام العالمي، ترجمة: احمد المغربي، (الطبعة الاولى، القاهرة مصر دار الفجر للنشر والتوزيع، 2012)، الصفحة 32.
14. Gunther Dietz, " Keyword: Cultural diversity ", Zeitschrift für Erziehungswissenschaft, March 2007, p.7
15. حسام الدين علي مجيد، اشكالية التعددية الثقافية في الفكر السياسي المعاصر، جدلية الاندماج والتنوع (بيروت، لبنان، مركز الدراسات الوحدة العربية، 2010)، الصفحة 13.

16. العربي زبيري، تاريخ الجزائر المعاصر، الجزء الأول، (سوريا: منشورات اتحاد الكتاب العرب، 1999) ص50، ص51.
17. إلياس بلكا؛ محمد حراز، إشكالية الهوية والتعدد اللغوي في المغرب العربي: المغرب نموذجا، (ط01 الإمارات العربية المتحدة، 2014)، ص125.
18. كميل ريسلير، السياسة الثقافية الفرنسية بالجزائر: اهدافها وحدودها 1830-1962 ترجمة: نذير طيار (الطبعة الاولى، دار الكتابات جديدة للنشر الالكتروني، 2016)، الصفحة 218.
19. اسعد السحمراني، ويلات العولمة على الدين واللغة والثقافة، (الطبعة الاولى، بيروت، لبنان: دار النفاس، 2002)، الصفحة 92.



التنوع اللغوي أسبابه وشروطه في اللغة العربية في نظر القدماء والمحدثين من اللغويين العرب
Linguistic diversity, its causes and conditions in the Arabic language,
in the view of ancient and modern Arabic linguists

د. ميلود حركاتي*

تاريخ القبول: 2021/06/11

تاريخ الاستلام: 2021/04/03

ملخص: يعالج هذا البحث مظاهر التنوع اللغوي في الفصحى الجزائرية الذي يقابله التنوع اللغوي في فصحى المشاركة منذ القديم ويسمى عند اللغويين (المعرب والدخيل) أو (الاقتراض اللغوي عند المحدثين). كما يهدف هذا البحث إلى تسليط الضوء على المعرب والدخيل في نظر القدماء والمحدثين ووجوده في القرآن الكريم وشروط التعريب، مع الإشارة إلى أسباب وجود هذا التنوع اللغوي التي تعود إلى العلاقات بين الشعوب التي كانت متاخمة للعرب من عهد بعيد.

ولكن هل مازالت هذه الألفاظ الدخيلة والمعربة مستمرة في دخولها إلى العربية أم توقفت؟ هذه هي الإشكالية التي سيحاول هذا البحث الإجابة عنها.

كلمات مفتاحية: اللغة العربية، التنوع اللغوي، المعرب والدخيل، فقه اللغة، الاقتراض اللغوي.

Abstract: This research deals with the linguistic diversity aspects in the classical Algerian Arabic which corresponds to the linguistic diversity in the classical Oriental Arabic since ancient times, and it is called for the linguists (The Arabized and the foreign words) or (the modernists language borrowing). This research also aims to shed light on the Arab and the foreign words in the eyes of the ancients and the modernists, and its presence in the Holy Quran and the conditions of Arabization, with an indication of the reasons for the existence of this linguistic diversity that goes back to the relations between peoples that were bordering the Arabs from a long time ago.

But are these extraneous and Arabized expressions still entering to the Arabic language, or have they stopped? This is the problem that this research will try to answer.

Keywords: Arabic language; linguistic diversity; the Arabized and the foreign words; philology; Linguistic borrowing.

1. مقدمة: إنّ دراسة التنوع اللغوي أو المعرب والدخيل في اللغة العربيّة يتطلب منا معرفة أسباب اللّجوء إلى الاقتراض من لغات أخرى مجاورة لنا أو أكثر تطورا منّا.

ويبدو أن أهم عامل في دخول مفردات أجنبية إلى لغتنا العربية هو عامل الاحتكاك بين العرب والشعوب الأخرى منذ القدم لأسباب اقتصادية بالدرجة الأولى أو غير ذلك... ولكن هل نترك الباب مفتوحا أمام اللغات الأجنبية لتغزو لغتنا وتميتها؟ أم لابد أن نضع شروطا لهذا الغزو اللغوي كما يسميه البعض؛ نظرا لتخلفنا في مجال العلوم بالدرجة الأولى.

يجب أن نعمل على الحفاظ على لغتنا من سيطرة الدخيل ولكن لابد من مواكبة سير الحضارة وكما لابد من الاقتباس من اللغات الأخرى عند الضرورة. وقد أشار بعض اللغويين العرب إلى أن أسلافنا في الجاهلية كانوا يستعملون الكثير من الألفاظ الأجنبية في لغتهم وذلك مثل كلمة (السجنجل) التي جاءت في شعر امرئ القيس وهي تعني (المرأة) في لغتنا العربية، وربما كانت القافية هي التي دفعته ليتخلى عن (المرأة) ويستعمل (السجنجل)؛ لأن معلقته لامية كما هو معلوم.

وفي عصرنا هذا نجد أنفسنا في أمس الحاجة إلى ترجمة الألفاظ الجديدة المبتكرة سواء عن طريق الاقتباس أم الترجمة. ويرى الكثير من اللغويين العرب أن إدخال الألفاظ الأجنبية إلى لغتنا لا يشكل خطرا عليها إذا كان من طرف الكتاب والعلماء الذين هم على درجة من الوعي والثقافة.

وعليه، لابد أن تسير لغتنا ركب الحضارة والتطور وذلك بتعريب الألفاظ الضرورية وخاصة المسميات الجديدة في الصناعة الحديثة والتي لا تجد لها مرادفا في لغتنا وعلينا أن نسعى إلى تطوير لغتنا وتفعيل مجمعائنا اللغوية التي قامت بتعريب الكثير من الألفاظ مثل: (تلفون، أوتومبيل، تلغراف...) ونشرت كل مصطلحات العلوم في مجلاتها المتخصصة بعد دراستها من قبل خبراءها.

وقبل ذكر أهم العناصر التي سيعالجها هذا المقال، لابد من التنبيه إلى أن إشكالية هذا البحث تتمثل في أسباب وجود ظاهرة الاقتراض اللغوي (المعرب والدخيل) في اللغة العربية، وهل ما زالت هذه الظاهرة مستمرة إلى عصرنا وزماننا هذا؟

هذه هي الإشكالية التي سيحاول هذا المقال الإجابة عنها وذلك بتسليط الضوء على العناصر التالية:

- مفهوم الاقتراض اللّغو.

- التعريف بمصطلحات (المعرب- الدّخيل- المولد):

- أسباب ظهور المعرب والدخيل في العربية؛

- وجود الدّخيل في القرآن الكريم؛

- شروط التعريب؛

- مشكلات التعريب وموقف المحدثين منه.

2. مفهوم الاقتراض اللغوي: المقصود بالاقتراض في اللغة العربية المفردات المعربة والدخيلة التي أضيفت إلى القاموس العربي من لغات أجنبية، " والاقتراض اللغوي أمر ملازم للغات في مختلف العصور"¹

كما أن " الاقتراض (Borrowing) ظاهرة لغوية مشتركة لا تكاد تخلو منها لغة أو لهجة مادام لها متحدثون لهم أدنى اتصال أو احتكاك مع متحدثي لغة أخرى أو لهجة أخرى، ويدل تاريخ البحث في اللغات على أنه لا توجد لغة تخلو تماما من هذه الظاهرة "²

وعن مفهوم الاقتراض اللغوي يقول ابراهيم أنيس: " واستعمال لفظ الاقتراض في هذه الظاهرة ليس إلا من قبيل التجوز، أو مجازة لاصطلاح اللغويين المحدثين، فليس اقتراض الألفاظ اقتراضا بمعناه الدقيق، ذلك؛ لأن اللغة المستعيرة لا تحرم اللغة المستعار منها تلك الألفاظ المستعارة... فما سمي باقتراض الألفاظ ليس في الحقيقة إلا نوعا من التقليد... وقد دلت الملاحظة على أن اللغات منذ القدم يستعين بعضها بألفاظ بعض، حدث هذا بين اللغات القديمة ولا يزال يحدث بين اللغات الحديثة ".³

والجدير بالذكر أن الاقتراض اللغوي الذي يدرسه هذا المقال هو التنوع اللغوي الذي يقابله مصطلح (المعرب والدخيل) في اللغة العربية.

3- مفهوم المعرب والدخيل والمولد في اللغة:

1.3 المعرب: جاء في معاجم العربية أن " تعريب الاسم الأعجمي أن تتفوه به العرب على منهجها ".⁴ وتناوله السيوطي في (المزهر) بعنوان (معرفة المعرب) حيث يقول: " هو ما استعملته العرب من الألفاظ الموضوعية لمعان في غير لغتها ". ثم يضيف السيوطي مستشهدا بقول صاحب الصحاح، يقول: " قال الجوهري في الصحاح: تعريب الاسم الأعجمي أن تتفوه به العرب على منهجها، تقول: عربته العرب وأعربته أيضا "⁵.

2.3 الدخيل: وهو كما جاء في لسان العرب لابن المنظور في قوله: "... وكلمة دخيل: أدخلت في كلام العرب وليست منه "⁶.

وذكر السيوطي في (المزهر) أنهم يطلقون على المعرب دخيلا، وذلك في قوله: " ويطلق على المعرب دخيل... "⁷.

ومن الدارسين المحدثين من يقول: " إننا لا نجد اختلافا في مدلول هذا اللفظ " الدخيل بين المعاجم العربية كما لا نرى في نصوصها أو شواهدا ما يفصح عن تطور كبير في أصل دلالاته، فابن فارس يقول: " الدال والخاء واللام، أصل مطرد منقاس، وهو الولوج، يقال: دخل يدخل دخولا... وبنو فلانا في بني فلان دخيل: إذا انتسبوا معهم ودخيلك الذي يداخلك في أمورك "⁸.

3.3 المولد: من مادة (ولد) في لسان العرب لابن منظور في قوله: " وعربية مولدة، ورجل مولد. إذا كان عربيا غير محض " ⁹.

وأورده السيوطي في (المزهر) تحت عنوان (معرفة المولد) ثم يعرفه بقوله: " هو ما أحدثه المولدون الذين لا يحتج بالفاظهم، والفرق بينه وبين المصنوع أن المصنوع مورده صاحبه على أنه عربي فصيح وهذا بخلافه " ¹⁰.

4- مفهوم المعرب والدخيل والمولد في الاصطلاح:

1.4 المعرب: هو اللفظ الأعجمي الدخيل ولكنه لبس الثوب العربي فوضع ضمن أحد أوزان العربية، أو اشتق منه كأي لفظة فصيحة مثل: بوتقة وبهجة.

والمعرب دخل العربية الفصيحة مثل المنجنيق والصراط والمسك... منذ الجاهلية، وما زال التعريب حتى اليوم إلى جانب الدخيل ¹¹.

وعرفه عبد الواحد وافي بقوله: " يراد بالدخيل ما دخل اللغة العربية من مفردات أجنبية سواء في ذلك ما استعمله من جاء بعدهم من المولدين. وقد اصطلح المحدثون من الباحثين على أن العرب الفصحاء هم عرب البدو من جزيرة العرب إلى أواسط القرن الرابع الهجري، وعرب الأمصار إلى نهاية القرن الثاني الهجري (ويسمون هذه العصور بعصور الاحتجاج).

وأن المولدين هم من عدا هؤلاء ولو كانوا من أصول عربية.

و يطلق على القسم الأول من (الدخيل) وهو ما استعمله فصحاء العرب باسم (المعرب) وعلى القسم الثاني منه، وهو ما استعمله المولدون من ألفاظ عامية لم يعربها فصحاء العرب باسم (الأعجمي المولد) ¹². ونلاحظ أن عبد الواحد وافي ضمن تعريفه المصطلحات الثلاثة (المعرب والدخيل والمولد)

وأما (حسن ظاذا) فيعرف المعرب بأنه " هو لفظ استعاره العرب الخلف في عصر الاحتجاج باللغة من أمة أخرى واستعملوه في لسانهم مثل السندس، الزنجبيل، السراط، الفسطاط، الإبريق، الاستبرق... " ¹³.

2.4 الدخيل: له تعريفات عدة منها ما سبق تقديمه مع تعريف (عبد الواحد وافي). ومن الباحثين من عرفه بأنه " الألفاظ التي دخلت العربية من لغات أخرى وحافظت على شكلها ولم تخضع للميزان الصرفي العربي ولم يشتق منها ألفاظا " ¹⁴.

وهناك باحثون جمعوا هذه المصطلحات تحت عنوان (الدخيل) وقسموه إلى ثلاثة أقسام هي: أمعرب: وهو ما نطق به الجاهليون ومن يحتج بلغتهم من الكلام الأعجمي. وهو أصغر الأقسام جميعا بسبب عزلة العرب في الجاهلية وعدم احتكاكهم بالأمم المجاورة اللهم ما كان من اتصال القرشيين بالروم في الشام في رحلة الصيف، وما كان من اتصال أهل اليمن بالأحباش والفرس في

مناسبات عسكرية وتجارية ثم ما كان من اتصال عرب الخليج ومشارف العراق مع الفرس والهنود في علاقات أكثرها تجاري وأقلها عسكري... وأكثر ما نقله العرب في هذه الفترة كان من الفارسية، وأقله كان من الرومية، وأقل من ذلك كان من الحبشية.¹⁵

وإضافة إلى التقسيم المذكور آنفاً، يقدم هذا الباحث أمثلة عن كل لغة اقتبس منها العرب ألفاظاً كانوا بحاجة إليها في حياتهم ومنها ما اقتبسوه من الفارسية (الكوز والجرة والإبريق والطشت والخوان والطبق والقصة...). ومما اقتبسوه من الرومية (الفردوس والقسطاس والاسطرلاب والقصطل والقنطار والترياق...). ومما نقلوه عن الحبشية فينحصر عند جمهور أهل العربية في ثلاثة ألفاظ هي: (كفلين، والمشكاة والهرج) ويرى (جرجي زيدان) أن الكلمات (الحج والكاهن والعاشوراء) منقولة عن العبرانية، وأن (الصبح والبهاء والسفينة) منقولة عن السنسكريتية.¹⁶

ب-مولد: وهو ما عرّبه المولدون الذين لا يحتج بألفاظهم. والمولدون هم الأجيال الأولى التي ولدت في صدر الإسلام. والمولد أكثر كثيراً في العربية من المغرب وذلك بسبب اختلاط العرب بشتى الأمم بعد الإسلام وأخذهم عنهم الكثير من العلوم والفنون والآداب والعادات وغيرها.

ومما اقتبسوه منهم من أسماء العقاقير (البقدونس، الزيزفون...) من الرومية و(البابونج والبنج والبورق...) من الفارسية. ومن المصنوعات والأدوات (الاسترلاب والصابون) من الرومية و(البركار والبوتقة والاسطوانة) من الفارسية. ومن اصطلاحات الفلسفة (الهيولي والفلسفة والطلسم والاقليم والقاموس والقانون) من الرومية.

ج-محدث أو عامي: المحدثون هم من عاشوا بعد المولدين إلى أيامنا هذه. ويسمى الكلام الذي عرّبه هؤلاء بـ (المحدث) تمييزاً له من المولد ونسميه اليوم (عامياً). ويصعب التمييز بين المحدث والمولد؛ لأن زمن ظهورهما غير محدد ومع ذلك فهناك ألفاظ كثيرة لا شك في كونها من المحدث نظراً لظهورها فيما عرف بعصر الانحطاط المتفق على حدائته...

و أكثر الألفاظ المحدثّة من (الفارسية أو التركية أو الكردية) وكلها إدارية من اصطلاحات الحكومة ومنها: (الاستدار = هو من يتولى قبض مال السلطان أو الأمير) (الجوكندار = لقب من يحمل الجكوكان مع السلطان في لعب الكرة) (السنجقدار = الذي يحمل السنجق وهو العلم)¹⁷.

5-أسباب ظهور المعرب والدخيل في العربية: يرجع بعض الباحثين أسباب ظهور الدخيل في العربية إلى عوامل متعددة... والعامل الرئيسي في دخول ألفاظ الدخيل يرجع إلى ما أتيح للشعوب الناطقة بالعربية من قبل الإسلام، ومن بعده من فرص الاحتكاك المادي والثقافي والسياسي بالشعوب الأخرى، وما نجم عن هذا الاحتكاك وعن التطور الطبيعي للحضارة العربية من ظهور مستحدثات لم يكن للعرب ولا للغتهم عهد بها من قبل في ميادين الاقتصاد والصناعة والزراعة والتجارة والعلوم والفلسفة والآداب والدين ومختلف مناحي السياسة والاجتماع. فقد توثقت العلاقات المادية

والسياسية منذ أقدم العصور بين العرب وجيرانهم الأراميين في الشمال عن طريق التجارة والرحلات وامتزاج بعض قبائل الآرامية بالعالم العربي في الحجاز نفسه أو على تخومه، وكان من آثار ذلك أن انتقل إلى اللغة العربية كثير من مفردات اللغة الآرامية، وخاصة المفردات المتصلة بمظاهر الحياة الحضرية التي لم تكن مألوفة في البيئة العربية الأولى.¹⁸

وكان عامل الاحتكاك بالشعوب المجاورة للعرب في الشمال من أهم أسباب ظهور ألفاظ الدخيل في اللغة العربية.

والشيء نفسه كان قد حدث مع الشعوب المتاخمة للعرب في الجنوب حيث أتيح لهم الاحتكاك بجيرانهم اليمنيين في الجنوب، فقد كانت العلاقات الثقافية والاقتصادية والدينية على أقوى ما يكون بين الشعبين وقد هاجر إلى بلاد العرب منذ عصور سحيقة في القدم كثير من القبائل اليمنية وخاصة قبائل معين وخزاعة والأوس والخزرج وتآلفت بينهم جاليات امتزجت بالعرب كل الامتزاج. وكانت الرحلات العربية إلى بلاد اليمن للتجارة لا يكاد يخلو منها فصل من فصول السنة، وبسبب هذا الاحتكاك انتقلت كثير من مفردات اللغة اليمنية إلى العربية على الرغم من تغلب العربية عليها.¹⁹

وبسبب العلاقات في ميدان التجارة مع بلاد اليمن نشأت بين الأحباش والعرب وخاصة عرب اليمن في الجنوب روابط وثيقة في ميادين السياسة والثقافة والاقتصاد، فانتقل عن هذا الطريق للغة العربية عدد غريب من مفردات اللغة الحبشية.²⁰

وإلى جانب هذين العاملين هناك عوامل أخرى أدت إلى احتكاك العرب بغيرهم من الشعوب، ونتج عن ذلك انتقال للمفردات بين أصحاب هذه اللغات، ومنها عامل الفتوحات الإسلامية الذي أدى إلى احتكاك العرب وامتزاجهم بكثير من الشعوب التي لم يتصلوا بها من قبل أو كان اتصالهم بها ضيق النطاق محدود الآثار فانتقل من جراء ذلك إلى العربية وإلى اللغات العالمية المتفرعة منها عدد كبير من مفردات اللغات الفارسية والسريانية واليونانية والتركية والكردية والقبطية والبربرية والقوطية.

وقد ظهرت آثار اللغات الثلاث الأولى في السنة فصحاء العرب أنفسهم في عصور الاحتجاج، وكان أظهرها أثراً الفارسية فالسريانية وأقلها أثراً اللغة اليونانية... وإن كان قد انتقل منها عن طريق السريانية ألفاظ مثل: إنجيل أسطوانة، أسقف، ناموس، اسفنج.

وأما عامل الحروب الصليبية فهو الآخر أسهم في احتكاك الشعوب العربية بالشعوب الأوروبية وأدى هذا الاحتكاك إلى انتقال بعض المفردات من لغات الصليبيين أثناء حروبهم إلى اللغة العربية.²¹

و هناك باحثون لغويون ينظرون إلى الدخيل على أنه أمراً عادياً يحدث في كل اللغات لأسباب متعددة ولا يمكن إحصاء الألفاظ الدخيلة في أية لغة بل يستحيل، يقول حسن ظاظا: "إن تسجيل الدخيل كله في لغة ما أمر مستحيل فنحن نعرف يقيناً الآن أن كلمة (القصر) من الدخيل، وكذلك (الصراط والهيك والدواة والديباج) ولكن ما زلنا نقف حيارى أمام مواد في اللغة مثل: (خ س س) التي

منها (الخسة) والشيء الخسيس ونحو ذلك أي من الفارسية (خس) بمعنى كل شيء كريه أو حقير أو قذر، أم هي عربية أصيلة؟²²

من قول هذا الباحث نتأكد أن الدخيل وارد في كل لغات العالم على الرغم من ادعاء بعضهم أنهم أنقى الأجناس على وجه الأرض ك(الألمان).

وإذا عدنا إلى لغتنا العربية نجدها تأثرت وأثرت في لغات أخرى وأخذت وأعطت للغات أخرى، ولذا فإن وجود الدخيل في لغتنا العربية أمر عادي. كما يرى بعض الباحثين في هذا المجال يقول حسن ظاظا: "ووجود الدخيل في لغتنا العربية هو صورة لظاهرة عامة في كل اللغات."²³

6- شروط التعريب: يذهب (محمد الأنطاكي) إلى أن أهل اللغة اختلفوا قديما في شرط التعريب، فذهب جمهورهم إلى أنه لا يشترط فيه سوى الاستعمال فمتى استعملت العرب الكلمة الأعجمية صارت معربة سواء ألحقوها بأوزان كلماتهم أم لم يلحقوها.²⁴ وأما الجوهري وغيره فقد ذهبوا إلى أن التعريب هو أن تتكلم العرب بالكلمة الأعجمية على نهجها وأسلوبها.

وننتج عن هذا الاختلاف في الشرط اختلاف آخر في اعتبار الكلمات التي ينطق بها العرب فهذه الكلمات عند سيبويه ومن ذهب مذهبه على ربتين. عربية أصيلة مثل: (ضرب، كتب، رجل، فرس). ومعربة دخيلة مثل: (درهم، بهرج، فرند وأجر)، وهي عند الجوهري والقائلين بمقالته على رتب ثلاث: عربية أصيلة مثل: (رجل وفرس) ومعربة وهو ما نطق به العرب من الكلام الأعجمي على نهجها وأسلوبها وألحقته بأبنيتهما مثل درهم الملحق ببناء هجرع والهرج الملحق ببناء سلهب وأعجمية وردت في كلام العرب وهو ما نطق به العرب من غير أن تلحقه بأبنيتهما مثل: (خرسان وإهليلج وأجر) إذ ليس في أوزانهم فعالان ولا افيعيل ولا فاعل.²⁵

ومن شروط التعريب ما نجده عند صبحي الصالح الذي يقول في هذا الصدد: "إنما نريد أن نلفت الأنظار إلى شروط لابد من مراعاتها عند القيام بالنقل والتعريب.

أ- ألا نلجأ إلى التعريب إلا عند الضرورة انسجاما مع القرار الحكيم الذي اتخذه مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ونصه (يجوز المجمع أن تستعمل بعض الألفاظ الأعجمية عند الضرورة على طريقة العرب في تعريبهم).

ب- أما قبل تحقق هذه الضرورة فالترجمة الدقيقة تقوم مقام التعريب إذا تحرى الناقل العليم بأسرار العربية اللفظ العربي الأنسب لأداء مدلول اللفظ الأعجمي.²⁶

ثم يضيف الباحث بعض الأمثلة المترجمة قائلا: " ونحن نترجم مثلا (Microscope) بالمجهر و (Densimètre) بالمكشاف و (Floriculture) بزراعة الأزهار وهكذا."²⁷

ج- الكف عن استعمال اللفظ المعرب إذا كان له اسم في لغة العرب إحياء للفصح وقتلا للدخيل.

ولقد عقد السيوطي فصلا في المزهري للمعرب الذي له اسم في لغة العرب، فقال فيه أمثلة من كتب اللغة المختلفة تشهد بأن العرب عرفت مثلا في لسانها (الصرفان) قبل أن تعرب (الأزرز) بالرصاص والمغد قبل أن تعرب (الباذنجان).

د- أن نحاول كلما اضطررنا إلى التعريب أن ننزل اللفظ المعرب على أوزان العربية، حتى يكون عربيا أو بمنزلة ولقد كان أهل اللغة يتصرفون في الكلمة المعربة ويعملون مباضع الاشتقاق في بنيتها، فقالوا في (زندق): زندق زندقة وتزندق، وفي (سردق): بيت مسردق، وفي (ديوان): دون تدوينا، وفي (النوروز): نورز ينورز.²⁸

وكلمة (نوروز) استعملها البحري في شعره في العصر العباسي من قصيدته المشهورة (أتاك الربيع) بقوله:

وقد نبه النوروز في غسق الدجى * أوائل ورد كنّ بالأمس نوما²⁹

ومن شروط التعريب عند بعض الدارسين أن يتغير اللفظ المعرب بالنقص أو الزيادة أو القلب ثم يلحق بأحد الأوزان العربية.

وهناك كلمات معربة ولكنها لم تلحق بالأوزان العربية نحو: (خرسان، ابراهيم، اطريرفل، اهليلج، ابرسيم، آجر شطرنج) إذ لا يوجد في العربية أوزان: (فعالان، افعاليل، افعيليل، فاعل، فعلل). وهناك ألفاظ طرأ عليها التغيير دون أن تلحق بأحد الأوزان العربية نحو كلمة: (شاهنشاه) وأصلها (شاهان شاه) أي ملك الملوك.³⁰

7- أنواع التغيير الطارئ على الكلمة المعربة: يذهب بعض الباحثين إلى أن العرب حين يدخلون لفظا أعجميا في لغتهم يحدثون فيه غالبا التغيير الذي يجعله مجانسا لألفاظهم جاريا على قواعدهم منسجما مع نظامهم ولا يشذون عن ذلك. ومنها تغيير حروف اللفظ الدخيل وذلك بنقص بعض الحروف أو زيادتها مثل: كليدة، وبرنامج وبنشه ونهره ونشاستج، فقد عربوها هكذا: (اقليد وبرنامج وبنفسج وبهرج وونشا).³¹

ومن أنواع التغيير على الكلمة المعربة إبدال حرف بحرف نحو جرم معرب كرم الفارسية بمعنى الحر وصرد معرب سرد الفارسية بمعنى البرد.

وقد يكون التغيير بإبدال حركة بحركة نحو: سرداب معرب سردآب بمعنى بناء تحت الأرض. وأما التغيير بالزيادة فمثاله: أرندج جلد أسود معرب من رنده الفارسية ويلاحظ في هذه الكلمة قلب الهاء جيما.³²

8- وجود المعرب في القرآن الكريم: تناوله السيوطي في (المزهري) نقلا عن أبي عبيدة القاسم بن سلام قائلا: "وقال أبو عبيدة القاسم بن سلام: أما لغات العجم في القرآن فإن الناس اختلفوا فيها، فروي عن ابن عباس ومجاهد وابن جبير وعكرمة وعطاء وغيرهم من أهل العلم أنهم قالوا في أحرف

كثيرة إنها بلغات العجم منها قوله: " طه واليم والطور والربانيون " فيقال: إنها بالسريانية والصراط والقسطاس والفردوس يقال: إنها بالرومية ومشكاة وكفلين يقال: إنها بالحبشية، وهيت لك يقال: إنها بالهورانية، قال: فهذا قول أهل العلم من الفقهاء قال: وزعم أهل العربية أن القرآن ليس فيه من كلام العجم شيء لقوله تعالى: "... قرأنا عربيا " وقوله: "... بلسان عربي مبين "

قال أبو عبيدة: والصواب عندي مذهب فيه تصديق القولين جميعا، وذلك أن هذه الحروف أصولها عجمية كما قال الفقهاء، إلا أنها سقطت إلى العرب فأعربت بالأسنتها وحولتها من ألفاظ العجم إلى ألفاظها فصارت عربية، ثم نزل القرآن وقد اختلطت هذه لحروف بكلام العرب، فمن قال إنها عربية فهو صادق ومن قال عجمية فهو صادق. انتهى.

وذكر الجواليقي في المعرب مثله وقال: فهي عجمية باعتبار الأصل وعربية باعتبار الحال، ويطلق على المعرب دخیل وكثيرا ما يقع ذلك في كتاب (العين) و(الجمهرة) وغيرهما.³³ وفي هذا النص نجد السيوطي يستشهد بأقوال العلماء وأهل العلم كما قال بلفظه كتيبان حقيقة وجود ألفاظ أعجمية في القرآن الكريم.

وأما المحدثون فيرون أن الألفاظ المعربة دخلت اللغة العربية منذ أقدم العصور، إذ نجد الكثير منها في القصائد الجاهلية التي وصلتنا ومنها الدولاب" والدسكرة" و" الكعك " والسמיד" والجلنار" وأصلها فارسي و(فلفل) و(جاموس) و(شطرنج) و(صندل) أصلها هندي، و(قنطار) و(ترياق) و(قيان) أصلها يوناني لكن الباحثين اختلفوا في وقوع المعرب في القرآن الكريم. إذ نفاه بعضهم مستدلا بأن المعرب غير عربي فلو وقع منه شيء في القرآن الكريم لزم أن يكون في القرآن ما ليس بعربي وهو مناف لقوله تعالى: " إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا ".³⁴ وقوله تعالى: " بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ".³⁵ ، وقوله تعالى: " وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَبِيٌّ وَعَرَبِيٌّ ".³⁶

وأكده آخرون معتبرين أن المعربات التي دخلت القرآن قليلة بحيث لا تخرجه عن كونه عربيا، وأن الأساس في كون الكلام عربيا أن يجري على أسلوب كلام العرب ونظمهم، ولا يضير في ذلك دخول المعرب فيه.

و الواقع أن البحث اللغوي أثبت وجود المعرب في القرآن الكريم، ففيه من الفارسية: "أباريق"، "سجیل" "استبرق"، "ياقوت"، "مسك"، "ومن اليونانية: " الرقيم"، " الصراط"، " القسطاس"، " الشيطان"، " ابليس" "ومن الحبشية: " جهنم وملائكة وأخدود" "ومن التركية القديمة: " غساق" "ومن الهندية: "مشكاة" وهي الكوة التي لا تنفذ، ومن القبطية " هيت لك ".

وكيف لا يشتمل القرآن الكريم على ألفاظ معربة، طالما أنه نزل باللغة العربية، والعربية ليست بدعا من اللغات الإنسانية فهي جميعا تتبادل التأثير والتأثير، وهي جميعا تقرض غيرها وتقرض منه متى تجاوزت أو اتصل بعضها ببعض على أي وجه وبأي سبب ولأي غاية.³⁷

و يذهب الدكتور صبحي الصالح إلى أنه ورد كثير من معربات الجاهلية في القرآن حتى قال ابن جرير: " في القرآن من كل لسان "، وقد ذكر السيوطي في : " المتوكل " نماذج مما ورد في القرآن بالرومية³⁸، والفارسية³⁹ والهندية⁴⁰، والسريانية⁴¹، والحبشية⁴²، والنبطية⁴³، والعبرية⁴⁴، والتركية⁴⁵. وبعد أن نقل صبحي الصالح عن السيوطي الكلمات الأعجمية الواردة في القرآن وشرحها أثنى على السيوطي الذي فاز بفضل جمعها وتصنيفها وتوجيه الأنظار وجهة جديدة لا ترى في تعريب القرآن للأعجمي خطراً.⁴⁶

هناك باحثون عرب ألفوا في (المعرب والدخيل) وأنكروا وجود ألفاظ أعجمية فيه؛ لأنهم لم يحسنوا دائما التمييز بين العربي والأعجمي، فكثيرا ما نفوا أعجمية لفظ؛ لأن القرآن نزل به وليس في القرآن عندهم دخيل. وكثيرا ما زعموا عجمة لفظ من غير أن يقيموا عليها الدليل، وقد ادعوا العجمة أحيانا دون تبيان الأصل مثل كلمة " جرداب " معرب " كرداب " وهو وسط البحر أو الدوامة في الماء وكلمة " جاموس " وهي تعريب " كاوميش " وحين ألف هؤلاء كتبهم في المعرب والدخيل ذهبوا إلى فارسية أكثر تلك المعربات، كأنما أرادوا بذلك أن يأتوا ببرهان على أن تأثر العربية بالفارسية كان أبلغ وأعمق من تأثرها بسائر اللغات الأخرى.

و عندما عربوا الأصوات اعترضتهم أصوات فارسية غريبة على العربية كالجيم الخالية من التعطيش والباء المهموسة (P) و الفاء المجهورة (V) وإذا هم يتناولونها بالتغيير أو يستبدلون بها صوتا عربيا خالصا؛ فالجيم الخالية من التعطيش أبدلت جيما معطشة أو كافا أو قافا، أو قل حرفا مترددا صوته بين هذه الثلاثة مثل: " جورب " أصلها " كورب " والباء المهموسة (p) أبدلوها فاء أو باء مجهورة فقالوا: فرند وبرند. والفاء المجهورة (V) أبدلوها واوا.⁴⁷

وبعد تعريب العرب للأصوات، لن يكون عسيرا عليهم تعريب الكلمات كما يرى الدكتور صبحي الصالح.

ومما يعالج موضوع وجود المعرب في القرآن ما ورد في دراسة قدمتها إحدى المجلات الأردنية المتخصصة في اللغة العربية حيث قالت الباحثة: " ومما شاب عرض القدماء من الإبهام في مفهوم المعرب اختلافهم فيه في القرآن الكريم، واضطرابهم في تمييز العربي من الأعجمي واضح إذ نجد أنهم ينفون أعجمية لفظ ما لمجرد أن القرآن قد نزل به فمثلا قد ذهبوا إلى عربية (الفردوس) لنزول القرآن بها حتى اشتقوها من (الفردسة) بمعنى (السعة)، وكان عليهم أن يعترفوا بأن الفردسة مشتقة من اللفظ الأجنبي (الفردوس)، وقد قال بهذا (ابن دريد) دفاعا عن لغة القرآن، والحق أن هذا غلو خرج فيه القوم على ما أخذوا به أنفسهم من التشدد في الاشتقاق من الأعجمي".⁴⁸

ويلاحظ أن الذي تناولته الباحثة هو نفسه الذي قدمه الدكتور صبحي الصالح في كتابه: " دراسات في فقه اللغة ".

ومن الباحثين من دقق في نسبة الألفاظ الواردة في القرآن الكريم إلى لغاتها الأصلية وفق جدول واضح وهذا أنموذج منه:

الجدول رقم 1: جدول الكلمات المعربة الواردة في القرآن الكريم حسب السور⁴⁹

الكلمة	المعنى	نص الآية	الأصل	السورة	رقم الآية
أباريق	طريق الماء أو صب الماء	"بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقٍ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ"	فارسي	الواقعة	18
أبُّ	الحشيش	"وَفَاكِهَةً وَأَبًّا"	لغة أهل العرب	عبس	31
الأرائك	السرر	"مُتَكِّئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ"	الحبشية	الكهف	31
استبرق	الديباج الغليظ	"يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَابِلِينَ"	لغة العجم	الدخان	53
أسفار	كتب	"كَمَثَلِ الْجِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا"	السريانية والنبطية	الجمعة	05
طه	يا محمد، يا رجل	"طه، مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى"	الحبشية والنبطية	طه	01
الصراط	الطريق	"اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ"	الرومية	الفاتحة	06
الطاغوت	الكاهن	"وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ"	الحبشية	المائدة	60

9-مشكلات التعريب وموقف المحدثين منه:

1.9 موقف المحدثين من التعريب: يرى بعض الدارسين أن موقف المحدثين من التعريب جاء مخالفا لمواقف القدماء، حيث أنهم لم يتشددوا في قبول الألفاظ الأعجمية لكونها لا تلحق ضررا باللغة العربية، وتسهم في إثراء اللغة وتطويرها لتواكب مبتكرات ومخترعات العلم الحديث.

يقول أحد الباحثين المحدثين في هذا الموضوع: "كان المحدثون أكثر انفتاحا وتسامحا في قبول كل من المعرب والدخيل والمولد. وكان (الشهاب الخفاجي) قد مهد سبيل الانفتاح والتسامح أمام المحدثين،

حيث كان أكثر اللغويين القدماء اهتماما بالمولد سواء في الألفاظ أم التراكيب، وهو وإن لم يضع تعريفا نظريا للمولد إلا أن الباحث يستخلص من خلال تعامله مع الألفاظ والتراكيب المولدة أنه كان لديه فكرة عن دور التوليد في النحو اللغوي.⁵⁰

وقد سبقت الإشارة في العنصر السابق إلى أن الدكتور صبحي الصالح وهو من المحدثين انتقد الذين ألفوا في المغرب والدخيل؛ لأنهم لم يحسنوا التمييز بين العربي والأعجمي وليس في القرآن عندهم دخيل.

ومن المحدثين الذين خاضوا في تعريف المغرب والدخيل بتفصيل أكثر الدكتور حلبي خليل في كتابه "المولد بعد الإسلام"، حيث قال: "والحقيقة أن كلا من المصطلحات الثلاثة (الدخيل والمغرب والمولد) له مفهوم محدد أو ينبغي أن يكون له ذلك حتى لا نقع في ما وقع فيه القدماء وبعض المحدثين من الخلط بين هذه المصطلحات الثلاثة، ونلاحظ أن سبب ذلك يرجع أولا وأخيرا إلى فكرة الاحتجاج اللغوي، فهم يفرقون بين مجاميع الألفاظ في الثروة اللغوية بناء على ذلك، ثم يقول: "نعتبر المغرب يدل على ما اقترضته العربية من اللغات الأجنبية، سواء قبل عصر الاحتجاج أم بعده، وبذلك يصبح مصطلح المغرب مصطلحا محمدا لا يختلط بالمولد أو الدخيل..."⁵¹.

ومن المحدثين أيضا الدكتور حسن ظاظا في كتابه (كلام العرب) حيث لاحظ أن هناك اضطرابا عاما في فهم المغرب والدخيل، حيث يقول: "ما زال الفرق بين المغرب والدخيل في حاجة إلى إيضاح لم يقلق الأقدمين كثيرا فاستعمل جمهورهم المغرب والدخيل بمعنى واحد."⁵²

ويلاحظ أن التفرقة بين (المغرب والدخيل) مختلف فيها بين المحدثين أيضا وعلى العموم فإن حسن ظاظا توصل إلى تقديم تعريف للمغرب وآخر للدخيل وهما كما يلي:

أ-المغرب: هو لفظ استعاره العرب الخلف في عصر الاحتجاج باللغة من أمة أخرى، واستعملوه في لسانهم مثل السندس، الزنجبيل، السراط، الفسطاط، الإبريق، الإستبرق... الخ؛

ب-الدخيل: هو لفظ أخذته اللغة من لغة أخرى في مرحلة من حياتها متأخرة من عصور العرب الخلف الذين يحتج بلسانهم وتأتي الكلمة الدخيلة كما هي أو بتحريف طفيف في النطق؛

وفي الأخير يعلق الدكتور محمد فريد عبد الله على التعاريف السابقة بقوله: "فتعريف الدكتور ظاظا يختلف عن تعريف كل من الأستاذين عبد الحميد حسن وحلبي خليل للمغرب والدخيل حيث اعتمد على المعيار الزمني إضافة إلى قضية البناء أي تغيير شكل الدخيل."⁵³

أما ما ذهب إليه الدكتور حسن ظاظا من معيار زمني لمعرفة المغرب والدخيل فعماده الاعتداد بسلامة السنة العرب الخلف والاطمئنان إلى حسهم اللغوي السليم في الاقتراض والتعريب. و أما تعريف ابراهيم السامرائي فهو أكثر وضوحا كما يرى الدكتور محمد فريد عبد الله، حيث أن السامرائي

استشهد بقول الجاحظ يقول: " ولعل من الطريف أن نذكر إشارة الجاحظ إلى استعمال الدخيل الفارسي في النصوص الفصيحة " ثم قال: "...ربما جاء بالدخيل المستعمل في لهجاتهم" ⁵⁴.
وتعريف السامرائي للمعرب هو (فالمعرب هو الدخيل الذي جرى على الأبنية العربية).

2.9 مشكلات التعريب عند المحدثين: وجد العرب أنفسهم في عصر النهضة متخلفين جدا، حيث واجهوا كل أنواع التخلف في مجال العلوم، وكان لابد لهم من تأسيس مجامع لغوية علمية للترجمة ونقل المعارف والعلوم وكان مجمع اللغة العربية بالقاهرة أشد المجامع نشاطا في هذا المجال حتى أوقف (70%) من نشاطه على جمع المصطلحات ومناقشتها وإقرارها.

وانقسم العلماء في ما بينهم بالنسبة لتعريب المصطلحات العلمية المستحدثة باعتبار فائدتها إلى اتجاهات ومن أهم هذه الاتجاهات حسب رأي الدكتور إميل بديع يعقوب هو الاتجاه الوسط الذي يبحث عن الأسماء والمسميات الحديثة، بأي طريق من الطرق الجائزة لغة، فإذا لم يتيسر له ذلك استعار اللفظ الأجنبي بعد صقله ووضع على مناهج اللغة العربية.

ويضيف الدكتور بديع يعقوب موضحا صلاحية هذا الاتجاه بقوله: "إنه لو أتينا بأعرابي من الصحراء وسألناه عن كلمة مذياع أو هاتف أو سيارة مثلا فإن هذا الأعرابي على الرغم من جهله لهذه الآلات المستحدثة يستطيع أن يرى في مادة الكلمة الأولى معنى الذئوع وفي المادة الثانية معنى الهاتف وفي الثالثة معنى السير، ويرى في صيغها جميعا معنى الآلة، وبذلك قد يصل إلى أن المذياع آلة تذييع والهاتف آلة للهاتف والسيارة آلة للسير. في حين أنه يستحيل عليه أن يستدل من ألفاظ ك (الراديو أو التليفون أو الأوتوموبيل) على المسميات المقصودة".

ولابد من عدم التحرج من الاقتباس؛ لأن الاقتباس سنة طبيعية بين الأمم وما من أمة تستطيع أن تدعي أنها خالية من الألفاظ الدخيلة... ومهما حاول بعضهم استثمار الذخيرة اللغوية القديمة فإنهم لن يستطيعوا أن يجدوا مقابلا لجميع المصطلحات المستحدثة لذلك لابد من الاقتباس وبخاصة في أسماء الأعيان وأعلام الجنس كالأكسجين والهيدروجين والإلكترون. ⁵⁵

ثم يضيف الباحث السابق الذكر بشأن الاقتباس قوله: " لا خوف على اللغة من اقتباس عدد من المصطلحات العلمية فلغتنا بلفظها وحرفها خالدة بالقرآن الكريم وبإنتاج السلف وأثار الآباء والأجداد. " ⁵⁶

10-الخاتمة:

بعد عرض أهم القضايا المتعلقة بموضوع الاقتراض اللغوي (المعرب والدخيل) نأتي إلى ذكر النتائج التي توصل إليها هذا البحث:

- ظاهرة الاقتراض اللغوي (المعرب والدخيل) قديمة منذ أقدم العصور ولا تخلو منها لغة من

اللغات؛

- ظاهرة الاقتراض اللغوي تعد من وسائل نمو اللغة واتساع ثروتها اللفظية؛
 - أحيانا يكون الاقتراض اللغوي سلبيا ولا يخدم اللغة الأصلية وبخاصة إذا كان كتابها وأدباؤها في حالة خمول وجمود، وفي هذه الحالة تصاب اللغة بالركود والجمود ويلجأ أهلها إلى الاقتراض اللغوي الذي لا يلزمهم؛
 - وللاقتراض اللغوي جوانب ايجابية تأتي عن طريق التأثير والتأثرو تسهم في إحياء اللغة وكل اللغات تقرض غيرها وتقترض من غيرها في حدود حاجاتها، ولا خوف على اللغة من اقتباس عدد من المصطلحات العلمية كما قال الدكتور بديع يعقوب؛
 - جاء موقف بعض المحدثين من التعريب مخالفا للقدماء حيث أنهم لم يتشددوا في قبول الألفاظ الأعجمية لكونها لا تلحق ضررا باللغة العربية، وتسهم في إثراء اللغة وتطويرها لتواكب مبتكرات ومخترعات العلم الحديث.
 - من مشكلات التعريب عند المحدثين أنهم واجهوا كل أنواع التخلف في مجال العلوم، وكان لابد لهم من تأسيس مجامع لغوية علمية للترجمة ونقل المعارف والعلوم، وكان مجمع اللغة العربية بالقاهرة أشد المجامع نشاطا في هذا المجال؛
 - يمكن القول بأن لغتنا خالدة بالقرآن الكريم وإنتاج السلف الصالح وجهود كتابنا وأدباءنا قديما وحديثا ولكن لا يجب علينا نسيان أهم شروط التعريب التي أكد عليها الدكتور صبيح الصالح-رحمه الله- ألا وهي: ألا نلجأ إلى التعريب إلا عند الضرورة انسجاما مع القرار الحكيم الذي اتخذته مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ونصه "يجوز المجمع أن نستعمل بعض الألفاظ الأعجمية عند الضرورة على طريقة العرب في تعريبهم".
- المصادر والمراجع:**
- أ-المصادر:**
- القرآن الكريم برواية ورش.
 - ابن منظور -لسان العرب -، طبع / دار المعارف مصر، مادة (عرب).
 - السيوطي-المزهر في علوم اللغة وأنواعها-ج1 طبع/ المكتبة العصرية، صيدا، لبنان.
 - ابن فارس- مقاييس اللغة-مادة (دخل)، عن/ محمد فريد عبد الله في فقه اللغة العربية، دار البحار، لبنان.
 - محمد التنوحي-معجم علوم العربية-طبع/ دار الجيل للنشر والطباعة والتوزيع، ط/01 (2003)، بيروت، لبنان.
 - ديوان البحري، طبع/ دار المعارف مصر، ط/03، المجلد الأول.

ب-المراجع:

- أحمد عبد الرحمان حماد-عوامل التطور اللغوي-دراسة في نمو وتطور الثروة اللغوية-طبع/ دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، ط / 01 (1983)، بيروت، لبنان.
- إيميل بديع يعقوب-فقه اللغة العربية وخصائصها - طبع/ دار العلم للملايين، ط/01 (1982)، بيروت، لبنان.
- علي عبد الواحد وافي-فقه اللغة-طبع/ مطبعة الرسالة (1968)، مصر.
- حسن ظاظا-كلام العرب من قضايا اللغة العربية-طبع/ دار النهضة العربية، بيروت، لبنان.
- صبحي الصالح-دراسات في فقه اللغة -طبع/ دار العلم للملايين، ط / 40 (1983)، بيروت، لبنان.
- محمد المبارك-فقه اللغة وخصائص العربية -طبع/ دار الفكر، بيروت، لبنان.
- محمد الأنطاكي-الوجيز في فقه اللغة-طبع/ مكتبة دار الشرق، بيروت، لبنان.
- محمد فريد عبد الله-في فقه اللغة العربية-طبع/ دار البحار، (2009)، بيروت، لبنان.

المجلات:

- حاكم مالك الزيايدي وعلي جاسم سلمان: الاقتراض اللغوي، مجلة المورد، مجلد 28، العدد 4، سنة 2000، ص/59.
- فاطمة عليقات-المعرب والدخيل من مشكلة المصطلح إلى مشكلة الهوية، المجلة الأردنية في اللغة العربية وآدابها طبع/ مركز اللغات الجامعة الأردنية، مؤته (الكرك)، الأردن، مجلد7، العدد 4، سنة 2011، ص/253.



الهوامش:

- 1- حاكم مالك الزيايدي وعلي جاسم سلمان: الاقتراض اللغوي، مجلة المورد، مجلد 28، العدد 4، سنة 2000، ص/59.
- 2- كمال محمد جاه الله والأستاذ مبارك عبد الرضي، ظاهرة الاقتراض بين اللغات، الألفاظ العربية المقترضة في لغة الفور أنموذجا ط/2007، ص/06.
- 3- ابراهيم أنيس- من أسرار اللغة-مكتبة الأنجلو المصرية، ط/03، 1969، ص/103.
- 4- ابن منظور- لسان العرب- مادة (عرب) طبع / دار المعارف مصر. ص/2865.
- 5- السيوطي- المزهج- ج 1 طبع/ المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ص/268.
- 6- ابن منظور- لسان العرب- مادة (دخل) / مرجع سابق، ص/1342.

- 7- السيوطي- المزهري- ج 1، مرجع سابق، ص/269.
- 8- ابن فارس- مقاييس اللغة- مادة (دخل)، عن/ محمد فريد عبد الله في فقه اللغة العربية، دار البحار، ص/381.
- 9- ابن منظور- لسان العرب- مادة (ولد) طبع / دار المعارف مصر. ص/4916.
- 10- السيوطي- المزهري- ج 1، مرجع سابق، ص/304.
- 11- محمد التنوحي- معجم علوم العربية- طبع/ دار الجيل للنشر والطباعة والتوزيع، ط/01 (2003)، بيروت، لبنان، ص/429.
- 12- علي عبد الواحد وافي- فقه اللغة- طبع/ مطبعة الرسالة (1968)، مصر، ص/193.
- 13- حسن ظاظا- كلام العرب من قضايا اللغة العربية- طبع/ دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ص/79.
- 14- أحمد عبد الرحمان حماد- عوامل التطور اللغوي- دراسة في نمو وتطور الثروة اللغوية- طبع/ دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، ط / 01 (1983)، بيروت، لبنان، ص/85.
- 15- محمد الأنطاكي- الوجيز في فقه اللغة- طبع/ مكتبة دار الشرق، بيروت، لبنان، ص/444.
- 16- نفسه، ص/445.
- 17- السابق، ص/ 447، 448.
- 18- علي عبد الواحد وافي- فقه اللغة- مرجع سابق، ص/194.
- 19- السابق، ص/194.
- 20- نفسه، ص/195.
- 21- نفسه، ص/197.
- 22- حسن ظاظا- كلام العرب من قضايا اللغة العربية- مرجع سابق، ص/59، 60.
- 23- نفسه، ص/60.
- 24- محمد الأنطاكي- الوجيز في فقه اللغة- مرجع سابق، ص/442.
- 25- نفسه، ص/443.
- 26- صبيح الصالح- دراسات في فقه اللغة -طبع/ دار العلم للملايين، ط / 40 (1983)، بيروت، لبنان، ص/322.
- 27- نفسه، ص/321.
- 28- نفسه، ص/323.
- 29- ديوان البحري، طبع/ دار المعارف مصر، ط/03، المجلد الأول، ص/15.
- 30- ايميل بديع يعقوب- فقه اللغة العربية وخصائصها -طبع/ دار العلم للملايين، ط/01 (1982)، بيروت، لبنان، ص/215.
- 31- محمد المبارك- فقه اللغة وخصائص العربية -طبع/ دار الفكر، بيروت، لبنان، ص/298.
- 32- ايميل بديع يعقوب- فقه اللغة العربية وخصائصها -مرجع سابق، ص/217.
- 33- السيوطي- المزهري- ج 1، مرجع سابق، ص/268-269.
- 34- سورة الزخرف، الآية 03.
- 35- سورة الشعراء، الآية 195.
- 36- سورة فصلت، الآية 44.
- 37- ايميل بديع يعقوب- فقه اللغة العربية وخصائصها -مرجع سابق، ص/219.
- 38- كالفستاس، فإنه بلغة الروم: الميزان.

- 39- كالإستبرق، فإنه بالفارسية: الديباج الغليظ.
- 40- مثل (طوبى): اسم الجنة بالهندية.
- 41- مثل (السري): النهر بالسريانية.
- 42- مثل (الأرائك): السرر بالحبشية.
- 43- مثل (عجل لنا قطننا): كتابنا بالنبطية.
- 44- مثل (كفر عنهم سيئاتهم): أمح عنهم بالعبرية.
- 45- مثل (غساق): هو البارد المنتن بلسان الترك.
- 46- صبيحي الصالح- دراسات في فقه اللغة -مرجع سابق، ص/316.
- 47- نفسه، ص/318.
- 48- فاطمة عليمات- المعرب والدخيل من مشكلة المصطلح إلى مشكلة الهوية، المجلة الأردنية في اللغة العربية وآدابها، طبع/ مركز اللغات الجامعة الأردنية، مؤته (الكرك)، الأردن، مجلد7، العدد 4، سنة 2011، ص/253.
- 49- محمد فريد عبد الله- في فقه اللغة العربية-طبع/ دار البحار، (2009)، بيروت، لبنان، ص/71
- 50- نفسه، ص/488.
- 51- نفسه، ص/490.
- 52- السابق، ص/491.
- 53- نفسه، ص/494.
- 54- نفسه، ص/495.
- 55- إيميل بديع يعقوب، فقه اللغة العربية وخصائصها -مرجع سابق، ص220.
- 56- نفسه، ص/225.

التنوع اللّهي القيمي في فضاءات الأطفال الجزائرية The ethical dialectal diversity in the Algerian children's spaces

أ. خلوط مولود*

تاريخ القبول: 2021.08.28

تاريخ الاستلام: 2021.04.09

ملخص: تحمل الدراسة الراهنة أنواع الأبعاد والدلالات التي يحملها واقع المنظومة القيمية للأطفال في فضاء المخيمات الصيفية، والتي تطرقنا من خلالها إلى تحليل المحتويات التي تضمها نشاط المقطوعات الصوتية ذات الطابعين اللغويين الفصح والعامي، وبخاصة الرسالة القيمية المعبرة عن قيم التنوع الثقافي المحلي والإنساني الداعية للتسامح والتقارب والتعايش ونبذ وإقصاء الآخر. وقد عمدنا في دراستنا هذه تقنية تحليل المحتوى كأداة فارقة في وصف القيم السامية المرغوب فيها من خلال المدونة الإنشادية لفضاءات الأطفال. كلمات مفتاحية: الأطفال؛ القيم؛ أناشيد الأطفال؛ المخيمات الصيفية؛ الرسالة الإرشادية.

Abstract: This study reveals the types of dimensions and contents that the reality of the value system carries for children in the space of the Algerian summer camps, through which we dealt with the analysis of the contents that were included from the activity of phoneme and hymns of an eloquent linguistic character and of a colloquial linguistic character and devising the most prominent messages of human value through the values of tolerance And the rapprochement and coexistence with the other, and we have used in our study the technique of content analysis as a distinctive tool in describing the desired values in the fields of education and entertainment for children..

keywords: children ; Values ; children's songs ; summer camps ; The value message

1. مقدمة : يعتبر الأطفال في المجتمعات الإنسانية القاعدة الرئيسة لأي مشروع تنمويّ مستقبلي، فأطفال اليوم كما يذكرون "هم شباب الغد" ورجاء الأمم وعضدها، وهم القوة الفاعلة في الخطط المستقبلية المختلفة وعدم حمايتهم لن يُنجح أيّ مجتمع من مجتمعات المعمورة في بعث مشاريعه ومبادراته وبرامجه التنموية، والتي ترجع بالأثر الإيجابي على أفراد وجماعات البلدان المتحضرة.

كما وتعدّ حمايتهم اجتماعيا من مهام مؤسسات التنشئة الأولى انطلاقا من "الأسرة" و"دور العبادة" و"المدرسة" و"الجمعيات" و"النوادي الرياضية والثقافية والإعلامية"، وإنّ جلّ هذه المؤسسات في تعاملاتها المباشرة مع الأطفال تركز على أنواع وأساليب تنمية القيم بداية بأنماط المشافهة، التحاور، الحكمة، الموعظة الثواب والنصح وترشيد الأخطاء من السلوكيات غير المرغوب فيها شرعا، عرفا، قانونا وإنسانية.

ومن المتعارف عليه عبر العالم، نجد أنّ مهام الرسائل القيميّة في المجتمعات قاطبة يؤسّس لها "الوازع القيمي" القائم على شخوص الرجالات الإرشادية والنماذج والقنوات في مهامهم التربويّة والسوسيوقرافيّة التي لا تخرج عن نطاق دور الإرشاد والأماكن التعليمية المتعارف عليها في البيئات الإنسانية عموما.

وعلى إثر التدفّقات الإعلامية المتعولمة؛ أضحت الرسالة القيميّة جدّ مرنة ومتسارعة عبر كلّ الوسائط الإعلامية الكلاسيكية والبديلة على السواء، وما يقابل ذلك أيضا من تعدّد وتغوّل للفنون الهابطة بين أوساط الشرائح المنحرفة والشاذّة في المجتمع وتفشّي مضامين الرسائل الساقطة من مفاصد الخلق وثقافة العهر صوتا وصورة حيث بات حال بعض أطفالنا اليوم تحت رحمة الفضاء الأزرق والبديل في شقّه السلبي واندثار أبجديات ثقافة الضبط والتأطير وتضارب القيم وبروز صراع الأجيال.

وفي إطار دراستنا يسعنا المقام أن ننوّه بمدى أهميّة الرسائل الإعلامية الموجّهة لشريحة الأطفال في المجتمع الجزائري خصوصا، والتي تتسامى درجات قيمها النبيلة وسموّ تيجانها وتشاكلها مع القيم العالمية الداعية لمبادئ السلام، الأمن، التعايش الإنساني، حوار الثقافات، نبذ سموم الحروب، ثقافات التهميش وإلغاء الآخر.

ومنه تجدر الإشارة أنّ المقام الإرشادي القيمي يتعلّق بالتشريعات والنصوص والأحكام، بل ويزيد ذلك إلى شمل الجانب التثقيفي التوعوي الذي يركز على تعزيز مبادئ القيم الروحية والخلقية المرغوب فيها في المجتمعات الإنسانية قاطبة والمتجلىّة في أساليب الحكيم والقصص والتمثيل والمسرح والشعر والأناشيد الإرشادية والتربوية الهادفة.

ومن خلال موضوعنا، يستفيد الأطفال في الفضاءات الترفيهية والتثقيفية من الأنشطة والبرامج المقدّمة لهم لما تحتويه من مضامين متنوّعة يراد غرسها في ذهنية المتلقّين.

ومن الأنشطة التي تحمل في طياتها أبعادا قيمية في بيئات الأطفال نجد الأناشيد، إذ تعتبر فناً مرغوباً فيه ومحبباً لدى الأطفال، بما تحمله من أشعار جميلة بموسيقاها وإيقاعاتها وأوزانها البسيطة التي تعمل على إدخال البهجة في النفوس البريئة.

ومن هذا المنطلق دأب المختصون وواضعو المناهج التربوية إلى تحديد فوائد أغنية الطفل، عن طريق وضع برامج وأهداف وشروط خاصة للأنشودة وتأليفها، وما تتضمنه من مضامين قيمية يحبذ غرسها في نفوس الأطفال البريئة والتي بواسطتها يستطيع المربون نشرها عن طريق أدب الأطفال والثقافة والذوق والتربية السليمة وللأناشيد بصفة عامة دور هام في حياة الأطفال، خاصة على مستوى المؤسسات الاجتماعية لما تتطلب من معايير تأصيل القيم المرغوب فيها بأحسن الوسائل الممكنة.

فمن متطلبات العصر الراهن وتقلبات العولة تقتضي الضرورة في التعامل مع أطفال اليوم بحوكمة الرشاد وأن تكون الرسالة الإعلامية الموجّهة للنشء الصاعد موسومة بالرشد والعقلنة ودافعا من دوافع تعزيز القيم في ذواتهم البريئة وفق بيداغوجيات الخصائص النمائية لأنماط مرحلة الطفولة الحسية والمعرفية والمعنوية والحركية وهذا الحال يتوافق بالإستخدام السليم والتّزيه للرسالة الإرشادية المراد بثّ قيمها في النفوس البريئة وبتقنيات الحوارات الهادفة المترانمة في الأصوات ووفق ابجديات اللغة التعبيرية السلسة وثقافة الاتصال الجاد.

أما فيما يخص لغة الأناشيد الخاصة بالأطفال فإنها لا تشكّل فرقا، فالأغنية أو الأنشودة من فنون الأدبة ذات الرسائل التعبيرية عن حاجات الإنسان وآماله وواقعه في أي وسط اجتماعي، كما تعدّ تجسيدا للتراث المشترك للمجتمع ولسان حال يعبر عن يوميات وأحداث وإرث المجتمع (العرقوبي، 2021).

إنّ صناعة الشّعور والإنشاد بالفصحى أو العامية سيان ووجهان لعملة واحدة على أن تكون لغتهما سهلة وبسيطة، فالشعر الغنائي للأطفال هو الذي تكون ألفاظه سهلة ومفهومة وكلماته تحتوي على "الجرس الموسيقي"، ومعانيه واضحة ولا تحتاج إلى جهد وعناء في فهمها، خاصة إذا قدّمت كطبق فاكهة للأطفال تستهوي شعورهم وأحاسيسهم بحسب أعمارهم.

ومما سبق أعلاه، وانطلاقا الى تكريس الأهداف العملية والتحليلية للبحث، فقد شمل موضوعنا جملة من الغايات العلمية ومفادها كما يلي:

- إبراز أهمّ القيم الإنسانية في فضاءات الأطفال الجزائرية التي تتضام مع القيم النبيلة العالمية؛
- قد تفيد هذه الدراسة ذوي الاحتكاك المباشر بالمخيمات الصيفية محلياً، قطريا وعالميا من المنشطين والمؤطّرين والمربّين وواضعي المناهج التربوية؛
- التعرف على واقع الرسالة الإعلامية القيمية لمضامين المدونة التحليلية؛

■ قد تساعدنا الدراسة التحليلية في وضع معايير للقيم الروحية والخلقية التي يجب أن تتضمنها أناشيد الأطفال في المخيمات الصيفية؛

■ إمكانية استفادة المؤسسات الاجتماعية مثل النوادي، الجمعيات الثقافية والسياحية إلى التعرف على الخدمات القيمة التي يقدمها المخيم الصيفي الخاص بالطفولة الجزائرية. ومما سبق، فقد استندت تحليلاتنا حول السياق العام المتمثل في: التنوع اللّهي القيمي في فضاءات الأطفال الجزائرية. والتي تمخضت عنه فرضية محورية تتعلق أساسا بحثيات الموضوع المعالج والتي أدرجناها في المتن التصوري التالي:

■ احتمال وجود رسائل قيمة متضمنة للخطاب التربوي الترفيهي في مضامين نشاط المقطوعات الصوتية في المخيمات الصيفية الجزائرية.

واعتمادا على الفرضية أعلاه، قمنا بإجراء على خطوات منهجية وعملية استقينها من الظاهرة الاتصالية والإعلامية للرسالة القيمة الموجّهة للأطفال من خلال فضاءات الطفولة وهي كما يلي:

■ التقنيات المتبعة في الدراسة:

اعتمدنا في دراستنا الوصفية لمجال الخطاب الارشادي في المخيمات الصيفية على عدّة وسائل بحثية نذكرها تباعا كما يلي:

◆ المنهج المتبع: تمّ الاعتماد على المسار الوصفي التحليلي من خلال استكشافنا لفضاء أطفال التخييم ميدانيا.

◆ التقنية الأولى: وهي طريقة الملاحظة بالمعايشة واتّباع نمط أسلوب الملاحظ حسب نمط "وليام لوبوف"

◆ التقنية الثانية: تمثّلت في تحليل متون المقطوعات الإنشادية وتفيئتها وجدولتها.

◆ التقنية الثانية: وضع أبرز الشروحات والتحليل المستنتجة من خلال الأرقام والمعاني والدلالات معجميا وصوتيا.

وعلى إثر ذلك، فقد جاءت بنائية بحثنا وفق ثلاثة عناصر أساسية أدرجناها تباعا كما يلي:

2. الإطار المفاهيمي للدراسة:

1.2 الأطفال المصطفون : يعبر "علي عبد القادر القورالة" عن الأطفال المصطفين في المخيمات أو الفضاءات الكشفية والإرشادية والتطوعية التي تقام في النوادي الصيفية الخاصة "(القورالة، 2010) حيث يحقّقون من خلاله أقصى مضامين التنمية القيمة وابرار قدراتهم البدنية، العقلية، الاجتماعية والروحية، ممّا يجعلهم مستقبلا أفرادا فاعلين ضمن مجتمعاتهم المحلية والقومية والعالمية.

2.2 المخيمات الصيفية: أفرد المعجم الإنكليزي أكسفورد ترجمة كلمة المخيم الصيفي بذلك المكان المخصص لعمليات التخييم "campsite" وعندما يلتحق به الأفراد يسمون "campers" أي المخيمون الذين تتم تلبية حاجياتهم ورغباتهم من خلال برامج وأنشطة تربوية هادفة ومتنوعة، أي أنها بمثابة المجال الخالص لممارسة الرياضة الجماعية للأطفال ويقوم على تأطيرهم أخصائيون مكوّنون علميًا وعملياً بأساليب تربوية وبدنية ونفسية وعقلية خالصة وتقام غالباً خلال الإجازة الصيفية للأطفال (Oxford, 2006).

2.3.1 أناشيد: النشيد كما هو متعارف عليه رفع الصوت والتحسين به مع النغم الجميل واستحسانه، وقد اتفق جميع باحثي الأدب والفن والتربية في صناعة الأناشيد: على أنها تلحين للأشعار الموزونة بتقطيع الأصوات إلى نسب منتظمة معروفة، يوقع كل صوت منها توقيعاً عند قطعه، فيكون نغمة تحدث التناسب عند سماعها ويستحسنها المسموع (الترمذي، 2007)، إذ تنبع أهمية الأناشيد من كونها قطعاً أدبية جميلة يحبّها الأطفال ويتحمّسون لألحانها وينشدونها في أوقات فراغهم ولهوهم ونشاطهم.

ولتحقق في ذلك باعث الرسالة الإعلامية من مقارنة الأناشيد التعليمية أهدافاً تربوية جمّة منها الخلقية واللغوية والاجتماعية والنفسية ولعلّ من أبرزها ما يلي من النقاط:

✚ معالجة سمة الخجل في الأطفال كما وتتيح لهم الأناشيد فرصة التفاعل الاجتماعي والنفسي؛

✚ تحسين النطق، مخارج الحروف والصوتيات بوضوح أثناء عملية الإنشاد؛

✚ كما وتعتبر من بواعث السرور للأطفال وأثرها يتضح في تجديد النشاطات وتبديد سآمتهم؛

✚ تزيد من إثارة الأطفال وبعث فيهم الحميّة، الحماسة، الشجاعة، الارتجال والإقدام؛

✚ إكساب الأطفال الصفات النبيلة، المثل العليا، المعارف والمفاهيم بصورة محبّة وشيقة.

2.4. الرسالة القيمية:

ارتقى مفهوم الرسالة الإعلامية عموماً بين المتواصلين، والذي يعني طرفاه المتكلّم والمتلقّي، وما بينهما من رسالة لغوية وصوتية ودلالية، ويعبّر المعنى القيمي عموماً على نظم التبليغ الهادف للمعاني والآراء والمواقف النبيلة، وهو الوعاء المعبّر عن الروح والعقائد والشرائع والأخلاق والمثل العليا، وإلى هذا المعنى تنصرف الأذهان عند الحديث عن الرسالة الإرشادية القيمية الموجهة للأطفال باعتبارهم الحلقة الأهم في المجتمعات الإنسانية وبالتالي يتّبع فيه الأسلوب المرن وبحسب قواعد ثقافة المجتمع ناهيك عن المعايير والأعراف التي تحكم طبيعتهم الطفولية البريئة ووفق الخصائص النمائية المتوافقة مع مراحل الطفولة، ومن ثمة يصبح معنى الخطاب القيمي بمفاهيمه التربوية والخلقية بمثابة الرسالة الهادفة المعلن عنها والتي يجب أن تبتعد عن القيم الدخيلة والهجينة للمجتمع وهذا تمشياً مع حتمية "عبد الرحمان عزّي" القيمية (عزّي، 2009).

3. الإطار النظري للدراسة: تعمل المنظومة القيمية لأفراد المجتمع على إثراء وإكساب القيم للأفراد في جلّ مؤسسات التنشئة الاجتماعية ووسائل الإعلام بكافة أنواعها، إذ يعدّ غرس القيم في نفوس الأفراد عملاً شريفاً وهدفاً أسمى، فقد أعطى الوظيفي "تالكوت بارسونز" القيم على أساس نسق رمزي مشترك ويعتبرها معياراً أو مستوى للاختيار بين البدائل التي توجه الأفراد وتوجد في مواقفهم على أساس معايير تحكم إذا كان الشيء مرغوباً فيه أو غير مرغوب فيه (مريم أحمد، 2006).

وتأسيساً على ما سلف، تسعى القيم عموماً إلى دفع قاطرة تربية النشء للمضي قدماً، ولتوضع على أثرها الإستراتيجيات والخطط من خلال العمليات التربوية الموجهة نحو بناء وتأطير أجيال الغد بكل أمانة وصدق ولتحقق الأهداف الموجودة والموجهة، وكلّ ذلك يأتي عن طريق الخطاب السامح والمتعايش بين الأنا والآخر.

ونظراً لتعدد الديانات والثقافات عبر العالم في عصرنا الراهن، فإنّ الحاجة إلى أفكار الخير والسلام والأمانة والصدق والتعاون وتقبّل الآخر جدّ ضرورية وواقع لا بدّ منه، لذلك فعمليات اكساب القيم الروحية والخلقية واردة جدّاً عند متلقّيها لما تقتزن بالمدخلات والمخرجات القيمية التي تنظّم علاقة الفرد بخالقه أولاً كما وتنظّم من جهة أخرى علاقة الأفراد والجماعات بالآخرين في المجتمعات الإنسانية، حيث يستمدّون منها مرجعياتهم وتصرفاتهم وأهدافهم، وبالتالي فالقيم عموماً هي نتاج علاقات الأفراد في المجتمع، خاصة عند الأطفال الذين يستمدّون مبادئهم من مكارم الأخلاق والفضائل والمثل العليا والقيم الحسنة، والتي ترتقي بهم إلى عالم التعايش الإنساني الراض لكل أشكال التطرّف والتعصّب وعدم تقبل الآخرين، خاصة عند أصحاب الثقافات المختلفة.

كما ويعدّ الخطاب القيمي عموماً من أهمّ النظم الاعلامية والاجتماعية وذلك لما تؤدّيه من وظائف تفاعلية جمّة، فأساليب الوعظ والإرشاد من أقوى العواطف تأثيراً في مشاعر الأفراد ضمن مجتمعاتهم ونظراً لأهميتهم في البناء الاجتماعي العام، اهتمّ علماء الاجتماع بدراسة النظم القيمية والاجتماعية في المجتمعات، ومنها ما يراها أساس جوهر الكينونة الإنسانية حيث تحدّد على إثرها محدّدات أنماط وسلوكيات المجتمع بين السلوكيات المقبولة والسلوكيات المذمومة التي يلتزم بها الأفراد والجماعات (الجلاد، 2005).

كما وقد أسقطت الباحثة "أشواق عبد الحسن الساعدي" في دراستها البحثية حول سبل ووظائف التنمية البشرية وثقافة المجتمع واهتمّت بأساسيات الرسائل الاعلامية والإرشادية الموجهة للمتلقّين وقد تلاقت نظرياً مع العديد من الباحثين في هذا الباع، حيث استقيناً منها جملة من المعايير التي أسقطناها على بعض مضامين متون أناشيد الأطفال في المخيمات الصيفية الجزائرية والتي يجب أن تركز عليها أخلاقيات عمل الإرشاد القيمي وهي كما يلي:

■ تعدّ الرسالة القيمية من أقوى وسائط الضبط الإجتماعي واستخلاص القواعد القيمية والروحية والأخلاقية؛

■ أنها تقوّي العلاقات الإنسانية وتضفي قيم التسامح والتضامن وتدعم السلوكيات السويّة والتماسك والوحدة الاجتماعية عن طريق الخطاب المتّزن (أشواق، دس).

ومثل ذلك نجد صوت الأطفال في المخيّمات الصيفية الداعي للقيم الإنسانية ومنها:

فِي كُلِّ عَالَمٍ عِنْدِي حَبِيبَةٌ هِيَ الطُّفُولَةُ هِيَ الطُّفُولَةُ.

يَا أَهْلًا وَسَهْلًا فِي كُلِّ مَكَانٍ يَا أَهْلًا وَسَهْلًا فِي كُلِّ زَمَانٍ.

يَحْيَا الْعَالَمُ دَوْمًا وَالْحُرِّيَّةُ.... يَحْيَا السَّلَامُ دَوْمًا وَالْإِنْسَانِيَّةُ.

كما وتسعى الرسالة الإعلامية الارشادية الموجهة للأطفال إلى أخلقة تعاملاتهم وتقويم سلوكياتهم غير المرغوب فيها وتعليمهم كلّ ما هو نافع لهم في الحياة والعمل على غرس القيم الخيرة وفق الشريعة السمحاء مع تجنّب الضوضاء في الأناشيد الملحّنة بطرق الصّخب ذي التأثيرات السلبية على فسيولوجية الأطفال عموما. ولأنّ الأطفال كما قال "محمد الغزالي": "أصحاب صفحات بيضاء وكل ما ينقش عليها يترك الأثر فيهم مستقبلا" (الخالدي، 2008).

لذلك يجب التنويه بفائدة اجتناب الأشعار والترانيم التي تحاكي الرذائل وتعلن "للخمول"، "التهوّر" "الوضاعة" "الخشونة"، "الخلاعة" و"مفاسد الأخلاق"، كما ويجب التصدي لوجود مضامين "التطرّف"، "السخرية" "الجهوية" "العقائد غير السليمة" والمواضيع التي تؤسّس للأيديولوجيات في المجتمعات الانسانية، ويأتي هذا كلّه بهدف حماية الأطفال والمراهقين وحتى شريحة الشباب المتحمّس من الوقوع في شباك التطرّف والشذوذ الاجتماعي ونبذ الآخرين مستقبلا في تفاعلاتهم اليومية والاجتماعية.

ناهيك عن عدم إقصاء المواضيع المتعلقة بقضايا تدمير الإنسانية وخراب الطبيعة ونشر الحروب في العالم فقد وجدنا في فضاء المخيّمات الصيفية الجزائرية على لسان أطفال الجزائر مضامين تنبذ الصراعات والحروب وحالات التهميش والتمييز بين الانسانية جمعاء في قولهم:

يَا عَالَمُ يَا عَالَمُ نَحْنُ نُنَادِي.... يَا عَالَمُ كَفَانَا مَا نُعَانِي.

مَا ذَنْبُنَا يَا عَالَمُ وَنَحْنُ الصِّغَارُ.... مَا ذَنْبُنَا يَا عَالَمُ مَا يَفْعَلُ الْكِبَارُ

دَمَرْتُمْ قُرَانًا وَأَحْرَقْتُمْ الْبُلْدَانَ.... شَرَدْتُمْ الصِّبْيَانَ فِي كُلِّ مَكَانٍ.

يَا عَالَمُ يَا عَالَمُ يَا عَالَمُ.... نَحْنُ هُنَا نُنَدِّدُ نَحْنُ هُنَا نُنَدِّدُ نَحْنُ هُنَا نُنَدِّدُ.

كما وقد عبّر كلّ من "دافيد" و"مور" بقولهما بضرورة قيم التسامح كمنطلق حقيقي للمجتمعات الإنسانية وتتحقّق وحدته من خلال القيم المطلقة والغايات الذاتية التي تؤثر في السلوك البشري المساعد على استقرار المجتمعات عموما.

وفي هذا الصدد رصدنا مجموعة من الأغاني والأناشيد التي تدعو إلى القيم السالفة في قول الأطفال:

أَطْفَالٌ صِغَارٌ أَطْفَالٌ صِغَارٌ... نَبْتَغِي النَّجَاحَ وَنَرْجُو الْفَلَاحَ.
نَبْتَغِي السَّلَامَ بِكُلِّ وَثَامٍ، وَبَعْدَ ظَلَامِ اللَّيْلِ يَأْتِي شِعَاعُ النُّورِ.

وفي نفس السياق ترى الباحثة " مطشر منتهى " أنّ الخطابات السمحاء أساس الحياة الإجتماعية لما لها من نواهي وروادع وضوابط قيمية، خصوصا إذا ما وجد الفهم العميق والإيمان القوي الذي يساعد على حفظ المجتمعات الانسانية والارتقاء بها (مطشر، 2008)، وبالتالي يتجاوز الخطاب القيمي مراحل النبذ والاقصاء واحتقار الآخر، وهذا ما تجلّى ضمينا في المتن الانشادي التالي:

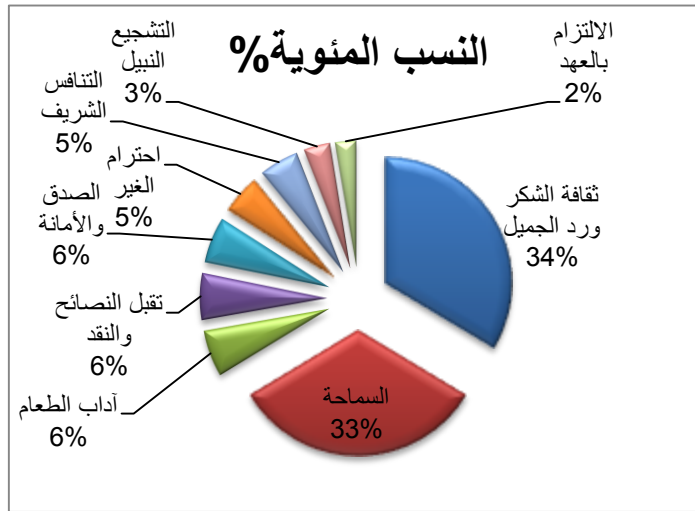
بَسْمَةَ جَمِيلَةٍ فِي قَلْبِي عَزِيزَةٌ وَالْدُّنْيَا تَبْقَى بِسْمَةِ جَمِيلَةٍ.
الْعَالَمُ يَبْتَسِمُ أَنَا فَرِحَانٌ وَنَعْمَلُ بِسْمَةِ، بِسْمَةِ جَمِيلَةٍ.
يَا رَبُّ الْعَالِي أَحْفَظْ بِلَادِي أَحْفَظْ بِلَادِي وَكُلُّ الْعَالَمِ.
وَالْدُّنْيَا تَبْقَى بِسْمَةِ جَمِيلَةٍ بِسْمَةِ جَمِيلَةٍ، بِسْمَةِ جَمِيلَةٍ.

ومنه نستنتج الضرورة الملحة لوجود القيم في أيّ مجتمع وأنّ حقيقة أيّ مجتمع إنساني عبر العالم تتحقّق وحدته على أساس اختيار أعضائه القيم النبيلة المطلقة والقيم الواسطية الغائية. وبناء على هذا الطرح، نستنتج أنّ الإنسان لا يستطيع تجسيد أعماله وسلوكياته وتصرفاته لوحده والحقيقة المطلقة تتمثل في أنّ كل الأديان السماوية لها أهمية كبيرة في حياة الأفراد، فالإنسان بفطرته يبحث دائما عن الحقيقة المطلقة التي تعرّفه بنفسه ومحيطه الذي يعيش فيه على أساس عقيدة سليمة تميّز الإنسان عن باقي المخلوقات الأخرى.

وعليه، فإنّ ذاتية الأفراد بحسب هذا الإتجاه تجعلهم يجتهدون ويبحثون عن الفضيلة والخير والرشاد وموضوعية قيمهم تظهر في العقائد السمحاء المتمسك بها، وهذا ما يؤدي إلى التوفيق بين الفهم الصحيح للقيم والمستمدّة من الخصوصية الثقافية للمجتمعات، وفي خضمّ هذه الأطر تتحقّق التّوازنات الانسانية في إطار التسامح والتعايش وثقافة الحوار واحترام الغير، ومنه تتوارى المميزات الهدامة الداعية إلى حياة إنسانية اقصائية لثقافة الآخرين عبر أقطار العالم قاطبة.

4. الإطار التحليلي للدراسة: اعتمادا على مصادر تحليل المدونة الخاصة بأناشيد الأطفال في المخيمات الصيفية، تجلّى لنا بروز أهمّ القيم التي تحمل الطابع الإنساني العالمي، ومنه تحصلنا على أبرز تصنيف للمفاهيم القيمية وقد تمثّلت فيما يلي:

صورة 01: تمثل التنوع القيمي للمنظومة الإنشادية في فضاءات الأطفال.



الشكل 1: يمثل التمايز القيمي للرسالة القيميّة في فضاءات الأطفال.

بدراسة الرسم البياني أعلاه المتعلق بمفاهيم القيم القيميّة والذي يوضّح التوزيعات التكراريّة والرتب والنسب المئوية لمفاهيم القيم في أناشيد المخيمات الصيفيّة المقدّمة للأطفال؛ تبين من خلال التحليل وجود تمايز كبير بين المفاهيم القيميّة الخلقية ونعزو ذلك التباين إلى علاقة التفاعل والاحتكاك بين الأطفال والمنشّطين خصوصاً، وبينهم وبين أعضاء المخيم الصيفي عموماً؛

فمثلاً قيمة "ثقافة الشكر وردّ الجميل" من القيم البارزة التي تضمّنتها أناشيد المخيمات الصيفيّة المقدّمة للمصطافين، وهذا راجع إلى السياقات المتكرّرة التي تعبّر عن الأهداف القيميّة التالية: ■ تقدير للمجهودات التي يقدّمها أعضاء المخيم، فمثلاً نجد كثرة ترانيم الأطفال التي تعبّر عن الشكر ورد الإعراف في قولهم:

مُنَشِّطِي الْعَزِيزِ فِي فَمُو صَفَّارَةٍ يَغْنِي وَيُفْرِحُ بِأَحْلَامٍ سَعِيدَةٍ... إِنْ شَاءَ اللَّهُ يَا رَبِّي حَلِيمًا دِيمًا، أي: تعبير صريح عن الأيام السعيدة وأجواء الفرح والبسمة التي يزرعها المنشّطون في ذوات الأطفال، كما نجد أيضاً اللسان التخيلي للأطفال يعبّر عن البسمة والفرحة كقيمتين بارزتين ومن بين ذلك:

يَا مَرَكَزًا أَحَبُّهُمْ... بِفَرَحَةٍ مُخَيَّمِي.
وَلَنْ تَطُولَ غَيْبَتِي... فِي مَوْعِدٍ مُحَدَّدِي.
وَسَأَبْقَى مُخَلِّدًا... لِذِكْرِي وَقَتَ إِقَامَتِي.
يَا أَصْدِقَاءَ رَدِّدُوا... مُنَشِّطِي مُنَشِّطِي.

أما فيما يخص قيم "آداب الطعام وفن التعامل": نجد مثلا قيم الاستئذان واحترام مهنية الطباخ أو النادل أو المقتصد أو عامل النظافة، ومن المتون التي حملت مضامين الاحترام وجدنا مثلا في الحوار الصوتي التفاعلي بين الأطفال والمنشطين في قولهم على لسان عمّال المطبخ:

الأطفال: طَبَّاخَنَا طَبَّاخَنَا طَبَّاخُ جَمِيلٌ لِل.

وَاعْطِينَا وَاعْطِينَا مَقْرُوطَةً فِي الطَّجِينِ... أَيَّ اعْطِينَا حَلَوَى "المَقْرُوط" الشعبية.

الطباخ: مَا نَعْطِيكَوْمَشْش.

الأطفال: وَاعْلَاشْشْش، أَيِّ لِمَاذَا لَا تَعْطِينَا؟

الطباخ: لَأَنْكُمْ مَا تَعْرِفُوشْ أَتَغْنُو، أَيَّ أَنْكُمْ لَا تَحْسَنُونَ الْغَنَاء.

وهكذا يعيد الأطفال في طلب الأكلة تحت هدف الاستئذان واحترام آداب الطعام و"الالتزام بالنظام العام": وتجلى ذلك أيضا في المقطوعة التالية:

هَيُّوَا يَا أَطْفَالُ اسْمَعُوا لِلنِّدَاء... صَوْتُكُمْ يُنَادِكُمْ أَجْرِي أَجْرِي خَلِيكُمْ
سَرِيعًا... سَرِيعًا... سَرِيعًا لِلنِّدَاء.

وتوجد أيضا قيم "الصدق والأمانة كقول الأطفال باللغة العامية على لسان الحيوان:

دُومْبَا دُومْبَا أَنَا وَلِيدُ اللَّبَا...، أَيَّ أَنَا الشَّبِلُ ابْنُ اللَّبْوَةِ أَنْتِ الْأَسَد.

دُومْبَا يَا دُومْبَا عَايشٌ فِي الْغَابَةِ.

مَا نَكْذِبْشِي وَمَا نَسْرِقْشِي دُومْبَا يَا دُومْبَا.

مَا نَكْسِرْشِي الْقَارُورَاتِ دُومْبَا يَا دُومْبَا.

و"ثقافة التشجيع النبيل" مثلا 36,3% كنسبة بالرغم من قلّة ورودها في ميدان القيم الخلقية في أناشيد الأطفال فهي تمهّد للروح التفاعلية بين الأطفال والنشاطات الممارسة داخل المخيم حيث يتشارك الأطفال الألعاب والأغاني والتنافس بكل سلاسة وأمن واحترام الآخر، ومن الأغاني والترانيم التي وجدناها في متون المدونة والتي أثرت قيم المنافسة الشريفة والتشجيع النبيل واحترام مبادئ اللعب النظيف ومن بين ذلك:

أَلُو أَلُو أَلُو أَلُو أَلُو مَا دَامَ الْحَمَاسُ رَانَا فِي لَبَاس.

الدَّخْلَةُ بِالْإِشَارَةِ وَلَخْرَجَةُ بِالْإِشَارَةِ... أَلُو مَا دَامَ الْحَمَاسُ رَانَا فِي لَبَاس.

نَلْعَبُ بِالتَّعَاوُنِ وَلَفُرْجَةُ بِالتَّفَاوُلِ أَلُو مَا دَامَ الْحَمَاسُ رَانَا فِي لَبَاس.

أما مفهوم "الوفاء بالعهد" فحظيت النسبة الأقل 2,52% بالرغم من أهميتها في حالات الالتزام والتعامل الضروريين بين الأفراد والجماعات، إذن هي قيمة يحسن غرسها في نفوس الأطفال فقد وجدنا مثلاً:

الشَّطُّ وَلَبْحَرُ وَلُوجَةٌ تَتَلَوِّحُ، وأنا غير وحيدي في الشَّطِّ أُنْدُووورُ
خَسَارَةٌ خَسَارَةٌ مَا حَضَرُوشْ أَصْحَابِي خَسَارَةٌ خَسَارَةٌ مَا حَضَرُوشْ أَحْبَابِي
العِشْرَةُ كَيْفَ سَهْلَةٌ وَلَفْرَاقٌ أَصْغِيْبُ وَاشْ إِيصْبَرْ قَلْبٌ لِحَبِيْبٍ؟!

وهذه القيمة تعدّ بمثابة سبيل ومنهاج وأنّ ماهيتها هي إثراء للعلاقات الاجتماعية في المجتمعات عموماً والمجتمع الجزائري على وجه الحصر وهذا ما يؤدي إلى حتمية تعزيز روابط المواطنة والتفاعل الاجتماعي وفق الرموز المصطلح عليها اجتماعياً وثقافياً.

5. خاتمة: بعد التركيز على هذه القواعد يستلزم ذلك القيام بورشة عمل كبرى لتحديد الأساليب والوسائل التي تحقق خطتنا في دراسة احتياجات الأطفال ومعالجة مشكلاتهم، بل كيف نربهم تربية سوية، وهذا المشروع الضخم الذي ربما لا تستطيع مؤسسة بعينها القيام به، فإنه يحتاج إلى إمكانات وموارد بشرية ومالية وعلمية هائلة، وهذا ما يعني تضافر الجهود من قبل مؤسسات الدولة ومؤسسات المجتمع المدني، وفي عصر الانفتاح على العولمة تضافر مؤسسات دولية وإقليمية ودول وحكومات، وبما أن هذا الأمر غير متحقق نتيجة لتضارب المصالح والسياسات، وعلى الأرجح الوقوع في لظى الصراعات بين منظومات القيم السياسية والتربوية المختلفة فلا شك أن هذا يفرض علينا القيام بعملية تحصين للناشئة في مجتمعاتنا، تنطلق من صميم قيمنا ومنظومتنا الفكرية والثقافية والعقائدية، وعليه فقد أفرزت دراستنا جملة من التوصيات والمقترحات لعلّ من أبرزها مايلي:

■ ضرورة توحيد البرامج البيداغوجية للنشاطات الترفيهية والتثقيفية المخصصة لأطفال الجزائر ككل على مستوى كل مراكز العطل والترفيه وإعادة النظر في صياغة المناهج والأساليب المعتمدة في طرائق التأطير؛

■ العمل على إيجاد سياقات موحدة للأناشيد تحمل طوابع التكامل والتناسق في جميع مضامينه؛

■ إعطاء نشاط الأناشيد المكانة التي تليق بأدوارها التربوية في المخيمات الصيفية؛

■ تعزيز المواضيع الإنشادية التي تحمل في مضامينها مفاهيم قيمة يحبّد غرسها في نفوس المتعلّمين وتثمين المضامين الإنشادية التي تدعو إلى المحبة والتآخي والسماحة واحترام الآخرين والتعايش مع ثقافة الآخر؛

■ مراقبة أنواع النشاطات المقدّمة للأطفال، والعمل على تأطيرها والتشدد مع الأعمال الدخيلة التي تمس الخصوصية الثقافية للمجتمع والعمل على استئصال المقطوعات الإنشادية التي تؤسّس

للردائل والعنف والتطرف، وهذا بإعادة النظر في مضامينها، وإعطاء بدائل وحلول لها، وتعزيز عملية غرس القيم في نفوس الأطفال؛

■ بعث عملية الخلق والإبداع في إنتاج المواضيع الجديدة التي تواكب الجيل الحالي وملاءمتها لعصر التكنولوجيا والعمل على إقامة مواقع الكترونية ترفيهية وثقافية متحكّم فيها وترتكز على دراسات رصينة تلبي احتياجات الأطفال مثل: "الأندية للمعلوماتية، الإذاعة المدرسية، فضاءات المسرح، إعادة الاعتبار لكتاب الأطفال بأساليب التمثيل والحكي المفتوح؛

■ إدخال الأساليب العلمية في النشاطات الثقافية التي تساعد عملية تنمية القيم في الأطفال؛

■ إيلاء المعالم الطبيعية دورًا رياديًا وذلك يتطلب خططًا لمعايشة الإنسان الطبيعة والانفتاح عليها برفق (الرحلات، المخيمات، القيام بحملات تشجير...).

■ إشراك أكبر عدد ممكن من أطفال الجزائر في فضاءات الأطفال والعمل على أحداث التشارك في النشاطات الترفيهية والتربوية مع دول الجوار أو دول البحر الأبيض المتوسط أو على مستوى العالم عموماً.

6. قائمة المراجع:

1. أشواق عبد الحسن الساعدي، الثقافة والتنمية البشرية، العرف للمطبوعات، لبنان، ص146.
2. علي عبد القادر القورالة، مواجهة ظاهرة العنف في المدارس والجامعات، ط 01، دار عالم الثقافة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2010، صص 215-216.
3. ماجد زكي الجلال، تعلم القيم وتعليمها، دار المسيرة للنشر، عمان، الأردن، 2005، ص39.
4. مريم أحمد مصطفى، التغيير ودراسة المستقبل، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، مصر، 2006 ص347.
5. مريم الخالدي، مدخل إلى رياض الأطفال، ط1، دار الصفاء، عمان، الأردن، 2008، ص19.
6. منتهى مطشر عبد الصاحب، أنماط الشخصية على وفق نظرية الأنيكرام والقيم والذكاء الاجتماعي، ط 1، دار الصفاء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2007، ص172.
7. عبد الرحمان عزّي، الإعلام وتفكك البنيات القيمية في المنطقة العربية، دار المتوسطة، تونس 2009 صص 21-30.
8. العرقوبي أنيس، فن الأدبة أو الشعر الملحون.. إرث مغاربي تهدده التغيرات الاجتماعية، تمّ استرجاعه من موقع أدب وفن من على الرابط <https://www.noonpost.com>، المنشور يوم 01 فيفري 2021 وتصفّح يوم 09 أفريل 2021 على الساعة 21:49.
9. محمد أمين الترمذي، نصف قرن من الإنشاد، ط01، دار التقريب، الجزائر، 2007، ص293.
10. the oxford Dictionary, Academia, Beirut, Lebanon, 2006, p96.

الثقافة واللغة في الجزائر: تنوع وتكامل.

Culture and Language in Algeria, diversity and complimentarity.

أ. ذهبية سيدهم*

تاريخ القبول: 2021.10.02

تاريخ الاستلام: 2021.04.11

ملخص: إن الطابع التعددي سواء اللغوي أم الثقافي في الجزائر على غرار كل الدول، معطى تاريخي أسهمت في تكوينه مختلف الأحداث التي عرفت المنطقة، عبر عصور عديدة وأوضاع مختلفة (اقتصادية تجارية، عسكرية استعمارية وثقافية اجتماعية)، فالجزائر مهد الحضارات وملتقى الثقافات، التي شكّلت موروثا ثقافيا ولغويا متنوعا كان ولازال مصدر تعايش بين سكان المنطقة، واستطاعت الحفاظ عليه رغم التهديد الكبير؛ الذي مس مقومات الهوية الوطنية في ظل السياسة الاستعمارية، التي عمدت إلى طمس أهم عنصر في خصوصيتها الثقافية وهو "اللغة".

تجلّت تداعيات الفترة الاستعمارية في تغير النظام اللغوي في الجزائر، وظهور التعددية اللغوية كمظهر من مظاهر المشهد اللغوي المعاصر فيها، والذي يعرف راهنا تحولات أخرى تمشيا مع إرهاصات العولمة الثقافية. كلمات مفتاحية: الثقافة، التنوع الثقافي، اللغة، التنوع اللغوي، الحضارة.

Abstract: In Algeria, the pluralistic linguistic and cultural character is a historical fact that has been shaped by the various events that the region has known. Algeria is the cradle of all civilizations and the crossroads of all cultures, which has constituted a diverse cultural and linguistic heritage that was and still is a source of coexistence among the populations of the region, and was able to preserve it despite the great threat to the foundations of national identity the colonial policy, which deliberately obliterated the most important element of its cultural specificity, which is "the language".

The repercussions of the colonial period were manifested in the change in the linguistic system and cultural scene in Algeria, which currently defines other transformations in line with the cultural globalisation.

Keywords: Culture, Cultural Diversity, Language, Language Diversity, Civilization.

✻ - جامعة محمد لمين دباغين سطيف2، الجزائر.

البريد الإلكتروني: sidhoumbani@gmail.com (المؤلف المرسل).

1. مقدمة: الثقافة هي ظاهرة اجتماعية وتاريخية ملازمة لكل مجتمع وهي مصدر اتساقه وانسجامه، فثقافة المجتمع هي معيار تميزه واختلافه عن غيره من المجتمعات، بما تحمله من سمات وعناصر متكاملة ومتداخلة تتوارثها الأجيال وتحافظ عليها؛ من قيم وعادات وتقاليد وأعراف ولغة ودين، وغيرها من أساليب العيش وأنماط الفكر وقواعد السلوك الموحدة، شارك في تشكيلها كل أفراد المجتمع عبر مدة طويلة من الزمن وهي أساس تكوين شخصية الأمم ورمز وجودها.

والجزائر على غرار كل الدول والمجتمعات، لها تاريخ ثقافي وحضاري مميز ومتنوع، والتنوع الثقافي الذي تزخر به الجزائر يمتد في عمق التاريخ، وأسهمت في تشكيله مختلف الأحداث والظروف؛ فما هو مفهوم التنوع الثقافي واللغوي؟ وما هي طبيعة العلاقة بينهما؟ وما هي تجلياتها في المجتمع الجزائري؟ وتهدف هذه المساهمة إلى تسليط الضوء على أهمية الثقافة في حياة الأفراد والمجتمعات، وكذا أهمية التنوع اللغوي والثقافي ودوره في إقامة التكامل والتعايش بين أفراد المجتمع الواحد.

2. في ماهية التنوع الثقافي

1.2 . التحديد الإجرائي لمفهوم التنوع الثقافي: رغم كثرة تداول مفهوم الثقافة في مختلف المجالات، إلا أن مدلوله العلمي والمعرفي يلزمه الغموض والتشعب والتداخل مع مفاهيم أخرى لا تقل أهمية عنه، كما يندرج ضمن " المفاهيم المعقدة " (هارلبس وهولبورن، 2010)¹، يتضح ذلك من خلال التعريفات الكثيرة وفي مختلف الحقول المعرفية، التي حاولت تحديد عناصر الثقافة ومجالاتها ووظائفها، ويرى "برهان غليون" أن التعريفات المقدمة للثقافة تتباين " وتختلف حسب الأهمية التي تعطىها للفعل أو للنشاط الثقافي في التأثير على سير النظام الاجتماعي العام، وحسب اتساع المفهوم الذي تعطيه لها أو ضيقه [...] ومنهم من يعتبرها بنية أساسية تخضع لها جميع البنى الأخرى، كالأنثروبولوجيا الثقافية التي تجعل من النظام الثقافي المنفذ إلى فهم نظام المجتمع العام وتنظر إليه على أنه بطانة هذا النظام ومكمن أسرارها " (برهان غليون، 2006)².

وانطلاقاً من تعدد الآراء حول أي من مظاهر الحياة الإنسانية ومعطياتها يعتبر جزءاً من الثقافة على اعتبار أن تعريف الثقافة يركز على تحديد العناصر الداخلة في تكوينها، فقد حاول "كريستوفر جينز" أن يميز أربعة معاني رئيسية لمصطلح الثقافة (هارلبس وهولبورن، 2010)³:

. الثقافة ينظر إليها أحياناً كحالة للفكر، فالثقافة كنوعية تكتسب من جانب الأفراد القادرين على التعلم وتحقيق الصفات المرغوبة لدى الكائن البشري المثقف؛

. يعتبر التعريف الثاني للثقافة؛ مجتمعات معينة أكثر رقياً من مجتمعات أخرى، فالثقافة هنا شديدة الارتباط بفكرة الحضارة، حيث تكون بعض المجتمعات أكثر ثقافة وحضارة من المجتمعات الأخرى، وهذه النظرة للثقافة تنقل بأفكار التطور مثل أفكار "هربرت سبنسر"؛

. أما التعريف الثالث يرى الثقافة كإطار جماعي للفنون والأعمال الذهنية لدى أي مجتمع منفرد، وهذا التعريف يستعمل بشكل واسع باعتباره له إحساس مشترك لدى الأفراد. ووفقه يمكن العثور على الثقافة في المسارح وفي قاعات الاحتفالات وصالات اللوحات الفنية الجميلة والمكتبات العامة بدلا من الامتداد إلى كل مظاهر الحياة الاجتماعية للإنسان، وهذا المعنى يطلق على الثقافة أحيانا بالثقافة العليا؛

. والتعريف الأخير يرى أن الثقافة أسلوب كامل في حياة الناس، وهذا التعريف جرى اعتماده من قبل "رالف لنتون" حيث يؤكد: " أن ثقافة المجتمع هي طريقة حياة أفرادها، وهي مجموعة الأفكار والعادات التي تعلموها وأسهموا فيها ثم نقلوها من جيل إلى آخر"، وهو التعريف الذي تبناه معظم علماء الاجتماع المعاصرين، فالثقافة وفق هذا المفهوم تنطوي على جميع المسائل التي تهتم علم الاجتماع.

أما "كلود ليفي ستروس" (Levi-Strauss) فيوسع من معنى الثقافة ويعتبرها " مجموع أنظمة رمزية تقع في المرتبة الأولى فيها اللغة، وقواعد الزواج، والعلاقات الاقتصادية، والفنون، والعلوم، والدين. وتهدف كل هذه الأنظمة إلى التعبير عن بعض جوانب الواقع المادي والواقع الاجتماعي، بل وكذلك عن العلاقات التي توجد بين هذين النمطين من الواقع، والتي توجد بين الأنظمة الرمزية في ما بينها" (بسام بركة وآخرون، 2013)⁴، وبهذا تكون الثقافة هي الحاضنة لمجوع الأنظمة الاجتماعية المعبرة عن خصوصية المجتمع والتي تستند على اللغة كنظام أساسي فيها.

في حين يؤكد عبد الوهاب المسيري بأن "ثقافة مجتمع ما يشارك في صنعها أو التعبير عنها كل أعضاء المجتمع عبر مدة طويلة من الزمان. وهي المنظومة العقائدية والقيمية والأخلاقية والسلوكية للمجتمع، وهي التي تشكل خريطته الإدراكية وتحدد مجال إدراكه ووعيه وأنماط الشخصية فيه[...]. وهي وعاء هويته ومصدر تماسكه. علاوة على كل هذا تعبر ثقافة المجتمع عن نفسها من خلال منتجاته الحضارية المختلفة، سواء كان طعاما أم دواء أم الغناء والرقص أم وسائل الإنتاج" (سوزان حربي، 2010)⁵.

فالثقافة إذا ظاهرة اجتماعية وتاريخية، تشمل الحياة المادية، والدين، واللغة، والقيم، والتربية والتعليم والعلاقات الاجتماعية، كما تتميز بمجموعة من الصفات، حسب ما جاء به علماء الاجتماع والأنثروبولوجيا لعل أهمها (علي عبد الرازق جلبي، 1984)⁶:

. الاستقلال عن الأفراد: تمثل الثقافة "التراث الاجتماعي" الموروث عبر الأجيال، ويكتسبها الإنسان بالتعلم فنحن مثلا نتبع في بعض سلوكنا " الأنماط المعيارية التي نمت في مجتمعنا بدون التفكير فيها، وأي شيء آخر قد لا يكون متحملا لأنه قد يعني أننا يجب أن نتوقف ونفكر في كل موقف بأنفسنا، ونحن نريد أن نتصرف عادة بطرق مقبولة اجتماعيا وتحظى بقبول الآخرين، وحتى عندما توجد

معضلة بسبب مواجهتنا لموقف جديد بالنسبة لنا، فنحن نكتفي بالقبول: ماذا يفعل الناس عادة؟" (فرد ميلسون، 2008).⁷

. الاستمرار: تحتفظ بعض السمات الثقافية بكيانها لعدة أجيال، خاصة العادات والتقاليد لها قدرة كبيرة للانتقال عبر الزمان.

. التعقيد: تمتاز الثقافة بأنها كل مُعقدٌ لاشتمالها على عدد كبير من السمات والملاحم والعناصر، ويرجع ذلك إلى تراكمها خلال عصور طويلة من الزمن، وإلى استعارة كثير من السمات من خارج المجتمع نفسه.

. انتقالية: ذلك لأن انتقال الثقافة من جيل إلى جيل وتوارثها، يتم على نحو انتقائي واعي، بحيث ينتقي الجيل الذي يتلقى عناصر الثقافة بعضها ويستبعد البعض الآخر طبقا لظروفه وحاجاته، وهذا يفسر إمكانية تغير الثقافة.

. التغير: يصيب التغير الثقافي كافة عناصر الثقافة المادية وغير المادية.

. التكامل: إذ تُظهر كل الثقافات ميلا نحو التكامل بمعنى أنها تلتحم لتكون كلا متكاملا ومنسجما، وتميل عناصرها المختلفة من عادات وطرائق شعبية ونظم وتعرض لضغط يقودها نحو التكامل والاتساق ببعضها البعض. كما أن الثقافة " تبعد وتنظم لدى جماعة ما حقل الدلالات (العقلية والروحية والحسية) وتحدد بالتالي لدى هذه الجماعة أسلوب استخدامها لإمكانياتها (البشرية والمادية) ونوعية استملاكها لبيئتها. ويكون نجاح الثقافة وتطورها بقدر فاعليتها في تحقيق الاستخدام الأمثل لإمكاناتها (الجماعة)، وهو ما ينعكس في قدرتها على التحكم بنفسها أي بصراعاتها الذاتية وبيئتها الخارجية" (برهان غليون، 2006)،⁸ ففوة الثقافة تتجلى في قدرتها على الثبات أمام موجات التغير الاجتماعي والثقافي.

ويضاف إلى خاصية تعقد الثقافة وتشابك السمات الثقافية المكونة والمميزة لثقافة مجتمع ما، أنه على الرغم من أن المجتمع قد تسوده ثقافة واحدة، فإن هذا لا يستتبع بالضرورة وجود كل سمات هذه الثقافة في كل قطاعات المجتمع فقد يقتصر وجودها على بعض قطاعات المجتمع دون غيرها، الأمر الذي قد لا يمنع معه من أن توجد في كل قطاع أو جماعة محلية، ثقافتها الجزئية الخاصة بها (علي عبد الرازق جلي، 1984)⁹ "والثقافات الفرعية لا تشير إلى الجماعات الاثنية واللغوية في المجتمع الواسع فحسب، بل يمكن أن تدل على شرائح سكانية تميزها أنماطها الثقافية عن بقية المجتمع. وتضم هذه الثقافات الفرعية منظومة واسعة تشمل، على سبيل المثال، أنصار الطبيعة... قراصنة الحاسوب، مشجعي أندية كرة القدم" (أنتوني غدنز، 2005)¹⁰.

وقد جرى تعريف "التنوع الثقافي" بأنه " تعدد الوسائل التي تجد فيها تعبيرها عن ذاتها ثقافات المجموعات الاجتماعية والمجتمعات" (أرمان ماتلار، 2008، 195)¹¹، فالتنوع والتباين كما يرى "محمد

عمارة" "تعددية يراها القرآن الكريم الأصل الدائم والقاعدة الأبدية، والسنة الإلهية، التي هي الحافز للتنافس في الخيرات، والاستباق في الطيبات، والسبب في التدافع الذي يقوم ويرشد مسارات أمم الحضارات على دروب التقدم والارتقاء. فهي المصدر الباعث على حيوية الإبداع الذي لا سبيل إليه إذا غاب التمايز وطمست الخصوصية بين الحضارات (ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين 118) (سورة هود) ويضيف " فالتعددية هي الحافز على امتحانات وابتلاءات المنافسة والاستباق في ميادين الإبداع بين الفرقاء المتمايزين في الشرائع والمناهج والحضارات. وفي إطار تعددية "الشرائع"، تحت "جامع الدين" الواحد" جاء الحديث في القرآن الكريم عن نجاة أصحاب الشرائع المتعددة، إذا هم جمعهم جميعا أصول الإيمان بالأولوية الواحدة. (محمد عمارة، 1997)¹². لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا) (سورة المائدة، الآية 48).

وفي منحنى آخر ترى "كلير كرامش" أن مصطلح متعدد ثقافي يستخدم بطريقتين: المعنى الأول مجتمعي؛ لأنه يشير إلى التعايش بين الناس على اختلاف مشاربهم وأعرافهم كالشأن في المجتمعات متعددة الثقافات والطريقة الثانية بالمعنى الفردي؛ لأنه يصف الأشخاص الذين ينتمون إلى مجتمعات خطاب متباينة، ومن ثم ينعمون بالموارد اللغوية والاستراتيجيات الاجتماعية للحاق والتماهي في ثقافات متعددة، وطرائق مختلفة في استخدام اللغة (كلير كرامش، 2010)¹³.

ويبدو أن السياق اللغوي لمُدلول الثقافة أخذ منحنى آخر مع ارتباط الثقافة بوسائل الاتصال الجماهيري كسمة مميزة لعصر التكنولوجيا، وظهور ما يسمى بالثقافة الجماهيرية، حيث "نحو الثقافة تجاه الفردية، أما الثقافة الجماهيرية فتصب في الاتجاه المعاكس، نحو التماثل (صب الأرواح في قوالب متماثلة). عند هذه النقطة تنحرف الثقافة الجماهيرية عن الأخلاق وعن الثقافة. فالإنتاج بالجملة " للسلع الروحية" والنسخ المكررة للأدب المزخرف الرخيص يؤديان إلى سلب الشخصية. إن الثقافة الجماهيرية تختلف عن الثقافة الأصيلة في أنها تحد من الحرية الإنسانية من خلال هذا الاتجاه نحو التماثل، ذلك لأن الحرية هي مقاومة التماثل... والثقافة الشعبية ثقافة أصيلة حية ومباشرة. وهي بريئة من الهرجة وقائمة على الإجماع والمشاركة، بينما المبدأ السائد في الثقافة الجماهيرية هو التلاعب (علي عزت بيجوفيتش، 1994)¹⁴.

لذلك يتوجب على الفرد أن "يدافع عن هويته الثقافية وأن يتمسك بمقومات ثقافته الأصيلة وعناصرها ومكوناتها، ولكن الخطأ أن يكون السبيل إلى ذلك هو الانطواء الثقافي على الذات والانغلاق عن التأثيرات الثقافية الأجنبية، لأن ذلك الانغلاق سوف يؤدي إلى جمود الثقافة [...] وعدم تجديد حيويتها وحرمانها من فرص التطور والتقدم والانطلاق إلى أفاق واسعة جديدة" (علي بن إبراهيم النملة، 2010)¹⁵.

2.2 . الثقافة والوعي الجمعي: فإذا كانت اللغة ذات علاقة وثيقة بالثقافة فهي فصلتها بالوعي لا تقل أهمي، خاصة أن الوعي ينعكس في سلوكيات الأفراد، كما أن الثقافة " لا تفهم إلا باعتبارها مظهرا للوعي الذي يستوعب الإنسان من خلاله، فردا وجماعة، العالم ويفهمه شفافا أي قابلا للتمثل الذهن. ولا تفهم أيضا إلا باعتبارها استجابة لواقع موضوعي، قائم خارج الذهن يفرض نفسه بصرف النظر عن الفكرة أو الصورة التي يصنعها له الوعي[...]. فمن خلال هذه العلاقة الاجتماعية التاريخية بين الوعي والوجود، بين الذات والموضوع يولد واقع جديد، أو بنية موضوعية خاصة تؤثر في الوقت ذاته في طريقة عمل الوعي كذات فاعلة، أو كفعل إدراك، وفي طبيعة الواقع الخارجي، هي ما نسميه بالثقافة" (برهان غليون، 2006)¹⁶.

وفي ذات السياق يرى "دوركهيم" أن الثقافة المشتركة أو الوعي الجمعي ضروريان إذا أريد للمجتمع أن يواصل حياته بانتظام. وهذه الثقافة توجد وفق رغبات وخيارات الأفراد وهي مقيدة لسلوكهم، فهي تنتقل نزولا من جيل إلى آخر... ويقول دوركهيم إن الوعي الجمعي لا يتغير بين الأجيال وإنما على عكس ذلك يقوم بربط الأجيال اللاحقة بجيل آخر (هارلبس وهولبورن، 2010)¹⁷. والضمير الجمعي، ينطوي على سلسلة من المبادئ هي حصيلة تراكم القواعد السلوكية في المجتمع، التي ينتظم بموجبها سلوك الفرد وأسلوب تفكيره (محمد الدروبي، 2004)¹⁸.

ويشارك مفهوم " الثقافة المشتركة" و"الضمير الجمعي" بهذا المعنى مع مفهوم "الوعي الاجتماعي" والذي يعرف على أنه (عبد الله بوجلالة، 1990)¹⁹:

- مجموعة المفاهيم والتصورات والآراء والمعتقدات الشائعة لدى الأفراد في بيئة اجتماعية معينة، والتي تظهر في البداية بصورة واضحة لدى مجموعة منهم ثم يتبناها الآخرون لاقتناعهم بأنها تعبر عن موقفهم؛

- محصلة معرفة وإلمام كل جماعة بالقضايا الاجتماعية الاقتصادية والسياسية والثقافية على المستويين المحلي والوطني؛

- حصاد إدراك الناس وتصوراتهم للعالم المحيط بهم، بما يشمل عليه من علاقات بالطبيعة وبالإنسان وبأفكاره، وهو إدراك تصور يتحدد مجاله ببنائية تاريخية لمجتمع معين، بمعنى أن للوعي طابعه التاريخي البنائي.

فالوعي الاجتماعي أو الثقافة المشتركة حسب "دوركهيم" - يتشكل في سياق تاريخي معين وفي ظروف خاصة بكل مجتمع، ووفق آليات معينة تسمح بالانتقال العفوي لأفكار وتصورات معينة بين أفراد البيئة الاجتماعية الواحدة وتحقق التوحد الجمعي حول قضايا عامة، وحسب " بلعيد عبد السلام" ترتبط الثقافة بالرأس المال المعرفي وباللغة حيث "ينمو الرأس مال المعرفي بقدر نمو الثقافة الجامعة،

والوعي الجمعي، ولا تحققه إلا اللغة الوطنية المشتركة القادرة على تعميم التعليم، وإنتاج المعرفة ونقلها وتبسيطها وتوطيئها وتعميق جذورها في المجتمع" (صالح بلعيد، 2021)²⁰.

لذا فإن التقدم المعرفي والحضاري لن يكون إلا من خلال نمو ثقافة تشد جسد المجتمع لا لتشتته، ومن خلال وعي جمعي تعززه اللغة " المشتركة القادرة على تعميم التعليم، وإنتاج المعرفة ونقلها وتبسيطها وتوطيئها وتعميق جذورها في المجتمع... فالمعرفة تستنبت في بيئتها وفي عقول أبنائها، بلغتهم المشتركة لأن استيراد المعرفة مكلفة جدا، ثم هي متطورة دائما" (صالح بلعيد، 2021)²¹.

3. التنوع اللغوي كمدخل لدراسة التعدد الثقافي للمجتمع الجزائري

1.3 . التحديد الإجرائي لمفهوم التنوع اللغوي: أكرم الله الإنسان بالقدرة على الكلام ويسر له النطق وعلمه البيان عما في نفسه تمييزا له عن غيره من المخلوقات، حيث ورد في القرآن الكريم في سورة الرحمن: ﴿الرحمان (1) علم القرآن (2) خلق الإنسان (3) علمه البيان (4)﴾، فاللغة ظاهرة اجتماعية و" مؤسسة اجتماعية توجد حيث يكون المجتمع، وهي أداة تتطور بتطوره وتعكس هذا التطور في جوانبها المختلفة" (عبد الله محمد الغدامي، عبد النبي اصطياف، 2004، 109)²²، لذلك تعددت الألسن باختلاف المجتمعات، واختلقت المجتمعات باختلاف لغاتها و" لكل لغة أعرافها، وتقاليدها، وإجراءاتها، وقواعدها في التفكير والتعبير والتوصيل" (عبد الله محمد الغدامي، عبد النبي اصطياف، 2004، 120)، ﴿ومن آياته خلق السماوات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن في ذلك لآيات للعالمين﴾ (سورة الروم: 22).

والتعدد اللغوي حسب الباحث المغربي " محمد الأوراني " يصدق على الوضعية اللسانية المتميزة بتعايش لغات وطنية متباينة في بلد واحد، إما على سبيل التساوي إذا كانت جميعها لغات عالمية كالألمانية والفرنسية والإيطالية، في الجمهورية الفدرالية السويسرية، وإما على سبيل التفاضل إذا تواجدت لغات عالمية كالعربية بجانب لغات عامية مثل الهوسا والغورمانشة والسوناى زارما والتماشيق والفولفواودة والتوبو في جمهورية النيجر" (باديس لهويميل، نور الهدى حسني، 2014)²³. ويقصد كذلك بالتنوع اللغوي " تعدد الصيغ المختلفة في لغة من اللغات" (محمد عفيف الدين دمياطي، 2017، 51)²⁴، ويذهب "جون ديبوا" في قاموس اللسانيات إلى أن " التعدد اللغوي: عندما تجتمع أكثر من لغة في مجتمع واحد، أو عند فرد واحد ليستخدمها في مختلف أنواع التواصل والمثال المشهور هو دولة سويسرا حيث الفرنسية والإيطالية والألمانية هي لغات رسمية لها" (باديس لهويميل، نور الهدى حسني، 2014)²⁵.

فالتعدد اللغوي ظاهرة اجتماعية تاريخية واسعة الانتشار لا سيما في المجتمعات المعاصرة، إلا أن أسبابه وإن اختلفت من مجتمع إلى مجتمع آخر، ومن فترة زمنية إلى أخرى، فغالبا ما يرتبط التعدد اللغوي فيها بعوامل تاريخية تمثلت في حملات الغزو العسكري وهيمنة لغة المستعمر على اللغة الأصلية

للدول المستعمرة، أو لعوامل اقتصادية والحاجة للتعرف على مختلف اللغات لإتمام الصفقات التجارية، أو بسبب الهجرة والحراك الاجتماعي، كما أن التنوع اللغوي بات ضرورة معرفية وحتمية في زمن العولمة، كما تعزى ظاهرة تنوع اللغات "إلى تعقد الروابط الاجتماعية. ولما كان من النادر أن يعيش فرد محصوراً في مجموعة اجتماعية واحدة، كان من النادر أيضاً أن تبقى إحدى اللغات دون أن تنفذ إلى مجموعات مختلفة. إذ يحمل كل فرد معه لغة مجموعته ويؤثر بلغته على لغة المجموعة المجاورة التي يدخل فيها" (جوزيف. فندرسون، 2014)²⁶.

لكن اللغة ليست مجرد رموز حيادية يتواصل بها أفراد المجتمع فحسب، بل تحمل تاريخ الشعوب وثقافتها وفي هذا يقول "هادي نهر" "لا يمكن فهم اللغة، وقوانين تطورها بمعزل عن حركة المجتمع الناطق بها في الزمان والمكان المعينين، لأن فيها من الإنسان فكره، وطرائقه الذهنية، وفيها من العالم الخارجي تنوعه وألوانه" (هادي نهر، 1988)²⁷، مما يعني أن وظيفة اللغة لا تنحصر في كونها وسيلة للاتصال، إذ يمكن أن تكشف الرموز التي يستخدمها الأفراد للتواصل عن طبيعة النظام الاجتماعي السائد في المجتمع، حيث يؤكد "فيرث" على الوظيفة الاجتماعية للغة، ويرى بأن المعنى لا ينكشف إلا من خلال تسييق الوحدة اللغوية، أي وضعها في سياقات مختلفة²⁸ (أحمد مختار عمر، 1998)، هذه السياقات التي يمكن أن تجعل المعنى يختلف من بيئة اجتماعية لأخرى.

فاللغة تنقل الأفكار، وتورثها للأجيال القادمة، وتحافظ عليها من الزوال من خلال اللغة المكتوبة بمختلف ألوانها، يقول عبد الله محمد الغدامي "منظومة الأنساق الثقافية المكونة لذهنية أمة من الأمم تظل كامنة في نصوصها الأدبية الرسمية والشعبية، وهذه تتكامل مع التاريخ بوصفه نصاً كبيراً وممتداً، فيجتمع التاريخ من جهة والنسق الثقافي من جهة ثانية، يجتمعان في تكوين ذات وطنية وجدانية وعقلية" (عبد الله محمد الغدامي، عبد النبي اصطيف، 2004)²⁹، ذلك "أن بعض الروائيين هم في الواقع، إما دارسين لعلم الاجتماع، أو هم في الحقيقة يقدمون نصوصاً انثربولوجية، الغرض منها تقديم صورة مجسدة للحياة اليومية المعيشة، ومن ثم فإن نصوصهم ومن ثم إبداعهم في الواقع عبارة عن دراسات اجتماعية أخذت شكل أو جنس أدبي" (أبو بكر أحمد باقادر، 2004)³⁰. وتعتبر هذه النصوص بمثابة انعكاس لواقع اجتماعي وثقافي في حقبة زمنية معينة، وهذا ما يؤكد على العلاقة الوثيقة بين اللغة والثقافة والمجتمع، ولا يمكن أن ننكر دور النصوص الأدبية في المحافظة على التراث اللغوي والاجتماعي والثقافي للمجتمعات، فمن أبرز خصائص اللغة في النص الأدبي "أنها لغة مشحونة بأقصى الطاقات التعبيرية، ومحملة بأغنى الدلالات، والسبب في ذلك أنها مشحونة بالتراث الثقافي للمجموعة اللغوية التي تنتمي إليها، وبالتالي للأمة التي تتخذها أداة تعبير وتواصل وتفكير. وهي لذلك لغة موحية بما يحيط بها من ظلال ممتدة عبر القرون" (عبد الله محمد الغدامي، عبد النبي اصطيف، 2004، 81-82)³¹.

لكن وبقدر مسؤولية اللغة، إلا أنها مجبرة على مسايرة موجات التغير الاجتماعي، الذي يضع الأنظمة اللغوية للمجتمعات أمام أدوار جديدة لعل أهمها مواكبة اللغات الأخرى، خاصة في عصر الانفتاح العالمي، لأن "تطور اللغة المستمر في معزل عن كل تأثير خارجي، يعد أمرا مثاليا لا يكاد يتحقق في أي لغة. بل على العكس من ذلك فإن الأثر الذي يقع على لغة ما من لغات مجاورة لها كثيرا ما يلعب دورا هاما في التطور اللغوي. ذلك لأن احتكاك اللغات ضرورة تاريخية، واحتكاك اللغات يؤدي حتما إلى تداخلها" (جوزيف. فندرسون، 2014)³²، وهو ما يعرف بـ "تداخل اللغات" تحت تأثير ظروف تاريخية أو اقتصادية استوجبت تعاملات عن طريق اللغة المفهومة بين الطرفين، وهنا تبرز مكانة اللغة عالميا وقوتها " لأن قوة اللغات ليست واحدة، ومن ثم كانت تختلف قدرتها على المقاومة" (جوزيف. فندرسون، 2014، 349)³³.

2.3 سياقات التنوع اللغوي والثقافي في الجزائر: المطلع ولو بصورة بسيطة على تاريخ الشمال الإفريقي منذ القدم، يتساءل عن سر صموده أمام الثقافات الوافدة على المنطقة، وفي هذا يقول "عمار بوحوش" سكان شمال إفريقيا الذين أطلق عليهم اليونان والرومان اسم "بربر" بصفتهم أجنبي لا يتكلمون لغتهم ويرفضون الاندماج فيهم، قد أثبتوا أنهم أصحاب شخصية قوية وأمة مستقلة عن الرومان بحيث أنهم حافظوا على هويتهم ولم يندمجوا في حضارات غيرهم [...] ولم يذوبوا في حضارات الدول الغازية، وحافظوا على هويتهم ولغتهم وعاداتهم وتقاليدهم وخاصة خارج المدن" (عمار بوحوش، 2008)³⁴.

فلقد شهدت المنطقة حروبا مستمرة مع الغزاة الأجانب، لكن الوضع تغير مع الفتوحات الإسلامية أين برزت بوادر الاستقرار "وحسب شهادة بعض المؤرخين الأوروبيين فإن البربر قد خسروا في حروبهم مع البيزنطيين في منتصف القرن السادس للميلاد، خمسة ملايين من الأنفس، وعندما جاءت الديانة الإسلامية، عقب هذه الحروب المدمرة مع الأربيين، خلقت المحبة والمودة بين العرب والبربر بحيث امتزج واختلط العرب والبربر بسرعة" (عمار بوحوش، 2008، 8-9)³⁵.

لكن الجزائر عرفت تهديدا آخر مس عناصرها الثقافية وهويتها الوطنية، بدخول الاحتلال الفرنسي وتطبيقه لمختلف السياسات التي كانت تهدف في الأساس إلى طمس الهوية الجزائرية ومحاربة اللغة العربية كونها لغة القرآن التي وحدت أهل المغرب العربي في دين واحد.

"تمكنت اللغة العربية من مقاومة اللغات الوافدة عليها وبالأخص لغة الاستعمار الفرنسي التي عمل على أفولها قرنا ونيف، إلا أنها بقيت ثابتة بفضل تضحيات أبنائها العلماء والمشايخ وحفظة القرآن الكريم، إذ ظلت اللغة الأم المشتركة بين القمة والقاعدة، كونها لغة الأمة التي يعني مفهومها: "الكيان الأوسع والشامل في الانتماء الحضاري والثقافي المشترك [...] ولا بد أن الجانب السياسي يغلبها على

اللغات الوطنية واللغات الأجنبية، وهذا يستدعي تدبيرا عقلانيا يراعي التعدد بحسب المقام والذي يحافظ على التماسك والتعايش". (صالح بلعيد، 2021)³⁶

ولأن ثقافة الشعوب تنتقل بواسطة مؤسسات التنشئة الاجتماعية وعلى رأسها المؤسسات التعليمية " يعرف حاليا التسيير المدرسي للغات في المنظومة التربوية الجزائرية إعادة انتشار هام بفضل تطبيق الإصلاحات " لأجل ذلك كان المسعى في إعداد برامج ومناهج بغية اعتماد نظرة " نسقية شاملة الاختيارات المعتمدة والأهداف، المسطرة ومنهجيات التعليم والتعلم المطبقة في إطار هذا التنظيم اللغوي"، ولقد سطرت الدولة إستراتيجية من خلال تحويل بيداغوجي يتمثل في " تحسين تعليم اللغة العربية قصد إعطائها دورها البيداغوجي والاجتماعي والثقافي الكامل لسد حاجات تعليم ذي نوعية، قادر على التعبير عن عالمنا الجزائري العربي الإفريقي، المتوسطي والعالمي، ثم امتصاص النجاحات العلمية التكنولوجية والفنية عبر العالم ونقلها"، وبذلك فإن اللغة العربية تأخذ مهمة التكفل بمحتويات اللغات الأخرى من خلال التحويل المعرفي" الذي يساعد على تعزيز الشعور بالانتماء. ولأن العربية " هي اللغة الوطنية الرسمية، وإحدى المركبات الأساسية للهوية الوطنية الجزائرية، وأحد رموز السيادة الوطنية وأساسها الرئيس" حسب ما جاء في الدليل المنهجي لإعداد المناهج لوزارة التربية الوطنية.

كما أن الغاية من دمج اللغة الأمازيغية وإدراجها في المنظومة التعليمية وتعميمها فلأجل " إيجاد حل للمشاكل التي تطرحها كتاباتها والتوصل إلى نمط موحد لها [...] وإدراجها في المنظومة التربوية يتجاوز مجرد تعليم لغة، بل المسألة تتعلق بالهوية. فهي إرث وتراث مشترك بين الجزائريين، وترتكز على العمق التاريخي الراسخ في الواقع المعاصر للجزائر والمغرب ككل [...] فالأمازيغية تمثل لغة الأم، وواقع لساني وطني هام، واقع ثقافي وحضاري وطني، أحد الأبعاد الرئيسية للهوية الوطنية" حسب ما جاء في الدليل المنهجي لإعداد المناهج لوزارة التربية الوطنية.

كما ورد في ذات الدليل أن اللغات الأجنبية تم إدراجها في التعليم وتشجيع المجتمع لإتقانها" إذ أصبح انتشار هذا التعليم سريعا بفضل الابتكارات العلمية والتقنية الجديدة، والعولمة وتطور تكنولوجيا الإعلام والاتصال"، فاللغات الأجنبية تعتبر من أدوات النجاح في عالم الغد فتعليمها " يمكن الجزائريين من الاطلاع المباشر على المعرفة العالمية، والتفتح على ثقافات أخرى، وإحداث نوع من التفاعل الناجح" ولأن العربية " هي اللغة الوطنية الرسمية، وإحدى المركبات الأساسية للهوية الوطنية الجزائرية، وأحد رموز السيادة الوطنية وأساسها الرئيس" (اللجنة الوطنية للمناهج) إن وظائف اللغات الأجنبية " محددة في القانون التوجيهي، وتعلم كأدوات للتواصل يمكن من الولوج المباشر إلى الفكر العالمي، ومن إثارة التفاعلات الخصبة مع اللغات و الثقافات الوطنية الأخرى، وإسهامها في التكوين الفكري والثقافي والتقني، ويمكنها من رفع قدرات التنافس في عالم الاقتصاد"

(اللجنة الوطنية للمناهج، ص47) وبذلك نخلص إلى ضرورة إعتقاد مبدأ المرونة في سبيل تعايش وإحداث تكامل بين الغايات المذكورة آنفا، وتهيئة وسط مناسب يتميز بالتعدد في السياق اللغوي الجزائري³⁷.

كما أن المناهج التعليمية تحرص على تعريف الأجيال بالتراث الوطني وتنوعه، من خلال مختلف الدروس الموجهة للتلاميذ في مختلف الأطوار التعليمية، ومثال ذلك جاء في الدرس المعنون بـ "أحافظ على التراث الوطني وأعتز به" في كتاب التربية المدنية السنة الرابعة من التعليم الابتدائي الصفحة 16، "يعد التراث الوطني بشقيه، المادي واللامادي أحد أبرز العناصر التي تدخل في تكوين شخصية الأمة ورمز وجودها. والمحافظة عليه وترقيته ضرورة لا بد منها...".

4. خاتمة: ومن خلال ما تم عرضه نجد أن أهم ما يميز المجتمعات هو اختلاف ثقافتها، بسبب تباين العوامل والأسباب المؤثرة على مساراتها التاريخية والاجتماعية والثقافية، والتي أسهمت في تكوين خصوصيتها الثقافية، التي تميزها عن غيرها من المجتمعات، وبالمقابل يتيح التنوع للأفراد داخل المجتمع الواحد إمكانية التجانس والانسجام والاتساق والتكيف مع الظروف والأزمات الخارجية والداخلية.

كما أن التعدد اللغوي الذي يعتبر من أهم مظاهر التنوع الثقافي بل وأبرزها، بات ضرورة حتمية لا مفر منها ولكن في مقابل ذلك ونظرا لكون اللغة حاملة الثقافة؛ لا بد من الاستناد إلى الثوابت الوطنية والمحافظة عليها وتسخير كل مؤسسات التنشئة الاجتماعية لنقلها للأجيال اللاحقة. فإذا كانت الخصوصيات الثقافية هي أساس التباين والاختلاف داخل المجتمع الواحد، فإن العناصر المشتركة أو ما يسمى بالعموميات الثقافية تسهم في العمل على تكامل المجتمع ووحدته، وتساعد على تقوية وترسيخ قيم المواطنة.

5. قائمة المراجع:

• المؤلفات:

- أبو بكر أحمد باقادر، قراءات في علم اجتماع الأدب (الجزائر: دار الهدى، 2004).
- أحمد مختار عمر، علم الدلالة، (القاهرة: عالم الكتب، ط5، 1998).
- أرمان ماتلار، التنوع الثقافي والعولمة، تر: خليل أحمد خليل، ط1، (بيروت مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم دار الفارابي، 2008).
- أنتوني غدنز، علم الاجتماع، تر: فايز الصياغ، ط1، (بيروت: المنظمة العربية للترجمة، 2005).
- بسام بركة وآخرون، اللغة والهوية في الوطن العربي: إشكالية التعليم والترجمة والمصطلح، ط1 (بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2013).

- برهان غليون، اغتيال العقل، ط4، (المغرب، المركز الثقافي العربي، 2006).
- جوزيف فندريس، اللغة، ترجمة: عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص، (القاهرة: المركز القومي للترجمة، 2014).
- عبد الله محمد الغدامي، عبد النبي اصطيف، نقد ثقافي أم نقد أدبي، ط1، (دمشق: دار الفكر 2004).
- علي عبد الرزاق جلي، دراسات في المجتمع والثقافة والشخصية، (بيروت: دار النهضة العربية 1984).
- محمد عفيف الدين دمياطي، مدخل إلى عام اللغة الاجتماعي، ط2، (إندونيسيا: مكتبة لسان عربي للنشر والتوزيع، 2017).
- سوزان حربي، الثقافة والمنهج (حوارات مع الدكتور عبد الوهاب المسيري)، ط1، (دمشق: دار الفكر 2010).
- هارلمبس وهولبورن، سوشيولوجيا الثقافة والهوية، تر: حاتم حميد محسن، ط1، (سورية: دار كيوان للطباعة والنشر والتوزيع، 2010).
- عمار بوحوش، التاريخ السياسي للجزائر من البداية لغاية 1962، (الجزائر: دار البصائر للنشر والتوزيع 2008).
- المقالات:
- باديس لهويل، نور الهدى حسني، مظاهر التعدد اللغوي وانعكاساته على تعليمية اللغة العربية، مجلة الممارسات اللغوية، جامعة محمد خيضر بسكرة، العدد (30)، 2014
- عبد الله بوجلال، إشكالية تحديد مفهوم الوعي الاجتماعي، المجلة الجزائرية للاتصال، العدد 04 الجزائر 1990.
- صالح بلعيد، اللغة الوطنية المشتركة والتنمية البشرية، مجلة فواصل، مؤسسة الشعب، العدد 1 فيفري /مارس، 2021.



1. هوامش:

- 1- هارلمبس وهولبورن، سوشيولوجيا الثقافة والهوية، تر: حاتم حميد محسن، (سورية: دار كيوان للطباعة والنشر والتوزيع، ط1)، 2010.
- 2- برهان غليون، اغتيال العقل، (المغرب: المركز الثقافي العربي، 2006)، صص 74 - 75.
- 3- هارلمبس وهولبورن، المرجع السابق، صص 7 - 8.
- 4- بسام بركة وآخرون، اللغة والهوية في الوطن العربي: إشكالية التعليم والترجمة والمصطلح، (بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ط1، 2013)، صص 34 - 35.
- 5- سوزان حرفي، سوزان حرفي، الثقافة والمنهج (حوارات مع الدكتور عبد الوهاب المسيري)، (دمشق: دار الفكر ط1، 2010)، ص 179.
- 6- علي عبد الرازق جلي، دراسات في المجتمع والثقافة والشخصية، (بيروت: دار النهضة العربية، 1984) صص 73 - 76.
- 7- فرد ميلسون، الشباب في عالم متغير، ترجمة: يحي مرسى عيد بدر، (الإسكندرية: دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، 2008)، ص 62.
- 8- برهان غليون، المرجع السابق، ص 79.
- 9- علي عبد الرازق جلي، المرجع السابق، ص 74.
- 10- أنتوني غدنز، علم الاجتماع، ترجمة: فايز الصياغ، ط1، (بيروت: المنظمة العربية للترجمة، 2005) ص 85.
- 11- أرمان ماتلار، التنوع الثقافي والعملة، ترجمة: خليل أحمد خليل، (بيروت: دار الفرائي، 2008)، ص 195.
- 12- محمد عمارة، التعددية الرؤية الإسلامية والتحديات الغربية، (القاهرة: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، 1997)، صص 7 - 6.
- 13- كليركرامش، لغة والثقافة، تر: أحمد الشيعي، (قطر: وزارة الثقافة والفنون والتراث، 2010)، ص 135.
- 14- علي عزت بيغوفيتش، لإسلام بين الشرق والغرب، ترجمة: محمد يوسف عدس، ط2، (مصر: دار النشر للجامعات، 1997)، ص 106.
- 15- علي بن إبراهيم النملة. الاستثناء الثقافي في مواجهة الكونية (ثنائية الخصوصية والعملة)، ط1 (الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، 2010)، ص 15.
- 16- برهان غليون، المرجع السابق، ص 77.
- 17- هارلمبس وهولبورن. المرجع السابق، ص 20.
- 18- محمد الدروي، وعي السلوك الكونفورميا وأنظمة الوعي، (دمشق: دار كنعان للدراسات والنشر، 2004) ص 61.
- 19- عبد الله بوجللال، إشكالية تحديد مفهوم الوعي الاجتماعي، المجلة الجزائرية للاتصال، العدد 04، الجزائر 1990، ص 47.
- 20- صالح بلعيد، اللغة الوطنية المشتركة والتنمية البشرية، مجلة فواصل، مؤسسة الشعب. العدد 1 فيفري /مارس، 2021، ص 27.
- 21- صالح بلعيد، نفس المرجع، صص 27 - 28.
- 22- عبد الله محمد الغدامي، عبد النبي اصطياف، نقد ثقافي أم نقد أدبي، ط1، (دمشق: دار الفكر، دمشق 2004)، ص 109.

- 23- باديس لهويميل، نور الهدى حسني، مظاهر التعدد اللغوي وانعكاساته على تعليمية اللغة العربية، مجلة الممارسات اللغوية، جامعة محمد خيضر بسكرة، العدد (30)، 2014، ص 103 - 104
- 24- محمد عفيف الدين دمياطي، مدخل إلى عام اللغة الاجتماعي، ط2، (اندونيسيا: مكتبة لسان عربي للنشر والتوزيع، 2017)، ص 51.
- 25- باديس لهويميل، نور الهدى حسني، المرجع السابق، ص 103.
- 26- جوزيف فندريس، اللغة، ترجمة: عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص، (القاهرة: المركز القومي للترجمة 2014)، صص 306 - 307.
- 27- هادي نهر، علم اللغة الاجتماعي عند العرب، ط1، (العراق: جامعة المستنصرية، 1988)، ص 18.
- 28- أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ط5، (القاهرة: عالم الكتب، 1998)، ص 68.
- 29- عبد الله محمد الغدامي، عبد النبي اصطياف، المرجع السابق، ص 152.
- 30- أبو بكر أحمد باقادر، قراءات في علم اجتماع الأدب، (الجزائر: دار الهدى، 2004)، ص 20.
- 31- عبد الله محمد الغدامي، عبد النبي اصطياف، المرجع السابق، صص 81 - 82.
- 32- جوزيف. فندرسون، المرجع السابق، ص 348.
- 33- جوزيف. فندرسون، نفس المرجع، ص 349.
- 34- عمار بوحوش، التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962، (الجزائر: دار البصائر، 2008)، ص 8.
- 35- عمار بوحوش، نفس المرجع، صص 8 - 9.
- 36- صالح بلعيد. المرجع السابق، ص 27.
- 37- انظر: اللجنة الوطنية للمناهج. الدليل المنهجي لإعداد المناهج. وزارة التربية الوطنية. الديوان الوطني للمطبوعات المدرسية، نسخة مكيفة مع القانون التوجيهي للتربية المؤرخ في 23 يناير 2008، الجزائر ط 2016 صص 44 - 47.

الخصوصية الثقافية ومظاهر التعدد اللغوي في الرواية الجزائرية المعاصرة
رواية "تاء الخجل" أنموذجاً

Cultural peculiarity and manifestations of multilingualism in the contemporary
Algerian novel, "Taa Al-Khajal" as an example

أ. نوي فريدة*

أ.د معمر حجيج²

تاريخ القبول: 2021.07.29

تاريخ الاستلام: 2021.04.10

ملخص: لطالما كانت الرواية جنساً أدبياً يعكس خصوصية وثقافة المجتمع الذي أنتجه، ولطالما ظلت لسان حاله من خلال نصوص مبدعيها، فهي تستطيع أن تنقل روح هذا المجتمع وتصور كل أجزائه بانفتاحها على الأنساق الثقافية بكل أنواعها لترسم بذلك خصوصية خطابها الروائي وإعطائه بعداً تاريخياً يربطه بهويته وإنتمائه القومي والحضاري وذلك بالاشتغال على التنوع اللغوي الفسيفسائي الذي تزخر به الثقافة الجزائرية، وهذا ما يتجلى في المتون الروائية الجزائرية المعاصرة، والتي عرفت تنوعاً لغوياً صبغها بلون مايز بينها وبين غيرها من الروايات وهذا ما دفعنا لتتبع ملامح هذا التعدد اللغوي وعلاقته بالثقافة التي أنتجته. الكلمات المفتاحية: الهوية-اللغة-اللهجات-الرواية-الأنساق الثقافية.

Abstract: The novel has always been a literary genre that reflects the peculiarity and culture of the society that produced it, and it has always been its mouthpiece through the texts of its creators. It can convey the spirit of this society and visualize all its parts by opening up to cultural systems of all kinds To draw in this the peculiarity of her narrative discourse and give it a historical dimension that links it to his identity and his national and cultural affiliation. And civilization by working on the mosaic linguistic diversity that is rich in Algerian culture. This is what is reflected in the texts of contemporary Algerian novels Which was known for its linguistic diversity, which was dyed by a color that distinguishes it from other novels This is what prompted us to follow the features of this multilingualism and its relationship to the culture that produced it.

Key words: identity - language - dialects - narration - cultural patterns.

٭ - جامعة الحاج لخضر، باتنة 1، الجزائر.

البريد الإلكتروني: farida.noui@univ-batna.dz (المؤلف المرسل)

2- جامعة الحاج لخضر، باتنة 1، الجزائر.

البريد الإلكتروني: maahadjidj@yahoo.fr

1. مقدمة: تُعتبر الرواية من أشد الأجناس الأدبية التصاقًا بالواقع، وأكثرها تعبيرًا عن التحولات الدائمة في المجتمع، وهي تعكس أكثر من غيرها الأسئلة والإشكالات الفكرية، والهواجس الثقافية التي تشغل المبدعين والمثقفين.

وقد استقطبت الرواية العربية الحديثة والمعاصرة بصفة خاصة اهتمام الدارسين، وذلك لاعتلائها عرش فنون السرد الأدبي من خلال ربط النص الروائي بالواقع المعيش، وكسرها لنمطية الرواية الكلاسيكية وانفتاحها على أجناس أدبية أخرى، وأنساق ثقافية متعددة، وتوظيفها لآليات وتقنيات حديثة.

ولأن الرواية تعكس الحياة الاجتماعية، وتُعتبر لسانه من خلال نصوص مبدعها، فهي بذلك تعطي لكل نص روائي خصوصيته، التي تربطه بالمناخ الذي أُنتج فيه، وبذلك نجد الرواية الجزائرية قد أخذت خصوصيتها في خطابها الروائي الذي مايزيبنها وبين غيرها من الروايات الأخرى، من خلال توظيفها لترسبات ثقافية تشكلت عبر أزمنة مختلفة، وظروف ومتغيرات أسهمت في نحت وإعطاء خصوصية فكرية وثقافية وأدبية وتاريخية، تجلت بفسيفسائها المتميزة داخل المتون الروائية الجزائرية المعاصرة، كون هذه الخصوصية اتخذت من اللغة العربية والأمازيغية والفرنسية لسانًا لها، فهي أثبتت في العقود الثلاثة الأخيرة جدارتها، مما ميزها عن نظيرتها في المشرق العربي واستطاعت أن تحتل مكانة هامة داخل حقل الرواية العربية والعالمية، ويظهر ذلك جليًا من خلال الجوائز التي حازت عليها في المسابقات الأدبية العربية والأجنبية أو في الترجمة إلى اللغات الأجنبية، وهذا ما صبغها بخصوصية أكثر من كونها تنتمي إلى منطقة جغرافية معينة فحسب بل لأنها تحمل في طياتها تنوعا كبيرا في أنماط السرد وتقنيات الكتابة وأشكال التعبير.

وهو تنوع يعكس تعدد الأجوبة التي قدمها الخطاب الروائي الجزائري في مواجهة وضع ثقافي مزدحم بالخصوصيات وبأقطاب الهيمنة، كذلك وقد عمد على تطوير هذا الخطاب بوصفه وعيًا وشكلًا من أشكال ممارسة الوجود عدة إستراتيجيات لإثبات حضور خاص به.

ومنه نتساءل إلى أي حد أثر البعد الاجتماعي والجغرافي والتاريخي واللغوي في تشكيل البعد الثقافي المتمظهر داخل المتن الروائي الجزائري المعاصر؟

ودفعنا هذا التساؤل إلى محاولة البحث في خصوصية الرواية الجزائرية، من حيث أشكال التعبير وتقنيات الكتابة الحديثة والمعاصرة، من انفتاح وتداخل بين الأشكال الثقافية في نسج السرد الروائي الجزائري المعاصر وقد استعنا برواية "تاء الخجل" للروائية فضيلة الفاروق لتكون محل التطبيق والدراسة.

2_ ماهية النسق الثقافي: "النسق" في النقد الثقافي يختلف اختلافا جذريًا عما هو متعارف عليه في السابق بحيث كان يعني البنية، والنظام حسب مصطلح "ديسوسير" يحدد سمات النسق بميزات خاصة، فهو يحدد النسق الثقافي عبر وظيفته، وليس عبر وجوده المجرد. فالنص، أو ما في حكم النص يحمل نسقين أحدهما ظاهر والآخر مضمّر يكون ناقصًا أو ناسخًا للظاهر، ويجب أن يكون النص الحامل للنسق نصًا جماليًا، أو يستهلك بوصفه جماليًا، وأن يكون النص الذي يحمل النسق نصًا جماهيريًا " (الغدامي، 2010)،

وعندما يحمل أي نص نسقين مختلفين المضمرة ناسخ للظاهر، ويستهلك المتلقي هذا النص بوصفه جمالياً، ويكون هذا النص ذا صبغة جماهيرية، فإنه يتحتم على النقد الثقافي الكشف عن حيل الثقافة في تمرير أنساقها تحت أقنعة ووسائل مختلفة، وأهم هذه المداخل كما يرى الغدامي هي الحيلة الجمالية، والنسق عند الغدامي يحمل دلالة مضمرة منغرس في الخطاب هي من وضع الثقافة، ف"النسق يستعمل أقنعة يختفي خلفها من أهمها الجمالية اللغوية" (بن لاقى اللويش، 2010) فالنص بإحتوائه على نسقين سواء كان ظاهراً أم مضمراً فهذا يحتم على النقد الثقافي بإعتباره منهجاً للكشف عن المنتج الثقافي الذي يستخدم لإظهار هذه الأنساق.

فهي كل العناصر المادية والمعنوية، المترسبة عبر أزمنة مختلفة من حياة مجتمع ما، وهي الحصن المنيع الذي يعطي للأفراد خصوصيتهم ووحدتهم داخل المجتمع الذي ينتمون إليه "والأنساق الثقافية أنساق تاريخية أزلية وراسخة لها الغلبة دائماً، وعلامتها هي اندفاع الجمهور إلى استهلاك المنتج الثقافي المنطوي على هذا النوع من الأنساق، وقد يكون ذلك في الأغاني أو الأزياء والحكايات أو الأمثال مثلما هو في الأشعار والإشاعات والنكت كل هذه حيل بلاغية جمالية تعتمد المجاز، وينطوي تحتها نسق ثقافي ونحن نستقبله لتوافقه السري وتواطئه مع نسق قديم منغرس فينا." (الغدامي ع.، 2014)، ومنه نجد ان النسق الثقافي هو تلك العناصر المترابطة والمتفاعلة والتمايزة التي تخص المعارف والمعتقدات والفنون والأخلاق والقانون، وكل المقدسات والعادات الأخرى التي يكتسبها الإنسان في مجتمع معين، فالنسق الثقافي هو تركيب لمفهوم النسق والثقافة. ويجمع معظم الدارسين على أن الممارسة الثقافية عملية مستمرة، ودائمة التحول كونها تسعى إلى استثمار وتطوير المعرفة-الخطاب باعتبارهما نسقاً كما يصف معجم النظرية الأدبية، فثمة توجهات مركزية نحو تبين هذه الممارسات ونقدها، والتي تمثل مركز العمل الخطابي، إذ أن معظمها يتسلل إلى الفعل الإبداعي، إما بوصفها نصاً موصوفاً، وإما بوصفها نصاً يهدف إلى تعرية، ومقاومة المظاهر الاجتماعية باعتبارها نسقاً مجتمعياً.

وكما يمكن لما يمكن أن نحيل إلى تحولات المجتمعات التي تحرص على صون تكوينها العميق يسمى الشخصية الثقافية للأمة، فثمة زعر من محاولات التخلي عن الموروث، والعادات والقيم، أو كما يخيل للبعض، ولهذا نجد أن المنظور الثقافي يعنى بالحديث عن هذا الجانب كما يذهب الكثير من الدراسات والمصادر الغربية التي إهتمت بهذا الشأن، وبوجه خاص في توظيف المسالك الثقافية لبعض المجتمعات، ولاسيما البدائية منها. فالثقافة ممارسة تتخلل النشاط الإنساني سواء أكان فرداً أم جماعة، ولكن هذا النشاط يتحول إلى إنتاج أو تكوين معرفي لغوي مرمر يتمدد في التسنينات الثقافية ليتحول إلى تشكيل فاعل، فالمنتج المعرفي يصوغ تفكيرنا، ومواقفنا، وهو يعبر بصورة، أو بأخرى عن ذاتنا، أو طريقة تفكيرنا تجاه بعض الأمور، فالثقافة تختص بمجموعة ما، أو طبقة، أو عرق ولكنها مع ذلك ليست عبارة عن قطاعات منفصلة معزولة كما يقول الناقد السعودي عبد الله الغدامي، إنما هي تتقاطع، وتتفاعل في ما

بينها، ولهذا؛ فإن الممارسة اللغوية المعرفية، تستوجب في بعض الأحيان فعلاً مضاداً، ومن هنا ينشأ التكوين، أو التسنين الثقافي الذي يعدّ مواجهة ثقافية حضارية، فهدف الدرس الثقافي ليس النص بعينه، إنما الهدف الكشف عن الأنظمة في فعلها الاجتماعي، ومن هنا يأتي مفهوم النسق الثقافي الذي يحيله عبد الله الغذامي إلى رومان ياكبسون وعناصره الستة المعروفة، غير أن الغذامي يضيف عنصراً سابعاً ونعني النسق، أو الطريقة التي يتم فيها الاستقبال.

يبين الغذامي أن النسق يقوم على وظيفة الدلالة النسقية التي ترتبط بعلاقات متشابكة، نشأت مع الزمن لتتحول إلى عنصر ثقافي أخذ في التشكل، وهو أحياناً إما أن يكون ظاهراً، وإما أن يكون كامناً، غير أن أهم ما يميز النسق ما ينهض به من وظيفة، ولكن ليس من حيث وجوده المجرد، فالنقد الثقافي يهدف إلى تبيان أثر الثقافة في تمرير أنساقها عبر الحيل الجمالية والبلاغية حيث تشتغل هذه الأنساق بوصفها خطاباً، وهنا تتراجع القيمة المعنوية للمؤلف لتتوابعه أنظمة الخطاب، وما يمكن أن يكمن خلفها من بعد مؤسساتي، وتحديدًا من حيث قدرتها على تفعيل التأثير اللغوي البلاغي تجاه المتلقي، فالنسق يعمل على أنه عناصر وتمظهرات تتخلل المجتمع باختلاف مستوياته، غير أنها تتميز بقدرتها على تكوين خططها بهدف التورية، والمغالطة، والكشف، والتعمية، إنها نماذج من الخداع الذي يستثمره البلاغي والجمالي كما المجازي، من هنا فثمة حاجة لتكوين مقارنة نقدية تتسم بتكوينها المفاهيمي المعقّد للكشف عن الطبقات العميقة لهذه النصوص.

وإذا كان الدرس الثقافي عامة معنيًا بالممارسات والمنتجات الثقافية، فإن القصة والرواية والشعر والأدب عامة مما يعد شكلاً من أشكال الثقافة، أي بوصفها مظاهر ثقافية تتأسس على الوظيفة التي سبق أن أشرنا إليها ضمن سياق المجتمع، والاقتصاد، والسلطة السياسية التي تسهم في تشكيل خاصية ثقافة ما، ومنحها الدلالة، أو المعنى في بعده الاجتماعي كما يذكر م. إبراهيم في مسرده الخاص بالمصطلحات النقدية. ولبيان القيمة التي ينطوي عليها تحديد الأنساق الثقافية، والكشف عنها في مقارنة النص الأدبي بوجه خاص، لا بد أن نشير إلى ما يوضحه كتاب «Critical Theory Today» عبر الالتقاء على نموذج رواية «غاتسبي العظيم» للكاتب الأمريكي فرانسيس فيتزجيرالد، إذ يمكن أن تقدم لنا هذه الرواية عددًا من المقولات التي تتعلق بالثقافة الأمريكية، والأنساق التي تهيمن عليها، شأنها في ذلك شأن أعمال فوكنر، وشتاينبك، وهمنغواي، وغيرهم. إنها صورة من التكوين الثقافي الذي يتخلل الزمان والمكان، والذي يشكل قيمة موحدة وخاصة، وهي كذلك تعني سلوكًا تجاه بعض القضايا من منظور النقد الثقافي، فقيمة هذا النقد كما يذكر الكتاب تتأتى من تعدد الأوجه، والمسالك التي يمكن من خلالها قراءة النص الأدبي فقراءة رواية «غاتسبي العظيم»، وغيرها من الأعمال يمكن أن تقارب من وجهة نظر ماركسية، ونسوية، وما بعد كولونيالية، أو حتى في ضوء النقد الأفريقي- الأمريكي، فضلًا عن دراسات الجنسانية، والشذوذ، وغير ذلك، وبهذا يمكن أن تعد تلك المنظورات مجتمعة مقاربات ثقافية، التي تهدف إلى الكشف عن الثقافة الأمريكية الخاضعة لأنساق

طبقية، وكراحيات فضلاً عن عنصريات مضمرة، كما يقول لويس تيسون في مصنفه النقدي الهام "النظرية النقدية المعاصرة".

لا شك بأن كل عمل أدبي يستهدف مقصدية ينشأ عن الرغبة في استثارة وعي المتلقي تجاه ما يتفق عليه بالمضامين التي تتطلب بنية لغوية، أو تشكياً لغوياً فنياً، غير أن الباحث ينبغي أن يتنبه كي لا ينقاد إلى دراسة أو مناقشة المضامين، أو البنى والتشكيلات الفنية، وهذا ما يقع فيه الكثير من النقاد. ما يهم حقيقة في تكوين النسق الثقافي ونقده، تلك العلاقات القائمة على النسقية الثقافية، من منطلق أن الثقافة والمجتمع عنصران تبادليان حيث يؤثر كل منهما في الآخر

3- علاقة الرواية بالبعد الثقافي: إن النموذج الثقافي لا يلغي الخاصية الجمالية للسرد، ولكنه في الوقت نفسه لا يفصلها عن سياقاتها الثقافية والرمزية، والإيديولوجية، وإستراتيجية السرد تقوم على صيغة نظامية مزدوجة يتداخل فيها الأدبي والثقافي فيستحضر سياقات الهوية، والمتخيل، والتاريخ، والسلطة من أجل بناء رؤية معينة للعالم وبالتالي فالقراءة الثقافية معنية بمراعاة هذا النظام المزدوج في التأويل " فتقوم بتفكيك سياسات التمثيل للكشف عن مضمراتها الثقافية والإيديولوجية دون أن تضحي بالتشكيل الجمالي للسرد". (إدوارد، قليقلي حجازي، و عروي 2008) وتعتبر الرواية أكثر الاجناس الادبية انفتاحا على الأنساق الثقافية نظراً لحجمها وتمتعها بإمكانية السرد، والوصف والتحليل كما يمكنها تمثيل الواقع الثقافي والإيديولوجي والتخيلي. وقد عرفت الرواية منذ نشأتها في الغرب عدة تحولات سايرت مراحل تطورها، ولم تكن الرواية العربية بمعزل عن ذلك فقد ظهرت الرواية العربية متأثرة بنظيرتها في الغرب، لتأتي الرواية المغربية متأخرة في نشأتها عن الرواية العربية في المشرق العربي لأسباب تاريخية، لكنها استطاعت أن تحمل خصائص المشهد الروائي العربي، من خلال النشأة والتطور، والجماليات.

لكن تبقى للرواية المغربية خصوصيتها التي تميزها عن الرواية العربية، والتي عبر عنها بالأنساق الثقافية المتجلية داخل الخطابات الروائية المغربية بصفة عامة.

حيث سعى الروائي المغربي إلى تأسيس تجربة روائية متكاملة، تنحو نحو الأصل من أجل تكريس خصوصية للخطاب الروائي، فراح يبحث عن أشكال يثبت من خلالها هويته، وكانت الانساق الثقافية معلماً بارزاً وملحاً واضحاً أضفى على الرواية ملامح الخصوصية والتميز. ومن بين الروائيين المغاربة الذين احتفوا بهذا النوع من الكتابة "واسيني الأعرج" و "عبد الحميد بن هدوقة" و "عبد الملك مرتاض" و "سالم بن حميش" و "إبراهيم الكوني"... حيث تزخر أعمالهم الروائية بالانساق الثقافية شكلاً ومضموناً، فهي تتكامل فيما بينها لتضعنا ختاماً أمام تجربة روائية استقطبت النسق الثقافي بأشكاله المختلفة إذ توزعت الاستفادة من النسق الثقافي المغربي ما بين محاكاة شكل النصوص القديمة وأسلوبها، وبين توظيف المادة التراثية.

وقد عرفت الرواية المغربية توظيفاً للأنساق الثقافية بمختلف أنواعها، كالنسق التاريخي والشعبي والأسطوري وغيره، بدرجات متفاوتة بإعتباره مكوناً أساسياً في النص الروائي الحديث والمعاصر. ومنه أصبح الاهتمام بالأنساق الثقافية لدى الروائيين المغربية سبباً فنياً يخلق نمط كتابة مغايرة، وبعداً معرفياً يراهن عليه المبدع لطرح أسئلة تتعلق بالواقع وقضايا المعقدة، كما أصبح الخطاب الروائي المغربي مع انفتاحه على الأنساق الثقافية ذا وظيفة مزدوجة تجعله، تجعله الأولى مسهمًا في خصوصية الرواية ومحليتها، وتجعله الثانية وسيلة من وسائل التجديد. وهكذا فالتوجه نحو الانفتاح يعتبر أحد أبرز ملامح التجريب والذي جعل الرواية تفتتح على آفاق واسعة، وإستثمارها فيما يخدم مضامين نصوصها الإبداعية وتشكيل جمالياتها. وتعتبر الرواية العربية الجزائرية جزء من الكل الذي يتمثل في الرواية المغربية، التي لاحت بظلالها في المتون الروائية الجزائرية، من خلال الإشتغال على الأنساق الثقافية الواحدة للموروث الثقافي المغربي.

فالرواية الجزائرية عامرة بتمثيلات الثقافة المغربية عامة والجزائرية بصفة خاصة، لأنها تعكس الأنساق الكامنة في المجتمع، وتنقل أبعادها وتبرز تجلياتها، فمنذ تأسيسها كانت الرواية حاضرة لتسرد تاريخ الأمة وتعرب عن تجاربها وثقافتها وحياتها، إذ ليست الطبيعة وحدها ما يحتوي الإنسان، بل الثقافة المتغيرة والدينامية أيضًا تعبر عن كينونته وتفضح خباياه، وتعري جوهره الوجودي، لأن الأنساق الثقافية هي ما يشكل هوية الإنسان، إذ تحكمه أنساق وأنظمة توجه تفكيره وسلوكه وحياته، وتحدد موقفه تجاه الأشياء من حوله وهي بذلك تصنع هويته الخاصة فهي، "تشتغل على جميع السمات المميزة للأمة من مادية وروحية وفكرية وفنية ووجدانية، وتشمل جميع المعارف والقيم والالتزامات الأخلاقية المستقرة فيها، وطرائق التفكير والإبداع الجمالي والفني والمعرفي والتقني، وسبل السلوك والتصرف والتعبير وطرز الحياة، كما وتشمل تطلعات الإنسان للمثل العليا ومحاولاته في إعادة النظر في منجزاته، والبحث الدائم عن مدلولات جديدة لحياته وقيمه ومستقبله وإبداع كل مايتفوق به على ذاته".

ومنه نجد أن جماليات الثقافة تتمثل في مجموع العادات والتقاليد وأساليب التفكير وطرق المعيشة المرتبطة بالثقافة، وبين أن العلاقة بين الجماليات الثقافية، والجماليات الأدبية تكمن في إدراج الثانية ضمن الأولى وبذلك تصبح الرواية من أهم الأنواع الأدبية التي تختزن أشكال الثقافة المادية والمعنوية.

4- الرواية المغربية سؤال الهوية وإشكالية المصطلح: شغل مصطلح " الرواية المغربية " دراسات الدارسين والنقاد منذ نشأتها بسبب الغموض الذي يثيره في الوسط الأدبي، وهذا ما نلاحظه في عناوين الكتب التي تتناول الرواية في المغرب العربي، والتي جاءت كعلامات بارزة تشي بمواقف أصحاب هذه الكتب تجاه المصطلح (صالح 2011)، من ذلك على سبيل المثال: (الرواية المغربية: تحولات اللغة والخطاب) لعبد الحميد عقار، (الرواية المغربية: تشكّل النص السري في ضوء البعد الإيديولوجي)، لإبراهيم عباس، (الرواية النسائية المغربية) و (مختارات من الرواية المغربية المعاصرة) لبوشوشة بوجمعة،..... إلخ وغيرها من

العناوين التي تفصح عن تبني هذا المصطلح وتأييده. وفي المقابل نجد نقادا وأدباء يعلنون رفضهم لهذا المصطلح، مثل ما يطالعنا به " أحمد المدني " في كتابه (تحولات النوع في الرواية العربية بين المغرب والمشرق)، معللاً ذلك بضرورة الفصل بين الأبداع عن السياسة " إذ كنا لا نجادل في تكامل الثقافي مع السياسي وتأثره الشديد بأسبابه، فإننا أن نقرباًئهما حقلاًن مختلفان رغم القواسم المشتركة، ومن ثم لا يصح في رأينا التعميم وجعل الشعاريئد الموضوع ويلغي الخصوصية، والإبداع مسألة خصوصية وسمات مائزة رغم كل شيء وهذا هو السبب الأول لعدم تقبلنا صيغة " الرواية المغربية." (المدني 2012)، إنه رفض قاطع لربط الكتابة الإبداعية المصنفة سلفاً لخارج خصائصها الإبداعية، أما السبب الثاني فله علاقة بما سبق تقديمه، فهي مسألة ترتبط بالازدواجية اللغوية والفكرية، وهذا ما يصرح به "وبالمقابل نرى أن هذه الصيغة كأنما تحيل كدال إلى مدلول آخر تمتلئ به وتسكت عن تسميته، وهو في اعتقادنا سكوت ذكي-مؤقت طبعاً- فيه مكر السياسي الراغب في قول الحقيقة مع تجنب حرجها، سياسياً و هيكلياً، إن ما يوجد هو " اتحاد مغرب العربي " لا الاتحاد المغربي. إنه يحمل هويته فيه معلنة في اللغة العربية، هي أيضاً، دال مسكون بكل الدلالات المعلومة والخفية، ومن هذه الأخيرة واقع ثقافي لغوي مركب، أصبحت الازدواجية الفكرية واللغوية أحد مظاهره البارزة." (المدني ا.، 2012).

إن تفكيك المدني لهذا الملفوظ " المغربي " قد كشف عن الواقع المتشابك لبلدان المغرب العربي التي كانت تحت وطأة الإستعمار الفرنسي، والتي أفرزت وضعاً لغوياً شائكاً مس هوية هذه الأقطار، انتقلت عدواه من الواقع المعيش إلى المتون الروائية.

وبعيد عن إشكالية مصطلح "الرواية المغربية"، وتوزع النقاد بين من يركن إلى هذا المصطلح وبين رافض له هناك إشكالية أخرى تتصل بمفهوم الرواية المغربية وماهيتها، يتصل مصطلح " مغربي " بفضاء جغرافي وثقافي ولغوي يملك عمقاً تاريخياً وحضارياً عريقاً، رغم تجزئته سيا سياً " فالتحديد الأنثى لهذا الفضاء يمتلك من الناحية الثقافية تقاليد ومؤسسات وبنيات اجتماعية متشابهة أو متقاربة على الأقل، مثلما يمتلك نفس الفسيفساء اللغوية التي يمتلكها المغرب العميق." (عقار، 2000)، إنها السمات الفارقة المتداخلة، التي تميز هذا الفضاء المغربي ويظهر مما سبق الملمح اللغوي، لا كعلامة للتواصل فحسب، بل أعمق من ذلك، إنه ترسيخ لقضية الوجود والهوية وهذا البعد اللغوي رغم ثرائه، إلا أنه قد أسهم في ظهور تمزق وانشطار، وبخاصة على المستوى الإبداعي، حيث برزت في البداية أزمة المبدع في اختيار لغة إبداعه، وإن اتجه الجيل الأول من المبدعين إلى التأليف بلغة المستعمر رغم إختلاف مواقفهم منها، بين من يعتبرها غنيمة حرب كما عبر عنها "كاتب ياسين " او (إقامة في المنفى) بحسب تعبير " مالك حداد " وهي إشارة إلى الإحساس الحاد بالشعور بالاعتراب داخل لغة الآخر، المتمثلة في لغة الاستعمار الفرنسي.

ويطلعنا مصطلح "الرواية المغربية " عند "أحمد المدني " الذي أرجع الفضل إلى الروائي الباحث " عبد الكبير الخطيب "، في التعريف بهذا المصطلح إذ يرى أن " الخطيبي " "هو أول من أسس الرواية المغربية

وأهلها لتصبح مرجعاً في المحافل الأكاديمية وذلك من خلال أطروحة الدكتوراه بفرنسا سنة 1968 عن هذا الموضوع بالذات ("برادة 1971)، ويرى "أن الفضل يرجع إلى الكتاب ذوي التعبير الفرنسي في دمج الرواية داخل الثقافة المغاربية." (المدني أ.، تحولات النوع في الرواية العربية بين المغرب والمشرق، 2012)، وأن كل هذا الرأي يمثل حقيقة تاريخية يتصل بشأه الرواية في المغرب العربي وارتباطها بأسباب سياسية واجتماعية وثقافية وسوسيو-ثقافية، فإن كانت اللغة الفرنسية هي التي جمعت الروائيين المغاربة في بدايتها، إلا أن هذا الأمر قد تغير، فأوضحت اللغة التي تجمع معظم الروائيين هي اللغة العربية، تلك اللغة التي من شأنها أن تبلور خصائص الهوية، بعيداً عن أزمة التمزق والانشطار داخل لغة الآخر.

5- ملامح الخصوصية الثقافية في الخطاب الروائي الجزائري: إن الهوية لها ارتباط قوي بالثقافة واللغة والانتماء والدولة والمجتمع" إذ ارتبط مفهوم الهوية بالمسألة الثقافية، فيرى بعض علماء السياسة والاجتماع والنقاد والادباء والفنون أن أزمة الثقافة هي في الحقيقة أزمة هوية ". فما يجمع أفراد المجتمع الواحد هو التاريخ والثقافة، واللغة والدين المشترك، كما أن البيئة ركيزة من ركائز الانتماء والهوية.

وقد استطاعت الرواية بمتنها المرن والمنفتح أن تحمل خصوصية المشهد الثقافي الذي أنتجها، وهذا ما نجده متجلياً في التعدد اللغوي الذي يعج به الخطاب الروائي الجزائري المعاصر، وذلك كون الأخيرة جزء من الكل. ولأيضاح ذلك نضع بعض الأمثلة وذلك للتمثيل لا للحصر والموجودة في الرواية الجزائرية المعاصرة ممثلة في رواية "تاء الخجل" للروائية فضيلة الفاروق.

والتعدد اللغوي ليس بالضرورة الحديث بلغات متعددة أو امتلاك لسان متعدد وإنما هو "التعرف على أنظمة متعددة قد لا تكون بالمستوى نفسه ولا القيمة نفسها... ولكن لها القدرة على التواصل والتجاوز والفهم والقراءة والكتابة". (العروي 1995)، فقد أصبح الخطاب الروائي "ينحو إلى إستيعاب وتمثيل الجوانب الملتصقة بما تعيشه... إنه خطاب الشوارع الخلفية، وخطاب ردهات النفس المنسية وتعلثمات الذات المتكلمة بلغة مشكالية تسعى إلى الإمساك بما يرسم ملامح هوية منفلة باستمرار". (فخري، 2010)، فالرواية المعاصرة لا تعرف سلطة لغة واحدة تؤول مباشرة وبطريقة بسيطة إلى الروائي، بل تتعدد اللغات واللهجات بتعدد الشخصيات الروائية وبتصادم وجهات نظرها حول العالم. إن المتصفح لرواية "تاء الخجل" يلاحظ من الجانب اللغوي بأنها مثقلة بالبعد اللغوي الثقافي الجزائري بشكل واضح وذلك بإستعمالها للهجة المحلية العامية واللهجة الشاوية الأمازيغية واللغة الفرنسية، وحتى اللهجة الشرقية في شكل تداخل فني جميل، لكن هذا لا يلغي سيطرة اللغة العربية الفصحى في المتن الروائي.

كما نجد أن الروائية قد إستطاعت أن تغوص في عمق المجتمع الجزائريين وأن تبرز أغواره، وتثير زواياه المظلمة كونها ابنة هذا المجتمع، فقد نقلت خباياه بكل دقة ورسمت ملامحه بحروف وكلمات هي نتاج لثقافتها المتشعبة من الوسط الأسري، الذي هو صورة مصغرة للمجتمع الجزائري، فقد كشفت في خطابها الروائي عن حقبة زمنية مظلمة من حياة المجتمع الجزائري، في ظل ما يسمى بالعشرية السوداء، لتسلط

الضوء بكل روح إنسانية ،وبكل مصداقية من حزن وأسى لما عانت منه المرأة الجزائرية في تلك الفترة، من اغتصاب لحريتها وشرفها وعذريتها الحاملة، واغتيال لحلمها الذي أضى ألماً، لتغتال الأنثى من أجل دفن العار والفضيحة، ولتصبح تاء التأنيث هي تاء الخجل والدمار، في غياب العدالة الاجتماعية التي تستمد سلطتها من التقاليد والأعراف، والمجتمع الذكوري المحافظ الذي ينكر حق المرأة، ولا يغفر لها أي خطأ، ولو كان خارجاً عن إرادتها، هو واقع عاشته المرأة الجزائرية بكل مرارته، والذي خنق أنفاسها وبصم على جبين عفتها عاراً من العيار الثقيل، والموجع حدّ الموت.

قدمت فضيلة الفاروق في هذا العمل أفكاراً عميقة وهادفة، مبتعدة بذلك عن السطحية في الطرح، كما صبغت خطابها الروائي بخصوصية لغوية أبرزت من خلالها هوية نصها الروائي، وانتمائه الثقافي والاجتماعي، فهي عمدت على تلقيح لغة الرواية باللهجة الجزائرية العامية المحلية، وكذلك توظيفها لبعض المفردات الأمازيغية البربرية، لمنطقة الأوراس، والتي تسمى بالشاوية، وهي لهجة المجتمع الشاوي، الذي تنتهي إليه الكاتبة فضيلة الفاروق، كما نجد اللغة الفرنسية التي تعتبر من الموروث الثقافي والتاريخي للمجتمع الجزائري، وهذا التعدد اللغوي الفسيفسائي يدل بشكل جلي على هوية خطابها الروائي، الذي ولجت من خلاله إلى ذهن المتلقي، وعكست خيالها الذاتي على اللاوعي لديه، من خلال معالجتها لموضوع يخص قضية مؤلمة مسكوت عنها مست المجتمع الجزائري بشكل مباشر، خلال وقائع العشرية السوداء التي عصفت بأمن الجزائر، جراء الأحداث التي أعقبت توقيف المسار الانتخابي 1991م.

كما تتجلى بعض الحوارات باللهجة الدارجة الشرقية "اللهجة السورية واللهجة الدارجة المصرية، لتعطي بذلك للنص بعداً آخر يربطه بانتمائه القومي العربي.

نجد تداخلاً بين اللغة العربية الفصحى واللغة العامية الجزائرية، والتي تعتبر لغة الشعب وهي المسماة بالدارجة أو العامية، وقد وردت كثيراً داخل النص الروائي حيث نجد بطلتها "خالدة" تتكلم مع ابن عمها عندما كانا يتشاجران فقالت له: "دزمعهم". (الفاروق، 2003).

بمعنى افعل ما شئت، وهي عبارة تدل على التحدي والتمرد، وعدم الرذوخ لابن عمها الذي كان يهددها، كما نجد في حوارها مع الناشر الذي كان يريد نشر كتابها، ولما علم أن كتابها عبارة عن قصص أجابها قائلاً: "لقصايس خاطيني يا آنسة". (الفاروق، تاء الخجل، 2003) بمعنى أن القصص والحكايات ليست من اختصاصه، وهذا نسق معنوي. أما عن مظاهر التراث الشعبي والنسق الثقافي المادي، فقد وظفت بعض أسماء لبعض الأكلات الشعبية التي يتميز بها المطبخ الجزائري مثل: "أليس كتاب عن (المحجوبة)". (الفاروق، تاء الخجل، 2003) ص 82 وهي عبارة عن فطائر رقيقة تحشى بالبصل والفلفل والطماكم، وأشياء أخرى يحبها ويعرفها كل الجزائريين، وكذلك تذكر الكسكسي وهو عبارة عن أكلة تقليدية مشهورة في المجتمع الجزائري في قولها: "...لكن العمة تونس لم تتفهم، سارعت إلى طنجرة الكسكسي، وقلبت الكسكاس الذي يتصاعد منه البخار على قصعة خشب". (الفاروق، تاء الخجل، 2003) ص 15 ونجدها قد أوردت بعض

الأواني التي تستعمل في المطبخ الجزائري بصفة خاصة فالكسكاس والقصعة الخشبية هما من أهم الأواني التي تستعملها المرأة الجزائرية في المطبخ، وهنا تظهر الخصوصية حتى في المطبخ. "...المحاجب ووالزلابية والبوراك؟" (الفاروق، تاء الخجل، 2003) ص 11 وهي من أحب الأكلات الشعبية الجزائرية. وقد عمدت إلى ذكر بعض الأنواع من اللباس التقليدي مثل: "...يحبون شيشانهم." (الفاروق، تاء الخجل، 2003) ص 98 وهي عمامة يضعها الرجل على رأسه وهي من اللباس التقليدي الذي يتميز به الرجل الشاوي خاصة والجزائري عامة. هذا ما أعطى للرواية خصوصية ثقافية ربطها بالمجتمع الذي أنتجها.

تداخلت لغة الرواية مع بعض المفردات لهجة "الشاوية"، وهي لهجة أمازيغية جزائرية يتكلم بها سكان الأوراس من الشاوية، تم ذكرها عدة مرات في النص الروائي، وهي مسقط رأس الروائية فضيلة الفاروق، رسمت من خلالها خصوصية ثقافة لتلك المنطقة من الجزائر حيث نجدها تقول: -"صحّ رشيد.

صح "تعزیز آمن عاش." (الفاروق، تاء الخجل، 2003) ص 5 ومعناها إلى اللقاء أيها العزيز إذا عشنا. كما ذكرت اسم (بوخا) وهو اسم محمد بالأمازيغية، و(مفاس) وهي أكلة تشبه البيتزا معروفة في منطقة الأوراس.

- "هل رأيت العروس كانت "مصفحة". (الفاروق، تاء الخجل، 2003) ص 26. والتصفيح وشم على فخذ الفتاة تقرأ عليه تعويذة، هدفه حماية الفتاة من الاغتصاب، وهي عادة سائدة عند كثير من العائلات الجزائرية في الأرياف.

فالأمازيغية أو الشاوية كما تم ذكرها في الرواية هي لغة ولهجة المنطقة التي نشأت فيها الروائية فضيلة الفاروق وهي أحد أهم اللهجات في الجزائر. كما نجد الكاتبة قد استلهمت نصها الروائي بمقولة للكاتب والناقد الإنكليزي (توماس ستيرنز إليوت) مكتوبة باللغة الفرنسية ومترجمة للغة العربية، مما يوحي بتأثيرها وإطلاعها على الآداب الغربية. "Toute horreur se pouvait définir

Toute chagrin connaissait une quelconque fin

Dans la vie pas de temps à consacrer aux longs chgrins

"كل هول بالإمكان تحديده

كل حزن يعرف بشكل ما نهاية في الحياة، لا وقت لتكريس الأحزان الطويلة" (الفاروق، 2003) ص 9 فهي ترى أنه على الإنسان أن لا يعيش أسير أحزانه، بل عليه استغلال الحياة، فهي قصيرة ولا يوجد وقت لإضاعته.

كما قد تخللت الرواية بعض العبارات باللغة الفرنسية كون هذه الأخيرة متواجدة في اللهجة الجزائرية بكثرة، لأسباب تاريخية جعلت منها صفة لصيقة باللهجة العامية الجزائرية، وحتى لدى المثقفين، فنجد

العديد منها في حوارات داخل المتن الروائي منها حوار "خالدة" مع رئيس تحرير الجريدة حيث يقول رئيس التحرير:

-خالدة... Sois Bref... قالها غاضباً.

ومهدوء أجبته:

Bref... لن أكتب عنهن... سأكتب عن الدعاء." (الفاروق، تاء الخجل، 2003) ص 60

هذه العبارة الفرنسية التي معناها اختصري باللغة العربية دلالة على حضور اللغة الفرنسية الشائع في الخطاب اللغوي الجزائري والمتعارف عليه في المجتمع الجزائري.

وفي حوارها مع الناشر حين سألها عن الكتاب الذي تريد نشره:

- "كم Recettes يحتوي الكتاب؟" (الفاروق، تاء الخجل، 2003) ص 81

وهو يقصد كم وصفة طبخ توجد في الكتاب؟

استثمرت الروائية بعض الاستشهاديات للروائي الجزائري مالك حداد، وهو روائي يكتب باللغة الفرنسية دلالة على أن الأدب الجزائري واحد رغم ازدواجية اللغة المكتوب بها، فهو يعالج مواضيع وليدة بيئته التي أنتجته، فهي حين تستشهد بأقواله فهي بذلك تستشهد بكاتب وأديب ومفكر جزائري بعيدا عن اللغة التي يستعملها حيث نجدها تقول:

- "في المساء وقفت طويلاً أمام النافذة، كانت الأضواء تموت على الأرصفة، والصمت سيد الشارع Seul le

- "silence à du Talent" (الفاروق، تاء الخجل، 2003) ص 68

"وجدت شهما كبيرا بينك وبين هذه المدينة، لماذا لا تتذكرني رغم كل ما كتبتة عنك؟ أحقا لا تفهمني أنت

الذي تعرف أن "Le romancier ne remance que sa vie" أحقا؟ (الفاروق، تاء الخجل، 2003) ص 69

"فتحت بطاقة الورود الفواحة وقرأت:

Poésie. Tu n'es que poésie dans ma vie

ها أنا ذي قصيدة منسية في حياتك." (الفاروق، تاء الخجل، 2003) ص 70

وهذا تناص مع شعر للروائي مالك حداد "Poésie.tout n'est que poésie dans la femme" "شعر، كل

شيء شعري المرأة "

كما تظهر اللغة الفرنسية أيضا في تعريفها للحب والصدقة إذ تقول:

"الصدقة دائما أقوى من الحب، ولهذا شوارع الصدقة متقاطعة ومتعانقة، أما شوارع الحب فحيثما

تتقاطع هناك شارات ال: Sens interdit" (الفاروق، تاء الخجل، 2003) ص 89

أما في حوار البطلة مع الطبيب الذي أجابها باللغة الفرنسية نجد: -أجابني بالفرنسية: (Dans la

morgue) - لماذا ماتت؟ -أجابني بالفرنسية: (c'est la vie)." (الفاروق، تاء الخجل، 2003) ص 91

وفي الصفحات الأخيرة للرواية نجد الروائية تسرد موقفا للبطل خالدة وهي في المطار تنتظر موعد إقلاع طائرتها حين دار حوار لامرأة جزائرية مغتربة مع ابنتها الصغيرة:
 "كانت أمامي امرأة مغتربة مع ابنتها الصغيرة، قالت البنت بتأفف:
 (il n'ya que de merde dans ce Bled)-

صرخت الوالدة في وجهها باللغة الفرنسية: "tais toi Yamina". (الفاروق، تاء الخجل، 2003) ص 95
 وهي بمعنى لا شيء في هذه البلاد سوى القذارات لتزد الام بأصمتي أمينة. ومن خلال عرض مستويات اللغة التي يحتويها متن الرواية وبعض النماذج من كل مستوى تجسيدا للواقع، بحيث أن الكثير من الجزائريين يستخدمون اللغة الفرنسية، لأنها أصبحت عادة شائعة في المجتمع الجزائري، سواء الكتاب أم المثقفين أم الناس العاديين، وهو ما وجدناه في حوار البطل مع الطبيب والناشر وغيرهم وحتى في بعض الاستشهاديات التي أسهمت في إثراء الخطاب الروائي، وهنا نلاحظ مدى التساق اللغة بالثقافة الشعبية. كما وظفت الكاتبة اللهجة المصرية في بعض المواطن من النص الروائي مما يبرز بعدا ثقافيا آخر، وهو الانتماء القومي للوطن العربي، من خلال الحوار الذي دار بين "يمينة وبطل الرواية "خالدة" فتقول: "يا هو بالي ودي تيجي ". (الفاروق، تاء الخجل، 2003) ص 64 وتضيف في موقف آخر: "أيوه دي حلوة بشكل". (الفاروق، تاء الخجل، 2003) ص 65 كما استخدمت هذه اللهجة مع رئيس التحرير لما قالت له: "ياراجل ما تخليك معنا". (الفاروق، تاء الخجل، 2003) ص 61 وغيرها من العبارات والكلمات الشرقية التي وظفتها في روايتها.

إن التعدد اللغوي الذي توزع على مساحة السرد في متن رواية "تاء الخجل"، لا ينبغي النظر إليه بمعزل عن السياق الثقافي للمجتمع الجزائري المعاصر، الذي حاولت فيه الروائية محاكاة سياقات الواقع، لذا جاء التعدد اللغوي مندمجاً لا تكلف فيه.

ففضية التداخل الفني بين الروائي كإبداع، واللغة كممارسة ثقافية، هي أساساً تفعيل للكتابة الروائية لدى فضيلة الفاروق، وانزياح بها عن معيار المعهود، وذلك عن طريق هتك جماليات الكتابة الروائية وبنائها من جديد وفق طرائق جديدة تناوش قواعد الكتابة الروائية من حيث اللغة، ولعلها بذلك تسائل ثقافة المجتمع الجزائري المعاصر فهي كتابة تأخذ مرجعيتها من خلفية ثقافية واقعية، تم تطويعها لصياغة كتابة إبداعية للوصول بذلك إلى إنتاج نص فني تحضر فيه هوية وثقافة المجتمع الذي أنتجه، ليرقى إلى مصاف الإبداع والإمتاع "إذن الاهتمام بدراسة الأنساق اللغوية داخل الثقافة يمنح للثقافة معناها الجوهرى لا المعنى الظاهر المزيف، ولأن النسق اللغوي داخل الثقافة لا يمكن الاستغناء عنه، لأنه إيديولوجي ولأنه وحده الذي يؤسس للاتصال الجمعي، ويؤطر لنظام الخطاب داخل الثقافة، فوحدها المقاربة اللغوية الثقافية تسمح بفهم أعمق للأنساق اللغوية بماهيتها المزيفة المعلنة وبإيديولوجيتها الحقيقية المضمرة" (أحمد يوسف، 2009) ص 91-92.

فلكل نص روائي ذاكرته التي تمثله، في إيقاع بنائي فني متكامل، والتي تسهم في رسم هويته من خلال روائيتها بمعنى طريقة بناء الحكاية في تخوم النص الروائي، بإعتباره خطاباً فكرياً وجمالياً، دون الإخلال بتميزها كشكل روائي فني، مبني بتقنيات الجنس الروائي.

إن الشيء الأساسي في تعددية الاصوات عند "دوستوفسكي" هو "ما يحدث بين مختلف أشكال الوعي، والمهم فيها هو التأثير المتبادل بين هذه الأشكال واعتماد بعضها على البعض الآخر." (بوعلي، 2001) ص 160، فالتعدد والتنوع ظاهرة جمالية تحكم نسيج النص وتدفعه نحو الانفتاح نحو فضاءات أوسع، تعمل عليها النصوص.

إن أهمية التنوع اللغوي تتجسد في تحرير النص الأدبي من سلطة اللغة الواحدة، وكذا قيد الرؤية الواحدة، فهو يفسح مجال محاوراة اللغات لبعضها البعض من جهة، وتحطيم صورة النموذج من جهة ثانية، وعليه تكون الرواية ظاهرة متعددة الأسلوب واللسان والصوت، وبذلك يصبح النص الروائي ذا بنية تتسم بالتعدد، غير أن هذا التعدد لا يؤدي إلى تفكيك النسق السردي، بل هو صيغة جديدة في الكتابة الروائية المعاصرة تنتقد الصياغة الاختزالية، وتفصح عن الطبيعة التركيبية الحوارية للخطاب الروائي، وتعرب عن لغته المتنوعة.

فاللغة الروائية تقدم تصوراً للواقع الإجتماعي كونها الوسيط الذي يقدم من خلاله الروائي تصوره للحياة الإجتماعية. ولقد أصبح الخطاب الروائي الجديد "يطرح نفسه أولاً كبنية، وثانياً باعتباره الخطاب الذي ينزع نزوعاً شديداً نحو التنوع باستمرار". (دراج، 1999) ص 83. أي أن النص الروائي الجديد له خاصية جمالية أسلوبية يبني عليها، وثانياً هذا التنوع يشكل التكامل بين مضمون النص والواقع الذي يعكسه.

6- خاتمة : الثقافة معين غني يغترف منه المبدعون في المواضيع التي يحسن فيها استعمالها، حيث يتدفق الزخم الرامز والدلالات الموحية إلى المعاني المتجددة والمتوالدة، والتي ترمي في أغلبها إلى إضاءة الجوانب المظلمة في تاريخ الإنسان وحياته، وهي بذلك ليست صورة جامدة جاهزة تستعمل لاستكمال ملامح مشهد فحسب، بل عالم قائم بذاته وبإيحاءاته الدالة على جميع أغراض الحياة التي استخلصها الإنسان من تجاربه خلال حقب زمنية متتالية، وقد عبر عنها باللغة التي تعتبر الوسيلة الأولى للتواصل بين أبناء المجتمع الواحد، فاللغة هي الناطق الرسمي باسم الثقافة فمن خلالها يمكن للإنسان أن يشرح للآخرين وجه التميز الثقافي لأمتة وشعبه؛-للثقافة أهمية كبيرة تتمثل في نقل كل ما هو جميل من اللغة واللهجات والعادات والقيم والأخلاق الحميدة من جيل إلى جيل، والحفاظ على هذه الثقافة هو الحفاظ على القومية والهوية الوطنية واللغة من التلف والضياع والزوال.

استطاعت الروائية "فضيلة الفاروق" باستعمالها اللغة العامية والثقافة الشعبية في روايتها أن "تخلق الإيهام بالواقعية السجل الكلامي للشخصيات الروائية تأكيداً على ارتباط الرواية بالمعيش وتحقيق تنوع أسلوبها يتغذى من بلاغة العامي والمأثور اليومي، لتصوير مناطق الظل من أنماط الوعي في تساكها، وإلى

جانب هذه الوظيفة التناسية فهي تسعى إلى تأكيد ارتباط الرواية بالتراث اللغوي تمامًا" (لمويقن، 2001) ص 213 - إن ارتباط الرواية الجزائرية بالبعد الثقافي خاصة التعدد اللغوي قد أسهم في إثراء الخطاب الروائي المعاصر، مما أعطي للرواية حلة واقعية مثلت الواقع الجزائري تمثيلاً بلغ مستوى فكرياً وفنياً راقياً في عالم الأدب والحياة الثقافية ككل.

-قائمة المراجع:

- احمد المدني. (2012). *تحولات النوع في الرواية العربية بين المغرب والمشرق*. الرباط: دار الأمان.
- سعيد إدوارد، نائلة قليقلي حجازي، وفسواناثان عروي. (2008). *السلطة والسياسة والثقافة*. بيروت، لبنان: دار الآداب.
- صلاح فخري. (2010). *قبل نجيب محفوظ وبعده*. القاهرة: الهيئة العامة لقصور الثقافة.
- عبد الحميد عقار. (2000). *الرواية المغربية، تحولات الخطاب*. الدار البيضاء: شركة النشر والتوزيع مدارس.
- عبد الرحمان بوعلي. (2001). *الرواية العربية الجديدة*. وجدة، المغرب: منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية.
- عبد الفتاح أحمد يوسف. (2009). *قراءة النص وسؤال الثقافة*. عمان: عالم الكتب الحديث، جدار للكتب العالمي.
- عبد الله العروي. (1995). *الإيديولوجية العربية المعاصرة*. الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي.
- عبد الله الغدامي. (2010). *النقد الثقافي التفاعلي*. بيروت، لبنان: المركز الثقافي العربي.
- عبدالله الغدامي. (2014). *قراءة في الأنساق الثقافية العربية*. لبنان، بيروت: المركز الثقافي العربي.
- فضيلة الفاروق. (2003). *تاء الخجل*. بيروت: رياض الريس للكتب والنشر.
- فيصل دراج. (1999). *نظرية الرواية والرواية العربية*. بيروت، لبنان: المركز الثقافي العربي.
- محمد بريدة. (1971). *الرواية المغربية*. الرباط: منشورات المركز القومي الجامعي للبحث العلمي.
- محمد بن لاقى اللويش. (2010). *جدل الجمالي والفكري، قراءة في نظرية الأنساق المضمره عند الغدامي*. بيروت، لبنان: مؤسسة الإنتشار العربي.
- مصطفى لمويقن. (2001). *تشكل المكونات الروائية*. سوريا: دار الحوار.
- هويدا صالح. (2011). *صورة المثقف في الرواية الجديدة*. القاهرة: دار رؤية للتوزيع والنشر.

الهوية الثقافية الجزائرية بين التنوع ورهانات الوحدة الوطنية

Algerian Cultural Identity between Diversity and Aspirations of National Unity

أ. شايب الدراع وليد¹د. نجيب بخوش²

تاريخ القبول: 2021.06.18

تاريخ الاستلام: 2021.04.12

ملخص: حاولنا في هذه الدراسة التطرق إلى الهوية الثقافية الجزائرية والتعرف على مختلف أبعادها المتنوعة، فالهوية الجزائرية -كما هو معلوم- هوية ثرية تتزاحم داخلها هويات متعددة، هذا الثراء يشمل جوانب عديدة مثل الجانب اللغوي والعرقى والثقافي، كلها مقومات تجعل الهوية الثقافية الجزائرية هوية جامعة لسمات مختلفة قد يقدر البعض أنها تطرح مشاكل، وتفرض تحدياً أمام رهانات الوحدة الوطنية. هذا الاعتقاد ينطلق من فكرة خاطئة تفترض أن الهوية مختزلة في بعد واحد، لكننا ومن خلال هذه الورقة البحثية نسعى لتأكيد مسألة التنوع والتعدد الثقافي واللغوي والإثني، وبأنها عناصر قوة للثقافة الجزائرية، وقد توصلنا إلى مجموعة من النتائج التي نرى أنها الطريق لتحقيق وحدة وطنية في إطار التنوع، أهمها ضرورة عدم ترك مسائل الهوية الثقافية كأداة في يد السياسيين، وكذا العمل على ترسيخ قيم المواطنة والتعايش من خلال وسائل عديدة أهمها المناهج التعليمية. كلمات مفتاحية: الهوية؛ الهوية الثقافية؛ الهوية الجزائرية؛ التنوع الثقافي؛ الوحدة الوطنية.

Abstract: In this study, we tried to address the issue of Algerian cultural identity and identify its various dimensions. The Algerian identity as it is known is a rich and multiple identity within which multiple identities are competing. This richness includes many aspects such as linguistic, ethnic and cultural aspects all of which make the Algerian cultural identity as a universal identity of different attributes. In this regard, some may consider that it poses problems in integration and challenges the aspirations of national unity and this belief is certainly based on an incorrect idea in which identity is seen as reduced in one dimension. However, through this paper, we seek to emphasize that the issue of diversity and cultural, linguistic and ethnic multiplicity is a powerful element of the Algerian cultural identity, as a result, we have found that the issues of cultural identity must not be left as a tool in the hands of politicians, in addition to the importance of establishing values of citizenship and coexistence through several means mainly the educational curricula.

Keywords: identity; Cultural identity; Algerian identity; cultural diversity; national unity.

* - مخبر الدراسات النفسية والاجتماعية، جامعة محمد خيضر، الجزائر.

البريد الإلكتروني: walid.chaibedra@univ-biskra.dz (المؤلف المرسل)

2- جامعة محمد خيضر، الجزائر.

البريد الإلكتروني: n.bekhouche@univ-biskra.dz

1. مقدمة: اهتمت الدراسات الاجتماعية والسياسية والفلسفية منذ عقود بتحليل ظواهر اجتماعية من قبيل مسألة الهوية الثقافية، حيث سعت للكشف عن الانتماءات والعوامل التي تجعل مجموعة أفراد يكونون مع صيرورة الزمن وتراكم المشتركات الثقافية والدينية والعرقية والجغرافية مايمكن أن نطلق عليه "هوية ثقافية" ترسم حدودًا ثقافية تميز هذه المجموعة من البشر عن مجموعة أخرى، ومع تطور الحياة الحديثة وتجاوز مرحلة الجماعات الصغيرة وجدت هذه الجماعات نفسها تعيش مع جماعات مختلفة عنها من الناحية الثقافية أو جماعات أخرى وافدة نتيجة هجرات من مناطق أخرى مختلفة ثقافيا، هذا الاختلاط خلق لنا مفهوم التنوع الثقافي، والهوية الثقافية متعددة الأبعاد، وهو ما طرح أسئلة جديدة حول تأثير هذا التنوع على الوحدة الوطنية والاستقرار المجتمعي.

في الجزائر وعلى غرار دول المنطقة المغاربية التي تتميز بالتنوع الثقافي الكبير والهوية المتعددة العناصر والمقومات، مما يجعل موضوع الهوية الثقافية والتنوع الثقافي موضوعًا متجدد الطرح في الساحة الثقافية، بل تعدى الأمر الساحة الثقافية ليصل إلى ساحة النقاش السياسي، حيث أصبحت قضايا الهوية الثقافية عامل تجاذب يتم توظيفها لخدمة الصراعات السياسية، وهو ما يشكل خطرًا على الأمن المجتمعي والتناغم الثقافي بين مختلف مكونات المجتمع، ومن هنا تكتسي دراسة التنوع الثقافي وانعكاساته على الهوية الثقافية الجزائرية أهمية كبيرة ولهذا نسعى من خلال هذه الدراسة التعرف على مفهوم الهوية الثقافية الجزائرية وأبعادها؟ وماهي معوقاتنا وإشكالاتها؟ وماهي السبل الواجب إتباعها لتكريس رهان الوحدة الوطنية في إطار التنوع الثقافي والهوياتي؟

2. مفاهيم الدراسة:

1.2 الهوية الثقافية: قبل التطرق إلى مفهوم "الهوية الثقافية" لابد أن نخرج أولاً على مفهوم "الهوية" والتي يقصد بها "الكيفية التي يعرف الناس بها ذواتهم وأمتهم، وتتخذ اللغة والثقافة والدين أشكالاً لها، كما يشير في هذا الصدد أحمد زكي بدوي، إلى أن الهوية هي التي تميز الفرد نفسه عن غيره، أي تحديد حالته الشخصية أما الهوية الثقافية فهي ذاتية الإنسان ونقاءه وجمالياته وقيمه، بحيث تعتبر الثقافة هي المحرك لأي حضارة أو أمة في توجيهها وضبطها؛ أي التي تحكم حركة الإبداع والإنتاج المعرفي" (تونسي، حران، بوخلخال، 2018). يمكن أن نعرف الهوية الثقافية والحضارية بأنها، "القدر الثابت والجوهري والمشارك من السمات والقسمات العامة التي تميز حضارة هذه الأمة عن غيرها من الحضارات والتي تجعل للشخصية الوطنية أو القومية طابعاً يتميز به عن الشخصيات الوطنية والقومية الأخرى" (مزار، 2017). وقد عرفها "أحمد بن نعمان" بأنها "مجموع الصفات أو السمات الثقافية العامة التي تمثل الحد الأدنى المشترك بين جميع الأفراد الذين ينتمون إليها والتي تجعلهم يعرفون ويتميزون بصفاتهم تلك عن سواهم من أفراد الأمم" كما تعرف بأنها مجموعة الخصائص والمميزات العقائدية واللغوية والمفاهيمية والأخلاقية والثقافية والعرقية والتاريخية، والعادات

والتقاليد والسلوكيات التي تطبع شخصية الفرد والجماعة والأمة بطابع معين ينفرد به عن باقي الأمم حيث تشكل مرجعيته المعبرة عن ثقافته ودينه وحضارته". (هاشم، 2019).

2.2 الهوية الثقافية الجزائرية: وإذا رجعنا للهوية الجزائرية بشكل خاص، دائما نرجع إلى الدستور الجزائري وإقراره بأهم مكونات الهوية الوطنية الجزائرية، والتي نعمل على أساسها لتحديد أهم مقومات الهوية الثقافية التي تحكم المجتمع الجزائري. حيث تنص المادة الأولى للدستور الجزائري: "الجزائر جمهورية ديمقراطية شعبية، وهي وحدة لا تتجزأ، وجاء في المادة الثانية: الإسلام دين الدولة، وحسب المادة الثالثة: "اللغة العربية هي اللغة الوطنية والرسمية، وقد تضمنت المادة الرابعة: "أن تمازغت هي كذلك لغة وطنية ورسمية". (الدستور الجزائري 2016). وعليه -ومما سبق- فالهوية الجزائرية مرت عبر حقبة زمنية متنوعة، "فما قدمته الحضارة العربية الإسلامية من تراث فكري حضاري راسخ لا يمكن الاستغناء عنه؛ بل دعم المعالم الأساسية للهوية الجزائرية في لغة عربية إلى الدين الإسلامي الحنيف، لكن تبقى المرحلة الأساسية التي أثرت على الهوية الجزائرية هي مرحلة الاستيطان الفرنسي". (تومي، 2017).

إن المتتبع للهوية الثقافية الجزائرية يجد أنها هوية متعددة الأبعاد ومتشعبة الأطراف، مما نتج عنه على المستوى اللغوي احتدام الصراع بين المعربين والمفرنسين، وبالتالي "فإن أزمة الهوية الثقافية في المجتمع الجزائري تمتد جذورها إلى بداية الاحتلال الفرنسي، وهذا لا يعني أن المجتمع الجزائري لا يملك هوية ثقافية محددة، فعلى الرغم من التنوع الثقافي القائم في هذا المجتمع إلا أنه يسير في فلك وحدة ثقافية وطنية واحدة، ليست منغلقة ومعيقة للتحديث والتحول، بل هي واحدة من المكونات الأساسية للهوية الوطنية". (حواسوة، 2017).

3.2 التنوع الثقافي: يشير مصطلح التنوع الثقافي عموما إلى "الاختلافات القائمة بين المجتمعات الإنسانية في الأنماط الثقافية السائدة فيها، ويتجلى هذا التنوع عبر أصالة وتعدد الهويات المميزة للمجموعات والمجتمعات التي تتألف منها الإنسانية فهي مصدر للتبادل والإبداع، ويحمل مفهوم التنوع الثقافي فكرة التعايش بين أكثر من مظهر ثقافي داخل الوسط المجتمعي نفسه". (غزال، بورحلي، 2018) "ظهرت مسألة التنوع الثقافي لساحة النقاش العام العالمي مع تسارع وتيرة رد الفعل العنيف المضاد للتعددية الثقافية، حيث حصل تركيز مستجد على توضيح معنى «الهوية الوطنية» بهدف دمج الأقليات العرقية في الثقافات الوطنية على نحو أفضل". (رتناسي، 2013) قامت فكرة "التعددية الثقافية كمفهوم فلسفي لمواجهة نزعة الأحادية الأخلاقية، التي تفترض المساواة والتطابق الأخلاقي بين الناس، بينما تذهب التعددية إلى اعتبار أن البشر متفوقون ومختلفون في آن واحد، فهم يولدون في مجتمعات تصوغهم وتشكل شخصياتهم وتطبعها بطابع خاص، كما أنهم يشتركون مع الآخرين في إعادة تشكيل الطبيعة الإنسانية المشتركة بطرق متباينة" (العتيبي، 2014)، إن التعددية الثقافية هي الرد السياسي

على واقع التنوع الثقافي. "ومفهوم التعددية الثقافية ذو معاني وتعريفات عدة، وذلك بحكم تنوع مجالات التعددية الثقافية فضلا على تعدد زوايا النظر إليها، ويمكن توزيع تعدد التعريفات على ثلاث زوايا رئيسية. ولا تنطبق التعددية الثقافية على أنواع الاختلاف المختلفة داخل المجتمع فحسب، بل تستلزم أيضا منظورات نظرية مختلفة رغم أنها متشابكة وتطرح أسئلة محددة وتسلب الضوء على الجوانب المميزة للحياة مع التنوع في المجتمعات الحالية" (غربي، 2019)

4.2 الوحدة الوطنية: تعرف الموسوعة العربية العالمية الوحدة الوطنية بأنها "تعبير قومي يعني حب الفرد وإخلاصه لوطنه، والذي يشمل الانتماء إلى الأرض والناس والعادات والتقاليد والفخر بالتاريخ والتفاني في خدمة الوطن. ويوحى هذا المصطلح بالتوحد مع الأمة، كما تعرف الوحدة الوطنية بأنها "الشعور الجمعي الذي يربط بين أبناء الجماعة ويملاً قلوبهم بحب الوطن والجماعة والاستعداد لبذل أقصى الجهد في سبيل بنائهما، والاستعداد للموت دفاعا عنهما" (المغذوي، 2014) ويمكننا نحن أن نقدم مفهوم الوحدة الوطنية في سياق هذه الورقة البحثية بأنه "حالة وحدة وتكاتف بين مختلف أبناء الوطن مهما اختلفت أيدلوجياتهم وتوجهاتهم الفكرية نحو قضايا معينة يشتركون فيها في ممارسات وسلوكيات موحدة تجاه قضاياهم الوطنية أو ضد تهديدات خارجية.

3. مقومات وأبعاد الهوية الثقافية الجزائرية:

1.3 مقومات الهوية الثقافية الجزائرية:

العامل الديني: إن الدين بالنسبة لكل مجتمع هو عنصر أساسي من عناصر الهوية، بل إنه أحيانا يكون سببا في تكوين أمة مثلما حدث في باكستان، التي يعتبر الدين المقوم الأساسي لتكوينها، إن الدين بما يحمله من أجوبة وجودية وفلسفة حياتية ترسم للإنسان الخطوط الكبرى لحياته، وكغيره من الشعوب وللأمم التي دانت بالإسلام أثر هذا الدين على الشخصية الجزائرية وتغلغل في تفاصيل الحياة اليومية للجزائري، وأصبح جزءاً من كينونته وتدخل ضمن عناصر هويته، "وهذا الشيء أكدته النصوص التأسيسية للدولة الجزائرية بداية من بيان أول نوفمبر إلى الميثاق الوطني لعام (1976)، الذي نصّ على أن الشعب الجزائري شعب مسلم، والإسلام هو دين الدولة وهو أحد المقومات الأساسية لشخصيتنا التاريخية، وهذا ما يبين قدرة هذا الدين على توحيد أبناء المنطقة، فهو عامل من عوامل حب الوطن والدفاع عنه، كما جاء في الميثاق الوطني" (أوشن، 2010)، إن الدين الإسلامي أثر في قيم وعادات الجزائري، وأضاف عنصراً مهماً لهويته، مع العلم أن كون الأغلبية الكبرى في المجتمع الجزائري تدين بالإسلام، لا ينفي وجود أقليات أخرى من ديانات مختلفة خصوصاً المسيحية واليهودية، هذه العوامل سعى الاستعمار لاستغلالها في تقسيم المجتمع الجزائري، كما جاء في "مرسوم كريميو في 24 نوفمبر (1870)، والذي منح الجنسية الفرنسية لكل الأهالي (الجزائريين) اليهود المولودين

في الجزائر" (شنوف، 2008). هذا المرسوم وغيره سعى لاستغلال التنوع الديني في الجزائر لضرب وحدة المجتمع الجزائري.

العامل اللغوي: إذا تكلمنا عن اللغة وهي عنصر آخر مهم في الهوية الثقافية لأي أمة نجد أن خاصية التنوع اللغوي واضحة بشكل جلي في المجتمع الجزائري، فاللغة العربية كما "يؤكد الباحث" عز الدين صحراوي" امتزجت مع الذاتية الجزائرية، وكأنه يشير إلى أن اللغة قد شكلت خصوصية الشعب الجزائري، حيث يشير صراحة إلى ذلك بقوله: ولما كانت اللغة العربية من أبرز مقومات الشخصية الوطنية، فإن المجتمع الجزائري بقي محافظا على عروبه ولغته داعيا إلى اعتبارها لغة رسمية في المدارس والإدارة، بذلك يربط الكاتب ما بين اعتماد هذه اللغة من طرف المجتمع وما بين انتمائه العربي" (بن نكاع، 2013)، وهذا الانتماء اللغوي ليس الوحيد في الجزائر -كما قلنا سابقا- فالسوق اللساني في الجزائر يتوزع بين العديد من اللغات إضافة للغة العربية، هناك الأمازيغية بشتى لهجاتها واللغة الفرنسية التي ماتزال لها حظوة ومكانة في الجزائر.

العامل الاثني: إن المجتمع الجزائري مجتمع متعدد الانتماءات الجهوية والعروشية وحتى الطائفية، تشكل كل هذه الانتماءات الجزئية مجتمعة فيما بينها الانتماء الأكبر للجزائر في ظل مجتمع واحد بنظام سياسي واحد حيث أن "الجزائر لم تعرف في ماضيها ولا حاضرها أي صراعات عرقية، هذا إذا استثنينا ما حدث في منطقة القبائل في الثمانينات وبداية الألفية، والتي تعود لأسباب سياسية أو اقتصادية" (ولد خليفة، 2017)، إذن لا يذكر التاريخ لنا أي صراع واضح وعنيف بين المكونات الرئيسية المشكلة لهذا التنوع الاثني في شواوية وقبائل وطوارق وعرب وميزابيين، وهذا على الرغم من أن الاستعمار الفرنسي عمل على محاولة افتعال مشاكل وصراعات لشغل هذه الفئات المكونة للمجتمع الجزائري بعضها عن بعض، إلا أنها خسرت هذه المعركة كما بينت الأحداث اللاحقة وخصوصا الثورة التحريرية التي جمعت كل مكونات المجتمع الجزائري.

2.3 أبعاد الهوية الثقافية الجزائرية:

البعد العربي الإسلامي: إن الإسلام والعروبة هما أهم ركيزتين في مسألة الهوية الجزائرية، فرغم أن منطقة شمال إفريقيا عرفت ديانات متعددة، إلا أن الإسلام هو الدين الوحيد الذي استطاع فرض نفسه في جذور هذه الأمة، "واستطاع هذا الدين القادم من شبه الجزيرة العربية التغلغل في أعماق مجتمعات شمال إفريقيا، وهي المجتمعات المعروفة برفضها الدائم والمستمر للأجنبي، فمنذ أن دخلها العرب ووجدوها في صراع مع البيزنطيين والإفرنج أو بين سكان المدن وسكان الريف، هذه البنية ساعدت الإسلام ربما على الانتشار السريع والتمكن من قلوب وعقول أفراد المجتمع وخاصة البربر منهم" (زموري، 2016)

وهذا نلاحظ أن الإسلام وجد في بيئة شمال إفريقيا مكانا مناسباً تماماً، فرغم أن هذه المنطقة قاومت الدخول الإسلامي في بدايته، ولكنها عندما عرفت معانيه وقيمه قبلت به وتبنته وجعلته جزءاً من هويتها الوطنية، هذا القبول بالإسلام فتح الباب أمام اللغة العربية، والتي ما كان لها أن تنتشر لولا أنها لغة هذا الدين، إذن فاللغة العربية دخلت إلى هذه المنطقة كقيمة فرضها الدين الإسلامي ثم أصبحت مع الوقت جزءاً من الهوية الثقافية الجزائرية.

البعد الأمازيغي: وتعتبر "الأغلبية الساحقة من سكان الجزائر من أصول أمازيغية كما يشهد على ذلك المسار التاريخي لشمال إفريقيا ومختلف السمات السوسيو-انثربولوجية واللغوية للشعب الجزائري" (جابي، 2018) حيث كونوا خلال فترة طويلة عدة حضارات ودول كان لها باع طويل، ونالت حيزاً كبيراً من تاريخ شمال إفريقيا، كما عرف الأمازيغ عدة ديانات على امتداد تاريخهم كالمسيحية، اليهودية، وحتى ديانات وثنية محلية قبل دخول الإسلام شمال إفريقيا، كل هذه المقومات جعلت البعد الأمازيغي ضارباً في عمق الهوية الجزائرية فبدونه تختل هذه الهوية.

البعد الإفريقي: يعتبر الانتماء الإفريقي للجزائر أحد أهم أبعاد الهوية الجزائرية، وأهمية البعد الإفريقي بالنسبة للجزائر مهم على كافة النواحي: السياسية، الدبلوماسية، الاقتصادية الإستراتيجية والأمنية، "فالجزائر أدركت أهمية الدائرة الإفريقية لحركتها الجيوسياسية، منذ الثورة التحريرية. أين شكلت القارة الإفريقية قاعدة خلفية لها في سياق التضامن الثوري، الذي ساد بين دولها" (قط، 2017). حتى وإن كان هذا البعد أقل وضوحاً في الثقافة الجزائرية من بقية العناصر الأخرى، إلا أن هذا لا ينفي أن الجزائر هي جزء من هذا الفضاء الكبير المسمى إفريقيا، ما يجعل البعد الإفريقي حاضراً في المفهوم العام للهوية الثقافية الجزائرية.

البعد المتوسطي: يعتبر أحد الأبعاد المهمة في تشكيل الهوية الثقافية الجزائرية، من خلال الانتماء إلى منطقة حوض المتوسط، "وهي المنطقة التي كان بين شعوبها لقرون طويلة احتكاك كبير وعلاقة تأثير وتأثر خاصة إذا عرفنا أن هذه المنطقة عرفت كبرى الحضارات في التاريخ" (بوقرة، 2008)، لهذا لا يجب إهمال هذا البعد الذي يمكن البناء عليه، لجعل الثقافة الجزائرية أكثر تنوعاً.

4. إشكالات وتحديات الهوية الثقافية المتعددة الأبعاد في الجزائر:

1.4 الإشكال اللغوي: إن المشكل اللغوي في الجزائر يتميز بنوع من التعقيد والتشابك ولا بد من التحلي بنوع من الهدوء والرصانة أثناء الحديث عنه كي لاننجر إلى متاهات إيديولوجية تجعلنا عاجزين عن فهم هذا المشكل بطريقة سليمة وواضحة، إن سبب هذا التعقيد الذي نتحدث عنه يرجع لأسباب تاريخية بالأساس تتمثل في الأجناس المختلفة التي سكنت المنطقة بداية بالأمازيغ مروراً بالرومان والعرب والأتراك وصولاً للفرنسيين، وكذا بسبب الموقع الجغرافي للجزائر المنفتح على البحر المتوسط وهو أحد أكثر مناطق العالم من حيث التنوع اللغوي، إذن فخرائط التنوع اللغوي في الجزائر واضحة

بشكل جلي، وعلى العموم يمكن القول: "أنّ الجزائر من الدول التي تعيش ظاهرة التعددية اللغوية، لغتا أم هما "العربية" بأشكالها، فصيح وعامي والأمازيغية بلهجاتها المختلفة، إضافة للغة "الفرنسية" كلغة أجنبية أولى" (بورمة، 2016) هذا التنوع بالرغم أنه من المفروض أن يكون عامل قوة للهوية الثقافية الجزائرية إلا أنه خلق العديد من الإشكالات وحالة من التيهان والتخبط، خصوصا في المجال التعليمي، وكذا على مستوى الإدارة الجزائرية التي بدأ مشروع تعريبها منذ عقود ولازال لم يحقق أهدافه، "ومن المشاكل اللغوية الموجودة في الجزائر على سبيل المثال والذي أضيف مؤخرا بعد أن أكد الدستور الجزائري على اللغة الأمازيغية باعتبارها لغة رسمية وطنية، رغم أن هذه اللغة ما تزال تتخبط في عدة مشاكل تتعلق بالحرف والرسم؛ إذ أنها تجمع ثقافات مختلفة (الشاوية القبائلية، الميزابية، الطارقية، الشناوى بتيبازة، البوسمغونية الشلوح بالبيض). وهذا يضع الجزائر أمام تحدي كبير، إذ بأية لغة ستكتب الجزائر، وما هو دور الترجمة في كل هذا. ومن هنا وجب تحديد إستراتيجية واضحة من كل هذا" (سحابة، 2019).

بالإضافة إلى ذلك نجد القضية اللغوية في الجزائر أخذت على طاولة النقاش أكثر من حقها، "مما جعل بعض الأطراف تحولها من قضية لغوية عادية قابلة للحل النهائي، كما هو شأن كثير من دول العالم التي فيها مشاكل لغوية من هذا القبيل إلى قضية إثنية وسياسية، وتحولت على إثر تلك المطالب من لغوية ثقافية إلى مطالب سياسية عرقية انفصالية عند بعضهم" (شمانى، 2018).

2.4 مشكل الاستغلال السياسي لمسائل الهوية: لطالما كانت القضايا الفكرية الكبرى من قبيل قضية الهوية الثقافية إحدى محركات الصراعات السياسية في المنطقة العربية والمغاربية، والجزائر ليست استثناء حيث يحضر سؤال الهوية الثقافية الجزائرية حضورا يوميا، خصوصا في فترات التجاذب السياسي وزاد من حضوره دخول مواقع التواصل الاجتماعي كأداة أساسية لهذا الصراع. إنّ فترات التجاذب السياسي والأيدولوجي هي المناخ المناسب لممارسة التحشيد الجماهيري والذي تستخدم فيه قضايا ذات بعد عاطفي، وفي المقدمة منها قضايا الهوية.

يرى "محمد أركون" أن: "الإيديولوجيا تعبر عن الطريقة التي تدرك بها طبقة اجتماعية ما، أو مجموعة وطنية ما علاقتها بظروف وجودها، وهذا النمط لممارسة الفكر يسود في حالات الغليان الاجتماعي والسياسي" (سبيللا 2006) إن موضوع الاستغلال السياسي لقضايا الهوية الثقافية في الجزائر، جاء كنتيجة لسياسات ومراحل تاريخية، بداية بالحركة الوطنية التي لعبت فيها بعض الأحزاب والتيارات دورا هاما في الدفاع عن الهوية الثقافية الجزائرية، وفي نفس الوقت شهدت هذه الفترة أول ظهور لما يمكن أن نسميه الاستعمال السياسي والأيدولوجي لقضايا الهوية الثقافية في الجزائر، من خلال "الأزمة البربرية" التي حدثت بعد أن راسل الزعيم "مصالي الحاج" الأمم المتحدة برسالة أكد فيها على أن: الهوية الجزائرية ممثلة في بعديها، العروبة والإسلام، وهذا ما أدى بأعضاء

فدرالية فرنسا في الحركة بأغلبية 28 صوت من 32، إلى إقرار استعمال القوة ضد اللجنة المركزية ورفض أي فكرة لاعتبار الجزائر عربية إسلامية" (بوحوش، 1997).

وفي فترة ما بعد الاستقلال "فترة الأحادية الحزبية" تسبب اهتمام الدولة الوطنية ممثلة جبهة التحرير الوطني ببعض مكونات الهوية الثقافية الجزائرية ممثلة في "العربية والإسلام" على حساب مكونات وأبعاد أخرى، تسبب هذا في إعطاء الشرعية لأحزاب وتيارات إيديولوجية لاستغلال هذا الإهمال في حشد تأييد شعبي وجماهيري.

3.4 المشكل الاثني والجهوي: رغم أن الجزائر لم تعرف خلال تاريخها الطويل الكثير من النزاعات ذات الطابع الاثني إلا أن هذا لا يعني عدم وجود إشكالات تقف عائقاً أمام الانسجام الوطني في إطار الهوية الثقافية الجزائرية ومن هذه المشاكل نجد المشكل الاثني، حيث نشأت بعد الاستقلال ونتيجة لعدم تجاوب السلطة مع بعض المطالب السياسية والهوياتية المتعلقة أساساً باللغة الأمازيغية بشتى لهجاتها، نشأت بعض التيارات التي حاولت تصوير تعنت السلطة في الاستجابة لمطالبها على أنه اظهاد لمجموعة اثنية معينة، واستهداف للغتها وعاداتها وتقاليدها ووجودها، "والحقيقة هو أنه لا يجب أن يفهم تعنت الدول العربية الحديثة تجاه الأقليات سواء كانت عربية أم غير عربية، بطريقة خاطئة فهو جاء كرد فعل على سياسات القوى الاستعمارية السابقة التي غالباً ما تلجأ إلى "فرق تسد" الشهيرة والتي كانت حريصة عليها دائماً، من خلال التلاعب بمجتمعاتهم المختلفة وفقاً لمصالحهم الخاصة" (بناجي، 2019).

هذا ولا يخفى على أحد "أن الحركات الحكومية وغير الحكومية الأجنبية التي تتبنى الوقوف إلى جانب الأقليات تعمل جاهدة على بتر اللغة في الجزائر بدعوى حماية الأقليات اللغوية والإثنية، وهي ذات طابع إيديولوجي خطير مهدد للوحدة على مختلف الأصعدة وعلى الصعيد اللغوي تحديداً" (شمانى، 2018). يذهب الدكتور "حامي حسان" إلى القول إنه: "في الحالة الجزائرية كان لعناصر الهوية دور حاسم في كل أشكال التنازع والانقسامية الذي عرفها المجتمع، إضافة إلى توظيف عناصر أخرى مرتبطة بشرعيات تاريخية أو ريعية أو أمنية" (حامي، 2017).

وهذا الأمر تؤكد به بعض الأحداث والنزاعات التي عرفتها الجزائر مثل أحداث منطقة القبائل سنة 2001 وأحداث غرداية سنة 2013. ولا يختلف الأمر كثيراً إذا ما تحدثنا عن مسألة الجهوية، ورغم أن "النصوص التأسيسية للجمهورية الجزائرية مثل "مؤتمر طرابلس" أشار لقضية التوازن الجهوي وتبعته في ذلك مختلف الدساتير والقوانين الوطنية، لكن نظرة سريعة على المجال الجزائري، تؤكد لنا أن الفوارق الإقليمية التي مازالت قائمة حتى أنها زادت تجدراً" (حاجي، 2018).

5. نحو وحدة هوياتية في إطار التنوع: إن الزخم الثقافي الذي تتميز به الجزائر سواء من الناحية اللغوية أم من الناحية الاثنية أم حتى من ناحية العادات والتقاليد، والذي يرى فيه الكثيرون عامل أزمة ومنبع إشكالات هوياتية بالجملة، مستدلين بوقائع تاريخية ذكرنا بعضها في المحور السابق، وكان فيها لهذا التنوع الثقافي دور في بعض الأزمات التي شهدتها الجزائر، إلا أن هذه العوامل في نظرنا يمكن تحويلها إلى عامل قوة ووحدة وطنية نضمن من خلالها وحدة هوياتية في إطار التنوع، وهذا لا يكون إلا من خلال مجموعة أشياء، بداية بالتخلص من الاعتقاد السائد بأن الهوية الثقافية هي وحدة من عنصر وحيد، لا يمكن أن تتحقق إلا بتفوق وسيادة هذا العنصر على باقي العناصر.

لهذا يجب الفهم أن الهوية الثقافية أكثر تعقيدا وأن الناس ليسوا مدعوين للاصطفاف خلف عنصر هوياتي معين، كما يصور البعض بحجة أن الإسلام في خطر، أو الهوية الأمازيغية في خطر، أو العروبة والعربية في خطر، وهي في الحقيقة مفاهيم بالية وبسيطة وسطحية، أبعد ما تكون عن فهم الهوية الثقافية كفضاء جامع متعدد ومنفتح، يضم مجموعة عناصر قد يكون بعضها أهم من بعض، إن البعد الإفريقي مثلا في الهوية الثقافية الجزائرية أقل أهمية من البعدين العربي الإسلامي والبعد الأمازيغي، وهذا ما يؤكد حتى ترتيب مواد الهوية في الدستور الجزائري، وهذا مرده إلى أن الانتماء اللغوي والديني أهم من الانتماء الجغرافي.

إن إعادة فتح نقاش مجتمعي حول مسائل الهوية الثقافية لا يجب أن يواجه بالرفض، لكن في نفس الوقت يجب تحديد الهدف من فتح النقاش حول ملف الهوية داخل المجتمع والدولة، بحيث يكون تناول من أجل البناء والاستقرار والنهوض، بعيدا عن الاشتباك والصراع الأيديولوجي والديني، "فالتعاطي مع قضايا الهوية باعتبارها بوابة لبناء الجسور بين مكونات المجتمع الجزائري سيوفر الجهد ويقلل من حجم التوتر والانفعال والصراعات حيث يجب اعتبار الهوية الجزائرية مضمارا ذا مسافات متعددة ثقافية واجتماعية وسياسية، ومن الخطأ قصر الحديث فيها على البعد اللغوي فقط أو التاريخي، ولا بد كذلك تناولها من حيث جميع المجالات الإنسانية والمجتمعية من تراث وتاريخ وجغرافيا واقتصاد وفنون وموسيقى جزائرية داخلية في مدار الهوية ومؤثرة فيه" (بن قفة، شريف، 2017).

إن أحد أهم الأشياء التي تدعم في نظرنا هذه الوحدة المنشودة هي العمل على ترقية اللغات الوطنية ودعم اللغة العربية، والتي تعتبر اللغة الرسمية الأولى في الجزائر، "وهي لغة الكتابة والمعرفة في المدرسة وفي الإعلام وفي الإدارة، واللغة الفرنسية التي تؤدي الوظائف نفسها وبخاصة في أهم المؤسسات الاقتصادية والبنوك وتدرس في التخصصات العلمية بالجامعات والمدارس العليا، هذا إلى جانب اللغة الأمازيغية اللغة الوطنية الثانية والتي لا تزال تبحث عن طريق لها، وهي لغة التواصل اليومي في العديد من مناطق الوطن وبخاصة في منطقة القبائل هذا دون أن ننسى ما تؤديه اللهجات المحلية من وظائف في مجال التعاملات الاجتماعية" (داود، 2018) إضافة إلى هذا من المهم العمل على تثمين بعض الأعياد

والاحتفالات ذات البعد الثقافي والهوياتي، وهذا "الذي تم مؤخرا من خلال احتفال "يناير" الذي تم اعتماده مؤخرا من قبل السلطات الجزائرية عيدا وطنيا" (داود، 2018) إن تحويل مثل هذه الاحتفالات والأعياد من طابع جهوي محلي، يخص منطقة معينة إلى عيد وطني، هو خطوة مهمة جدا نحو خلق حالة شعور جمعي تشاركي بين مختلف أبناء الوطن، لكن مع الانتباه إلى ضرورة أن لا تبقى هذه الاحتفالات مجرد فولكلور شكلي.

جانب آخر مهم في عملية دعم الهوية الثقافية الجزائرية، وترسيخ هذا التنوع الثقافي في الوعي الجمعي، وهو الجانب المتعلق بالعملية التربوية والتعليمية، التي تلعب دورا مهما في غرس القيم الثقافية، وإبراز عناصر الهوية الثقافية الجزائرية بشتى أبعادها، ويبدو أن هذا الأمر لا يغيب عن ذهن القائمين على الشأن التربوي في الجزائر وهو ما أكدته نتائج دراسة "الهاشمي لقوقي وسهيل بن خيرة" والتي أكدا من خلالها، "أن أبعاد الهوية الثقافية تبعا لتوافرها في كتب التاريخ والجغرافيا لسنة الخامسة الابتدائي كانت على الترتيب التالي: البعد الجزائري، البعد الإسلامي، البعد العربي، البعد الأمازيغي، البعد العالمي. وما يميز هذا الترتيب أن واضعي المناهج حرصوا على ملائمة هذا الترتيب مع ما جاء في الدستور الجزائري، كما أن هذا الترتيب يعكس المرجعية الفكرية لواضعي المناهج الدراسية الخاصة بالمواد الاجتماعية" (لقوقي، بن خيرة، بن الزاهي، 2021) إضافة لكل ما ذكرناه سابقا من عناصر من شأنها تحقيق وحدة ثقافية وطنية في إطار التنوع الثقافي.

لابد من الإشارة أيضا إلى ضرورة تحييد المسائل الهوياتية عن الصراعات السياسية، وعدم ترك قضايا الهوية لعبة بيد السياسيين، لأن المسائل الهوياتية وعناصر الهوية الثقافية الجزائرية، لا يجب أن تكون أداة تجاذب سياسي، بل على العكس يجب أن تصبح المشترك الوطني الذي يلعب دورا في توحيد الجزائريين على اختلاف إيديولوجياتهم وتوجهاتهم السياسية، "فالاختلاف في الأفكار والتصورات والمواقف في الحياة اليومية أمر طبيعي وقد يساعد على تنويع الرؤى وإثراء الاقتراحات البناءة عندما يجري ذلك في جو من الاحترام المتبادل بعيدا عن التصادم والنزاع الهدام" (براهيمي، 2020).

لابد أيضا من العمل على دعم وترقية قيمة المواطنة، والتي تعرف بأنها "العلاقة التي تربط بين الفرد المواطن ودولته، كما يحددها القانون، وهي عادة محددة في الدستور، إن المواطنة هي ثقافة وممارسة يومية وأسلوب حياة" (بوفلجة، 2015) إن دعم الشعور العام بالمواطنة كإطار جامع لعناصر الهوية الثقافية الجزائرية، يقضي على كثير من الحساسيات في التعامل مع المسائل الهوياتية، ويجعل عملية إدارة التنوع والاختلاف أسهل للقائمين على الشأن العام، لأن مرد الكثير من الأزمات والصراعات التي تبدو في ظاهرها "أزمات هوية ثقافية" هي أزمات اجتماعية وسياسية متخفية في ثوب ثقافي أو هوياتي.

وعموما يمكن القول أن المبدأ الأساسي الذي يكتنف ماهية التسامح والتعايش هو الاعتراف، فلا يمكن البتة تصور موقف التسامح والتعايش بين المجتمعات أو داخل المجتمع الواحد إلا من خلال الاعتراف المتبادل، "تحدث الفيلسوف الألماني "أكسيل هونيث" في مدلول الاعتراف، وربطه بالمنحى العلائقي السوسيولوجي، فحين يحصل التفاعل الاجتماعي، والتلاقح الثقافي نحد بذلك من التناحر الاجتماعي وصور الازدراء والاحتقار، وهذا ما يسمح كما يؤكد "أكسيل هونيث" أن يحقق الفرد الأمن العاطفي ويتمظهر الاعتراف كإتيقا كذلك من خلال التضامن الاجتماعي داخل نسيج العلاقات السوسيولوجية والثقافية. إن التعايش الثقافي يتطلب تنوعا في الرؤى والأفكار، ودون هذا التنوع الثقافي لا يمكن أن ترتقي المجتمعات أو تضمن صمام أمان لهوضها في هذا الكون، فالإقرار بالتنوع الثقافي وكفالة حمايته صارا اليوم من مبادئ القانون الدولي، فلكل ثقافة كرامة وقيمة يجب احترامهما والمحافظة عليهما" (بلعز، 2019)

6. خاتمة: في ختام هذه الورقة البحثية يمكننا تلخيص مجمل ما جاء فيها بالقول، أن التفكير السائد في مسألة الهوية الثقافية بوصفها شيئا واحدا وليس تعددا، هو أحد أهم العوائق التي تواجه الهوية الثقافية الجزائرية وتجعل من التنوع الثقافي مصدر إشكالات بدلا من أن تكون نقطة قوة، إن الهوية الثقافية الجزائرية بالمعنى الذي تكلمنا عليه في بحثنا هذا هي التراث المشترك للمجموعة الوطنية، وهي الإطار الجامع لمجموعة هويات فرعية يشكل الإسلام والعربية والأمازيغية عناصر أساسية، إضافة لعناصر أخرى، ومن أهم النتائج التي توصلنا إليها نذكر:

- الهوية الثقافية الجزائرية هوية متنوعة وثرية ومتعددة الأبعاد، امتزجت فيها على مر التاريخ عناصر متباينة تشكل في مجموعها الأمة الجزائرية؛
- عرفت الجزائر العديد من الإشكالات والعوائق ذات الطابع الثقافي والهوياتي بداية بالإشكال اللغوي ومشكل الاستغلال السياسي لمسائل الهوية الثقافية الجزائرية، إضافة للمشكل الاثني والجهوي؛
- أما بالنسبة للإجابة عن السؤال الأخير الذي طرحناه في بداية البحث حول السبل الواجب إتباعها لتكريس رهان الوحدة الوطنية في إطار التنوع فإننا نقدم مجموعة إقتراحات أهمها:
- يجب العمل على تحييد عناصر الهوية الثقافية الجزائرية من الصراعات السياسية، وعدم ترك المشكلات الوطنية كأداة في خدمة الصراع السياسي؛
- العمل على ترقية اللغات الوطنية من خلال دعم الهيئات المحلية القائمة على تطوير هذه اللغات وفي المقدمة منها، المجلس الأعلى للغة العربية والأكاديمية الجزائرية للغة الأمازيغية؛
- دعم عناصر الهوية الثقافية الجزائرية وقيم التنوع الثقافي من خلال البرامج المدرسية والتعليمية لخلق جيل جديد واع بأهمية الاختلاف والتنوع الثقافي الكبير في الجزائر؛

- ترقية ودعم قيمة المواطنة كإطار جامع لعناصر الهوية الثقافية الجزائرية وقالب موحد لهذا التنوع الثقافي الزاخر الذي تعرفه الجزائر.

7. قائمة المراجع:

- علي رتناسي، التعددية الثقافية مقدمة قصيرة جد، (مصر: مؤسسة هندواي، 2013)، ص 93.
- عمار بوحوش، التاريخ السياسي للجزائر، (بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1997)، ص 318.
- عيسى شنوف، يهود الجزائر 2000 سنة من الوجود، (الجزائر: دار المعرفة، 2008)، ص 91.
- ناصر جابي، الحركات الأمازيغية في شمال افريقيا، (الجزائر: منشورات الشهاب، 2018)، ص 98.
- محمد بن عبد العالي، عبد السلام سبيلا، الأيديولوجيا، (المغرب: توبقال لنشر والتوزيع، 2006)، ص 61.
- زينب زموري، دور المؤسسات الثقافية في التنمية الثقافية، اطروحة دكتوراه، (الجزائر: جامعة محمد خيضر 2017) ص 56، 57.
- الخنساء تومي، دور الثقافة الجماهيرية في تشكيل هوية الشباب الجامعي، اطروحة دكتوراه، (بسكرة: جامعة بسكرة، 2017) ص 194.
- أحمد مولاي بن نكاع، ملامح الهوية في السينما الجزائرية، أطروحة دكتوراه كلية الادب واللغات والفنون، (وهران: جامعة وهران، 2018)، ص 124.
- سارة غربي، التعددية الثقافية وسياسة الهوية، اطروحة دكتوراه، (باتنة: جامعة باتنة، 2019)، ص 41.
- علي عبد الله دريمح العتيبي، التعددية الثقافية في إطار اسلامي، مذكرة ماجستير (السعودية: جامعة ام القرى، 2014) ص 41.
- كمال بوقرة، المسالة الثقافية وعلاقتها بالمشكلات التنظيمية في المؤسسة الجزائرية، أطروحة دكتوراه كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، (باتنة: جامعة الحاج لخضر باتنة، 2008)، ص 205.
- سمية أوشن، دور المجتمع المدني في بناء الأمن الهوياتي في العالم العربي، مذكرة ماجستير، (باتنة: جامعة باتنة 2010) ص 142.
- سمير قط، البعد الأفريقي في سياسة الأمن والدفاع الوطني الجزائري، اطروحة دكتوراه، (بسكرة: جامعة محمد خيضر بسكرة، 2017)، ص 33.
- الحواس بورمة، الازدواجية اللغوية في الجزائر. بجاية، مذكرة ماستر، (بجاية: جامعة عبد الرحمان ميرة، 2016)، ص 26.

- سعاد بن قفة، حورية علي شريف، أزمة الهوية في المجتمع الجزائري في ظل التعددية اللغوية، مجلة السراج في التربية وقضايا المجتمع، العدد 02، 2017، ص 83.
- غيات بوفلجة، دور التربية في تعزيز قيم المواطنة والوحدة الوطنية، مجلة تنمية الموارد البشرية، العدد 11، 2015، ص 358.
- كريمة بلعز، فلسفة التعايش ودورها في التنوع الثقافي، مجلة آفاق علمية، المجلد 11، العدد 03، 2019، ص 611.
- ام السعدود براهيمي، قيم المواطنة ورهانات التعايش السلمي، مجلة الإبراهيمي للآداب والعلوم الإنسانية، العدد 03، 2020، ص 146.
- الهاشي لقوقي، سهيلة بن خيرة، منصور بن الزاهي، ابعاد الهوية الثقافية في الكتب المدرسية لتعليم الابتدائي، مجلة العلوم النفسية والتربوية، المجلد 07، العدد 01، 2021، ص 275.
- ثناء محمد هاشم، الهوية الثقافية والتعلم في المجتمع المصري، مجلة كلية التربية، جامعة بني سويف، الجزء 01، 2019، ص 126، 127.
- حسان حامي، الأزمة الهوياتية في المجتمع الجزائري بين التنازع الإيديولوجي والتوظيف السياسي، مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والإجتماعية، المجلد 09، العدد 29، 2017، ص 57.
- جمال حواوسة، العولمة وازمة الهوية الثقافية لدى الشباب الجزائري، حوليات جامعة قلمة للعلوم الإجتماعية والإنسانية العدد 22، 2017، ص 574.
- خيرة سحابة، الترجمة والتنوع الثقافي في الجزائر، ALTRALANG Journal، المجلد 01، العدد 01، 2019، ص 129.
- سعاد بن قفة، حورية علي شريف، أزمة الهوية في المجتمع الجزائري في ظل التعددية اللغوية، مجلة السراج في التربية وقضايا المجتمع، العدد 02، 2017، ص 83.
- عبد الوهاب غزال، وفاء بورحلي، تكريس التعددية الاعلامية عبر تحقيق التنوع الثقافي في وسائل الاعلام، مجلة الباحث الإعلامي، العدد 42، 2018، ص 121.
- عبدالناصر بن بناجي، السياسات اللغوية الكولونيالية وما بعد الكولونيالية في افريقيا، مجلة معالم، المجلد 09، العدد 12، 2019، ص 212.
- غيات بوفلجة، دور التربية في تعزيز قيم المواطنة والوحدة الوطنية، مجلة تنمية الموارد البشرية، العدد 11، 2015، ص 358.
- فاتح حاجي، الجهوية في الجزائر الواقع والافاق، مجلة الاداب والعلوم الاجتماعية، المجلد 15، العدد 26، 2018، ص 119.

- فائزة تونسي، ادريس حران، علي بوخلخال، البرامج التلفزيونية وانعكاسها على الهوية الثقافية لدى الشباب الجزائري، مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد 33، 2018، ص68،69.
- زهيرة مزار، أزمة الهوية الثقافية العربية في ظل العولمة، ملتقى القراءة للتراث والهوية في زمن العولمة، 2017، جامعة خميس مليانة، الجزائر، ص7.
- عادل بن عايش المغذوي، دور المناهج التربوية في تعزيز مفهوم الوحدة الوطنية لدى طلاب التعليم الثانوية في السعودية، الملتقى الدولي الرابع حول التربية الاسلامية، 2014، جامعة المجمعة، المملكة العربية السعودية، ص03.
- محمد ابن شماني، تطوير العربية والأمازيغية سبيل إلى الوحدة والامن اللغويين، اليوم الدراسي الأمن الثقافي و اللغوي والانسجام الجمعي، 2018، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، ص81.
- محمد داود، الهوية والتعدد اللغوي في الجزائر، اعمال اليوم الدراسي الأمن الثقافي و اللغوي والانسجام الجمعي، 2018 منشورات المجلس للأعلى للغة العربية، الجزائر، ص31.
- محمد العربي ولد خليفة (2017)، التنوع والتجانس الاجتماعي الثقافي في الجزائر الأمس واليوم <https://is.gd/5CGPKt>، (09/04/2021).
- الدستور الجزائري، المادة 02-03-04.



الهوية والتنوع الثقافي في الجزائر من منظور السياسة اللغوية

Identity and Cultural Diversity in Algeria:

The Perspective of Language Policy

أ. كمال عسلوني*

د. بوبكر الصديق صابري²

تاريخ القبول: 2021.07.02

تاريخ الاستلام: 2021.04.10

ملخص: يعدّ التنوع اللغوي والثقافي ظاهرة عامة في مجتمعات العالم، لاسيّما الجزائر التي تحظى بخصوصية ثقافية متميزة مشكّلة رصيда ثريا يستوجب من صناع القرار رعايته والمحافظة عليه. ويتمظهر هذا التنوع في اللغة والدين والتاريخ والعادات وغيرها، والتي تجسد بدورها دعائم إرساء الهوية الوطنية. وتلعب اللغة في ذلك دورا بارزا باعتبارها إحدى مقومات الهوية، مما جعل الدولة الجزائرية تتبنى مساعي عديدة في تخطيطها وسياستها اللغوية من أجل المحافظة على هذا التنوع من المخاطر. تهدف ورقتنا البحثية إلى الوقوف على أهمية التخطيط اللغوي ودوره في ترسيخ الهوية، ومدى فاعليته في تحقيق التماسك الثقافي للمجتمع الجزائري ضمن إطار التنوع الثقافي واللغوي.

كلمات مفتاحية: التخطيط اللغوي؛ السياسة اللغوية؛ التعدد اللغوي؛ الهوية؛ الثقافة.

Abstract: Linguistic and cultural diversity is a recurrent phenomenon in world societies. In Algeria, the linguistic and cultural landscape enjoys a distinct cultural specificity, constituting a rich asset that should be nurtured and preserved by decision-makers and takers. This diversity is manifested in language, religion, history, customs, etc. This diversity in turn embodies the pillar for national identity. Nonetheless, language plays a prominent role in this fabric and one of the main components of national identity. In this regard, the Algerian state has adopted many endeavors in its linguistic policy in order to preserve this diversity and unity.

Our research paper aims to identify the importance of linguistic planning and language policy and their role in consolidating identity on the one hand, and their effectiveness in achieving cultural cohesion in the Algerian society on the other.

Keywords: Language Planning; Language policy; multilingualism; identity; culture.

* - جامعة برج بوعريّيج، الجزائر.

البريد الإلكتروني: kamal.asslouni@univ-bba.dz (المؤلف المرسل)

2- جامعة برج بوعريّيج، الجزائر.

البريد الإلكتروني: sabribob34@yahoo.fr

1. مقدمة: لم تعد اللغة مجرد أداة للتواصل فحسب، بل تجاوزت هذا المفهوم لتصبح أداة معرفة وثقافة وسلطة، فهي رمز سيادة الدول وعنوان هوياتها وإحدى مقوماتها. وهي تتعلق بالحضارة والتاريخ مشكلة حمولة معرفية مسهمة في الكشف عن ثقافات الأمم وسبل ازدهارها وتطورها. والمتأمل في تاريخ الجزائر وسائر بلدان المغرب العربي يلمس تعاقب أجناس مختلفة، وتفاعل حضارات عريقة على أرضها كوّنت جملة من الثقافات المتنوعة، وتعرضها بعد ذلك إلى الاستعمار الفرنسي مما أفرز مشهدا لغويا تتشكل معالمه من: اللغة العربية واللغة الأمازيغية باعتبارهما لغتان رسميتان، اللغة العامية التي أضحت تزاحم العربية الفصحى في وسائل الإعلام والإشهار، وفي الشوارع وفي واجهات المحلات والمقاهي والأماكن العامة، واللغة الفرنسية الموروثة عن الاستعمار والتي مازالت تهدد العربية في الإدارات ووسائل الإعلام وفي المؤسسات الحكومية، إضافة إلى ظهور لغات أجنبية أخرى كاللغة الإنكليزية وغيرها.

وأمام هذا الوضع اللغوي وما أفرزته سياسة المستدمر من مشاكل أثرت بشكل كبير على الهوية الوطنية، دفع بالدولة ألا تبقى مكتوفة الأيدي، ولتسليط الضوء على الواقع اللغوي والثقافي في الجزائر، وتعامل السلطة معه في تحقيق التعايش اللغوي والثقافي، فالإجابة على الإشكالية الآتية تنتصب ضرورة، وهي: ما حدود العلاقة بين اللغة والهوية والثقافة في سياسة الدولة الجزائرية؟ وهل استطاعت السلطة وضع سياسة لغوية تنظم التعدد اللغوي والتنوع الثقافي الحاصلين في المجتمع وتكفل الحفاظ على هويتها؟

2. الإطار المفاهيمي للهوية والثقافة والسياسة اللغوية

1.2. الهوية: لغة: الهوية تعني طبيعة الشيء وكنهه وأصله، وهي مصدر صناعي مركب من (هو) ضمير المفرد الغائب المعرف بأداة التعريف (ال) ومن اللاحقة المتمثلة في الياء المشددة وعلامة التأنيث أي (ة) (البوني 1983). وهذا المصطلح من أصل لاتيني فهو يقابل كلمة (Identity) بالإنكليزية. وقد جاء في معجم الصحاح: هو بالفتح يهوي هويّا، أي سقط إلى أسفل.. والهوة: الوهدة العميقة (الجوهري، 2009).

وإذا بحثنا في المعاجم العربية القديمة لا نجد إشارة إلى مفهوم الهوية إلا من خلال معنى السقوط سواء بفتح الهاء أو ضمها.

اصطلاحاً: يعرف الجرجاني الهوية بقوله: "الهوية عند بعضهم هي الحقيقة المطلقة المشتملة على الحقائق اشتمال النواة على الشجرة في الغيب المطلق" (مناصرة، 2014). فقد تناول الجرجاني مفهوم الهوية من وجهة نظر فلسفية ودينية، واعتبر الهوية ذات الإنسان ومصدر أفعاله وسلوكاته، وبها يعرف جوهره وحقيقته.

وهناك من يرى أن الهوية متغيرة غير ثابتة، ونسبية غير مطلقة. فهي تتصف بالتطور والتحول، وهذا ما ذهب إليه حليم بركات حينما قال عن الهوية: "إنها كينونة مستمرة شكلا ومضمونا، ومن حيث علاقتها بذاتها وبالأخر" (مناصرة، 2014). فقد نجد عناصر جديدة يمكن إضافتها للهوية وتقبلها على أنها إثراء وإنماء للهوية لا إضعاف وهدم لها، وينبغي أن نؤكد هنا أن هناك أشياء ثابتة في الهوية يصعب تغييرها كالدين أو اللغة، وهناك أبعاد يمكن تعزيز الهوية بها تمشيا مع الواقع، وما يصحب ذلك من تغيرات تميز جيلا عن آخر فكرا وتوجها في الحياة ولعل هذا ما يسهم في تعقيد مفهوم المصطلح.

وازداد قلق الكثير من الباحثين في الأوساط الفكرية في سؤالهم عن الهوية التي تعرف بانفتاحها وتنوع مجالات اهتمامها، فالهوية "مفهوم أنطولوجي وجودي يمتلك خاصية سحرية تؤهله للظهور في مختلف المقولات المعرفية. وهو يتمتع بدرجة عالية من العمومية والتجريد تفوق مختلف المفاهيم الأخرى المجانسة والمقابلة له" (زاهر، 2017). إذ يصعب فعلا إيجاد تعريف جامع للهوية، ويعتبره الكثير موضوعا غامضا لأنه من القضايا التي تتقاطع فيها عدة تخصصات كالسياسة والاجتماع والنفس والفلسفة وغيرها.

ويبقى التعريف الواقعي الحقيقي متناثرا في (الإعلان العالمي لحقوق الإنسان) الذي صدر عن الجمعية العامة للأمم المتحدة سنة 1948م، والذي يتحدث عن العناصر التالية في هوية الشخص أو الفرد أو الإنسان، سواء أكان ذكرا أم أنثى: (العنصر، واللون، والجنس، واللغة، والدين، والرأي، والأصل الوطني، والأصل الاجتماعي والثروة، والمولد، والوضع السياسي، والوضع القانوني، والوضع الدولي للبلد أو الإقليم الذي ينتمي إليه الشخص سواء أكان مستقلا أو موضوعا تحت الوصاية، أم غير متمتع بالحكم الذاتي، أم خاضعا لأي قيد آخر على سيادته) (مناصرة، 2014). فالهوية ليست اسما أم لقبا أو بطاقة تعريف شخصية، إنها دائرة من عناصر وعوامل تشكّل جوهر الفرد وعنوان وجوده.

ويمكننا الحديث عن المراحل التي مر بها ظهور مصطلح الهوية، فأول نوع من الهويات هو المفهوم الإغريقي عن "المواطنة في أثينا" (زاهر، 2017)، ورأى أنها هوية فردية تناقض هوية الدولة. وقد تطابقت الهوية في أول الأمر مع الذات، ثم تطور استخدامه على يد "إريك إريكسون" الذي ربطه بإحساس الفرد بنفسه بوصفه "هوية فردية" تتميز ككيان عن الآخرين، كما صاغ مفهوم هوية الأنا (زاهر، 2017). ثم حدث الانتقال الجذري لتصبح الهوية مفهوما اجتماعيا له علاقة بالتاريخ. وتحددت معالم الهوية والعناصر المشكلة لها في مقدمتها اللغة والأسرة والعقيدة والمدرسة والمؤسسات الإعلامية والخبرات الشخصية وغيرها. وكلما جرى ذكر الهوية الآن على لسان إلا وتبادر إلى الأذهان هوية مجتمع أو أمة، تتشكل من تاريخها ولغتها ودينها وغيرها مما يعدّ ركائز أساسية لأي شعب من الشعوب.

علاقة الهوية باللغة: الحديث عن اللغة حديث عن الهوية، وبينهما علاقة وطيدة لا نذكر أحدهما بدون الآخر نظرا إلى أن اللغة أحد العوامل الرئيسة المحددة للهوية الفردية أو الجماعية، كما تعتبر معلما مركزيا في هوية الإنسان.

ونستشهد بوجهات النظر المعاصرة في علم اللغة الاجتماعي والأنثروبولوجيا التي تؤكد أن الهوية الدينية والوطنية والعرقية تتشكل باللغة، وتتشكل بها اللغة. واللغة العربية لها خصوصية فريدة عند أهلها، لأنها الوعاء الحافظ لتاريخ العرب وتراثهم، وهي لغة كتاب الله الذي أنزله على رسوله بلسان عربي مبين، ولذلك تكتسب العربية قدسيته في قلوب الملايين من المسلمين من قدسية القرآن الكريم الذي يمثل دستور حياتهم ومرجعيتهم في كل شؤونهم الدنيوية والأخروية (بركة، 2013). وقد جرت العادة إلى ذكر الهوية مع اللغة في عبارة تركيبية واحدة ولو فصلنا في القول لألفينا تباينا في تعريف وبيان جوهر كل منهما. وهو ما يؤكد "المسدي" حين وقف على جانب مهم من الفروق بين اللغة والهوية، "فاللغة ظاهرة اجتماعية، وهي اصطلاحية بامتياز، تستند إلى مكونين متلازمين، مكون مادي حسي ومكون ذهني غير مادي، أما الهوية فظاهرة رمزية مجردة ليس لها أي تحقق مادي يربطها بعوالم الحس الوجودية. الهوية انتماء بينما اللغة اكتساب، والهوية نتاؤها وليس في اللغة أصواتها وألفاظها ودلالاتها شيء ينقله الوليد عن أمه أو أبيه لمجرد أنهما أمه وأبوه. فلا أثر للغة في الخزينة الوراثية ولا في شفرة حاملها" (المسدي، 2014). ورغم محاولة المسدي التفريق بين اللغة والهوية، إلا أن التقاطع بينهما أوثق، فالبحث في الهوية لابد أن يمر على جسر اللغة، لأن "الهوية مسألة لغوية في جذورها، ولذلك تفهم ظاهرة الهوية بوصفها ظاهرة لغوية" (جوزيف، 2007).

الثقافة واللغة: لا ننكر ما للغة من ترابط وثيق مع الثقافة إن لم أقل أنها لسانها الناطق بها، فلا يمكن معرفة ثقافة مجتمع ما إلا باللغة، واللغة لا تفهم ألفاظها ودلالاتها إلا إذا صاحب ذلك دراية ببنية المجتمع الثقافية. إذ "أن اللغة نظام من العلامات نعه ذا قيمة ثقافية لأن المتحدثين يعبرون عن هويتهم وهوية الآخرين من خلال استخدامهم لها. فهم يرون أن استخدامهم للغتهم رمز لهويتهم الاجتماعية، ومنع استخدامها رفض لهويتهم الاجتماعية وثقافتهم. وعليه يمكننا القول: إن اللغة ترمز إلى واقع ثقافي" (كرامش، 2010). وهنا تكمن الصلة بين اللغة التي يتحدث بها مجموعة من الأفراد ضمن جماعات لغوية يعبرون من خلالها عن هويتهم تبعا لممارساتهم الثقافية ومعاملاتهم المشتركة.

ولكن لا يمكن أن نحصر ذلك في ثقافة مشتركة واحدة، فالتنوع الثقافي في حقيقته يضم جماعات متنوعة ثقافيا وترى "بريان باري" أن "التنوع الثقافي ذو مؤشرات متأصلة في بنية أي مجتمع، وهي تلقى بدوام اعترافا اجتماعيا إذ يعتبر الفرق بين الذكر والأنثى لبنة البناء الأساسية في التنظيم الاجتماعي في كل مكان" (الزهران وآخرون 2019).

كما يعني التنوع الثقافي "الاحتفال بالثقافات المختلفة الكثيرة في مجتمعنا التي يعبر عنها من خلال اللغات والديانات والتقاليد واللباس والفنون والرقص وأسلوب الحياة، كما أنه يتضمن ويعترف بحق الجميع في التمتع بتراثهم الثقافي. والحق في المساواة والمعاملة والفرص لكل فرد بصرف النظر عن خلفيتهم الثقافية أو الدينية أو اللغوية أو العرقية" (الزهران و آخرون، 2019). فالتنوع يقر بالاختلاف لكنه لا ينفي الوحدة والانسجام داخل الجماعات الثقافية والقائمة على مبدأ التعايش والاحترام والحوار والتسامح. وتسعى في سبيل ذلك الدولة إلى صهر ذلك في بوتقة واحدة من أجل الحفاظ على الحريات ودعم الاستقرار السياسي والاجتماعي.

2.2 السياسة اللغوية: لغة: في المعاجم العربية، مصدر ساس يسوس سياسة، ومادته "سوس"، سست الرعية سياسة: أمرتها ونهيتها. وفلان مجرب قد ساس ويسس عليه (الفيروزابادي، 1987). أما في المعاجم الغربية، فيرجع استخدام مصطلح السياسة إلى مصطلح "بوليتيك" المشتق من الكلمات اليونانية التالية (دريال، 2014):

-بوليس: البلدة، المدينة، المقاطعة، أو: أيضا تجمع السكان الذين يؤلفون المدينة.
-بوليتايا: الدولة، الدستور، النظام السياسي، الجمهورية، المواطنة (بمعنى حقوق المواطنين).
-بوليتيكا: جمع بوليتيكوس: الأمور السياسية، الأمور المدنية، كل ما تعلق بالدولة، وبالدستور، وبالنظام السياسي، وبالسيادة.

اصطلاحا: تعرف السياسة بأنها: "رعاية شؤون الدولة الداخلية والخارجية...وتعبر السياسة عن عملية صنع قرارات ملزمة لكل المجتمع تتناول قيما مادية ومعنوية وترمز لمطالب وضغوط، وتتم عن طريق تحقيق أهداف ضمن خطط أفراد وجماعات ومؤسسات ونخب حسب إيديولوجيا معينة على مستوى محلي أو إقليمي أو دولي" (الدعدي 2013).

أما السياسة اللغوية فيقصد بها "القوانين الرسمية التي تخطط لتهيئة لغة معينة في مجتمعات متعددة اللغات فتجعل من لغة معينة لغة رسمية بقوة القانون والدستور" (عزوز و خاين، 2014). والسياسة اللغوية نشاط ممنهج تمارسه الدولة لتنظيم الشأن اللغوي في البلاد، وتحديد وظائف ومجالات استعمال كل لغة وطنية كانت أو أجنبية (القاسمي، 2015). ويقوم هذا النشاط على التخطيط اللغوي غير أنه لا يقف عنده، بل يتعداه إلى التطبيق والتنفيذ عن طريق إصدار مجموعة من القوانين أو إنشاء المؤسسات.

ويرى علماء اللسانيات الاجتماعية الفرنسيون أن السياسة اللغوية تشتمل على التخطيط اللغوي والتدبير اللغوي في حين يستخدم المختصون الأمريكيون مصطلحي السياسة اللغوية والتخطيط اللغوي بوصفهما مترادفين (القاسمي 2015). لكن توصف العلاقة بينهما بأنها علاقة النظرية بالتطبيق العملي.

وتهدف السياسة اللغوية: إلى إحياء لغة ميتة أو جعل لغة ما لغة رسمية، وإذا أجرينا مسحاً لكتابات اللسانين العرب حول السياسة اللغوية التي ينبغي أن تتبناها البلدان العربية، نجد أن الأهداف المقترحة هي (القاسي 2015):

_ صيانة اللغة العربية الفصحى المشتركة وتنميتها لتكون أداة فاعلة في اكتساب المعرفة ووسيلة لترسيخ الهوية الوطنية والتكامل العربي، وتعميم استعمالها في وسائل الإعلام والتعليم والمؤسسات الحكومية وغيرها؛

_ المحافظة على اللغات الوطنية في البلدان العربية، كالآشورية في العراق، والسريانية في سوريا، والأمازيغية في بلدان المغرب العربي باعتبارها روافد للثقافة العربية المشتركة؛

_ العناية بتعليم اللغات الأجنبية، وترقية عملية الترجمة من تلك اللغات إلى اللغة العربية، ومن العربية إلى لغات أجنبية أخرى، باعتبار هذه اللغات نوافذ على العالم للتبادل الثقافي والعلمي.

وليس غريباً أن نربط الهوية ومقوماتها بالسياسة اللغوية، فإذا عدنا إلى تاريخ نشأة مصطلح التخطيط اللغوي نجد أن سبب ظهوره هو حل مشكلات لغوية في بلد النرويج من أجل بناء هوية وطنية بعد قرون من الهيمنة الدانماركية، وكان ذلك عام 1959م على يد إينار هوجن (كالفى، 2008).

3. السياسة اللغوية في الجزائر وأبعاد الهوية الوطنية: إن المجتمع الجزائري مجتمع متنوع الثقافات واللغات وتشكل عناصر هويته من ثلاثة أبعاد رئيسية ذكرها الدكتور صالح بلعيد: البعد الإسلامي، البعد العربي والبعد الأمازيغي (مناصرة، 2014). ولعل الهوية تتمركز حول الدين، والعرق، واللغة، والثقافة، والتاريخ المشترك. هذه الهوية التي حاول الاستعمار طمسها بشق الأشكال طيلة سنوات عديدة غير أن الجزائريين لم يسمحوا ولن يسمحوا بأي حال من الأحوال أن تمحى هويتهم لصالح هوية من قام باحتلالهم. وقبل الخوض في عناصر الهوية الوطنية علينا أن نقف أولاً عند السياسة الاستعمارية في الجزائر في فترة الاحتلال.

1.3 السياسة الاستعمارية وأثرها على الهوية والثقافة: لقد مارس الاستعمار الفرنسي طقوسه على الجزائريين خاصة ما تعلق بنظامه التربوي والتعليمي الذي قام بفرضه بالقوة، هذا النظام الذي حاول تجريد الجزائريين من هويتهم القائمة على مبادئ الإسلام الدينية واللغة العربية؛ إذ حرص على القضاء على الأسس الدينية التي كان يبنى عليها التعليم منها المدارس القرآنية والمساجد والكتاتيب وغيرها. وقد "كان هذا التراث الثقافي في الجزائر أحد أهداف المستعمر الأساسية. وترجم عمل تبديد الشخصية الذي قام به بإقفال المساجد، والمدارس، التي يتم التعليم فيها بالعربية. كما دمّرت الزوايا باعتبارها مراكز ثقافة، ومقاومة، وحوّلت تلك التي حوفظ عليها إلى مراكز تعاون وقصر التعليم فيها على قراءة القرآن" (قيطوط، 2017). إضافة إلى محاولات التنصير وتحويل المساجد إلى كنائس، ولم يقف الفرنسيون عند هذا الحد، بل كان هدفهم جعل الجزائر فرنسية.

وقد ظهر في ذلك الوقت موقفان متباينان للجزائريين من الإدارة الفرنسية، فهناك من فهم أن دخوله للمدرسة الفرنسية وتعلمه فيها يعتبر وسيلة لفهم اللغة الأجنبية وتحقيق التواصل، مما يمنحه فرصة لاستعمالها ضد الفرنسيين فيما بعد. وتوجّه آخر يرى أنه لا بديل له عن ثوابته الوطنية، وعن عناصر هويته التي لن يفترط فيها أو يستبدلها وقد تشبّع بثقافة عربية إسلامية. وسيلتقي هذان التوجهان حديثاً في المجتمع الجزائري ليمثلا قطبين متعارضين في موقفهما من الثقافة الفرنسية بين معرّب ومفرنس (قيطوط، 2017).

غير أننا لا نبخس جهود جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في تلك الفترة، فمن مصادر تلك الثقافة العربية الإسلامية ما بناه عبد الحميد بن باديس من مدارس لتعليم اللغة العربية للأطفال، "ومن مجالاتها التربية الوطنية والدينية، إذ بلغ عددها مئة وخمسين مدرسة انتشرت في جميع البلاد، وكان شعارها: الإسلام ديني، والعربية لغتي والجزائري وطني" (قيطوط، 2017).

ليس هذا فقط، بل عمل الفرنسيون على تقسيم الجزائر من خلال مداعبة الأمازيغ واستغلال خصوصيتهم العرقية واللغوية لتجعل من ذلك وسيلة ضغط وتفريق، حتى "وجد الأمازيغ أنفسهم وسط مواجهة تتجاوزهم بين فرنسا المستعمرة التي تغازلهم، وبين القوميين الذين كانوا يشكّون في إسلامهم، بل في تعاونهم مع العدو" (قيطوط 2017).

2.3 أبعاد الهوية الوطنية: العلاقة بين اللغة والهوية علاقة وثيقة جدا يضاف إليها التاريخ المشترك، لكن لا ننكر ما للدين من رباط وثيق مع الهوية، وقد تجسدت بذلك أبعاد الهوية على الشكل الآتي:

البعد الإسلامي: رغم محاولات المستعمر القضاء على عقيدة الجزائريين وإبعادهم عن الإسلام ونظمه ومبادئه إلا أنّهم حافظوا على دينهم مدافعين عن قيمه وتعاليمه بجمعية العلماء المسلمين الجزائريين الذين دأبوا جاهدين على الحفاظ على الشخصية الوطنية وعمادها الإسلام باستغلال الزوايا والمساجد والكتاتيب وبقية المراكز التي أنشئت لهذا الغرض.

وبعد الاستقلال، فقد نصّت العديد من الدساتير إلى يومنا هذا-على أن الإسلام دين الدولة، و"سعت الدول الجزائرية بعد ذلك إلى محاولة دولنة الحقل الديني، من خلال هيكلة الحقل الديني، وجعله وظيفة إدارية وسياسية ضمن مهام الدولة، وتجسّد ذلك عن طريق إخضاع المساجد لرقابة الدولة وتسييرها" (الزهران وآخرون، 2019).

وامتد اهتمام الدولة إلى سائر المؤسسات الدينية كالكتاتيب والزوايا، هذه الأخيرة التي أثبتت حضورها مؤخرا على الساحة السياسية، إذ تم توظيف العديد منها لأغراض سياسية خاصة مع تنامي ظاهرة العنف والإرهاب.

البعد العربي: يمكن اعتبار الواقع اللغوي الجزائري وضعاً معقداً بسبب التحديات التي تواجهها سياسة الدولة اللغوية في ظل وجود لغتين رسميتين العربية والأمازيغية، ومزاحمة اللغات العامية، إلى جانب طغيان استعمال اللغات الأجنبية.

فالمأمل في هذا الوضع اللغوي يرى انتشاراً واسعاً للغة المستعمر الفرنسية في الجامعات والمعاهد والإدارات ووسائل الإعلام وتعليمها في المدارس، مما يهدد اللغة العربية ويكون سبباً بدوره في إحداث خلل في الهوية الوطنية للجزائريين. فاللغة الفرنسية هي أول لغة أجنبية في البلاد يتم التحدث بها واستخدامها في التدريس وفي الإدارة وفي المعاملات، ومن العوامل التي ساعدت على ذلك: الوجود الطويل للاستعمار الفرنسي، وسياساته التعليمية على مدى مئة وثلاثين عاماً من الاستعمار، واعتبار الجزائر مقاطعة فرنسية. ويضاف إليها حديثاً تلك الروابط الاجتماعية والثقافية القوية التي مازالت تجمع المهاجرين الجزائريين وذوي الجنسية المزدوجة بعائلاتهم وأقاربهم وأصدقائهم، مما جعل فرنسا الوجهة الأكثر شعبية للسياح الجزائريين. ناهيك عن تطور الاتصالات السلكية واللاسلكية وتوفير الأقمار الصناعية مما أتاح الفرصة لمشاهدة قنوات تلفزيونية فرنسية أو قنوات تتكلم اللغة الفرنسية على عمومها.

ولابد أن نقف عند التوتر الدائر بين التيار الفرانكفوني والتيار العربي، وهو يجسد في الحقيقة صراعاً سياسياً وإيديولوجياً، "فدعاة العربية يرفضون اللغة الفرنسية لأنهم يريدون إحداث قطيعة مع الماضي الاستعماري حتى يتم ترسيخ الهوية الجزائرية بالحفاظ على الوحدة الوطنية من خلال اللغة العربية، أما النخبة الفرانكفونية أو كما يصفونها بحزب فرنسا، فيرون ضرورة الحفاظ على جميع اللغات بما فيها الفرنسية لأنها تمثل تراثاً ثقافياً وتنوعاً لغوياً لا يهدد الوحدة الوطنية" (ahmed, 2020). ومهما يكن من أمر فإن الغزو الاستعماري وما تبعه من إجبارية تعلم اللغة الفرنسية لابد أن يصحبه وعي وإدراك بأهمية العناية باللغة العربية الأم، والنظر للثقافة الوطنية بمنظار التقدير والاحترام. وإن كان الاحتكاك الثقافي يتطلب إجادة اللغات الأجنبية فلا يعني إهمال اللغة الوطنية الأم. واعتناءً بالعنصر المستهدف من المستعمر تبنت الدولة سياسة التعريب منذ الاستقلال، وأقرت في دساتيرها إلى يومنا هذا أن اللغة العربية هي اللغة الوطنية والرسمية للبلاد.

البعد الأمازيغي: قبل الحديث عن وضع اللغة الأمازيغية وسياسة الدولة اتجاه هذه اللغة منذ الاستقلال، لابد أن نقف وقفة تاريخية عند الأمازيغ وبداياتهم.

فالمعروف تاريخياً أن "الأمازيغ أو البربر هم السكان الأصليون للجزائر وشمال إفريقيا، وهو اسم يطلق على من يتكلم الأمازيغية، وينتشرون في مساحة تمتد من واحة سيوة على مشارف مصر شرقاً، حتى المحيط الأطلسي وجزر الكناري غرباً، وعلى امتداد الصحراء الكبرى والساحل الإفريقي حتى موريتانيا ومالي والنيجر جنوباً" (القاسمي، 2015).

وقد اختلفت العديد من الآراء حول تاريخ سلالة البربر وأصلهم وموطنهم، فهناك من يعتبرهم السكان الأصليين لشمال إفريقيا وهناك من يفند ذلك. لكن الرأي الأرجح أن " بلاد البربرية هذه (تمازغا)، كما يسميها البعض أحيانا، كانت منذ ما قبل التاريخ، مسرح صراع مستمر، ومطمع غزاة متباينين، ومتتاليين، تركوا فيها جميعهم، من الفينيقيين إلى الأوروبيين، مروراً بالإغريق، والرومان، والفنداليين، والبيزنطيين، والعرب والعثمانيين، وبضعة آخرين، أثراً أياً كان شأنه، لكن العرب هم من يستقرون فيها نهائياً، اعتباراً من القرن السابع الميلادي، ما ترتب عليه وجود لغة، هي العربية، ودين، هو الإسلام، وجوداً دائماً، منذ ذلك الحين" (قيطوط 2017). وبعد الفتح العربي لشمال إفريقيا عملوا على تعريب البربر وعلموهم اللغة العربية وحفظوهم القرآن وجعلوا دينهم الإسلام.

هذا تاريخياً، أما في الجزائر المستقلة لم تحظ الأمازيغية باهتمام كبير مما أفرز حركات ثقافية بربرية تدعو إلى إعادة الاعتبار للثقافة الأمازيغية، والاعتراف باللغة الأمازيغية. وقد شهد الوضع السياسي للبلاد توترات عنيفة لتلبية تلك المطالب؛ إذ من الصعب تصور البربر الجزائريين على أنهم أقلية في بلد له تاريخ كبير، فاللغة الأمازيغية يتحدث بها الكثير على نطاق واسع، وفي مواقع جغرافية مختلفة، منها ما تحظى بكثافة سكانية للأمازيغ. والأمازيغية أصناف كالقبائلية والشاوية والميزابية وغيرها. ومن باب العناية بالثقافة الأمازيغية تم تأسيس المحافظة السامية للأمازيغية سنة 1995م، من أجل تعزيز وتطوير الأمازيغية (الزهران و آخرون، 2019)، وتم إطلاق دورات لخريجي اللغة والدراسات العليا في الأمازيغية من أجل تعليمها وإدراجها في النظام التعليمي كخطوة أولى لتعميمها في المستقبل.

وقد حققت اللغة الأمازيغية بعض مستويات الاعتراف الرسمي لها بدءاً من القناة الإذاعية بالأمازيغية، إلى تقديم موجز لها بعد نشرة أخبار الواحدة زوالاً والثامنة مساءً على القناة التلفزيونية الوطنية، ثم أصبحت تقدم نشرة خاصة بالأخبار باللغة الأمازيغية على الساعة السادسة مساءً. حتى تم اعتماد قناة خاصة لها في التلفزيون العمومي، كان ذلك سنة 2009م (القناة الأمازيغية، 2020). أما في الدستور الجزائري فقد تم اعتبار اللغة الأمازيغية لغة وطنية في دستور 2002م، ثم اعتبارها لغة وطنية ورسمية في دستور 2016م المعدل مما أثار ترحيباً واسعاً لدى الأمازيغ (الزهران و آخرون، 2019). وفي دستور 2020م، تم اعتمادها لغة وطنية ورسمية وجب تعميمها وتطويرها والعناية بها. وبقرار جمهوري سنة 2018م، أعطى رئيس الدولة عبد العزيز بوتفليقة بعض الحقوق الثقافية للسكان الأمازيغ باعتبار الثاني عشر من جانفي أو يناير (بداية التقويم الأمازيغي) عيداً وطنياً وجب الاحتفال به عبر أنحاء البلاد بدءاً من العام نفسه.

وحالياً، لم يعد النقاش حول الأمازيغية: هل هي لغة أم لهجة، يطرح بشكل كبير في المنتديات الفكرية والعلمية؛ إذ يتفق المختصون على أن الأمازيغية لغة مستقلة تنقسم إلى عدة فروع ذكرناها سابقاً.

4. خاتمة:

ومما سبق ذكره، فقد حاولت الدولة الجزائرية أن تدرج في سياستها اللغوية منذ الاستقلال عناصر الهوية الوطنية ومقوماتها بأبعادها الثلاثة: اللغة العربية، اللغة الأمازيغية والدين الإسلامي، جاهدة على العناية بثقافتها المتعددة. لكن ينبغي أن نعترف أن أهم مشكلة تعترض مخططي اللغة هو تعيين لغة رسمية في مجتمع متعدد اللغات. ويمكن أن نوجز ما توصلنا إليه في النقاط الآتية:

- تعتبر اللغة إحدى الركائز الأساسية للهوية ووسيلة التعبير عن الثقافات، ومن الواضح أنها تلعب العديد من الأدوار المختلفة في الخطابات القومية والصراعات السياسية والاجتماعية؛
- إن السياسة اللغوية المنتهجة من طرف الدولة لابد أن تكون وثيقة الصلة بالسياسات الأخرى كالثقافية والتربوية والاقتصادية وغيرها حتى تضمن نجاعتها بتكاملها؛
- استثمار وسائل الإعلام في إحداث اللحمة بين أطراف المجتمع الجزائري على اختلاف مشاربه واتجاهاته؛

- ضرورة استغلال مؤسسات الدولة بما يحفظ لها هويتها وثقافتها ويساعد على حفظ أمنها الهوياتي واستقرارها؛

- التجسيد الفعلي لما تمليه سياسة الدولة اللغوية عبر مؤسساتها الحكومية.

وبذلك تكون الجزائر المستقلة قد اعتمدت سياسة لغوية متدرجة الأهداف والإجراءات لتحقيق الوثبة النوعية بما يضمن التعايش السلمي بين عناصر الهوية الوطنية وإحداث التماسك والانسجام بين ثقافتها المختلفة، ليكون تنوعها مصدر قوة ولحمة توحد الجميع من أجل مشروع وطني يشارك فيه الجميع دون إقصاء.

5. قائمة المراجع:

1. ahmed, h. (2020). Education for Citizenship in Algeria: A Study of Beliefs and Practices with Special Reference to English Curricula and Textbooks. algeria: university of algiers 2.
2. أحمد عزوز، و محمد خاين. (2014). العدالة اللغوية في المجتمع المغربي (المجلد 1). الدوحة، قطر: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات.
3. الجوهري. (2009). تاج اللغة وصحاح العربية. القاهرة: دار الحديث.
4. الفيروزبادي. (1987). القاموس المحيط. بيروت: مؤسسة الرسالة.
5. القناة الأمازيغية. (2020). تاريخ الاسترداد 22 جانفي، 2020، من ويكيبيديا الموسوعة الحرة.
6. المسدي. (2014). الهوية العربية والأمن اللغوي. الدوحة: المركز العربي للأمن.

7. بسام بركة. (2013). اللغة والهوية في الوطن العربي. بيروت، لبنان: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات.
8. بلال دربال. (2014). السياسة اللغوية: المفهوم والآلية. المخبر.
9. جون جوزيف. (2007). اللغة والهوية. (عبد النور خرافي، المترجمون) الكويت: عالم المعرفة.
10. ضياء الدين زاهر. (2017). اللغة ومستقبل الهوية: التعليم أنموذجا. الاسكندرية، مصر: وحدة الدراسات المستقبلية.
11. عز الدين مناصرة. (2014). الهويات والتعددية الثقافية. عمان، الأردن: الصايل للنشر والتوزيع.
12. عفيف البوني. (نوفمبر، 1983). في الهوية القومية العربية. المستقبل العربي.
13. علي القاسمي. (2015). السياسة اللغوية وعلاقتها بالتخطيط التربوي والتنمية البشرية. الندوة الدولية: التخطيط والسياسة اللغوية. الرياض: مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز لخدمة اللغة العربية.
14. كلير كرامش. (2010). اللغة والثقافة (المجلد 1). (أحمد الشيمي، المترجمون) قطر: وزارة الثقافة والفنون والتراث.
15. لويس جان كالفي. (2008). حرب اللغات والسياسات اللغوية (المجلد 1). (حسن حمزة، المترجمون) لبنان، لبنان: المنظمة العربية للترجمة.
16. مقبل بن عدي الدعدي. (2013). أثر السياسة في العربية: الأبجدية أنموذجا. مجلة الدراسات اللغوية.
17. ميشيل قيطوط. (2017). المشهد اللغوي وتعليم اللغات في المغرب العربي من النشأة إلى إيامنا (المجلد 1). (خالد محمد جهيمة المترجمون) ليبيا: الجامعة الأسمرية الإسلامية.
18. نسيصة فاطمة الزهراء، و آخرون. (2019). الأمن الهوياتي في ظل التنوع الثقافي اللغوي في الوطن العربي. قسنطينة: منشورات ألفا للوثائق.



آليات ترجمة المصطلح اللساني وفوضى المفاهيم
في "القاموس الوجيز في المصطلح اللساني" لعبد الجليل مرتاض
Mechanisms of translating the linguistic term and the chaos of concepts
in the brief dictionary in the linguistic term of Abd al-Jalil Murtad

د. فتوح محمود*

د. قردان الميلود²

تاريخ القبول: 2021.12.23

تاريخ الاستلام: 2021.07.29

ملخص: يعالج هذا المقال الجهود الفردية في نقل المصطلح وترجمته في العربية المعاصرة الذي شغل اهتمام الكثير من الباحثين والمفكرين، غير أن هذه الجهود المبذولة وقعت في عثرات كثيرة وبخاصة في اللغات المتخصصة من حيث الضبط المفهومي والتوحيد المصطلحي. وتعدُّ محاولة عبد الجليل مرتاض من بين الجهود العلمية الجزائرية ذات اللمسة الفردية والمميزة في صناعة معجم متخصص في المصطلحات اللسانية المعاصرة، بتطرقه إلى الآليات التي اعتمدها في ترجمة المصطلح الغربي، ثم نسلج أهم المثلث التي وقع فيها المؤلف في ضبط وتحديد المفهوم الاصطلاحي المتخصص، ونبين التداخل والتكرار في نقل المصطلح الأجنبي مقابل اللفظ العربي. كلمات مفتاحية: المصطلح اللساني؛ الترجمة؛ فوضى المفاهيم؛ عبد الجليل مرتاض؛ القاموس الوجيز.

Abstract: This article deals with individual efforts to transfer the term and translate it into contemporary Arabic, which has occupied the interest of many researchers and thinkers. However, these efforts have fallen into many pitfalls, especially in specialized languages in terms of conceptual control and terminological unification. Abdel-Jalil Murtad's attempt is among the Algerian scientific efforts with an individual and distinctive touch to create a dictionary specializing in contemporary linguistic terms. The deficiencies in which the author fell in controlling and defining the specialized idiomatic concept, then showing the overlap and repetition in the transfer of the foreign term against the Arabic term.

Key words: The linguistic term; Translation; A mess of concepts; Abdul Jalil Mortad; The Brief Dictionary .

* - جامعة تيسمسيلت، الجزائر.

البريد الإلكتروني: mahmoud.fettouh@gmail.com (المؤلف المرسل)

2- جامعة تيسمسيلت، الجزائر.

البريد الإلكتروني: mouloudradwane@hotmail.com

1. مقدمة: لقد شهد القرن العشرين تطوراً رهيباً وثورة لسانية كبيرة في مختلف مجالات العلوم العربية، وكان من نتائجها ظهور عقبات كبيرة في وضع المصطلح اللساني والتّقيدي وترجمته وتعريبه بين التّقاد العرب واللّسانيين والمهتمين بالترجمة، وهنا ظهرت العديد من المصطلحات الجديدة التي لا عهد لها باللسان العربي فكان لزاماً على الباحث العربي والأكاديمي أن يشدّ أزره ويشمر على سواعده من أجل أن يهيئ نفسه ويجهز فكره ومعجمه اللساني لايجاد مقابلات عربية أو مصطلحات موازية لهذه المفاهيم الغربية للتعامل مع هذا الانفجار المعجمي الذي جاءت به الحضارة الغربية.

وفي هذه الفترة تعددت الجهود العربية والإسهامات النقدية لدراسة المصطلحات اللسانية وترجمتها ونقل مفاهيمها الغربية إلى اللغة العربية، وذلك بتأليف معاجم متخصصة (أحادية أو ثنائية اللغة) تعنى بالمصطلحات اللسانية، لأن الاهتمام بالمصطلح يعدّ "العصب المركزي الذي يهيمن على منظومة الفكر، شأنه في الخطاب شأن الأعمدة في البناء، ما لم تستوف موضعها فإن البناء مآله إلى انهيار، وكثيرة هي الأبنية التي تهاوت ابان الهزة الأولى حال الصدام بين المفهوم والمصدق" (عزت، 2003).

وإن الملاحظ في بعض المعاجم اللسانية التي دُونت في السنوات الأخيرة يجد أنها قد تميزت بأغلبية الطابع الفردي ذات النزعة الذاتية والاجتهادات الشخصية، وهذا ما كوّن شحنة قوية وضبابية عاتمة أحياناً وتشتت واسع في نقل المصطلح وترجمته في العربية المعاصرة، نتيجة التعصب أو الأخذ من معاجم وقواميس عامة غير متخصصة، أو غياب هيئات علمية أكاديمية مختصة من مجامع لغوية ومراكز للتعريب والترجمة في الوطن العربي يركن إليها واضع المصطلح اللساني.

ومعلوم أن معاجم المصطلحات اللسانية التي دونت وتداولت بين اللسانيين وأهل الاختصاص للتعبير عن الأفكار والمعاني اللسانية، يمكن أن تكون "مظلة بحثية تضم تحت جناحها أعمالاً علمية تبحث في المصطلحات اللسانية" (استيتية، 2008)، وإن منهجية هذه المعاجم في وضع المصطلحات اللسانية تنطلق من مبدأ أن كل ما "ألف من معاجم أو مسارد لهذه المصطلحات، وهي في معظمها تتخذ المصطلح الأجنبي أو المفهوم الأجنبي منطلقاً للبحث عن مقابل عربي، وليس العكس" (عمر، محاضرات في علم اللغة الحديث 1995) (عمر أ، 1989).

وعليه فإننا نقصد بالمصطلح اللساني هو "الذي دخل إلى الدرس اللساني العربي عن طريق الترجمة باعتبارها نقلاً للمفاهيم المستجدة على ساحة اللسانيات خلال القرن العشرين" (مقران، 2007).

وإن المتأمل والمتمعن النظر فيما يكتب اليوم ويترجم للمصطلحات اللسانية الغربية في الآونة الأخيرة، يجد أن الطابع العفوي هي سمة اتسم بها جهدهم في دراساتهم وصناعة معاجمهم، وهي في الحقيقة "عفوية لا تقترن بمبادئ منهجية دقيقة، ولا بالاكتراث بالأبعاد للمشكل المصطلحي، وقد قادت هذه العفوية إلى الكثير من النتائج السلبية، وفي مقدمتها الاضطراب والفوضى في وضع المصطلحات، وعدم تناسق المقابلات المقترحة للمفردة الأجنبية" (الفهري، 1989) ؛ لأن الفجوة

الحقيقية منبعها يكمن في "توليد المصطلح واستعماله، الأمر الذي أدى إلى اختلاف وجهات النظر وأثر على نتائج البحث والمردود التربوي وولّد لدينا تبعية مصطلحية، فالغرب ينتج ونحن نترجم دون إدراك أصول الترجمة والتحكم في اللغة المنقول منها والمنقول إليها وإدراك الخلفيات الثقافية والأسس الفكرية الكامنة خلف المصطلحات والموجهة لها نحو تحقيق أهداف محددة، وقد أثر هذا على كل صيغ الخطاب العربي إعلاما واقتصادا وتربية وبحثا علميا وسياسيا وثقافة ورؤيا مستقبلية"⁶ (ابير، 2006)

وبالرغم من الجهود التي بذلت في صناعة المعاجم اللسانية المتخصصة ويحق لنا أن نفتخر بها إلا أننا ما زلنا نجد الكثير من الاضطراب واللبس والضبابية وغياب الدقة في ترجمة المصطلح وإيجاد المقابل الدقيق له وهي في الحقيقة مرض عضال أصاب هذه الجهود فأرداها طريحة الفراش بين الكثير من المترجمين والنقاد فكانت النتيجة تعدد المقابلات العربية للمصطلح الأجنبي الواحد، زيادة على ذلك غياب الضوابط المشتركة في ترجمة المصطلح وتعريبه.

وإننا في هذه الصفحات الوجيزة سنقف عند جهد الباحث الأكاديمي والأديب الجزائري عبد الجليل مرتاض في معجمه الموسوم: القاموس الوجيز في المصطلح اللساني، ونقتبس منه أبرز المصطلحات اللسانية التي وقع فيها بعض اللبس والخلط والغموض والضبابية في ضبط المفاهيم وتحديد المقابل للمصطلح الأجنبي بمختلف آليات وضع المصطلحات اللسانية التي تعدّ "المادة الخام التي يجب أن تعالج داخل مختبر التحليلات بكل الأدوات والامكانيات لتقطر منها المعلومات المصطلحية تقطيرا"⁷ (البوشغي، 2004)، من أجل الوصول إلى رؤية منهجية ونقدية حديثة توضح هذه العثرات التي يجب تجاوزها وإيجاد حلول عاجلة لها.

2. قراءة في المعجم: يعدّ هذا المعجم (القاموس الوجيز في المصطلح اللساني فرنسي-عربي) من بين المعاجم اللسانية المعاصرة الثنائية اللغة (فرنسي-عربي) التي دونت في الآونة الأخيرة من تأليف الروائي والأديب والناقد والباحث الأكاديمي الجزائري عبد الجليل مرتاض، والصادر عن دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع في طبعته الأولى سنة 2017م وهو عبارة عن جهد علمي وفكري بذله المؤلف منذ فترة من الزمن في البحث والتقصي في كتب التراث العربي القديم والمعاجم اللسانية الحديثة والمعاصرة لتحقيق مبتغاه، وكل هذا زاده ثقة وعزيمة في جمع موادّه وتصنيفها وترجمتها، لأنه رأى من خلال تجربته الطويلة في التدريس والبحث والتطبيق والتأليف والإشراف أن الطلبة الباحثين بحاجة ماسة إلى مثل هذه المحاولات لعلمها تشفي غليل القارئ وتطفئ نار عطشهم وتزيح عنهم ضبابية المصطلحات اللسانية التي قذفتها الثقافة الغربية وتعددت ترجماتها بين النخبة المثقفة في العالم العربي في المعاجم والقواميس، فقال: إن "ممارستنا الميدانية الطويلة في التدريس والتأطير الجامعيين لفت نظرنا إلى ما يعانيه الباحثون المبتدئون في مواد أدبية ونقدية ولسانية... من شعور بالنقص

والفقروهم يهيئون رسائلهم الجامعية ميدانيا، فكان عملنا محاولة التجاوب معهم ليس إلا⁸ (مرتاض 2017).

وقد نبّه عن جهود الأعمال التي خصت بدراسة المصطلحات وتدوينها في المعاجم والقاموس سواء كانت صادرة من الهيئات التابعة للمنظمات العربية والإسلامية أم بجهود فردية تبقى يرتابها النقص والتكرار في تناقل المصطلحات فيما بينها، حتى "إن تصفحك لقاموس مزدوج عام (فرنسي-عربي أو إنكليزي-عربي) قد يغنيك في أحيان كثيرة عنها، ذلك أن جل هذه القواميس لا تكلف نفسها من مقابلة كل كلمة أجنبية بما يقابلها عربيا من ألفها إلى يائها، مع أن الباحث العربي بعامة والطالب بخاصة في حاجة إلى ما يصحب كل مصطلح لساني من معلومة تقدّمه وتشرحه إن لم تشف غليله ونهمه وتقنع طموحه، فلا أقل من أن تلبّي فضوله وتهديه إلى ما يرومه من مرامات في معترك هذه المصطلحات اللسانية الحديثة"⁹ (مرتاض، 2017).

وهذا المعجم سمي: بالقاموس الوجيز؛ لأنه لا يشكل إلا خمس -كما صرح صاحبه- من القاموس الضخم الذي يسعى مؤلفه إلى اخراجه للنور والموسوم: «قاموس موسوعي للمصطلح اللساني»، الذي يناهز الألفي صفحة.

3. مميزات القاموس الوجيز في المصطلح اللساني: معلوم أن أي عمل فردي يحتاج إلى إعادة نظر وضبط وقراءة ثانية، لأن اجتهاد أي باحث كان -مهما بلغ من العلم- يبقى محدودا، وتظهر فيه بعض المثالب والهنات التي لا يتفطن لها الباحث لوحده، وبخاصة في ضبط المصطلحات وتحديد دلالاتها، فمثل هذه الأعمال تحتاج "إلى إعادة بناء وتصويب باستمرار، إلى أن يثبت منه ما يثبت عند أهل الصنعة والاختصاص ويذبل ما يذبل من المفردات فينزاح"¹⁰ (العمرى، المغرب).

ولذا فإن أي عمل مصطلحي يقوم به الفرد لوحده -مهما بلغ من الدرجة والرقى- ودون التواصل مع الهيئات المختصة من منظمات علمية وهيئات أكاديمية ومجامع لغوية داخل أو خارج البلد العربي الواحد، يبقى العمل والجهد محل دراسة ومراجعة وإعادة نظروضبط وتحديد بعض النقاط والتنويه بها؛ لأن التأليف في معاجم المصطلحات ليس بالأمر السهل على أي باحث كان لوحده، لأن العمل يحتاج إلى جهد كبير ووقت طويل للبحث والمقارنة والموازنة واتخاذ القرار الصائب، بسبب كثرة المصطلحات اللسانية وتعدد مجالات استعمالها واختلاف مفاهيمها وتنوع في ترجماتها بين الباحثين المتخصصين.

وكأي معجم كان يحتوي على مميزات حسنة ورصيد معرفي ضخم زاخر بالكثير من المصطلحات، فإن به مثالب لا بد من الإشارة إليها وتجاوزها؛ لأنها تؤدي إلى عقبات في وضع المصطلح واضطرابه لدى النقلة والمثقفين والطلبة الباحثين، ومما لا بد منه في الإشارة إلى القاموس الوجيز في المصطلح اللساني هو توضيح آليات وضع المصطلح والهنات التي وقع فيها المؤلف في نقله للمصطلحات اللسانية:

3_1: آلية الترجمة: تتمثل هذه الوسيلة "في اختيار اللفظ العربي الأنسب لأداء مدلول اللفظ الأعجمي"¹¹ (الصالح، 1983) فهي نقل اللفظ بمعناه إلى ما يقابله في اللغة العربية، وهنا فالمترجم لا يبتدع لفضا عربيا جديدا، بل يستفيد من الألفاظ العربية الموجودة للدلالة على معان أو ذوات جديدة سدا لحاجة دلالية إزاء الألفاظ الأجنبية التي تدل على تلك المعاني والذوات¹² (شحاتة، دراسات في الترجمة والمصطلح والتعريب، 1992) ومن بين المشاكل التي صادفت مصطلحاته في المعجم:

ـ الضبابية في ضبط المصطلحات: إن الضبابية ونقص الضبط وغياب الدقة في تحديد المصطلحات سمة بارزة في صناعة المعاجم اللسانية المعاصرة، ويرجع السبب في ذلك إلى نقص الممارسة والتعصب الفردي والقبلي في ترجمة المصطلح وضبط مداخله وتعدد مشارب ثقافة المترجم وغيرها من الأسباب، وكلها جعلت من المصطلحات تتعدد في مقابلة اللفظ الأجنبي، وقد صرح عبد الجليل مرتاض صراحة أنه قد اعترضته عقبات في التحكم بالمصطلحات، وبخاصة في قاموسه الوجيز فقال: إن "بعض المصطلحات تُرى مشوبة بضبابيات من الغموض، والحقيقة التي عشتها وما زلت أعيشها أن الغموض يعود أولا وأخيرا إلى أننا لا نمارس هذه المواد اللسانية في برامجنا الجامعية ولا مخبرنا ولا طرائقنا البيداغوجية، أو قل إن لسانياتنا العربية الحديثة لا تواكب ما يولد في سماء أروبة وأمريكا من مصطلحات يومية جديدة"¹³ (مرتاض، 2017).

ومن بين هذه العقبات التي وقفت ضده في التحكم في ضبط المصطلح اللساني، منها:

➤ الترادف وغياب الدقة في مصاحبة اللفظ للمصطلح السردى: يحتوي المعجم على مرادفات عديدة للمفهوم الأجنبي الواحد، وهذا ما يبتث الفوضى الاصطلاحية، ويزرع الارتباك المصطلحي دلالة ومفهوما، ومثل ذلك ما نقل إلى العربية بأكثر من لفظة:

أ. مصطلح الحيز والفضاء: والذي جعلهما الباحث لمقابلة مصطلح أجنبي واحد، واعتقد أن توظيفه لهذا المصطلح قد أخذ الفكرة والرأي من الناقد الجزائري عشراي سليمان من أنهما مصطلح واحد تاركا مسألة الاختيار في نظرنا للقارئ¹⁴ (سليمان، 1998)، ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد بل جعل مصطلح الفضاء بوصفه مكانا، وهذه الفكرة أخذها عن أخيه عبد الملك مرتاض حينما اجتنب مصطلح الحيز ليقابل به في نظره المصطلح الأجنبي (Espace)، وهذه العناية أخذت الريادة والاهتمام الكبير لدى النقاد وهو ما أشار إليه الناقد إبراهيم خليل بقوله: "ولعبد الملك مرتاض عناية شديدة، وولع بمحاور الخطاب السردى، وفي مقدمتها المكان أو الفضاء الذي يسميه الحيز"¹⁵ (خليل، 2010).

وقد برر الناقد عبد الملك مرتاض هذا التوجه من جعل مصطلح الحيز بديلا لدال الفضاء بقوله: "والحق أننا عدلنا عن اصطناع مصطلح الفضاء إلى مصطلح الحيز، لأن الفضاء عام جدا في رأينا، وقد تسرب إلى أكثر من حقل معرفي معاصر، فاصطنع فيه، إذ يوجد مثلا حق الفضاء (Droit l'espace)

(de)والفضاء المعماري (l'espace Architectural) والفضاء التحليلي Espace analytique¹⁶ (مرتاض ع.، 2007).

وبالرغم من هذا الأخذ واستنباط الأفكار من غيره إلا أن المتأمل النظر والمتفحص لمصطلحاته في متن معجمه القاموس الوجيز يجد أن الباحث جعل كل مصطلح على حدة، وأطلق كذلك مصطلح الحيّزية على البنية الزمنية، وإن الباحث في المعاجم اللسانية المتخصصة يجد أن لكل مصطلح عربي له مفهومه المحدد ومصطلحه الأجنبي المعين.

وكذلك نجد الترادف في نقل المصطلح الأجنبي Accent الذي قوبل بأكثر من مصطلح عربي فهو: (نبرة شكلية، لهجة، لُكنة) قاصدا بهذا "المفهوم على اللغة العادية على مجموعة من العادات التكميلية المتمفصلة خلال عملية النطق الفعلي للفونيمات (الصواتيم) التي تعطي المستمع انطبعا مميزا (خاصا، لهجيا، اجتماعيا المتكلم غريب،...) "¹⁷ (مرتاض ع.، 2017).

في حين المتأمل في المعجم والباحث في ثناياه يجد أن هذه المصطلحات العربية التي قابل بها المصطلح السابق قد قابلها بمصطلحات أجنبية مغايرة، فمثلا: قابل مصطلح: لهجة¹⁸ (مرتاض ع.، 2017) Dialecte / لُكنة¹⁹ (مرتاض ع.، 2017) = Dysarthrie ...

➤ الاشتراك في المصطلح: وهو اعتماد المؤلف على مقابل عربي واحد في ترجمة أكثر من مصطلح لساني غربي دون التمييز فيما بينها، وهذا ما نجده مع مصطلح القصة الذي حاول من خلاله تحديد المصطلحات التي لا بد من الرجوع إليها لفهم معناها، غير أن القارئ البسيط لا يفهم ذلك، بل يعدّها من مصطلحاتها، وزيادة على ذلك أن المتصفح للقاموس الوجيز يجد أن هذه المصطلحات التي ذكرها وخصصها بالحديث في معجمه كل على حدى، وأعطى لها مصطلحات عربية مخالفة تماما عما يقصده بالقصة، فقد ترجم مصطلح القصة بمصطلح القصة بـ Récit²⁰ (مرتاض ع.، 2017) وقابله بالكثير من المصطلحات الأجنبية: (Réception, Narration, mythe)

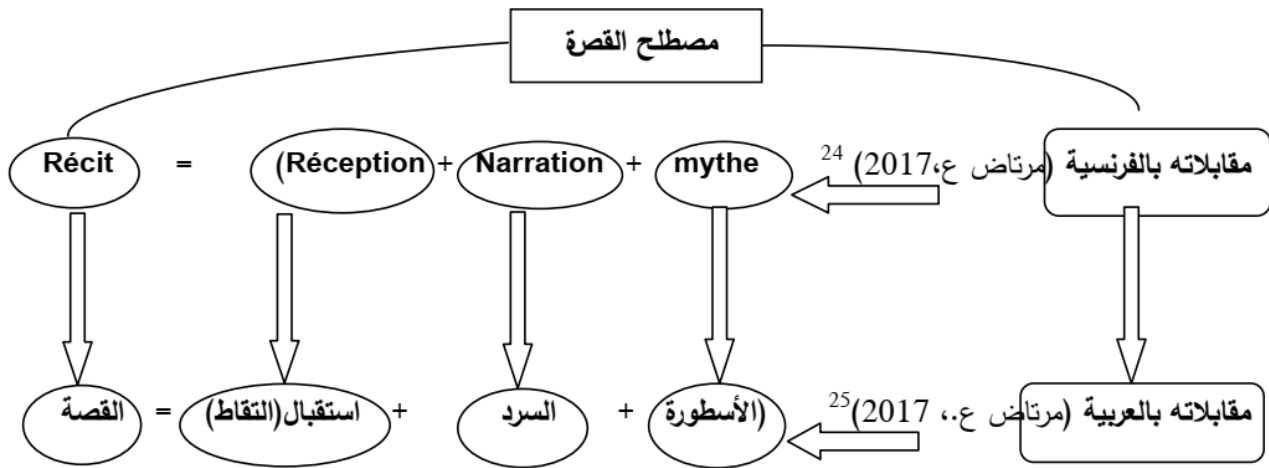
وللتفصيل في هذه المصطلحات السردية حسبما جاء في القاموس الوجيز، نقول: إن مصطلح القصة لم يحدد صاحب القاموس مفهومها بل قابل لها بأربعة مصطلحات سردية فقط، منها ما يتوافق مع معناها: Récit / قصة، أما المصطلحات الأخرى فهي مختلفة تماما عنها، فمصطلح Réception: يقابل به مصطلح استقبال (التقاط)، ويعرفه بقوله: "يعنى بهذا المصطلح كل دراسة تركز على استقبال الخطاب الذي يصل متلقيا في مرحلة تالية من مرسل أو باث في مرحلة متقدمة"²¹ (مرتاض ع.، 2017).

أما مصطلح Narration فيقابله بمصطلح: سرد، ويعتبره أنه حكي، ويعرفه بقوله: "السرد بلاغيا حكي وعلاقة وقائع حقيقية أو خيالية، وأسلوبيا إجراء أو نسق تعبيرى ينطوي على استخدام الصيغة

الدلالية للحاضر أي حاضر السرد، غير أن ما يهمنا من (Narration) هنا بوجه أخص: السرد الروائي، وما يرتبط به من فنيات قصصية²² (مرتاض ع.، 2017).

أما مصطلح: (mythe) فيقابله بمصطلح: الأسطورة، ويعرفها بقوله: "تُعرف الأسطورة في المجال الأنسي (الانثروبولوجي) بأنها قصة خرافية (Récit Fabuleux) وأسطورية (légendaire) تعد من تراث ثقافي لطائفة أو متحد يمكن لها أن تعني بعلاقة ما إلى جانب التاريخ أو أحوال وظروف وجود هذه الطائفة، غير أنها تسير وفق مستوى مضاعف: ما وراء قراءة أولى نقرأ أو نسمع بها حكاية تُروى بما تشمله من مغامرة غير طبيعية (خارج العقل)، والأبطال الذين يحتملون تأويلات شتى ومتنوعة، ولربما كانت الأفكار فيها مترابطة، لكن بنسج تقني لا إرادي"²³ (مرتاض ع.، 2017).

ومن هنا نستنتج أن مصطلح القصة قُوبل بأكثر من مصطلح أجنبي، واختلفت مصطلحاتها السردية مع ما هو مقابل لها في ثنايا متن القاموس الوجيز في المصطلح اللساني من جهة، ومن جهة أخرى تدل على مفاهيم مغايرة عما أشار إليه في تعريفه لمفهوم مصطلح القصة، نوجز دلالة هذه المصطلحات السردية وما يقابلها في الشكل التالي:



2_3: آلية النحت:

تعد آلية النحت من بين الآليات التي اعتمدها المؤلف كثيرا في صناعة معجمه، غير أن اجتهاده هذا أوقعه في بعض الزلات التي لابد من الإشارة إليها:

أ. الاختلاف في المصطلح الأجنبي المترجم منه المصطلح المنحوت: ومعناه أن الباحث قد جاء بأكثر من مصطلح أجنبي لمقابلة المصطلح المنحوت، فمنها ما يقابل لها بالمصطلح المترجم، مثل: مصطلح: (فوق لغوي أو فوق لساني) والذي جمعها في مصطلح واحد، ونحتهما بـ: (فولغي أو قولسي)، واختلف في مقابلة هذا المصطلح المنحوت باللفظ الأجنبي، فتارة يجعله من: (Extralinguistique)²⁶ (مرتاض ع.، 2017)، وتارة أخرى من: (Métalinguistique)²⁷ (مرتاض ع.، 2017)، وبعضها الآخر يعفيها تماما من المقابلات العربية وينحت المصطلح مباشرة، مثل: مصطلح

(ثَغْثَة) الذي قابل له بثلاثة مصطلحات أجنبية، ثم نحتة من "ثَغْث الصبي كلامه، إذا خلط فيه، وأصل الثغثة عضُّ الصبي قبل أن يثَغَرَ، أي: قبل أن يُلقى يُنبتْ - ثَغْرُهُ"²⁸ (مرتاض ع.، 2017) ب. الاختلاف بين المصطلح المترجم والمنحوت: وهنا خالف الباحث طريقة نحت واختصار أبنية المصطلحات، لأنه جاء بمصطلحات مترجمة ولم يعمل على نحتها أو يجتهد فيها، بل فتح على نفسه بابا آخر وهو الهروب من مأزق الوقوع في الخطأ، فجاء المصطلح المترجم يختلف عن المصطلح المنحوت، وهو بهذه الطريقة خالف ضوابط النحت وشروطه، التي منها: الأخذ من كل كلمة الحروف الأولى، فمثلا: في مقابلة المصطلح الأجنبي (Luette) يجعل له ترجمة بـ: (لهاة)، ويخلق له مصطلحا منحوتا: (غَلْصَمَة)، اعتقادا منه أن "اللهاة هي اللحمية المشرفة على الحلق في أقصى الفم، وجمعها لَهَي ولهيات وحتى لهوات على الأصل وتشكل اللهاة في جهاز النطق أدنى الحلق، ويخرج منه صوتا الغين والخاء مضافين إلى وسط الحلق (ع، ح) وأقصى الحلق (أ، ه)، وأما الصوتان اللهيان، فهما القاف والكاف (Larynx)"²⁹ (مرتاض ع.، 2017).

وفي موضع آخر من متن القاموس الوجيز نجد الباحث ينقل المصطلح الأجنبي: (Voile du palais) ويترجمه بالمصطلح المنحوت: (غَلْصَمَة) ويرى أن هذا "المصطلح صوتي أضيفت عليه مسميات شتى: غَلْصَمَة غشاء الحنك، صفاق الشجر، حجاب الحنك، ونحن لا ننكر أن دلالة Voile يُستدل بها على كل ما يمكن أن يستر أو يحجب أو يغطي، ولكن الكلمة ذات الأصل اللاتيني ليست مفردة بل مركبة مع (palais) بمعنى الحنك، في حين أن الغلصمة لغويا في معاجمنا تعني: اللحم بين الرأس والعنق، أو العُجْرَة (موضع العجر) على ملتقى اللهاة والمرئ أو رأس الحلقوم بشواربه وحرقدية (عُقْدَتِي الحنجور) أو أصل اللسان"³⁰ (مرتاض ع.، 2017).

3_3: آلية التعريب: ومعنى التعريب: "أن تتفوه العرب بالكلمة الأعجمية على مناهجها"³¹ (خسارة، 2008) وقد استعمل المؤلف هذه الآلية في ترجمته للمصطلحات التي يتعذر تحديد دقيق لمفاهيمها، فيوظف فيها آلية الترجمة والتعريب معا، مثلما في فعل في المصطلح: (فَزَلْجَة علاصية): فالشطر الأول معرّب من (Physio = فيزيو) من: (فزلجة)، والشطر الثاني من (phonétique = علم الأصوات) المنحوت بـ: (علاصية)، ومن هنا (Physiophonétique) يقابله هذا المصطلح المعرب والمنحوت: (فيزيولوجية علم الأصوات)³² (مرتاض ع.، 2017). ويعتمد في بعض آخر في ترجمة المصطلح اللساني الأجنبي بإيجاد طريقة يخالف بها غيره، وهي صياغة الكلمة الأولى في الترجمة منحوتة ثم تليها الكلمة شاملة بالعربية، وضرب لذلك بمصطلح: (العَلَنَفَة الصوتية) في مقابلة المصطلح الأجنبي: (Psych phonétique)، ويقصد به: (علم النفس الصوتي)، وهو بهذا الطريقة غير راض عن هذه الصيغة النحتية والترجمة، لأنه قال: "كان يفترض أن نسمي هذا المصطلح: (العَلَنَفَة العَلَاصِيَّة)، ولكن تجنبنا قصدا حشر المتلقي في هذا"³³ (مرتاض ع.، 2017).

4. خاتمة: في خاتمة هذه الدراسة يتضح لنا بجلاء أن الجهد الذي بذله الباحث عبد الجليل مرتاض في صناعة معجمه أن جهده قد اختلف في ترجمة الكثير من المصطلحات اللسانية _سواء كان في ترجمة المصطلح أم مقابلة اللفظ العربي بمصطلح أجنبي، وهذا ما يُبين ويوضح أن الجهود الفردية في الترجمة ونقل المصطلحات الأجنبية تبقى محل نقص وتحتاج إلى مراجعة، فهي تختلف من باحث لآخر.

وهذه النظرة عكس ما كان ينظر به عبد الجليل مرتاض من أن "القواميس المؤلفة من فرد واحد في هذا المجال حتى الآن أقل اختلافاً في مصطلحاتها من تلك المنجزة جماعياً، أو على الأقل هذا ما لمسته"³⁴ (مرتاض ع، 2017)، لأن هذه الرؤية البسيطة كشفت القليل من الاختلاف في ترجمة المصطلحات واشكالياتها، والسبب في ذلك يعود إلى تعدد المشارب اللغوية، واختلاف بلدان المشرق العربي عن المغرب العربي في التعامل مع المصطلح الأجنبي، فأهل المغرب العربي يميلون إلى اللغة الفرنسية وهذا ما لمسناه في الجهد المبذول في معجم القاموس الوجيز لعبد الجليل مرتاض الذي وجدناه يتقن اللغة الفرنسية ويميل إليها.

وهذا التوجه ساعد على تفشي معضلة الترجمة في الفكر العربي، زيادة على ذلك التعصب وحب النزعة الفردية ذات الميول الشخصية في وضع المصطلحات، وعدم الركون إلى هيئات علمية متخصصة ومجامع لغوية وغيرها لتراجع العمل قبل طرحه للعلن بين النخبة المثقفة والطلبة الباحثين، وكان من نتائج هذه القطيعة تداخل المفاهيم الدلالية للمصطلح الأجنبي الواحد مما أدى إلى ضبابية في فهم المصطلح اللساني.

وقد كانت آلية النحت من بين أبرز الآليات والطرق التي استعملها عبد الجليل مرتاض في معجمه القاموس الوجيز في المصطلح اللساني لترجمة مصطلحاته، وكانت صيغة الأبنية على وزن فعلة هي الغالبة في منهجه غير أن هذه الآلية التي استعملها تنوعت في عملها واختلفت في ترجمة المصطلح اللساني، فكان منها تقديم وتأخير المصطلح المترجم والمنحوت.

أما آلية التعريب فقد اعتمدها غالباً في نقله للمصطلحات الغربية، دون الإشارة إليها بالمصطلح المترجم وأحياناً يقابل اللفظ الأجنبي معرباً ومنحوتاً. فكل هذه الآليات ساهمت في صناعة المعجم اللساني وزودته بالكثير من المصطلحات.

قائمة المصادر والمراجع:

1. إبراهيم خليل، الثقافة والمنهج في النقد، ط1، دار مجدلاوي، عمان الأردن، 2010م
2. أحمد مختار عمر، محاضرات في علم اللغة الحديث، ط1، عالم الكتب، القاهرة، 1995.
3. أحمد مختار عمر، المصطلح الألسني العربي وضبط المنهجية، عالم الفكر، الكويت، مج20، ع3

1989.

4. الخوري شحادة: دراسات في الترجمة والمصطلح والتعريب، دار الطليعة الجديدة، دمشق سوريا، ط1 2007م.
5. الشاهد البوشيخي، نظرات في المنهج والمصطلح، ط3، مطبعة أنفو، فاس المغرب، 2004م.
6. بشير إيرير، الذخيرة العربية مشروع علمي حضاري، مجلة مجمع الجزائري للغة العربية، ع4، ديسمبر 2006
7. جاد عزت، المصطلح النقدي المعاصر بين المصريين والمغاربة، مجلة فصول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، العدد62، 2003.
8. سمير استيتية، اللسانيات المجال والوظيفة والمنهج، عالم الكتب الحديث، اربد الأردن، 2008.
9. صبحي الصالح: دراسات في فقه اللغة، دار العلم للملايين، 1983م
10. عبد الجليل مرتاض، القاموس الوجيز في المصطلح اللساني، دارهومة، الجزائر، 2017.
11. عبد القادر الفاسي الفهري، اللسانيات واللغة العربية، ط1، منشورات عويدات، لبنان، 1986.
12. عبد القادر الفاسي الفهري ونادية العمري، معجم المصطلحات اللسانية (انكليزي_فرنسي_عربي)، ط1 دار الكتاب الجديد المتحدة، المغرب، 2007م
13. عبد الملك مرتاض، نظرية النص الأدبي، دارهومة الجزائر، دط، 2007م
14. عشارتي سليمان، الخطاب القرآني مقارنة توصيفية لجمالية السرد الإعجازي، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون الجزائر، دط، 1998م.
15. ممدوح خسارة، علم المصطلح وطرائق وضع المصطلحات، دار الفكر، سوريا، ط1 2008م.
16. يوسف مقران، المصطلح اللساني المترجم مدخل نظري إلى المصطلحات، مؤسسة رسلان، دمشق سوريا، 2007.

هوامش الدراسة:

- 1_ جاد عزت، المصطلح النقدي المعاصر بين المصريين والمغاربة، مجلة فصول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، العدد62، 2003، ص70.
- 2_ سمير استيتية، اللسانيات المجال والوظيفة والمنهج، عالم الكتب الحديث، اربد الأردن، 2008، ص341.
- 3_ أحمد مختار عمر، محاضرات في علم اللغة الحديث، ط1، عالم الكتب، القاهرة، 1995، ص30. وينظر، المصطلح الألسني العربي وضبط المنهجية، عالم الفكر، الكويت، مج20، ع3، 1989.
- 4_ يوسف مقران، المصطلح اللساني المترجم مدخل نظري إلى المصطلحات، مؤسسة رسلان، دمشق سوريا، 2007، ص151.

- 5_ عبد القادر الفاسي الفهري، اللسانيات واللغة العربية، ط1، منشورات عويدات، بيروت لبنان، 1986، ص394.
- 6_ بشير إبرير، الذخيرة العربية مشروع علمي حضاري، مجلة مجمع الجزائري للغة العربية، ع4، ديسمبر 2006 ص 47_48.
- 7_ الشاهد البوشيخي، نظرات في المنهج والمصطلح، ط3، مطبعة أنفو، فاس المغرب، 2004م، ص15.
- 8_ عبد الجليل مرتاض، القاموس الوجيز في المصطلح اللساني، دار هومه، الجزائر، 2017، ص09
- 9_ المصدر، ص09
- 10_ ينظر: مقدمة، عبد القادر الفاسي الفهري ونادية العمري، معجم المصطلحات اللسانية (انجليزي_فرنسي_عربي)، ط1، دار الكتاب الجديد المتحدة، المغرب، 2007م، ص08.
- 11_ صبيح الصالح: دراسات في فقه اللغة، دار العلم للملايين، 1983م، ص321.
- 12_ ينظر: الخوري شحادة: دراسات في الترجمة والمصطلح والتعريب، ص116.
- 13_ المصدر، ص10.
- 14_ ينظر: عشراتي سليمان، الخطاب القرآني مقارنة توصيفية لجمالية السرد الإعجازي، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون الجزائر، دط، 1998م، ص147.
- 15_ إبراهيم خليل، المثاقفة والمنهج في النقد، ط1، دار مجدلاوي، عمان الأردن، 2010م، ص202.
- 16_ عبد الملك مرتاض، نظرية النص الأدبي، دار هومة الجزائر، دط، 2007م، ص297
- 17_ عبد الجليل مرتاض: المعجم، ص12.
- 18_ عبد الجليل مرتاض: المعجم، ص104.
- 19_ عبد الجليل مرتاض: المعجم، ص116.
- 20_ المصدر نفسه، ص330.
- 21_ عبد الجليل، المعجم، ص329.
- 22_ المصدر نفسه، ص242.
- 23_ المصدر نفسه، ص239.240.
- 24_ المصدر نفسه، ص330.
- 25_ اعتمدنا على المقابلات العربية وفق ما جاء في معجمه القاموس الوجيز في المصطلح اللساني.
- 26_ عبد الجليل مرتاض: القاموس الوجيز، ص136.
- 27_ عبد الجليل مرتاض: القاموس الوجيز، ص223.
- 28_ عبد الجليل مرتاض: القاموس الوجيز، ص54.

- 29_ عبد الجليل مرتاض: القاموس الوجيز، ص. 215.
- 30_ عبد الجليل مرتاض: القاموس الوجيز، ص. 435.
- 31_ ممدوح خسارة: علم المصطلح وطرائق وضع المصطلحات في العربي، دار الفكر، دمشق سوريا، ط1، 2008م ص. 241.
- 32_ ينظر: رقم المصطلح في المعجم 1215.
- 33_ عبد الجليل مرتاض: القاموس الوجيز، ص. 322.
- 34_ المصدر نفسه، ص. 09.



أهمية الأطالس اللسانية في صناعة التعايش اللغوي بين العربية والأمازيغية The importance of linguistic atlases in making the linguistic coexistence between Arabic and Amazigh

د. إيمان شاشه¹

د. حسام الدين تاويريت²

د. مناع آمنة³

تاريخ القبول: 2022.01.26

تاريخ الاستلام: 2021.04.21

ملخص: تتأسس اللسانيات الاجتماعية على دراسة اللغة في واقعها الاستعمالي، ويتمثل دور الأطالس اللسانية في تجسيد المعطيات اللغوية ضمن خرائط لغوية دقيقة وواضحة، تعود أهمية هذه البحوث السوسiolسانية إلى الكشف عن التنوع اللغوي والامتزاج الثقافي، وصناعة التعايش اللغوي في معظم نقاط الجمع اللساني، هذا ما نحاول الكشف عنه في هذه الدراسة من خلال الإجابة على الإشكالية التالية: ماهي أهمية الأطالس اللسانية في صناعة التعايش اللغوي في الجزائر بين العربية والأمازيغية؟ إجابتنا كانت في سياق شبه ميداني يعود إلى الاستنتاجات المتوصل إليها من مشروع الأطالس اللساني للجزائر الذي تعمل عليه وحدة البحث اللساني وقضايا اللغة العربية في الجزائر بورقلة، إضافة إلى بيلوغرافيا بحثية نظرية في ما كُتب حول الأطالس اللسانية سواء في ذلك العربية منها أم الغربية.

كلمات مفتاحية: اللسانيات الجغرافية؛ الأطالس اللساني؛ التعايش اللغوي؛ العربية؛ الأمازيغية.

Abstract: Sociolinguistics is based on the study of the reality of language use; On the other hand, the role of linguistic atlases is to present linguistic data within accurate and clear linguistic maps. The importance of this sociolinguistic research is due to the detection of linguistic diversity and cultural mixing, and the creation of linguistic coexistence in most points of linguistic Collection. This is what we try to reveal it in this study by answering the following problematic: What is the importance of linguistic atlases in making linguistic coexistence in Algeria between Arabic and Amazigh?

Keywords: Geolinguistics; Linguistic Atlas; Linguistic Coexistence; Arabic; Amazigh

✻ - وحدة البحث اللساني وقضايا اللغة العربية بورقلة.

البريد الإلكتروني: imane.chacha90@gmail.com (المؤلف المرسل)

2- وحدة البحث اللساني وقضايا اللغة العربية بورقلة.

البريد الإلكتروني: dr.taouririt@gmail.com

3- وحدة البحث اللساني وقضايا اللغة العربية بورقلة.

البريد الإلكتروني: menaa30@gmail.com

1. مقدمة: لعلم اللغة صلة وثيقة بعلوم أخرى كعلم الاجتماع، وعلم النفس، وعلم التاريخ، وعلم الجغرافيا وغيرها من العلوم الأخرى، وإن كانت الأطالس اللسانية تهتم بتحويل الإحداثيات اللغوية إلى خرائط جغرافية فإن هذا يعد من صميم ما يهتم به البحث في علم اللغة الجغرافي-Linguistique Ge-ographique) أو الجغرافيا اللغوية (La ge-ographie linguistique) وهو العلم الذي يدرس العلاقة بين الظاهرة اللغوية ومجال انتشارها.

والحديث عن الأطالس اللسانية يعد من صميم الدراسات البيئية التي تمزج بين العلم اللغوي والصناعة الخرائطية، بيد أن وجه الفرق بين الخرائط الجغرافية والخرائط اللغوية لا يكون إلا في الإحداثيات المسطرة على وجه الخريطة، حيث تدرس الخرائط اللغوية توزع الظواهر اللغوية في الأقاليم اللسانية ونقاط الجمع اللغوي

وعليه، يعد الأطالس اللغوي نتيجة بحث لغوي بُني على أسس ومفاهيم جغرافية، الغاية منها تتبع صور التنوع اللغوي في المجتمع اللساني. ويكشف في بعده الإجرائي عن أرقى صور التعايش اللغوي بين اللغات وعليه اخترنا البحث في موضوع: أهمية الأطالس اللسانية في صناعة التعايش اللغوي بين العربية والأمازيغية، وهذا من وجهة نظر تتمثل في التعددية اللغوية التي تعيشها الجزائر، والإشكالية اللسانية التي تواجه الباحثين في مجال الصناعة الأطلسية تلك المتمثلة في كيفية التعامل مع هذه المسألة.

بناء عليه نحاول في هذه الدراسة الإجابة عن الإشكالية التالية: ماهي أهمية الأطالس اللسانية في صناعة التعايش اللغوي بين العربية والأمازيغية؟ وماهي الاستراتيجية العلمية في التعامل مع اللغتين أثناء الصناعة الأطلسية؟

أما منهج البحث فينقسم إلى شقين؛ أحدهما وصفي يظهر من تقديم توصيف نظري لمجمل مصطلحات ومفاهيم الدراسة، وآخر عملي في التعريف بالدراسة الميدانية للأطالس اللساني الجزائري الذي تعمل عليه وحدة البحث اللساني وقضايا اللغة العربية في الجزائر-ورقلة.

وعليه، فإن هذه الدراسة يُفترض أن تحقق نتائج تجيب عن الإشكالية المطروحة، فكان من أبرزها تقديم تعريف واضح لمصطلح الأطالس اللساني، وآخر إجرائي يتكيف وطبيعة العمل في وحدة البحث اللساني بورقلة. إضافة إلى توصلها إلى ضبط أهم صور التعايش اللغوي بين العربية والأمازيغية في مجال الصناعة الأطلسية وهذا من خلال مشروع أطلس الجزائر.

2. تعريف الأطالس اللساني: جاء في مادة "طلس" في معجم لسان العرب ما يلي: الطَّلَسُ: لغة في الطَّرْس. والَطَّلَسُ: المحو، وَطَّلَسَ الكتابَ طَلَسًا وَطَّلَسَهُ فَتَطَّلَسَ: كَطَرَسَهُ. ويقال للصحيفة إذا محيت: طَلَسَ وطرُس.. ويقال: اطَّلَسَ الكتابَ أي امحُه، وَطَّلَسْتُ الكتابَ أي محوته. وفي الحديث: قول لا إله إلا الله يَطْلِسُ ما قبله من الذنوب.. والاطَّلَسُ: الثوب الخلق، وكذلك الطَّلَسُ، بالكسر، والجمع أطلاس

يقال: رجل أطلّس الثوب.. وذئب أطلّس: في لونه غُبْرَةٌ إلى السواد؛ وكل ما كان على لونه، فهو أطلّس، والأنثى طلّساء، وهو الطلّس (ابن منظور صفحة 124).

وفي معجم اللغة العربية المعاصرة جاء في مادة " ط ل س " ما يلي: "... طِلْسٌ يَطْلَسُ، طَلَسًا وَطُلْسَةً، فهو أطلّس. طِلْسُ الشَّيْءِ: كان أغبر مائلًا إلى السواد. وطُلْسٌ: صفة مشبهة تدلّ على الثبوت من طِلْسٍ..." (مختار عمر، 2008، صفحة 140)، و" أطلّس [مفرد]: ج أطلّيس: مجموعة خرائط أو مصوِّرات جغرافية "اشترى الطلاب أطلّس البلدان العربية". الأطلس اللغوي: مجموعة من الخرائط تبين التوزيع الجغرافي للأنماط اللغوية واستخداماتها" (مختار عمر، 2008، صفحة 101).

وورد في المعجم ذاته أن الأطلس اللساني هو: "مجموعة من الخرائط تبين التوزيع الجغرافي للأنماط اللغوية واستخداماتها" (مختار عمر، 2008، صفحة 101).

وفي معجم اللسانيات لجورج مونان، الأطلس اللساني هو: "مصنف يجمع خرائط جغرافية تبرز التّنوعات اللهجية لشكل لساني ما، وغالبا لوحداث معجمية. يمكن للمصطلح أن يعني أيضا مجموعة من الخرائط تبرز توزيع اللّغات واللهجات داخل مساحة جغرافية معطاة." (مونان، 2012، صفحة 75).

ويعرف الحميد الأطلس اللساني بأنه "طريقة حديثة لتسجيل الظواهر اللغوية على خرائط جغرافية، وذلك عند الحاجة إلى تحديد مناطق تلك الظواهر، فتأتي الخريطة وسيلة إيضاح لظاهرة لغوية لها علاقة بمكان معيّن". (الحميد، صفحة 235).

خلاصة القول أن الأطلس اللساني هو جهد يبرز تنوع الظواهر اللغوية وتوزيعها في الخريطة الجغرافية عبر أقاليم لسانية محددة.

أما أهمية الأطالس اللسانية وتوزيع الظواهر اللغوية في خرائط فتظهر فيما تقدمه من فائدة في تحديد نقاط التّنوع اللساني في المنطقة الواحدة يقول "أنطوان ميه": "إن الخرائط اللغوية تمكننا من أن نحدد مناطق انتشار الخصائص المتعددة التي تميز لغات لسان ما.. ولقد استطاعت الخرائط اللغوية بالفعل أن تجدد علم اللسان التاريخي في عدة نقاط (ميه، 2015، صفحة 111)، ويؤكد ميلكا إفيتش في كتابه اتجاهات البحث اللساني على أن البحث اللغوي الذي أجري بهذه الطريقة قدم مادة لشروح التّغيرات اللغوية التي تتسم بالجدة والدقة (إفيتش، 2000، صفحة 116).

3. الأطالس اللسانية عند العرب: إن الأطلس اللساني علم قديم كان للعرب الفضل في وضع أسسه ولبناته الأولى من خلال ما قاموا به من ممارسات إجرائية أثناء جمع اللغة وتدوينها، أين كان لهم قدم سبق في تقديم شاهد على الفكر اللغوي الجغرافي عندهم، من خلال مؤلفاتهم التي تكشف عن ملامح الصناعة الأطلسية في الحضارة العربية الإسلامية؛ حيث كان العرب قديما يقومون بعمل تطبيقي إجرائي بحث في استقرار اللغة وجمعها وتحديد القبائل التي يعتمد عليها في الإعراب

والتصريف. ثم جاء الدرس اللساني الغربي وأقر ذلك علميا واصطلاحيا فنظروا لهذا الأمر وبنوا بحثهم اللغوي على جملة من الأصول النظرية، فذهبوا يطبقون ما اجمعوا عليه ميدانيا. من خلال ما سبق نبين أهم الأسس العلمية في الصناعة الأطلسية عند العرب:

• تحديد نقاط جمع اللغة: المقصود بها تحديد نقاط الجمع والتّحري اللغوي، وفق ضوابط وشروط علمية دقيقة وهو ما فعله العرب الأوائل، حيث قاموا بتحديد أقاليم سكانية معروفة بالفصاحة واعتمادها أساسا لدراسة اللغة العربية.

فكانوا يتخيرون نقاط الجمع بناء على معيار الفصاحة، ويتخيرون القبائل الفصيحة بناء على مجموعة ضوابط وشروط محددة. فركزوا على معيار البداوة مثلا في انتقاء اللغة الفصيحة. فكلما كانت نقطة الجمع بدويةً أو أقرب إلى حياة البداوة كانت لغتها أفصحَ والثقة بها أكبر وكلما كانت البيئة اللغوية متاخمة للحضر كانت لغتها محلّ شكٍّ ومثار شبهة لذلك تجنبوا الأخذ عنها، وفي هذا الصدد يقول أبو النصر الفارابي: "كانت قريش أجود العرب انتقاءً للأفصح من الألفاظ، وأسهلها على اللسان عند النطق، وأحسنها مسموعاً، وإبانة عما في النفس، والذين عنهم نُقلت اللغة العربية وبهم اقتُدي وعندهم أخذ اللسان العربي من بين قبائل العرب هم: قيسٌ وتميمٌ وأسدٌ، فإن هؤلاء هم الذين عنهم أكثر ما أخذ ومعظمه، وعليهم اتّكل في الغريب وفي الإعراب والتصريف ثمّ هذيل وبعض كنانة وبعض الطائيين، ولم يؤخذ عن غيرهم من سائر قبائلهم. وبالجملّة فإنه لم يؤخذ عن حَضَرِيّ قَط، ولا عن سكان البراري ممن كان يسكن أطراف بلادهم [التي تجاور سائر الأمم الذين حولهم، فإنه لم يؤخذ لا من لخم ولا من جذام فإنهم كانوا مجاورين لأهل مصر والقبط، ولا من قضاة ولا من غسان ولا من إياد فإنهم كانوا مجاورين لأهل الشام وأكثرهم نصارى يقرؤون في صلاتهم بغير العربية، ولا من تغلب ولا النمر فإنهم كانوا بالجزيرة مجاورين لليونانية ولا من بكرٍ لأنهم كانوا مجاورين للقبط والفرس، ولا من عبد القيس لأنهم كانوا سكان البحرين مخالطين للهند والفرس، ولا من أزد عُمان لمخالطتهم للهند والفرس ولا من أهل اليمن أصلاً لمخالطتهم للهند والحبشة ولولادة الحبشة فيهم، ولا من بني حنيفة وسكان اليمامة ولا من ثقيف وسكان الطائف لمخالطتهم تجار الأمم المقيمين عندهم، ولا من حاضرة الحجاز لأن الذين نقلوا اللغة صادفوه حين ابتدأوا ينقلون لغة العرب قد خالطوا غيرهم من الأمم وفسدت ألسنتهم، والذي نقل اللغة واللسان العربي عن هؤلاء وأثبتها في كتاب وصيّرها علماً وصناعة هم أهل الكوفة والبصرة فقط من بين أمصار العرب، وكانت صنائع هؤلاء التي يعيشون منها الرعاية والصيد واللصوصية وكانوا أقواهم نفوساً، وأقساهم قلوباً، وأشدّهم توحشاً وأمنعهم جانباً، وأشدّهم حميةً، وأحبهم لأن يغلبوا ولا يُغلبوا، وأعسرهم انقياداً للملوك وأجفاهم أخلاقاً وأقلهم احتمالاً للضيم والذلة" (السيوطي، 2006، صفحة 47).

• **الراوي اللغوي:** وهو الشخص الذي تؤخذ عنه اللغة، "وهو أحد أبناء اللغة الذين يستقي عالم اللغة منهم المادة اللغوية المحكية بقصد تحليلها، ولا يُكتفى عادة براوية واحد، بل تُختار عينة من الرواة الثقات لتمثل الجماعة اللغوية تمثيلاً مقبولاً من حيث مستويات الثقافة والفروق الناشئة عن الجنس والعمر." (نور الدين 1995، الصفحات 18-19) وقد كانت طريقة العرب في أخذ اللغة وجمعها تتفرع إلى شقين؛ الأول: الرحلة إلى البادية والحصول على اللغة من أفواه الأعراب المقيمين في الصحراء، فهذا الخليل بن أحمد يأخذ علمه من بادية الحجاز ونجد وتهامة، وأبو عمرو بن العلاء الذي جاور البدو أربعين سنة (شاهين، 1981، صفحة 150).

أما الشق الثاني فتمثل في استقدام الأعراب إلى البصرة والكوفة وعلى هذا الأساس يرى الدكتور عبد الصبور شاهين أن فكرة الجغرافية اللغوية موجودة في التراث اللغوي "لكنها كانت آنذاك غائمة، وذلك حين يأخذون رواية اللغة عن الأعراب في البوادي فينسبون ما يرونه إلى قائله وإلى قبيلته، وحين يضعون هذا المروي في مقابل ما يرونه من نفس المستوى عن بدوي آخر ومن قبيلة أخرى، وحين يميزون في روايتهم بين بعض القبائل التي يصفونها بالفصاحة" (ابن قتيبة، 1982، صفحة 350).

• **تحديد الظاهرة اللغوية:** يقوم هذا الأساس على ضبط الظواهر اللغوية وتحديد العينات اللسانية التي يراد دراستها ووصفها لغويا في سياق خرائط لسانية. أما القول بالتحديد فهو من قبيل الحصر الآني للمادة اللغوية ووصفها كما هي لا التحديد المسبق للظواهر اللغوية، ذلك أن عمل الأطالس اللسانية لا يستثني شيئا من ذلك أو يوجه البحث إلى ظواهر بعينها، بل تأتي الدراسة على اللغة المستعملة في ذلك الحين. وهذا العمل يتم من خلال إجراء مقابلات مع عينة الدراسة. كما يشترط أن يكون الباحث أو المتحري اللغوي على معرفة ودراية عامة بخصائص لغة بيئة الجمع اللساني.

4. **الأطالس اللسانية عند الغرب:** تمتد جذور الصناعة الأطلسية عند الغرب إلى القرن التاسع عشر؛ حوالي عام 1870 م، عندما اهتم النحاة المحدثون باللهجات الخاصة بلغات أوروبية متفرقة (إفيتش، 2000، صفحة 116)، وكان أول إنجاز في الأطالس اللغوية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ميلادي، من خلال ما قام به الألماني جورج فنكر George Wenker في عمله الموسوم بـ "الأطلس اللساني الألماني" Deutscher Sprachatlas الذي نشر سنة 1876، و"على الرغم من أنه لا يخلو من مظاهر ضعف منهجية (إفيتش 2000، صفحة 116)، إلا أنه اعترف علماء اللغات بما لها من نفع في حل المشكلات اللغوية، إلى جانب عمل الرائد الفرنسي في هذا المجال "جليرون" (Gillieron) (عبد التّواب، 1997، صفحة 150)، حيث عمل أطلسا لبلاده. ثم بدأت الفكرة تنتشر في البلدان الأوروبية الأخرى؛ إيطاليا، وسويسرا والسويد والنرويج، والبرتغال وإنجلترا، لتنتقل بعدها الفكرة إلى أمريكا، وبعض البلدان الشرقية (عبد التّواب، 1997، صفحة 150).

مرّ الأطلس الألماني بمراحل من التطور حيث بدأت المادة المطلوبة في الأطلس الألماني بعدد محدود من الجمل المكتوبة بالألمانية الفصحى وصل عددها إلى 40 جملة نعرض بعض النماذج من تلك الجمل:

Der gute alte mann ist mit seinem pferd durchs Eis geborchen und ins kalte wasser gefallen

التغيرات التي ظهرت في نطق العينة: **Pferd= Gaul= حصان / Mann= Kerl= رجل**

.....

The good old man is with his horse through the ice broken and into the cold water fallen

الرجل العجوز مع حصانه وسط الجليد المتحطم وهما ساقطان داخل المياه الباردة وطلب إلى الرواة كتابتها باللهجات المحلية، على شكل استمارة خاصة بالاستبيان تضمنت معلومات يجب إثباتها عن الراوي اللغوي واللهجة التي ينتمي إليها وعن المسجل اللغوي الذي سمع اللهجة ودونها (مصلوح 2003، صفحة 161) والشكل التالي يوضح استمارة عمل أطلس لساني خاص باللهجات الألمانية:

صحيفة أسئلة لغوية خاصة باللهجات الألمانية

الجهة التي سمعت فيها اللهجة وسجلت:.....

المركز:..... المقاطعة:.....

الراوي الذي نقلت عنه اللهجة	المسجل الذي سمع اللهجة ودونها
الاسم:..... السن:.....	الاسم:..... السن:.....
المهنة:..... مكان الميلاد:.....	المهنة:..... مكان الميلاد:.....
الجملة في الألمانية الفصحى	الجملة في اللهجة المحلية
1-تسقط أوراق الشجر في الشتاء وتتناثر في الهواء.	
2-ضع شيئاً من الفحم في الفرن حتى يغلي اللبن.	
3-إنه يأكل البيض دائماً بغير ملح أو فلفل.	
4-تؤلمني قدماي بشدة والظاهر أنني سرت أكثر مما يجب	
5-ألا يمكنكم الانتظار لحظة حتى نذهب معكم؟	
6-لقد خرجت الكلمة من قلبه...الخ	

وخلص العمل إلى وضع كراسة استبيان لسانی تضم مجموعة أسئلة يتوجه بها المتحري إلى الراوي اللغوي، وهذا ما تمثل بالأطلس الفرنسي والإيطالي والأمريكي، واشتروطوا في هذا العمل، أن تكون هذه الأسئلة لا تتطلب إجابة طويلة، ولا يجاب عنها بنعم أو لا، (مصلوح، 2003، صفحة 380) ليسهل إسقاطها على خرائط جغرافية لمناطق الجمع اللغوي.

5. أهمية الأطالس اللسانية في التعايش اللغوي بين العربية والأمازيغية: التعايش اللغوي هو " أن يعترف كل طرف للآخر بحقه في التمسك بقناعاته ومعتقداته، وممارسة شعائره الدينية، والعمل وفق اجتهاداته المذهبية ويتعامل الجميع كمواطنين متساوين في الحقوق والواجبات، متعاونين لتحقيق المصلحة العامة ومواجهة الأخطار المشتركة." (الصفار، 1999، صفحة 96).

اللغة الأمازيغية هي لغة قائمة بذاتها لها لهجاتها المتوزعة عبر بقاع العالم العربي بين المغرب والجزائر وتونس وليبيا ومالي والنيجر، وكلها تلتقي في أصل واحد بصورة واضحة لا في معطياتها النظرية فحسب ولكن حتى في معطياتها المتصلة بالممارسة والاستعمال. (شفيق، 1989، صفحة 6) واللغة الأمازيغية تتسم بالوحدة هذا ما صرح به الباحث André Basset في قوله: " بنية اللغة الأمازيغية وعناصرها وأشكالها الصرفية تتسم بالوحدة إلى درجة أنك إن كنت تعرف حق المعرفة لهجة واحدة منها استطعت في ظرف أسابيع أن تتعلم أي لهجة أخرى تدلك على ذلك التجربة إذ اللغة هي اللغة نفسها وقد عجت لذلك." (دحماني، 2020، صفحة 114) فالأمازيغية لغة لها نظام اشتقائي يتفاعل فيه الاشتقاق الأكبر والأصغر مع النحت والتركيب المزجي تفاعلا يساعد على تيسير التركيب المعجمي. واللغة الأمازيغية لها تاريخ وحضارة لا ينبغي أن نغفل عنها، كما أنها " مرتكز أساس ومرتكز من أهم المرتكزات لتثبيت ذهنيتنا وشخصيتنا وانتماثنا الحضاري والفكري." (دحماني، 2020، صفحة 115)

ترتبط العربية والأمازيغية ارتباطا وثيقا يؤصل لحضارة وتاريخ عريق، تبرز ملامحه في التلاحق والامتزاج الثقافي بين اللغتين في صورة الثقافة الناتجة عن الاحتكاك المستمر والمباشر بين المجتمعات البشرية تؤدي إلى التأثير والتأثير بين الفئتين. " إن العربية والأمازيغية لغتان مشتركتان في الأرومة، ومن أصل واحد، ولهما وطن واحد ومصير واحد، فهذا هو الانسجام البيئي الذي يربط ويتفاعل داخل الوطن الجزائري، وها هو الهوية الوطنية فإذا قويت الهوية قويت اللغة والعكس يصح، فلا يمكن أن تحصل للأمازيغية مواطنة حقيقية في ظل تغييب أو فصل العربية عنها." (السخيري، 2011، صفحة 35) من هذه الناحية نلتبس الثقافة الحاصل بين العربية والأمازيغية في كثير من العاميات الجزائرية، وعلم اللغة الجغرافي في حركة تنقلات المجتمعات يؤكد دور الأمازيغية وأثرها في العامية الجزائرية معجما وتركيبا وصرفا. وهو ما يعكس أرقى صور التعايش اللغوي بين العربية والأمازيغية.

من أبرز مظاهر التعايش اللغوي بين العربية والأمازيغية الاقتراض اللغوي، الأخير الذي يعد مؤشر حيوية اللغة وثرائها وتطورها، يقول ماريو باي: " أعظم مصدر لنمو اللغة هو الاقتراض من اللغات

الأخرى، وعند الاقتراض هناك طريقتان ممكنان؛ فإما أن تأخذ اللغة المقترضة الكلمة وتخضعها لقوانينها الصرفية والصوتية وإما أن تترجم اللغة المقترضة وحدات الكلمة المقترضة ترجمة حرفية. " (باي، صفحة 156) من مظاهر اقتراض الأمازيغية من اللسان العربي استعمال الحرف العربي في نطق كثير من الكلمات (دحماني، 2020، الصفحات 118-120)، هناك كلمات عربية إلى اللسان الأمازيغي كما هي عليه في العربية مثل: الله- رب. وبعضها حصل معها تغير صوتي خفيف مثل: لقران-ليسلا- لكتاب- لبورهان- لهمايم- لبحور. ومن النماذج أيضا: موسلم- تسجاد. واستعمال عبارة (تامباركت) للتبريك. وعبارة (حمالديك) في الدعاء بالرحمة على الوالدين.

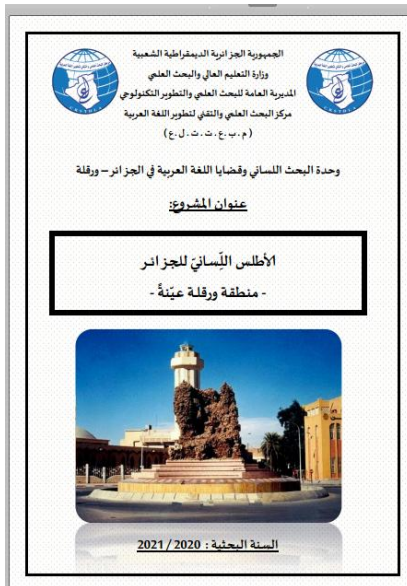
واستعمال كثير من المفردات الأمازيغية في اللسان العربي في أبهى أشكال التعايش اللغوي بين العربية والأمازيغية، ومن النماذج نذكر مثلا: (تانجارت) حرفة النجار. (تابقالت) حرفة البقالة. (تاحادات) حرفة الحداد... إلخ. (أزير) عشبة إكليل الجبل.

أما الأطالس اللسانية وأهميتها في صناعة التعايش اللغوي بين العربية والأمازيغية فتظهر من في عدم إقصاء المجتمعات البشرية الناطقة باللغة الأمازيغية في البلاد العربية، بل وضع استراتيجية في كيفية التعامل معهم، والأمر نفسه في المجتمع العربي وسط البيئة الأمازيغية، وهو إشكال علمي يبدو أنه واجه معظم القائمين على الصناعة الأطلسية في البلاد العربية، أجاب عنه الدكتور الطاهر بوعتور أحد باحثي الأطلس التونسي طُرح عليه هذا الإشكال في ندوة دولية نظمتها وحدة البحث اللساني وقضايا اللغة العربية في الجزائر-ورقلة. يومي: 29-30/3/2020 فأجاب بأن أول منطقة تم الجمع منها في تونس كانت منطقة بربرية، لكن اللغة تمثلت في العربية التي ينطقها المازيغ في تلك المنطقة، وهذا

بحكم أن الأطلس الذي هم بصدد إنجازه هو الأطلس اللساني العربي في تونس، ومادامت هناك جهات معنية بالأطلس اللساني الأمازيغي فهي تتولى مهمة جمع اللسان الأمازيغي. الشاهد في هذا أن الأطلس اللساني حقق في جزء منه ذلك التعايش اللغوي من خلال جمع عربية المازيغ وعدم إقصائها أو إغفالها في البحث.

كما أن الأطلس اللساني عموما وأطلس الجزائر الذي تعمل عليه وحدة البحث اللساني وقضايا اللغة العربية في الجزائر-ورقلة- في طور الانجاز-لا يقف عند حدود الخرائط اللسانية لتوزع الظواهر اللغوية في الجزائر بل يكشف أيضا في شق منه عن حركة تنقلات المجتمع الجزائري، وهذا في سبيل الكشف عن العلاقة التأثيرية بين اللغات والعاميات الجزائرية. فالحديث مثلا عن حركة

التنقلات للمجتمع الورقلي صورة تكشف عن التنوع والثراء، والمثاقفة الحاصلة بين العاميات في مدينة



ورقلة، ولا يظهر ذلك إلا من خلال تقديم وصف لغوي شامل. ثم إن الدخول في المجتمع الأمازيغي في مدينة ورقلة يبين التنوع والتأثر بين العربية والأمازيغية في الاستعمال اليومي سواء للأمازيغي أم العربي المجاور والمحتك احتكاكا مستمرا ومباشرا بالأمازيغ. وهو نموذج حي للتعايش اللغوي بين الفتيين.

يعد الأطلس اللساني بالجزائر لوحدة البحث اللساني وقضايا اللغة العربية بورقلة نموذجا يكشف عن أهم استعمالات اللسانيات وتوزيعها في المنطقة بمختلف أقاليمها، وقد ظهر منه الجزء الخاص بالبعد النظري التعريفي بمعطيات الدراسة وبعض النماذج الخرائطية عرضها في الصور التالية:

خرائط تعرف بالمنطقة من نواحي متعددة؛ جغرافيا ولسانيا وثقافيا... وأخرى تدرس المعطيات اللسانية وتوزعها في خرائط مضبوطة وفق إحداثيات تتماثل مع مختلف الأقاليم اللسانية للمنطقة المدروسة كما يلي: تمت مباحثة وجمع المادة العلمية للأطلس من خلال كراسة التحري

اللغوي أو ما سميناه "الاستبانة اللسانية".

البحث الثاني: منطقة ورقلة تاريخيا
لقد المعطيات التاريخية من المناطق المحيطة في دراسة الأطالس اللسانية، إذ نتج لتدوين التعرف على منطقة الدراسة، وسكانها من النواحي التاريخية، والاجتماعية، والثقافية، وغيرها، وأساسا على ما ذكره مستند الدراسة بعض الإحداثيات التاريخية على منطقة ورقلة.

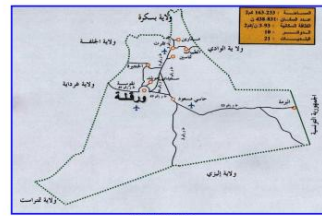
1. منطقة ورقلة - الموقع الجغرافي والتاريخ والعادات والتقاليد.

أ. الموقع الجغرافي:

ورقلة هي إحدى ولايات الجمهورية الجزائرية، وهي مدينة صحراوية غنية تقع في الجنوب الشرقي للجزائر

بجوها:

- من الشمال: ولاية الجلفة، الوادي وسكرت.
- ومن الشرق: الجمهورية التونسية.
- ومن الغرب: ولاية غرداية.
- ومن الجنوب: ولاية تلمسان وإلزي.



69

5. تاريخ مناطق الأقاليم اللسانية:
ويعتمد في العرض التاريخي للمناطق لتقسيم الأقاليم اللسانية الأربعة في البحث وفي إقليم ورقلة المدينة - إقليم الروسات - إقليم سيدي خولد وحاسي بن عبد الله - إقليم القوس وبين البيضاء.

أولا: الإقليم اللساني الأول - ورقلة - (المدينة)

يضم هذا الإقليم اللساني عدة أحياء، منها القديمة وهي: قصر ورقلة، وسعيدة، وبني نور، والمخادمة، وهناك أحياء حديثة منتشرة لها بسما، وبسما، وهي: بني بوعامر، وراستيل، وهي الناصر.

ب. التاريخ:

مصطلح (القصر) يدل على معلم عمراني معروف في الحضارة العربية (إسلامية)، ويطلق على التسقيع العمراني للمنحصر المنارات، الذي تنتقله أرقعة خضراء، وأخرى خضراء، ويحيط بها سور سميت وحندق لحمايته من الأعداء، وتوجد الرسوم التقليدية على أبواب المنازل والمعروفة بألم كآب (أو الإشارة



صورة لقصر في مدينة ورقلة، وتحتوي على الرسوم التقليدية على أبواب المنازل والمعروفة بألم كآب (أو الإشارة)

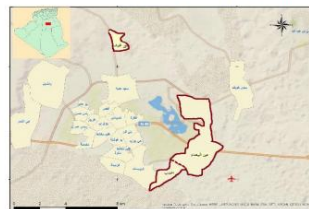
وتعد قصر ورقلة من القصور الصحراوية العتيقة تقع في قلب مدينة ورقلة، ويضم ثلاثة عروش لكل عرش حية المنسوب إليه: هي بني أرواح في الشمال الغربي للقصر، وهي بني ولفين في الشمال الشرقي للقصر، وهي بني حسيون في الجنوب الغربي للقصر. "وحسب الرواية الشعبية: فإن عروش ورقلة الثلاثة يعود نسبها إلى أبناء سيدي القوي (صاحب القبة التي كانت قائمة إلى وقت غير بعيد وسقط السوق القديمة قرب الباب العلوي لمسجد المالكية)".

* محلة ياد السورود، القصر أثر وتاريخ، 1429 هـ، 2008 م، ص 99.

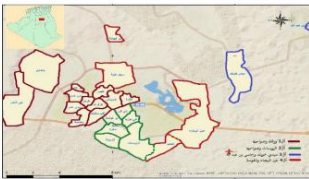
* يشار: عند الله بن محالي الصانع، صمدان من تاريخ ورقلة من 1978.

79

- الإقليم اللساني الرابع: تيمزلة تا إيز، وبسما (القوس وبين البيضاء).

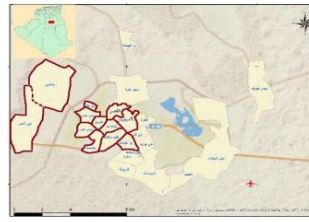


الشكل: أمة (بين البيضاء وبسما)

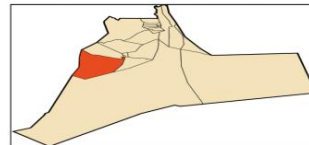


الشكل: أمة (بين البيضاء وبسما)

101



الشكل: أمة (بين البيضاء وبسما)



الشكل: أمة (بين البيضاء وبسما)

98

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique
مركز البحث العلمي وأقصى تطور اللغة العربية
Centre de Recherche Scientifique Technique pour le Développement de la langue Arabe (C.R.S.T.D.L.A.)
وحدة البحث العلمي وأقصى تطور اللغة العربية في الجزائر
Unité de Recherche sur la Recherche Linguistique et la condition de

البحث: _____
القسم: _____
الفرقة: _____

كُرَاسَةُ الاسْتِبَانَةِ اللِّسَانِيَّةِ

المعلومات الخاصة بتسجيل الذي جمع للبحث: _____
الاسم: _____
مملكة المغرب: _____

تاريخ التحصيل: ____/____/____

وبعد البحث والتّحري تم الحصول على الخرائط اللسانية الآتية

كما هو موضح من النّماذج
التّالية:

في انتظار الجزء الثاني المتمثل
في توزيع المعطيات اللسانية
بشكل أكثر دقة وتفصيلا.



6. خاتمة: إن الأطالس اللسانية عمل بيّني يمزج بين علمين قائمين بذاتها، هما علم اللغة وعلم الجغرافيا، يتم خلالها تحويل الظواهر اللغوية وتوزيعها عبر الأقاليم اللسانية إلى خرائط جغرافية واضحة المعالم ومحددة الإحداثيات. يتقاسم هذا الجهد الخرائطي واللساني في صورة أطلس لساني يصف اللغة وتنوعها. كان للعرب فضل السبق في ضبط أسسه العلمية أثناء جمع اللغة وتدوينها، إلى أن جاء الدرس اللساني الغربي واصطلح لذلك مقومات ومعالم نظرية واضحة. وعلى أساس ذلك ظهرت جهود أطلسية منها ما اكتمل ومنها ما لم يكتمل، وكان للألماني فينكر السبق في صناعة الأطالس اللسانية إلى أن انتشر في فرنسا وأمريكا وكندا وغيرها من الدول الغربية والعربية.

للأطالس أهمية كبيرة في البحث اللغوي؛ وقد أثبتت هذه الدراسة أهمية الأطالس اللسانية في صناعة التعايش اللغوي بين اللغات وخاصة بين العربية والأمازيغية، وهذا من عدة جوانب أهمها ظاهرة الاقتراض التي توجز العلاقة التّأثيرية بين لسانين متجاورين. فقد أخذت الأمازيغية من العربية والعربية من الأمازيغية في صورة راقية للتعايش اللغوي بينهما.

يكشف مشروع " الأطلس اللّساني في الجزائر " لوحدة البحث اللّساني وقضايا اللّغة العربيّة في الجزائر-ورقلة عن صورة نموذجية للتعايش اللغوي بين العربيّة والأمازيغيّة، وهذا على أصعدة متعددة أهمها الاستراتيجية العملية في الجمع والتّحري اللّغوي الذي يقوم به الباحثون، فلم يتم إقصاء الأمازيغيّة بل تم التّكيّف معها في الدّراسة بأخذ عربيّة الأمازيغ في المنطقة الورقلية والتّعامل معها بنفس الطريقة التي يتم التّعامل بها مع الجملة العربيّة. اقتداء بما فعله باحثو الأطلس التّونسي.

7. قائمة المراجع:

أولاً: الكتب:

- . ابن قتيبة، ع. (1982). الشعر والشعراء. دار المعارف.
 . ابن منظور، ج. (د.ت). لسان العرب. دار صادر.
 . الحميد، ع. (د.ت). نحو أطلس لغوي جغرافي للجزيرة العربية.
 . السيوطي، ج. (2006). الاقتراح في أصول النحو. دار البيروتي.
 . الصفار، أ. (1999). التنوع والتعايش اللغوي: بحث في تأصيل الوحدة الاجتماعية والوطنية. بيروت: دار الساقى.
 . باي، م. (د.ت). أسس علم اللغة. القاهرة: عالم الكتب.
 . شاهين، ع. (1981). في علم اللغة العام. حلب: جامعة حلب.
 . شفيق، م. (1989). لمحة عن ثلاثة وثلاثين قرناً من تاريخ الأمازيغ. الرباط: دار الكلام للنشر والتوزيع.
 . عبد التّواب، ر. (1997). المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث العلمي. القاهرة: مكتبة الخانجي.
 . مختار عمر، أ. (2008). معجم اللغة العربية المعاصرة. عالم الكتب.
 . مصلوح، س. (2003). في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية: آفاق جديدة. الكويت: جامعة الكويت.

- . مبيه، أ. (2015). منهج البحث في الأدب واللغة. القاهرة: المركز القومي للترجمة.
 . نور الدين. (1995). مقالات ونقاشات في اللغة. بيروت: دار الصداقة العربية.

ثانياً: المقالات:

- . دحماني، أ. (2020). التعايش اللغوي بين العربية والأمازيغية: تجلياته في المكون المعجمي واللهجي. مجلة دراسات وأبحاث: المجلة العربية في العلوم الإنسانية والاجتماعية. 114، (2)، 12.
 . السخيري، ع. (2011). القضية الأمازيغية وحقوق الإنسان في نقض النظام الرمزي السائد. مجلة النواف. 35، (49-50).



ترجمة الاستعارة من الفرنسية إلى العربية: رواية «L'étranger» لألبير كامو بترجمة العيد دوان
أنموذجًا، دراسة تحليلية نقدية.

Translation of Metaphor from French into Arabic in Albert Camus' «The Stranger»
Novel, Translated by Eid Duane, an Analytic Critical Study.

أ. محمد إبراهيم كحيل*

أ. حليلة الشيخ²

تاريخ القبول: 2022.06.24

تاريخ الاستلام: 2021.09.05

ملخص: إن هذه الدراسة تهدف إلى إلقاء الضوء على صورة بيانية يشيع انتشارها في الأعمال الأدبية نظرا للرؤى الذي تضيفه عليها؛ إنها "الاستعارة". تتطرق هذه الورقة البحثية إلى الاستعارة بقسميها، مكنية وتصريحية، من حيث تعريفها (لغةً واصطلاحًا)، كما تتعرض من جهة أخرى إلى الحديث عن بعض النظريات والاستراتيجيات التي تم وضعها لترجمة هذه الصورة البيانية. إضافةً إلى ذلك، سنقوم، من خلال الدراسة عينا، بتخصيص جزء لتحليل ونقد بعض الترجمات لبعض الاستعارات التي انتقيناها من رواية "الغريب" الشهيرة لألبير كامو التي ترجمها إلى العربية "العيد دوان".

في الأخير، نُنهي بحثنا هذا باقتراحنا لثلاثة أساليب لترجمة الاستعارة من الفرنسية إلى العربية وهي: "ترجمة الاستعارة بالمكافئ الديناميكي لها" وترجمة الاستعارة بتشبيهه بأركانه الأربعة (أي تشبيه تام) و"ترجمتها بكناية". إننا نَصُبو من خلال اقتراحنا لهذه الأساليب إلى ضمان ترجمة جيدة للاستعارة من لغة مولير إلى لغة الضاد؛ ترجمة من شأنها الحفاظ على جمالية النص الأدبي في اللغة الهدف. كلمات مفتاحية: الترجمة؛ الترجمة الأدبية؛ الثقافة؛ الصورة البيانية؛ الاستعارة؛ نظريات الترجمة.

* - مخبر الترجمة وتعدد الألسن، معهد الترجمة، جامعة وهران 1، الجزائر.

البريد الإلكتروني: kahil.mohammed@edu.univ-oran1.dz (المؤلف المرسل).

2- مخبر الترجمة وتعدد الألسن، معهد الترجمة، جامعة وهران 1، الجزائر.

البريد الإلكتروني: cheikhhalima@yahoo.com

Abstract: In this study, we seek to shed light on a figure of speech so called the «metaphor» which is commonly used in literary works due to the elegance and beauty it generates. It also touches upon the aforementioned figure of speech in both its direct and indirect parts in terms of its definition (lexically and contextually). On the other hand, it highlights some theories and strategies that were developed to translate the metaphor in addition to dedicating a part in which we analyze and criticize some of the metaphors' translation we selected from Albert Camus's famous novel «The stranger», translated into Arabic by Eid Duane. We conclude this research by suggesting three strategies (concerning metaphor translation from French into Arabic): «translating metaphor into its dynamic equivalent», «translating metaphor into comparison with its four elements (full comparison)» and finally «translating it into metonymy».

We seek through these strategies' suggestion to ensure a good translation of this figure of speech from French language into Arabic that will preserve the aesthetic of the literary text in the target language.

Keywords: translation; literary translation; culture; figure of speech; metaphor; translation theories.

1. مقدمة: كانت الترجمة ومازالت ذلك الوسيط الذي يربط بين مختلف الثقافات والحضارات الموجودة على وجه البسيطة. وبما أن التواصل بين البشر-على اختلاف ألسنتهم-ضرورة إنسانية، برزت الترجمة-كوسيلة حتمية لتحقيق هذا المطلب، وهي عملية تقوم على نقل نص من اللغة المصدر «La langue source» إلى اللغة الهدف «La langue cible». قد تبدو هذه العملية سهلة يسيرة، وقد يتبادر إلى الذهن أن نقل فحوى رسالة ما من لغة إلى أخرى لا يعدو كونه تعاملًا مع ألفاظ ومصطلحات لغة الانطلاق عن طريق إيجاد مكافئات لها في لغة الوصول. وهذا ادعاء واهنٌ واهٍ، لأن المترجم تُوكّل إليه مهمة التعامل مع النصّ الأصلي «Le texte source» الذي له ثقافة وبيئة وسياق تاريخي معيّن ومن ثمّ إعادة بنائه وترجمته إلى لغة أخرى وبالتالي خلق نصّ آخر مترجم «un texte traduit» مختلف تمامًا عن نصّ اللغة المصدر. وتزداد العملية تعقيدًا عندما يتعلق الأمر بترجمة النصوص الأدبية التي تُعدّ من أعقد أنواع الترجمة، إذ إنّ المترجم هنا يُعنى بنقل أعمال فنيّة ومسرحيّة وشعريّة وروائيّة، وبالتالي فإنّ عمله في هذا الإطار لا يقتصر على التعاطي مع الجانب اللغوي من مفرداتٍ وتراكيبٍ فقط، بل يتعدّى ذلك إلى الجانب الثقافيّ من نقل ميولات وأحاسيس وانفعالات

ومشاعر وكذا التقاليد والخلفية الثقافية والمشاعر لكاتب النص الأصلي. وفي هذا الصدد نسوق التعريف التالي:

«La traduction littéraire n'est pas une opération linguistique, c'est une opération littéraire...»¹ (صنية، 2013-2014)

"الترجمة الأدبية ليست عملية لغوية، إنما هي عملية أدبية... " (ترجمتنا). في هذا المقام، يلعب المترجم دور الأديب كما أن عمله لا يدور في فلك اللغة من مصطلحات ومفردات وتراكيب فقط. كما أن هذا النوع من الترجمة (الأدبية) يُعد بمثابة الغوص في بحر متلاطم الأمواج من صور بلاغية ومحسنات بديعية وأبيات شعرية وغيرها من الخصائص التي تتميز بها النصوص الأدبية عن غيرها من النصوص.

يَجْمُلُ التنويه في هذا المقام إلى أن الأعمال الأدبية تزخر بألوان عديدة من الصور البيانية التي تتجلى في التشبيه والكناية والمجاز والاستعارة؛ وهذا يضع المترجم في وضع لا يُحسد عليه؛ إذ إنه ليس من السهل ترجمة هذه الصور ترجمة أمينة تُوفّيها حقها وتحفظ معناها من الضياع أمام معطيات اللغة الهدف التي تختلف كلياً عن معطيات اللغة المصدر. وإذا ما أخذنا الاستعارة على سبيل المثال، نجد أنها من أبرز الصور البيانية التي يحدها القراء بكثرة في النصوص الأدبية.

إن الاستعارة قسم من أقسام علم البيان إلى جانب التشبيه والكناية والمجاز، وهي بقسميها-مكنية وتصريحية- من أكثر الصور البيانية انتشاراً في الأعمال الأدبية وبذلك فإنها تُنمّق الكلام وتُزخرف الألفاظ والعبارات وتُضفي على النص الأدبي روعة لا تضاهيها روعة. وعندما يتعلق الأمر بالترجمة «la traduction» وخاصة عندما يصادف المترجم في طريقه استعارات يريد نقلها من لغة إلى أخرى تزداد مهمته تعقيداً وذلك يرجع إلى طبيعة هذه الصورة البيانية التي غالباً ما تحمل في طياتها شحنة ثقافية تصعب ترجمتها ترجمة سليمة. فمثلاً عبارة «Cela me réchauffe le cœur» لا يمكن ترجمتها حرفياً إلى اللغة العربية لأنها استعارة تحمل في ثناياها شحنة ثقافية، وترجمتها حرفياً تُخلّ بمعناها. لذا يجب على المترجم أن يُلمّ بثقافة اللغتين المترجم منها وإليها.

الذي سبق يدفعنا إلى طرح التساؤلات التالية: ما هي الاستعارة؟ وما قيمتها الفنية والبلاغية؟ ما هي النظريات والاستراتيجيات التي تم وضعها لترجمة هذه الصورة البيانية؟ ما هي الاستراتيجيات أو الأساليب التي يمكن اقتراحها من أجل ترجمة الاستعارة ترجمة لا تؤثر على جمال النص الأدبي؟ في حال استحالة ترجمة الاستعارة باستعارة، كيف يمكن ترجمتها بطريقة من شأنها الحفاظ على جمال العمل الأدبي ورواقه في اللغة المترجم إليها (العربية)؟

يهدف ترجمة الاستعارة من اللغة الفرنسية إلى اللغة العربية ترجمة سليمة، ارتأينا أن نقترح الأساليب الثلاثة التالية: "ترجمة الاستعارة بالمكافئ الديناميكي لها" و "ترجمتها بكناية" و "ترجمتها

بتشبيه بأركانه الأربعة (تشبيه تام). "نُشير مرّة أخرى إلى أنّ "الكناية" و"التّشبيه" صورتان تنبثقان من رَجْمِ عِلْمِ البيان الذي نجد تحت مظّلتَه أيضًا "الاستعارة" و"المجاز". ويرجع سبب اختيارنا لهذه الأساليب لأننا نراها الأنسب للحفاظ على وَقَع هذه الصّورة البيانيّة (الاستعارة) وجمالها في اللّغة المترجم إليها؛ ومعروف أنّ الصّور البيانيّة لها بصمتها الجماليّة الخاصّة التي تَسَحَرُ ألباب قُرّائها؛ فالسّحر الذي تُضفيهِ الاستعارة على النّصّ الأصليّ (المكتوب باللّغة الفرنسيّة) لا يُمكن الحفاظ عليه في النّصّ المترجم إلّا باللّجوء إلى ترجمتها إمّا بالمكافئ الديناميكي لها وإمّا بصورة بيانيّة أخرى. كما أنّنا نرى أنّ اقتراحنا هذا (أي ترجمة الاستعارة من الفرنسيّة إلى العربيّة بالأساليب الثلاثة التي ذكرناها أنفًا) يُساعد على تأدية المعنى نفسه بأسلوب أكثر فصاحةً، وأكثر ملاءمةً لطبيعة لغة الضّاد.

سنحاول من خلال هذا البحث أن نجيب عن الأسئلة المطروحة معتمدين في ذلك على دراسة تحليليّة نقدية.

2. التّرجمة الأدبيّة «La traduction littéraire»:

1.2 تعريف التّرجمة الأدبيّة: إنّ التّرجمة الأدبيّة قسم خاصّ ومتميّز عن باقي أنواع التّرجمة؛ فهي "ترجمة الأدب بفروعه المختلفة أو ما يُطلق عليه "الأنواع الأدبيّة المختلفة" «literary genres» - مثل الشّعر والقصة والمسرح وغيرها، وهي تشترك مع التّرجمة بصفة عامّة أي التّرجمة في شتّى فروع المعرفة، من علوم طبيعيّة (كالفيزياء والكيمياء والأحياء) وإنسانيّة (كالفلسفة وعِلْمِ النّفس والاجتماع والتّاريخ) وتجربيّة أو تطبيقيّة مثل (الهندسة والزّراعة والطّب) على سبيل المثال، في أنّها تتضمّن تحويل شفرة لغويّة «verbal code» أي مجموعة من العلامات المنطوقة أو المكتوبة «oral or written signs» إلى شفرة أخرى...² (عناني، 2003). يتطلّب التعامل مع التّرجمة الأدبيّة الخروج من بوتقة التّقيد بالألفاظ، ومُخطئ من يظنّ أنّها (التّرجمة الأدبيّة) لا تَبْرَح دائرة التعامل السّطحيّ مع الكلمات «les mots»؛ فهذا الحقل شاسع جدّا وحرّيّ بالمختصّين فيه أن يمتلكوا قدراتٍ عاليةً ومهاراتٍ فذّة تُمكنهم من التعامل السّليم والصّائب مع النّصوص الأدبيّة التي تتميّز عن النّصوص العلميّة بكثرة الخيال والتّعابير المجازيّة وكذا الشّفرات التي لا يمكن فكّها إلّا بالقراءة بين السّطور. فمثلا كلمة "قمر" في نصّ علميٍّ لا يمكن ترجمتها إلى اللّغة الفرنسيّة إلّا ب «lune» أمّا الكلمة عينيّها في نصّ أدبيٍّ مليٍّ بالخيال والأحاسيس فيمكن ترجمتها بطرائق كثيرة، إذ يمكن ترجمتها ب «une belle femme» أو «la beauté personnifiée»... هذا يتوقّف على السّياق طبعا. والكلمة الانكليزيّة «dog» في نصّ علميٍّ تُترجم إلى العربيّة ب "كَلْب": «The dog's head is very solid» تُترجم إلى اللّغة العربيّة ب "إنّ رأس الكلب صلب للغاية"، أمّا الكلمة ذاتها -كَلْب- في المجال الأدبيّ فيمكن أن تتمّ ترجمتها بطرائق مختلفة، مثلا: العبارة الانكليزية «It rains dogs and cats» تُترجم إلى العربيّة ب "إنّها تمطر بغزارة". نلاحظ في هذه

الترجمة أنّ كلمة «dogs» لم تُترجم أصلاً، وهذا راجع إلى طبيعة النصّ الأدبيّ المليء بالإيحاءات والتعابير الاصطلاحية.

2.2 المترجم الأدبيّ «Le traducteur littéraire»: إنّ مترجم الأعمال الأدبيّة تلقى على عاتقه مسؤولية كبيرة لأنّ عمله يتجاوز إطار الكلمات؛ إذ "لا ينحصر همّه في نقل دلالة الألفاظ أو ما أُسمّيه هنا بالإحالة أي إحالة القارئ أو السّامع إلى الشّيء نفسه الذي يقصده المؤلّف أو صاحب النصّ الأصليّ، بل هو يتجاوز ذلك إلى المغزى «significance» وإلى التأثير «effect» الذي يُفترض أنّ المؤلّف يعتزم إحداثه في نفس القارئ أو السّامع، ولذلك فهو لا يتسلّح فقط بالمعرفة اللّغويّة بجميع جوانبها السابقة، بل هو يتسلّح أيضاً بمعرفة أدبيّة ونقدية، لا غنى فيها عن الإحاطة بالثقافة والفكر، أي بجوانب إنسانيّة، قد يُعفى المترجم العلميّ من الإحاطة بها."³ (عناني، 2003). فبالإضافة إلى حتميّة معرفة المترجم التّامة بمصطلحات ومفردات اللّغتين المترجم منها وإليها وكذا إتقانه القواعد الخاصّة بهما، يتعيّن عليه الإلمام التّام بثقافتهما لأنّ هناك عقبات لغويّة وثقافيّة جمّة تعترى طريقه؛ فهو ينقل أحاسيس وميولات ولا يبحث فقط عن ألفاظ ومكافئات.

إنّه لمن الضروريّ التنويه إلى أنّ ترجمة الأعمال الأدبيّة يجب أن تكون وفيّة للنصّ الأصليّ، أي يجب إنشاء نصّ -في اللّغة المترجم إليها- يشبه إلى حدّ كبير نصّ لغة الانطلاق، بطريقة تجعل قارئ الترجمة يشعر كأنّه يقرأ النصّ الأصليّ لا المترجم. وهذا يقودنا إلى القول بأنّ أهمّ التّحديات التي تواجه مترجم النصّ الأدبيّ حرصه على أن تكون الترجمة وفيّة للنصّ الأصليّ؛ فهو (مترجم النصّ الأدبيّ) إذن يجد نفسه أمام حتميّة خلق نصّ مترجم جدير أن يُحدث في نفس قارئه وقعا لا يختلف عن ذلك الذي يحدث في نفس قارئ النصّ الأصليّ.

3. الترجمة والثّقافة «La traduction et la culture»: إنّ علاقة الترجمة بالثقافة علاقة وطيدة جدّاً؛ إذ "لا توجد ثقافة دون ترجمة، ولا توجد ترجمة دون ثقافة؛ فهما كالجسد والروح، فالثقافة هي قلب الترجمة ولّهما الفاعل."⁴ (طيش، 2018). فهما إذن مرتبطتان ببعضهما ارتباطاً وثيقاً، فلا تُذكر إحداهما إلّا وذكّرت الأخرى معها. وفي هذا السّياق ننقل هذه الكلمات:

«... une traduction ne concerne pas seulement un passage entre deux langues, mais entre deux cultures, ou deux encyclopédies. Un traducteur tient compte des règles linguistiques, mais aussi d'éléments culturels, au sens le plus large du terme.»⁵ (Eco, 2006).

"... إنّ عمليّة الترجمة لا تتمّ بين لغتين فحسب بل بين ثقافتين أو بين موسوعتين، كما أنّ المترجم -بالإضافة إلى حتميّة تعاطيه مع القواعد اللّغويّة- يأخذ بعين الاعتبار العناصر الثّقافيّة بالمفهوم الواسع للكلمة." (ترجمتنا). فالترجمة الأدبيّة إذن تُعنى بترجمة أعمال تتجاوز العُدّة فيها المقام اللّسانيّ، لتُنتفع على الجانب الثّقافيّ بكلّ أبعاده. وحرّيّ بالمختصّين في مجال الترجمة هذا أن يمتلكوا -بالإضافة

إلى إتقان اللغة المصدر واللغة الهدف-معرفة أدبية واسعة وإلماما كبيرا بثقافة اللغة المنقول منها وثقافة اللغة المستقبلية، ونخلص بذلك إلى القول بأنه لا يمكن للترجمة الانسلاخ والتجرد من عنصر الثقافة.

4. الاستعارة «La métaphore»:

1.4 تعريف الاستعارة:

1.1.4 باللغة الفرنسية: وردت ترجمة مصطلح "الاستعارة" إلى اللغة الفرنسية تحت اسم «la

«métaphore». وقد جاء في قاموس لاروس «Larousse» الشهير التعريف التالي للميتافور:

«Procédé par lequel on transporte la signification propre d'un mot à une autre signification qui ne lui convient qu'en vertu d'une comparaison sous-entendue»⁶ (Lucas, Moreau, & Labouret, 1984).

"الاستعارة أسلوب يتسنى لنا من خلاله نقل المعنى الصريح لكلمة ما إلى معنى آخر لا يلائمها إلا على سبيل التشبيه الضمني". (ترجمتنا).

وقامت كاثرين فروميللاغ «Catherine Fromilhague» بتعريف الميتافور اصطلاحاً بقولها:

«La métaphore est fondée sur une relation d'analogie: «un lion» pour «un homme courageux.»⁷ (Fromilhague, 2005).

"إن الاستعارة تقوم على علاقة المشابهة، كأن نقول (أسدٌ) لنرمز إلى (رجل شجاع)". (ترجمتنا).

2.1.4 باللغة العربية:

أ- لغة: "أعارهُ الشيء، وأعارهُ منه، وعاورهُ إيّاه. وتَعَوَّرَ، واستعارَ: طَلَبَهَا. واستعارَهُ منه: طَلَبَ إعَارَتَهُ. واعتَوَرُوا الشيء وتَعَوَّرُوهُ وتَعَاوَرُوهُ: تَدَاوَلُوهُ".⁸ (آبادي، 2008).

ب- اصطلاحاً: "... ولك أن تُعرّف الاستعارة بالمعنى الاسمي فتقول: هي اللفظ المستعمل في غير ما وُضِعَ له لعلاقة المشابهة مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلي، أو أن تُعرّفها بالمعنى المصدرى فتقول: هي استعمال اللفظ في غير ما وُضِعَ له لعلاقة المشابهة مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلي... ولذا صح الاشتقاق فيقال: لفظ مستعار ومتكلم مستعير، ومعنى مستعار منه وهو المشبه به، ومعنى مستعار له وهو المشبه به".⁹ (بسيوني فيود، 2015).

الذي يُستشف من هذه التعريفات أن الاستعارة تقوم على التشبيه والمثابهة بين طرفين وعقد مقارنة بينهما. وإذا أردنا تعريفها (الاستعارة) باختصار شديد فلا يسعنا إلا القول بأنها "تشبيه قمنا بحذف أحد طرفيه (إما المشبه أو المشبه به)".

2.4 أقسام الاستعارة: إنّ الاستعارة -حسب البلاغيين- تنقسم إلى قسمين: تصريحية ومكنية.

1.2.4 الاستعارة التّصريحية «Métaphore contextuelle»: "هي ما صرّح فيها بلفظ المشبّه به،

أو ما استُعير فيها لفظ المشبّه به للمشبّه".¹⁰ (سلوم و نور الدين، 1990). في الاستعارة التّصريحية يُحذف المشبّه «le comparé» ويتمّ التّصريح بالمشبّه به «le comparant». نذكر مثالين على ذلك:

أ-باللغة الفرنسيّة: «Le lion était absent lors de la dernière bataille.» هنا حُذِفَ المشبّه «le soldat»، بينما ذُكِرَ لفظ المشبّه به «le lion».

ب-باللغة العربيّة: "أسفر القمر عن وجهه"; حُذِفَ المشبّه هنا "المرأة"، وُذِكِرَ لفظ المشبّه به "القمر".

2.2.4 الاستعارة المكنية «Métaphore explicite»: "وهي ما حُذِفَ فيها المشبّه به ورُمِزَ له بشيء

من لوازمه"¹¹ (الجارم و أمين، 1999). الاستعارة المكنية إذن يُدْكَرُ فيها المشبّه «le comparé» ويُحذفُ فيها المشبّه به «le comparant» ويتمّ الرّمز له بإحدى لوازمه. ومثال ذلك:

أ-باللغة الفرنسيّة: «La rumeur s'est vite envolée pour l'Allemagne.» هنا ذُكِرَ المشبّه «la rumeur» وحُذِفَ المشبّه به «l'oiseau» ورُمِزَ له بإحدى لوازمه «s'est envolée».

ب-باللغة العربيّة: قال الله تعالى: ﴿وَالصُّبْحُ إِذَا تَنَفَّسَ﴾ [التكوير: 18]، هذه الاستعارة جعلت من الصّبح كائناً حيّاً يقوم بعملية التّنفس؛ وفيها ذُكِرَ المشبّه "الصّبح" وحُذِفَ المشبّه به "الإنسان" ورُمِزَ له بإحدى لوازمه "تنفّس".

5. الاستعارة والتّرجمة «La métaphore et la traduction»: التّرجمة -كما أشرنا إليها سابقاً-

عملية تعتمد على نقل خطاب من اللغة المصدر (لغة الانطلاق) إلى اللغة الهدف (لغة الوصول). وهذه العملية سمحت بنقل شتى صنوف العلوم والمعارف وجعلت من هذا العالم المترامي الأطراف قرية صغيرة، كما أنّها تُعدّ أحد الأعمدة الأساسيّة للتّفاعل الحضاريّ «l'interaction civilisationnelle». وقد غدت التّرجمة حتمية؛ إذ لا يمكن لإنسان القرن الواحد والعشرين الاستغناء عنها بأيّ حال من الأحوال، خاصّة في ظلّ انتشار العولمة التي ما توانت لحظة في فرض أشياء على الدّول والشّعوب. فللسياسات العالميّة دور بارز في فرض التّرجمة وتوسيع رقعتها. والسّياسة، كما لا يخفى على أحد، تقوم على التّلاعب بالحقائق عن طريق الإيحاءات التي تتجلّى في تبني لغة تعجّ بالتّعابير المجازيّة والاستعارات التي تحمل في ثناياها معانيّ ملتويةً يصعب، في الغالب، فهمها واستيعابها. وبالتالي، لا يمكن إنكار العلاقة الوطيدة الموجودة بين الاستعارة والتّرجمة. وبالنّسبة إلى محمّد مناصير فإنّ "الاستعارات والعبارات المسكوكة متشابهان لأنّ كليهما يعتمد على الاستخدام المجازيّ للغة، ولذا فهما معضلتان يواجهان المترجم"¹² (مناصير، 1992).

وفي سياق إثبات العلاقة الموجودة بين الترجمة والاستعارة، نسوق التعريف التالي:

«La métaphore est traduction, et la traduction est également métaphore, dans la mesure où la traduction est une métaphore où la réalité à transposer n'est plus un concept ou un objet, mais tout le texte de départ».¹³ (Privat, 1997).

"الاستعارة ترجمة والترجمة هي الأخرى استعارة، على أساس أن الترجمة استعارة لم تعد فيها حقيقة التحويل مجرد فكرة أو شيء ولكن نص الانطلاق برؤيته". (ترجمتنا). إن هذا التعريف يدفعنا إلى القول بأن الاستعارة والترجمة وجهان لعملة واحدة وأن كلا منهما نافذة تطل على الآخر.

6. نظريات ترجمة الاستعارة: إن هناك العديد من النظريات التي تناولت مسألة ترجمة الاستعارة، لكننا نكتفي بذكر نظريتين اثنتين فقط. في هذا السياق، ميّز نيدا بين نوعين من المكافئات الترجمة: المكافئ الشكلي والمكافئ الديناميكي.

1.6 نظرية التكافؤ الديناميكي: يُعدّ داجوت «Dagut» من أبرز الباحثين الذين قاموا بالخوض في مسألة ترجمة الاستعارة، وفي هذا الإطار، يرى أن مهمة مترجم النص الأدبي تعتمد على إنتاج نص في اللغة المترجم إليها يُمكن قارئه من الوصول إلى المشاعر الجمالية التي يجدها قارئ نص اللغة المترجم منها. لذا عمل داجوت على "التكافؤ الديناميكي" «l'équivalence dynamique»؛ ويقتضي هذا المفهوم أن المترجم يعمل على إنتاج مكافئ للنص الأصلي في اللغة الهدف كفيل بأن يُحدث في نفس قارئه وقعا مشابهاً لذلك الوقع الذي يجده قارئ نص اللغة الأصلية. في هذا السياق، يرى داجوت أن أسلوب ترجمة الاستعارة والنصوص الأدبية الأمثل هو المكافئ الديناميكي «l'équivalent dynamique». يَجْمُلُ بنا التنويه إلى أن يوجين نيدا «Eugene Nida» هو أول من تطرّق إلى التكافؤ الديناميكي وقام بتطويره في الكثير من دراساته في حقل الترجمة. والذي يُقصد بـ"التكافؤ" هو قيام المترجم بترجمة الخطاب كليّة لا الاكتفاء بترجمة كل وحدة منه لوحدها.

2.6 نظرية التكافؤ الشكلي «l'équivalence formelle»: لقد تحدّث يوجين نيدا أيضا عن التكافؤ الشكلي، ويعتمد هذا الأخير على الإبقاء على شكل ومعنى وبُنية النص الأصلي عند الترجمة؛ فالشعر يُترجم شعرا والنثر يُترجم نثرا، بالإضافة إلى الحفاظ على ما يحويه النص من صُور بلاغية ومحسّنات بديعية. من هنا يتّضح جلياً الفرق بين المكافئين: فإذا كان المكافئ الشكلي «l'équivalent formel» يسعى إلى الحفاظ على شكل النص فإن المكافئ الديناميكي «l'équivalent dynamique» يهدف إلى الإبقاء على "روح" النص الأصلي دون التقيّد بشكله، ما يجعل الأثر الذي يجده القارئ في النص المترجم هو الأثر نفسه الذي يجده قارئ النص الأصلي.

7. استراتيجيات ترجمة الاستعارة: تُعدّ آن كريستين «Anne-Christine» من أبرز المنظرين الذين قاموا باقتراح أساليب مختلفة لترجمة الاستعارة؛ ففسّرت بذلك تسع استراتيجيات لترجمة هذه الصورة البيانية من خلال أطروحتها في الدكتوراه، وهذه الاستراتيجيات هي:

«Traduction littérale, traduction par une comparaison, traduction d'une interprétation non métaphorique, remplacement par une autre métaphore, omission, omission partielle, ajout métaphorique, même métaphore avec explicitation, déviation.»¹⁴ (Hagstrom, 2002).

"الترجمة الحرفية، ترجمتها -الاستعارة- بتشبيهه، تأويل معنى الاستعارة وترجمته دون اللجوء إلى المجاز، الإبدال باستعارة أخرى، الحذف، الحذف الجزئي، إضافة استعارة، ترجمة حرفية مع إضافة الشرح، الانزياح." (ترجمتنا).

من جهته، صنّف نيومارك «Newmark» الاستعارة في خانة التعبيرات المجازية؛ فهي تقوم على تشبيه أو وصف شيء بشيء آخر، أو تجسيد فكرة مجردة (كتجسيد "الحرية" في شخص يتكلم...). واعتبر ترجمتها مشكلاً عويصاً لا يجب الاستهانة به. وقد قام بوضع سبع استراتيجيات مختلفة لترجمتها، في حين لجأت هاغستروم «Hagstrom» إلى المقارنة (بين استراتيجيات الترجمة التي وضعها) مع الاستراتيجيات التي وضعها "بيتر نيومارك"، وتفصيلها كما يلي:

الجدول رقم 1: استراتيجيات هاغستروم واستراتيجيات نيومارك.

Classification de Newmark	Classification de Hagstrom
La reproduction de la même image.	Traduction littérale, même métaphore.
Le remplacement par une image standard de la langue d'arrivée.	Remplacement par une autre métaphore.
Le remplacement par une comparaison qui retient l'image.	Traduction par une comparaison pure.
Le remplacement par une comparaison couplée avec une explication.	Traduction par une comparaison avec explicitation.
La conversion de la métaphore en une explication de son sens.	Traduction d'une interprétation non métaphorique.
Omission.	Omission.
La reproduction de la métaphore originale combinée avec une explication.	Même métaphore avec explicitation.

«Anne-Christine Hagstrom, Un miroir aux alouettes ? Stratégies pour la traduction des métaphores. Thèses en langues romanes pour le doctorat des lettres, l'Université d'Uppsala, 2002, p65-66».¹⁵ (Hagstrom, 2002).

الجدول رقم 2: استراتيجيات "نيومارك" واستراتيجيات "هاغستروم". (ترجمتنا).

استراتيجيات "نيومارك"	استراتيجيات "هاغستروم"
إعادة إنشاء الصورة نفسها.	الترجمة الحرفية، الإبقاء على الاستعارة نفسها.
استبدال صورة النص الأصلي بصورة تتمشى وثقافة لغة النص الهدف.	الاستبدال باستعارة أخرى.
استبدال الاستعارة بتشبيه يحافظ على الصورة عينها.	ترجمة الاستعارة بتشبيه تام.
استبدال الاستعارة بتشبيه مع الشرح.	ترجمة الاستعارة بتشبيه مع الشرح.
تحويل الاستعارة إلى شرح لمعناها.	تأويل معنى الاستعارة وترجمته دون اللجوء إلى المجاز.
الحذف.	الحذف.
نسخ استعارة النص الأصل وإلحاقها بالشرح.	الإبقاء على الاستعارة نفسها مع الشرح.

المصدر: ترجمتنا.

8. تحليل ونقد ترجمات بعض الاستعارات:

الجدول رقم 3: تحليل ونقد ترجمات بعض الاستعارات المنتقاة من رواية "الغريب" لألبير كامو،

بترجمة العيد دوان.

الأمثلة	الاستعارات	ترجمتها (المترجم العيد دوان)	تحليلها ونقدها	الترجمة المقترحة
المثال 1	Il » mâchonnait des bouts de phrases...». p57	"كان كالذي يمضغ قطعا من الجمل...". ص 60-61	هنا أضاف المترجم عبارة "كالذي" التي لا وجود لها في النص الأصلي والتي تُستعمل للتشبيه أو التمثيل، فخلق بذلك صورة بيانية أخرى - إلى جانب الاستعارة - ألا وهي التشبيه. ورغم التغير الطفيف، نلاحظ في هذا المثال أن المترجم اعتمد	"كان يُدندنُ ببعض الكلمات...".

	على أسلوب الترجمة الحرفية فترجم المشبه «des bouts de phrases» بـ "قطعا من الجمل" ووجه الشبه «mâchonnait» بـ "كان يعض"، أما المشبه به «nourriture» "الطعام" فقد حذف، وهذا على سبيل الاستعارة المكنية » Métaphore «explicite».			
المثال 2	«...c'est le silence de la salle qui est monté vers moi...». p125	"... صمتت الغرفة هو الذي بلغني صعودا..." ص138	لجأ المترجم إلى الترجمة الحرفية عند ترجمته للمشبه «le silence de la salle» الذي ترجمه بـ "صمتت الغرفة" بينما استعان بأسلوب الإبدال «la transposition» عند ترجمته لوجه الشبه «est monté» الذي ترجمه بـ "صعودا". وحذف في هذا المثال المشبه به «l'homme» "الإنسان" على سبيل الاستعارة المكنية «métaphore» «explicite».	"... وصل سُكون الغرفة إلى مسامعي..."
المثال 3	«Le soleil avait fait éclater le goudron». p24	"...والشمس تبدو وكأنها أذابت الرقت". ص24	هنا تصرف المترجم حيث قام بخلق صورة بيانية أخرى في النص الهدف لا وجود لها في النص الأصلي وهي التشبيه؛ فمزج بذلك	"وكانت حرارة الشمس المحرقة قد شققت الإزفلت".

	بين صورتين بيانيّتين هما "الاستعارة" و "التشبيه". وقد ترجم العيد دوان المشبه «Le soleil» حرفياً ب "الشمس" ووجه الشبه «avait fait éclater» ب "تبدو وكأنها أذابت": هنا تحاشى المترجم الترجمة الحرفيّة للفعل «éclater» الذي من المعلوم أنّه لا يحمل معنى "الإذابة" بل يحمل معنى "التفجير". نلاحظ أنّ المشبه به «le char» غُيِبَ في هذه الاستعارة، فهي إذن مكنيّة «métaphore explicite». أمّا بخصوص المعنى، فإنّ المترجم لم يأت به على الوجه الذي أراده كاتب النصّ الأصلي؛ هذا الأخير أخبر بأنّ الإزفلة تشقّق وانتهى الأمر، بينما في النصّ المترجم نجد أنّ الإزفلة "كانّه تشقّق" أو "كانّه ذاب" على حد تعبير المترجم؛ وهذا ما لم يرد في نصّ اللغة المصدر.			
المثال 4	Il me restait » alors six heures à tuer avec les repas, les besoins naturels...». p94	"بقيت لي ست ساعات أقتلها أثناء الوجبات وقضاء الحاجة الطبيعيّة..." ص103	ترجم المترجم هذه الاستعارة ترجمة حرفيّة؛ فترجم المشبه «six heures» ب "ست ساعات"، ووجه الشبه «à tuer» ب "أقتل". وخُذِفَ	ونحن نقترح هذه الترجمة "بقيت لي ست ساعات أضيّعها بين تناول الوجبات وقضاء

			في هذه الاستعارة المشبه به «l'homme» «الإنسان» على سبيل الاستعارة المكنية « métaphore » هذه الترجمة explicite. هذه الترجمة لم تخل بالمعنى وإنما نرى أن ترجمة وجه الشبه « à tuer » في هذا السياق ب «أقتل» ليست ترجمة جيدة.	حاجتي الطبيعية...". وقد هنا بالتصرف في هذه الاستعارة التي أبينا إلا أن نُحدث فيها تغييراً؛ فترجمنا وجه الشبه « à tuer » ب «أضيع» بدلاً من «أقتل» حتى نتفادى الركاقة في الأسلوب.
المثال 5	Des bruits » de campagne montaient jusqu'à moi». p141	"...لأسمع أصوات البادية". ص158	في هذه الاستعارة المكنية « métaphore » explicite، دُكر المشبه Des bruits de campagne ووجه الشبه «montaient» بينما حُذف المشبه به «l'homme» «الإنسان». هنا غير المترجم شكل الاستعارة تماماً ولجأ إلى أسلوب التطويع « la modulation » وهذا تطويع اختياري modulation facultative لأنه كان بإمكانه ترجمة هذه الصورة البيانية (الاستعارة) على النحو التالي "كانت أصوات البادية تصعد إلي" على	"كانت أصوات البادية تطنّ في أذني".

	سبيل المثال. نلاحظ أنّ المترجم أتى بالمعنى لكّنه أخفى ملامح الاستعارة في النصّ المترجم.			
المثال 6	«...mais je portais le poids d'un péché...». p136	"...ولكّني أحمل ثقلَ خطيئة..." ص152	استعان المترجم هنا بأسلوب الترجمة الحرفيّة فترجم المشبّه «un péché» بـ "خطيئة" بينما تصرّف في ترجمة وجه الشبّه «portais»، فترجمه بـ "أحمل" بدل "كنتُ أحمل". وفي هذه الاستعارة حُذِفَ المشبّه به «une chose» "شيئ" على سبيل الاستعارة المكنيّة «métaphore explicite».	"لكّني كنتُ أَسْتَحْضِرُ ذنبا كان وَقَعُهُ عليّ أشبه بالجمال في الثقل..."
المثال 7	«Le prêtre a regardé tout autour de lui et a répondu d'une voix que j'ai trouvée soudain très lasse...». 137p	"نظر الكاهن حوله وأجاب بصوت وجدّته فجأة متعباً جداً..." ص153	حافظ المترجم هنا على الاستعارة في النصّ الهدف بإعماله تقنيّة الترجمة الحرفيّة فترجم المشبّه «une voix» بـ "صوت" ووجه الشبّه «lasse» بـ "متعباً"، إلّا أنّ المشبّه به «l'homme» "الإنسان" تمّ حذفه على سبيل الاستعارة المكنيّة «métaphore explicite».	"نظر الكاهن حوله وأجاب بصوت يُشبهه اللّيل في الهدوء والسكينة".
المثال 8	«Sa présence me pesait et m'agaçait».	"كان حضوره يُثقل كاهلي ويزعجني." ص154	وظّف المترجم أسلوب الترجمة الحرفيّة عند تعاطيه مع هذه	"كان وُجُودُه بجاني مزعجا لي، يُحاكي

	p138		الاستعارة؛ فترجم المشبّه «sa présence» ب "حضوره" ووجه الشبّه «pesait» و «agaçait» ب "كان يُثقل كاهلي" و "يزعجني". وهي استعارة حُذِفَ فيها المشبّه به «l'homme» "الإنسان"، على سبيل الاستعارة المكنيّة «métaphore» «explicite». وقد أدّت هذه التّرجمة المعنى.	العلقم في المرارة".
المثال 9	«La chaleur montait...». p102	"كانت الحرارة ترتفع..." ص112	ترجم المترجم هذه الاستعارة حرفيًا؛ إذ إنّه ترجم المشبّه «La chaleur» ب "الحرارة"، ووجه الشبّه «montait» ب "كانت ترتفع"، وهي استعارة حُذِفَ فيها المشبّه به «l'homme» "الإنسان"؛ فهي إذن مكنيّة «métaphore» «explicite».	"كانت الشمس حامية الوطيس في بُرجها".
المثال 10	«Sous l'aveuglante clarté des faits d'abord». p116	"تحت وضوح الحقائق أولاً..." ص128	إنّها استعارة مكنيّة «métaphore explicite» ذُكِرَ فيها المشبّه «clarté des faits» ووجه الشبّه «aveuglante» في حين حُذِفَ المشبّه به «rayons de soleil» هنا ترجم المترجم المشبّه «clarté des faits» ب "وضوح الحقائق"، بينما لم يذكر	"أولاً، في ظلّ هذه الواضحة وضوح الشمس في رابعة النهار..."

		وجه الشبه «aveuglante» متصرفاً بذلك في ترجمة الاستعارة.		
المثال 11	Tout ce que « je faisais d'inutile en ce lieu m'est alors remonté à la gorge...». p122	"كُلّ ما كنت أفعله عديم الفائدة في هذا المكان طلع إلى حلقي..." ص136	هنا ترجم المترجم الاستعارة ترجمة حرفية؛ فذكر المشبه « Tout ce que je faisais d'inutile » وترجمه حرفياً بـ "كُلّ ما كنت أفعله عديم الفائدة" وترجم وجه الشبه « est remonté » بـ "طلع"، بينما حُذِفَ هنا المشبه به « le liquide » "السائل" على سبيل الاستعارة الممكنة « métaphore » « explicite ».	"كُلّ أمر عديم الفائدة كنت أفعله سابقاً في هذا المكان أصبح غصة في حلقي..."

المصدر: تأليفنا.

9. النتائج: من خلال تحليلنا ونقدنا لترجمات بعض الاستعارات التي انتقيناها من رواية «L'étranger» (Camus, 2013) للكاتب الفرنسي الشهير ألبر كامو «Albert Camus» والتي قام بترجمتها إلى اللغة العربية المترجم العيد دوان تحت عنوان "الغريب" (كامو، 2018)، وقفنا على العديد من الملاحظات التي تخص ترجمة الاستعارة. بادئ ذي بدء، يجدر التنويه إلى أنّ هذه الرواية العالمية جدّ ثرية بهذه الصورة البيانية التي أضفت على هذا العمل الأدبي رونقاً وجمالاً مُنْقَطِعِي النَّظِير، غير أنّ الاستعارة المكنّية نالت حصّة الأسد نظراً لتواجدها بكثافة، في حين أنّ الاستعارة التصريحية تكاد تكون منعدمة. أمّا في ما يخصّ الترجمة، لاحظنا أنّ المترجم اعتمد على أساليب شتى عند تعامله مع هذه الصورة البيانية كالترجمة الحرفية «la traduction littérale» التي تقوم على ترجمة النصّ إلى اللغة الهدف "كلمة بكلمة"، والإبدال «la transposition» الذي "ينجم عن تبديل في الفئات النحوية بين جزء من خطاب النصّ الأصلي وجزء آخر من خطاب النصّ المترجم..."¹⁶ (بيوض، لم تُذكر سنة النشر)، وأحياناً أعْمَلَ المترجم هذين الأسلوبين معاً في الاستعارة الواحدة. كما لجأ في مرّة إلى أسلوب التّطويع «la modulation» الذي هو "تحوير يطرأ على شكل الرّسالة ناتج عن تغيير في وجهة النظر إلى حقيقة لسانية واحدة أو تسليط الضّوء عليها من جانب آخر..."¹⁷ (بيوض، لم تُذكر سنة النشر). وفي موضع آخر، ترجم الاستعارة بتشبيهه.

يَبْدُ أَنْ أَسْلُوبَ التَّرْجُمَةِ الَّذِي طَغَى هُوَ التَّرْجُمَةُ الْحَرْفِيَّةُ. وَبَعْدَ تَحْلِيلِنَا لِتِلْكَ التَّرْجُمَاتِ لَاحِظْنَا أَنَّ هَذِهِ الصُّورَةَ الْبَيَانِيَّةَ - فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ - فَقَدَتْ شَيْئًا مِنْ جَمَالِهَا فِي النَّصِّ الْمُرْجَمِ؛ فَالْمُرْجِمُ عِنْدَ اعْتِمَادِهِ عَلَى تَقْنِيَّاتِ التَّرْجُمَةِ الَّتِي ذَكَرْنَاهَا آنِفًا لَاحِظْنَا بِشَكْلِ جَلِيٍّ أَنَّهُ حَرَصَ - فِي بَعْضِ الْمَوَاطِنِ - عَلَى الْحِفَازِ عَلَى الْاسْتِعَارَةِ وَلَوْ عَلَى حَسَابِ الْجَانِبِ الْبَرَّاقِ وَالْجَمَالِيِّ الَّذِي يُمَيِّزُهَا.

وَحَقِيقَةُ الْأَمْرِ أَنَّ الْاعْتِمَادَ بِكَثْرَةٍ عَلَى أَسْلُوبِ التَّرْجُمَةِ الْحَرْفِيَّةِ فِي تَرْجُمَةِ هَذِهِ الصُّورَةِ الْبَيَانِيَّةِ يُوَدِّي فِي الْغَالِبِ إِلَى رِكَازَةِ الْأَسْلُوبِ إِضَافَةً إِلَى ضِيَاعِ سِحْرِهَا فِي النَّصِّ الْمُرْجَمِ؛ وَذَلِكَ يَرْجِعُ إِلَى عَدَمِ التَّطَابُقِ التَّامِّ بَيْنَ اللَّغَتَيْنِ، فَلُغَةُ الضَّادِ لَهَا خِصَائِصُهَا الَّتِي تُمَيِّزُهَا عَنْ لُغَةِ مَوْلِيرِ، كَمَا أَنَّ الْاسْتِعَارَةَ تَنْدَرِجُ ضَمْنَ إِطَارِ التَّرْجُمَةِ الْأَدْبِيَّةِ الَّتِي تُعَدُّ مِنْ أَعْقَدِ أَنْوَاعِ التَّرْجُمَةِ كَمَا أَسْلَفْنَا الذِّكْرَ فِي بَدَايَةِ بَحْثِنَا هَذَا، مَا يَجْعَلُ الْمُرْجِمَ الْأَدْبِيَّ أَمَامَ تَحَدٍّ صَعْبٍ لِلْغَايَةِ يُحْتِمُّ عَلَيْهِ، عِلَاوَةً عَلَى الْإِتْقَانِ التَّامِّ وَالْمَعْرِفَةِ الْكَامِلَةِ بِتَرَاكِيِبِ وَمُفْرَدَاتِ اللَّغَتَيْنِ الْمُرْجَمِ مِنْهَا وَإِلَيْهَا - امْتِلَاكَ مَهَارَاتٍ فَائِقَةٍ وَقُدْرَاتٍ جَيِّدَةٍ مِنْ شَأْنِهَا تَيْسِيرُ سُبُلِ التَّعَاظِي مَعَ هَذَا النَّوعِ مِنَ الْعُقُبَاتِ الَّتِي تَزْخُرُ بِهَا النَّصُوصُ الْأَدْبِيَّةُ وَفِي مَقَدِّمَتِهَا الصُّورُ الْبَيَانِيَّةُ.

10. الْخَاتِمَةُ: نَظَرًا لِأَنَّ بَعْضَ التَّرْجُمَاتِ الَّتِي دَرَسْنَاهَا مَحْتِ مَلَامِحِ الْاسْتِعَارَةِ فِي النَّصِّ الْهَدَفِ، وَالبعض الآخر أبقي على هذه الصورة البيانية لكتنه أفقدها جمالها (الذي يكاد ينعدم في اللغة الهدف)، ارتأينا أن نقترح ما يلي: الاقتصار على ثلاث طرائق (لترجمة الاستعارة من الفرنسية إلى العربية) وهي:

- أولاً: ترجمة الاستعارة بالمكافئ الديناميكي.

الجدول رقم 4: ترجمة الاستعارة بالمكافئ الديناميكي لها.

الأمثلة	الاستعارة (النص الأصلي)	ترجمتنا	الأسلوب
المثال 1	Des bruits de campagne » montaient jusqu'à moi». p141	"كانت أصوات البادية تطنّ في أذني".	ترجمة الاستعارة بالمكافئ الديناميكي.
المثال 2	...c'est le silence de la salle » qui est monté vers moi...». p125	"... وصل سُكون الغرفة إلى مَسَامِعِي...".	ترجمة الاستعارة بالمكافئ الديناميكي.
المثال 3	Il m'annonçait des bouts de » phrases...». p57	"كان يُدْنِنُ بَعْضَ الكلمات...".	ترجمة الاستعارة بالمكافئ الديناميكي.

المصدر: تأليفنا.

- ثانيًا: ترجمة الاستعارة بصورة بيانية أخرى وهي التشبيه «la comparaison» بأركانه الأربعة: المشبّه والمشبّه به وأداة التشبيه ووجه الشبّه (أي تشبيه تامّ) ومثال ذلك:
الجدول رقم 5: ترجمة الاستعارة بتشبيه بأركانه الأربعة (تشبيه تامّ).

الأمثلة	الاستعارة (النص الأصلي)	ترجمتنا	الأسلوب
المثال 1	«...mais je portais le poids d'un péché...». p136	"لكي كنت أَسْتَحْضِرُ ذنبا كان وَقْعُهُ عليّ أشبه بالجبال في الثقل...".	ترجمة الاستعارة بتشبيه تامّ؛ قمنا بتحويل الاستعارة إلى تشبيه ذكرنا فيه أركانها الأربعة: المشبه "وَقْعُهُ" والمشبّه به "الجبال" وأداة التشبيه "أشبه ب" ووجه الشبه "الثقل".
المثال 2	«Le prêtre a regardé tout autour de lui et a répondu d'une voix que j'ai trouvée soudain très lasse...». p 137	"نظر الكاهن حوله وأجاب بصوت يُشبه اللّيل في الهدوء والسّكينة".	ترجمة الاستعارة بتشبيه تامّ؛ تشبيه ذكرنا فيه الأركان الأربعة: المشبّه "صوت" والمشبّه به "اللّيل" وأداة التشبيه "يُشبه" ووجه الشبه "الهدوء" و"السّكينة".
المثال 3	«Sa présence me pesait et m'agaçait». p138	"كان وُجُودُهُ بجاني مزعجا لي، يُحاكي العلقم في المرارة".	ترجمة الاستعارة بتشبيه تامّ؛ تشبيه ذكرنا فيه الأركان الأربعة: المشبّه "وُجُودُهُ" والمشبّه به "العلقم" وأداة التشبيه "يحاكي" ووجه الشبه "المرارة".

المصدر: تأليفنا.

- ثالثاً: ترجمة الاستعارة بصورة بيانية أخرى وهي الكناية «La métonymie»:

الجدول رقم 6: ترجمة الاستعارة بكناية.

الأمثلة	الاستعارة (النص الأصلي)	ترجمتنا	الأسلوب
المثال 1	«Tout ce que je faisais d'inutile en ce lieu m'est alors remonté à la gorge».	"كُلّ أمر عديم الفائدة كنت أفعله سابقاً في هذا المكان	ترجمنا الاستعارة «m'est alors remonté à la gorge» بالكناية "أصبح

غصة في حلقى" والتي تعني صعوبة تجرّع أمر ما.	أصبح غصة في حلقى"...	p122.«gorge...	
ترجمنا الاستعارة «La chaleur montait بالكناية "...حامية الوطيس" والتي تعني الضراوة والحدة والشدة، وهي كناية عن الحرّ الشديد في هذا السياق.	"كانت الشمس حامية الوطيس في بُرجها".	La chaleur montait...». » p102	المثال 2
ترجمنا هذه الاستعارة بالكناية "...وضوح الشمس في رابعة النهار" وهي كناية عن شدة وضوح شئ ما.	"أولاً، في ظلّ هذه الوقائع الواضحة وضوح الشمس في رابعة النهار..."	Sous l'aveuglante clarté » des faits d'abord...». p116	المثال 3

المصدر: تأليفنا.

إننا نرنو من خلال اقتراحنا لهذه الطرائق الثلاث: "ترجمة الاستعارة بالمكافئ الديناميكي لها" و "ترجمة الاستعارة بصورة بيانية أخرى ألا وهي "التشبيه التام بأركانه الأربعة (المشبه والمشبّه به وأداة التشبيه ووجه الشبه)" إضافة إلى "ترجمتها بصورة بيانية أخرى وهي (الكناية)" إلى تدليل الصعوبات التي تواجه المترجم الأدبي حين يصادف هذه الصورة البيانية (الاستعارة) في اللغة الفرنسية محاولاً ترجمتها إلى اللغة العربية، كما نصبو إلى الحفاظ على روعة وجمال وسحر النص الأدبي عند ترجمته لأنه - في الكثير من الأحيان - يفقد هذا الجمال بريقه الأصلي وبهاءه الجمالي في اللغة المترجم إليها، وقد لاحظنا هذا في بعض الاستعارات التي حللنا ترجمتها.

نشير في نهاية ورقتنا البحثية هذه إلى أننا اقترحنا هذه الأساليب الثلاثة لترجمة الاستعارة بهدف الوصول إلى الحفاظ على معناها بأسلوب أكثر فصاحة وأكثر ملاءمة لطبيعة اللغة العربية، وكذا بهدف الحفاظ على الجمال الذي يميّزه العمل الأدبي.

11. قائمة المراجع:

❖ المراجع العربية:

1. أسامة طبش. (15 05، 2018). تاريخ الاسترداد 24 05، 2021، من الألوكة: https://www.alukah.net/literature_language/0/127027.
2. ألبير كامو. (2018). *الغريب*. (العيد دوان، المترجمون) الحراش-الجزائر: بيت الياسمين للنشر والتوزيع.
3. الفيروز آبادي. (2008). *القاموس المحيط*. القاهرة-مصر: دار الحديث.
4. إنعام بيوض. (لم تُذكر سنة النشر). *الترجمة الأدبية: مشاكل وحلول* (الإصدار الأول). بيروت-لبنان: دار الفارابي.
5. رمضان صنية. (2013-2014). *إستراتيجيات الترجمة الأدبية: رواية «Les misérables» لفكتور هيغو بترجمة منير البعلبكي إلى العربية*، المجلد الثاني «Cosette» أنموذجا - دراسة تحليلية نقدية. مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الترجمة، جامعة الحاج لخضر، باتنة-الجزائر.
6. عبد الفتاح بسيوني فيود. (2015). *علم البيان، دراسة تحليلية لمسائل البيان* (الإصدار الرابع). القاهرة-مصر: مؤسسة المختار للنشر والتوزيع.
7. علي الجارم، و مصطفى أمين. (1999). *البلاغة الواضحة: البيان- المعاني- البديع للمدارس الثانوية*. القاهرة-مصر: دار المعارف باتفاق خاص مع الناشر ماكميلان وشركاه بلندن.
8. علي جميل سلوم، و حسن محمد نور الدين. (1990). *الدليل إلى البلاغة وعروض الخليل* (الإصدار الأول). بيروت-لبنان: دارالعلوم العربية.
9. محمد عناني. (2003). *الترجمة الأدبية بين النظرية والتطبيق* (الإصدار الثاني). الجيزة-مصر: الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان.
10. محمد مناصير. (1992). *ترجمة الاستعارات والعبارات المسكوكة العربية*. 37 (03).

❖ المراجع الأجنبية:

11. Camus, A. (2013). *L'étranger*. Bejaia, Algérie: Editions Talantikit.
12. Eco, U. (2006). *Dire presque la même chose. Expériences de traduction*. Paris-France: Editions Grasset et Fasquelle.
13. Fromilhague, C. (2005). *Les figures de style*. Mlakoff-France: Editions Armand Colin.
14. Hagstrom, A.-C. (2002). *Un miroir aux alouettes? Stratégies pour la traduction des métaphores*. thèse en langues romanes pour le doctorat des lettres, Université d'Uppsala, Uppsala-Suède.

15. Lucas, G., Moreau, C., & Labouret, C. (1984). *Petit Larousse Illustré*. Paris- France: Editions Larousse.
16. Privat, M. (1997). Proverbes, métaphores et traduction. *Paremia*, 6, 511-514.



12. هوامش:

- 1- Voir: Cary Edmond, ((Traduction et Poésie)), Babel, vol. III, n°1, (Mars 1957), p25.
- (عن صنية رمضان، استراتيجيات الترجمة الأدبية، رواية « Les misérables » لفكتور هيجو بترجمة منير البعلبكي إلى العربية المجلد الثاني « Cosette » أنموذجا: دراسة تحليلية نقدية"، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الترجمة، قسم الترجمة، جامعة الحاج لخضر، باتنة، السنة الجامعية 2013-2014، ص25).
- 2- يُنظر: محمد عناني، الترجمة الأدبية بين النظرية والتطبيق، (القاهرة- مصر: الشركة المصرية العالمية للنشر-لونجمان الطبعة الثانية، 2003). ص7-8.
- 3- يُنظر: محمد عناني، مصدر سابق، ص16.
- 4- يُنظر: الترجمة والثقافة، أسامة طبش (https://www.alukah.net/literature_language/0/127027) تاريخ الإضافة: 2018-05-15؛ أطلع عليه في 2021-05-24.
- 5- Voir: Umberto Eco, Dire presque la même chose. Expériences de traduction, (Paris- France: Editions Grasset & Fasquelle, 2006). p114.
- 6- Voir: Georges Lucas- Claude Moreau et Claude Labouret, Petit Larousse Illustré, (Paris- France: Editions Larousse, 1984). p631.
- 7- Voir: Catherine Fromilhague, Les figures de style, (Malakoff- France: Editions Armand Colin, 2007). p56.
- 8- يُنظر: القاموس المحيط، الفيروز آبادي، (القاهرة- مصر: دار الحديث، 1429 هـ - 2008 م). ص1160.
- 9- يُنظر: عبد الفتاح فيود البسيوني، علم البيان: دراسة تحليلية لمسائل البيان، (القاهرة -مصر: مؤسسة المختار للنشر والتوزيع 2015 م). ص155.
- 10- يُنظر: علي جميل سلوم وحسن محمد نور الدين، الدليل إلى البلاغة وعروض الخليل، (بيروت -لبنان: دار العلوم العربية الطبعة الأولى 1410 هـ - 1990 م). ص142.
- 11- يُنظر: علي الجارم ومصطفى أمين، البلاغة الواضحة: البيان-المعاني-البديع للمدارس الثانوية، (القاهرة- مصر: دار المعارف باتفاق خاص مع الناشر ماكميلان وشركاه بلندن، 1999م). ص77.
- 12- يُنظر: محمد مناصير، ترجمة الاستعارات والعبارات المسكوكة العربية، العدد الثالث من المجلد السابع والثلاثين من مجلة ميثا، 1992.
- 13- Voir: Privat Maryse, Métaphores et traductions, Vol 6, Journal Paremia (Espagne: asociación, 1997). p511.
- 14- Voir: Anne-Christine Hagstrom, Un miroir aux alouettes ? Stratégies pour la traduction des métaphores, Thèse en langues romanes pour le doctorat des lettres, (Suède: l'Université d'Uppsala, 2002). p63-64.

15- Voir: Anne-Christine Hagstrom, Op.cit., p65-66.

16- يُنظر: إنعام بيوض، الترجمة الأدبية: مشاكل وحلول، (بيروت- لبنان: دار الفارابي، الطبعة الأولى، لم تُذكر سنة النشر). ص153.

17- يُنظر: إنعام بيوض، مرجع سابق، ص163.

ترجمة التناص المقدس في السياق المسيسي.

.The translation of Holy inter-text in the political context

أ. بشير عابد*

أ. بصافي رشيدة²

تاريخ القبول: 2022.01.26

تاريخ الاستلام: 2021.10.07

ملخص: ينعكس امتداد الماضي في الحاضر بوصفه أصله وأساس بنائه على الخطابات السياسية، وذلك باستحضار الماضي المؤسس في عبارات ونصوص لبناء ودعم اللبنة اللغوية والدلالية للخطاب السياسي الحديث ومن هذا المنطلق باشرنا هذه الدراسة الدلالية التقابلية الرامية لدراسة سلوك المترجم وطريقة تعامله مع المقدس من تلك النصوص والتعابير تحت عنوان "ترجمة التناص المقدس في السياق المسيسي" وهذا بدراسة ترجمات لعبارات منتقاة من خطابات رئيس الجزائر الجديدة السيد عبد المجيد تبون، ومقارنتها بالنصوص الأصل من جهة وترجمات موازية من جهة أخرى. كلمات مفتاحية: التناص؛ التناص المقدس؛ السياق المسيسي؛ الترجمة.

Abstract: The extending of the past in the present is visual in the political discourse, because the past is the roots and the basic of the present. One of many figures of the existence of the past in the present is the use of a holy expressions and styles to building same texts, in order to give eloquence and power to the political discourse. In this research entitled « the translation of Holy inter-text in the political context », we have to analyze translator comportments with this Holy inter-text. To realize this study we have to focalize in the new Algerian political discourse, and compare a many Holy inter-text translations used by mister the president Tebboune Abd El Madjid with the original text and parallel translations.

Keywords: inter-text; Holy inter-text; political discourse; translation.

* - جامعة أحمد بن بلة، وهران 1، الجزائر.

البريد الإلكتروني: bachirfadhila@gmail.com (المؤلف المرسل)

2 جامعة أحمد بن بلة، وهران 1 الجزائر.

البريد الإلكتروني: psi_4@outlook.fr

1. مقدمة: تكمن قيمة الخطاب السياسي في ماهيته الإقناعية ورغبته التأثيرية بغرض الامتداد خارج الكيان الملقى له والمتبني لأفكاره ورؤاه، فتلك الرغبة الكامنة في الذات البشرية الفردية السوية تصير المحرك الديناميكي الأساسي للوجود السياسي وضمان عدم زواله، مثله مثل الفرد السوي، ولا شك أنّ ما يهم الكائن الحي سواء كان فرداً أم نظاماً هو إشباع تلك الرغبة والانغماس في تحقيقها، ذلك أنها غير اختيارية، وإنما تفرض نفسها على كل كائن وتجبره على الاستجابة إلى حاجته الفطرية الوجودية في رفض الزوال ومسايرة مطارق العصر ومتغيراته، فالرغبة كائن من كان صاحبها تدور حول فلك الخلود (الاستمرارية) واللذة الناتجة عن الإشباع الظرفي (غودار، 2016، 97).

تكشف البنية اللغوية للخطاب السياسي عن التحوّلات الجذرية التي لحقت بالكيان الملقى له، كما تكشف عن سياق صياغته ومحيطه، وكذا رؤيته ورغبته في خلق نوع من التجاوب لدى متلقيه، ولا شك أنّ تلك الرغبة تتعدى حد سماع التصفيق، كما أنها تتنافى وصافرات الاستهجان، فلا لذة ولا متعة في كون الإنسان مرفوضاً في الوسط الذي يرغب أن يكون منه أوله. والحال أن ذلك التخوّف من الرفض وعدم إشباع الرغبة التأثيرية المبنية على أساس الإقناع يتحول إلى شكّ في قدرة الملكة اللغوية وكفاية الحقل اللغوي والبلاغة الفردية وفلسفة الإقناع الشخصية على تبني السلوك المرجو في ظل وجود السلوك الواقع والمتوقع.

ولهذا يبحث صائغ الخطاب في هوية المتلقي لخطابه، ليكشف عن مكان القوة والتصلّب فيستعطفها، ومواطن الضعف فيه فيستثيرها، ومواضع الاعتزاز والقداسة فيستميلها. ومع شكّه المتفاوت بين المطلق والنسبيّة في كفاية لغته على تحقيق الغايات الثلاث، فإنه يلجأ إلى استدعاء النصوص المقدسة لطرح رؤيته أو دعم فكرته. هذا الاستدعاء للنصوص ليس سرقة لها أو تعدياً على قداستها، وإنما إقرار بالضعف والعجز أمام القدرة المطلقة للقادر والإتيان بمثل ما أتى، فكان لا بد من نثر إلهي لإقناع متلقي الخطاب، وإضفاء القداسة على الرؤية السياسية وذلك هو التناس المقدس في السياق المسيّس.

إن كان لجوء السياسي إلى التناس المقدس يعتبر إقراراً منه على قصور ملكته اللغوية على الإتيان بمثل تلك النصوص الجامعة بين الامتناع الأسلوبى والكمال التركيبى والمطلق البلاغى والقوة الدلالية والمقدس اللفظي فهل سيستطيع مترجمها الإتيان بمثلها في اللغة الهدف؟

هذا التساؤل الترجمي وردت إجابته بالنفي الجازم من صاحب النصوص المقدسة في قوله تعالى " قل لئن اجتمعت الجنّ والإنس على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً" (سورة الإسراء الآية 88)، ومع هذا فإن المترجم مجبر على التعامل مع هذه الظاهرة اللغوية والنصوص المتداخلة في تكوين النص أو الخطاب المراد ترجمته.

ويهدف استكشاف أنماط التناظر بين تلك النصوص المقدسة المستحضرة، والسلوك الذي يتبناه المتعامل مع ترجمتها ومدى انتظامه وتغيره، بأشرنا هذه الدراسة الدلالية التقابلية لأربعة أمثلة مأخوذة من الخطابات السياسية الرئاسية لما يعرف بالجزائر الجديدة، بسلوك ترجي متباين. أي أننا بأشرنا هذه الدراسة من تجربة ترجمة ميدانية وليس من مفاهيم مجردة أو مبادئ إستباقية، فتتعدى بذلك تلك الأمثلة حدود كونها نماذج ترجمة، إلى حد اعتبارها منابع ومصادر تأملية قابلة للتحليل والاستقاء والغوص ومساءلة التقاليد الترجمة المعتمدة في صياغتها.

2.التناس: ظاهرة التناس قديمة قدم ممارستها الفعلية وتداخل النصوص الناتج عن تأثر بعضها ببعض ونهل بعضها من تعابير وأساليب صياغة البعض الآخر، كما أنها حديثة كظاهرة أدبية حديثة الدراسات المسطرة عليها والمتناولة لها بعين التدقيق والتحليل والتنظير.

اتسمت هذه الظاهرة اللغوية بالثراء والتعدد المصطلحي مثلها مثل الظواهر اللغوية الأخرى التي استطاعت فرض نفسها بديمومة اعتمادها في النظم ولفت النظر إليها بالنقد والدراسة، ولا ريب في أن هذا الزخم المصطلحي ناتج أساسا عن اختلاف زوايا الدراسة وتوجه الدارسين إليها، فكل من أدلى بدلوه في بئر هذه الظاهرة فضل ترك لمسته على تسميتها، فمن التناس إلى التناسية إلى النص الغائب وغيرها من التسميات كثير. لكن الظاهر والمجتمع عليه من طرف كل من أسهم في إثراء هذا الحقل المصطلحي هو اعتمادهم نفس الجذر اللغوي "النص" لصياغة تلك التسميات. (علوش، 1985، 215)

تباينت تعريفات التناس من التعريف اللغوي البسيط الوارد في تاج العروس والمفيد للانقباض والازدحام (تاج العروس، مادة نص)، مروراً برؤية كريستيفا التي تعتبره حالة نص على نصوص أخرى سابقة أو معاصرة له، وباختين الذي يراه تداخلاً حتمياً للنصوص (باختين، 1987، 53)، إلى من يرى أنه يتضمن الاقتباس والتضمين والاستشهاد والقرينة والتشبيه والمجاز والمعنى، وصولاً إلى الإمام الجرجاني الذي يساويه بالأخذ في عملية تبادلية مبنية على أساس رابح- رابح، فيستفيد النص الجديد من قوة الآخر، ويستفيد الآخر باستحضاره والتذكير بوجوده وإبراز أهميته (الزعي، 2000، 19).

يبقى التناس عملية استدعائية لنصوص كاملة، أو نصيات قصيرة مركزة المعنى وعالية الأثر، أو تراكيب تتمتع بالقوة البلاغية لإضفاء صفة البلاغة على النص الجديد ومنحه تلك القدرة التأثيرية لتلك النصوص التي لجأ صانع النص أو الخطاب إلى استحضارها. ومن هذا المنطلق الاستدعائي للنصوص والتراكيب الأقوى دلالة لتفادي البساطة، والأقوى بلاغةً للاحتماء بها من الركافة، والأقوى إيحاءً للاستلها من، والأقوى تأثيراً لاستغلال تأثيرها واستغلال المقدس منها لإضفاء القدسية على النص المصاغ والخطاب الملقى، فإن النص المستحضر يهاجر عبر المكان والزمان تاركاً وراءه شرطية إنتاجه. ليس ذلك التهجير للنصوص والتعابير إهمالاً لعوامل ميلادها الأول ولا تبرؤاً من الأصل الموجودة فيه والموجد لها، وإنما الغرض منه حملها ونشرها في نطاق اللامحدود المكاني والأبدية الزمنية،

فاستحضارها يذكر بالشرطية التي أوجدتها كما يدعو متلقيها إلى تدبرها وتدبر موضع تشابه السياق الاستدعائي لها مع السياق الأصل، فيتردد في الصدى فكر واسم من كان مجهولاً بنفسه ليسموبه سُمُو نصه، فالتناس هو النصوص والتراكيب المسافرة عبر الزمن وبين الألباب، والمسرودة بالأقلام، وفوق منابر الخطاب، ليجعل من الزمن دائرة تستمر فيها الذاكرة والوقت بالتوالد من تزواج الحنين إلى الماضي وكمالية النص، فما أكثر الماضي الحاضر في نصوص اليوم والغد.

يأخذ التناس العناصر اللغوية تعابير كانت أو نصوصاً ليصعد بها دهرًا فدهرًا، ليروي لنا ويذكرنا بسيرة من سبقنا في رحلة المكان والزمان الطويل، ويعيدها في سياق زمكاني آخر مغاير تغير درجة الحداثة ومطارق العصر، وثابت ثبات الصراع الأزلي بين ما كان وما يجب أن يكون، فيصعد بالنصوص الجديدة قمم الكمال والبلاغة ليطل على عاطفة المتلقي فيثيرها، ويتسلل إلى عقله فيقنعه، وينساب إلى روحه فيستميلها.

3. التناس المقدس: إن كانت النصوص والعبارات وأبيات الشعر المستحضرة في النصوص والخطابات تمثل قلائد من النجوم اللغوية على أعناق الجمل والعبارات، لتزين جيد النصوص وتزيدها بهاءً، فإن استحضار المقدس منها كالنصوص القرآنية والأحاديث النبوية يعتبر إقراراً بعجز الملكة اللغوية للبشر على الإتيان بمثل تلك النصوص أو ما يماثلها من حيث التركيب والدلالة وقوة التأثير والقدسية، وقد تجاوز ذلك الإقرار المعتقدين بها إلى غيرهم خصوصاً في الخطابات السياسية، وذلك لتوظيف تلك القدسية من أجل الرفع من درجة إقناعية تلك الخطابات التوجيهية.

إن كانت بعض النصوص تمتلك إمكانية التماهي والانحلال داخل النصوص الجديدة كتلكم النصوص الأدبية التي سماها بنيس بالنصوص الغائبة (بنيس، 1985، 117)، فإن غيرها من النصوص الثقافية والتاريخية والدينية لا يمكن إخفاؤه، بل ويعمد صاحب النص إلى استحضاره مستظهِراً مصدره ومراده من توظيفه.

توظيف التناس المقدس في الخطابات السياسية يراد به تبرير وجهة النظر أو تحضير المتلقي لتقبل الفكرة المراد طرحها.

4. التناس المقدس في السياق المسيحي: رغم كل الجلبة التي أحدثتها الأصوات المنادية بفصل الدين عن السياسة في شتى أصقاع المعمورة، إلا أن اعتماد هذه الأخيرة التناس المقدس لشحن الهمم وحشد الجماهير من أجل قضية ما، ودعم الرؤية المطروحة أمر لا يختلف عليه اثنان، ومن ذلك نجد استحضار مختلف سياسي العالم (على اختلاف دياناتهم) لآي القرآن من أجل مخاطبة المسلمين وحشدهم في نطاق تأثير الخطاب السياسي الملقى إلى تبني وانتهاج سلوك معين ومن ذلك نذكر:

اعتماد جو بايدن مرشح الانتخابات الرئاسية الأمريكية لسنة 2020 الحديث النبوي الشريف: "من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان"، وهذا لحثّ مسلمي أمريكا على عدم التصويت لغريمه المدعو دونالد ترامب ووصفه بالمنكر، حيث صرح بالإنكليزية ما يلي:

« Who never among you sees wrong, let him change it with his hand, if he was not able then with his tongue, if he was not able then with his heart »

وإن كان استعمال بايدن للحديث الشريف في سياق الدعوة إلى عدم انتخاب منافسه، فإنه يحمل في طياته نوعاً من المغازلة للشريحة المسلمة في ذات المجتمع وتأكيداً على أهميتها ودورها في عملية التغيير التي يرجو ذات المترشح إحداثها.

لم يفت رئيس وزراء كندا ترودو أن يستشهد هو الآخر بآيات قرآنية لتهدئة المسلمين وتذكيرهم بقيم التسامح وغض الطرف عن أساء إليهم، وهذا عقب أحداث مسجد نيوزيلندا:

« The true cervantes of the most merciful are those who behave gently and with humanity with earth, and when ever the foolish talk with them they reply with the words of peace »

قوله تعالى "وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً"، مع ما تحمله الآية الكريمة من وصف لعباد الرحمن الذين وعدهم ربهم حسن الجزاء، فإن ما أراده ترودو من اعتماد الآية ذاتها دون غيرها هو محاولة امتصاص غضب مواطنيه ودعوتهم إلى التعقل وعدم الالتفات إلى التصرفات الفردية الصادرة عن الجهلة كما ورد في الآية الكريمة.

لجأ الأمين العام للأمم المتحدة أنطونيو غوتيريش بدوره إلى اعتماد أي القرآن في خطابه حول اللاجئين الأفغان في باكستان، ولكن استعماله للآية المذكورة أدناه جاء في سياق محرف. فالآية القرآنية تتحدث عن لاجئين يختلفون عقائدياً عن مجيرهم، عكس السياق المستعملة فيه والتي يشترك فيها المجير والمجار في المعتقد. ولعل الرسالة المراد تمريرها أو المعنى المقصود من ذلك الاستعمال هو وصف الخارج عن إطار الشرعية العالمية والمعادي للسياسة الأمريكية بالخارج عن الشرع:

« And if any one seeks your protection, then grant him protection so then he can hear the words of god, then escort him where he can be secure »

قوله تعالى ﴿وإن أحداً من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه﴾ [التوبة: 6].

5. ترجمة التناس المقدس في الخطاب السياسي: لم تكن ترجمة النصيات المقدسة المستدعاة في خطابات الساسة سالفى الذكر سوى إعادة تعريب ما تُرجم منها وإلباسه ثوب اللغة الأصل في المصدر الأصل، وما سهّل المهمة الترجمة إلا وجود حيز زمني كاف للعودة إلى النص الأصل والنهل منه، وعزل تلك النصيات عن الخطاب الكلي لإبراز دورها وعالميتها وشمول تأثيرها فالإقناع في تلك المواقف كان يحتاج لنص إلهي يضفي طابع القداسة على الخطاب أكثر من غيره من الطبوع الفلسفية والثقافية. وفيما يلي نستعرض ترجمة لبعض العبارات المأخوذة من الخطاب الرئاسي الجزائري، والتي لجأ فيها الرئيس الجزائري عبد المجيد تبّون إلى التناس المقدس لصياغتها. نفتح الأمثلة الأربعة بما افتتح به سبحانه وتعالى كتابه، وافتتح به الرئيس الجزائري عهدته وخطابه، وهو البسملة: "باسم الله الرحمن الرحيم" « Au nom de Dieu Clément Miséricordieux ».

تفرض طبيعة الخطاب السياسي الاستهلالية افتتاح الخطاب بما تتفق عليه جماعة السياسيين في ذات النطاق وما جرت عليه الأعراف التخاطبية وما ألفه المخاطب، ولا شك أن للتعبير الاستهلالية قيمة في تهيئة المتلقي نفسيا لاستقبال ما سيأتي بعدها من أفكار ورؤى وطروحات. العبارة: "باسم الله الرحمن الرحيم" ليست عبارة افتتاحية بسيطة الدلالة بساطة تركيبها اللغوي، فهي تحمل من القداسة ما يجعلها تحمل ثلاث أسماء من أسماء الله الحسنى، كما أنها تحمل دلالة استمداد صاحب الخطاب شرعية إلقاء خطابه، وفرض واجب الإنصات والإتباع على المتلقي من استعماله اسم الخالق والتحدث باسمه "باسم الله"، وهذا كان دأب الأنبياء والرسل، حيث يقول تعالى ﴿إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِاسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ [النمل: 33].

اتفق المفسرون على أن معنى العبارة يفيد الاستعانة بالله الذي لا تتم الصالحات إلا به، لذا كان لا يصح أن يبدأ المسلم عملا أو يفتتح قولاً إلا بها. رغم أن الخطاب السياسي المعاصر بعيد عن كونه دينيا أو صادرا عن شخصية دينية، إلا أن افتتاحه بالعبارة المقدسة "باسم الله الرحمن الرحيم" يحمل إضافة إلى ما قيل دلالة الانتماء الإيديولوجي لصاحب الخطاب واعتزازه به من جهة (الدين الإسلامي)، واستمالة المتلقي وتهنيئته من جهة أخرى.

أدرك مترجم قناة فرانس 24 القداسة التي تتمتع بها العبارة المقدسة في كُليّتها وتتناسمها مع مفرداتها، فما كان منه إلا أن حاول تتبعها كلمةً بكلمة حتى لا يقع في المحذور، فالمترجم يعلم عنا كل مقدس فينا. ومع وقوع المترجم في مأزق التباين الإيديولوجي بين ثقافة الخطاب الأصل واللغة الهدف، وصراع خدمة قطبي الترجمة، فإنّه فضّل تكييف عبارته وفق إيديولوجية المتلقي، حيث ترجم كلمة "الله" العربية إلى «Dieu» الفرنسية.

لكن الحق حق وهو أحق أن يقال، فما يراه صاحب الخطاب أنه تكييف لخطابه يعتبره المتلقي ترجمة حرفية للأفراد اللغوية للعبارة المقدسة، فثقافة اللغة العربية ذات الطابع الإسلامي تعتمد نظام أفراد "الألوهية" بالخالق وحده، وتفتح نظام الربوبية النسبية أمام المخلوقات كرب الأسرة ورب العمل، فالألوهية أقدس من الربوبية، أما ثقافة اللغة الفرنسية ذات الطابع المسيحي فلا تملك "نظام الألوهية" في منظومتها الدينية أو الثقافية، وتعتمد نظام الربوبية القائم على مبدأ التثليث، وبذلك يكون المترجم قد أثبت أنه لا ينتمي للمترجم عنه، كما أنه لا يرغب في معاداة من يترجم له.

ومع أن الترجمة لم تكن موجهة إلى طائفة دينية معينة، ذلك أن النظام السياسي الذي تعمل ضمنه ذات القناة يتصف بالعلمانية، إلا أن غالبية المنتمين إلى ذلك النظام السياسي يدينون بالمسيحية، وما كان اعتماده ذات الترجمة إلا لإبراز افتتاح الرئيس عبد المجيد تبون خطابه الأول بالمقدس المطلق بمقارنته بما هو مطلق القداسة في الثقافة الأصل.

رغم اعتماد المترجم نسق الحرفية في ترجمة العبارة المسكوكة إلا أنه أغفل الجانب البلاغي للعبارة والمتمثل في اشتراك كلمتي "الرحمن" و"الرحيم" في نفس الجذر اللغوي "رحم" فترجم الأولى إلى «Clément» المفيدة للتسامح والرأفة، والثانية إلى «Miséricordieux» المفيدة لمعنى الرحمة، ومع هذا فإنه قد حافظ على ذلك النغم الموجود في العبارة الأصل، ولو أنه لم يظهره في نفس المستوى المفرداتي، فالنغم في العبارة الأصل كان في المقابلة بين الصفتين "الرحمن" و"الرحيم" أما في الترجمة فكان على مستوى لفظي «Miséricordieux» «Dieu».

تعددت ترجمات العبارة المسكوكة في سياقها المقدس في ترجمات معاني القرآن الكريم، ولعل أقربها إلى الشكل والمعنى تلك المعتمدة من طرف المجلس الأعلى لعلماء السعودية، حيث جاءت مقترضة لكلمة "الله" ومراعية اشتراك كلمتي "الرحمن" و"الرحيم" في الجذر فكانت الترجمة:

« Au nom d'Allah le tout Miséricordieux le très Miséricordieux »

"القضاء على العصابة أو نهلك دون ذلك": «Forts de notre détermination à éradiquer...la Issaba» وردت هذه العبارة أول ما ورد تحسب ما وصلنا على لسان ﷺ في موقف خيّر فيه بين ترك نشر الرسالة والقضاء على الوثنية مقابل المال والسلطة، حيث كانت رؤوس النظام السابق للبعثة تعارض المشروع الإسلامي الجديد، وما زاد المهمة صعوبة إلا تمتع تلك الطبقة بسلطة المال والسياسة.

ولعل وجه الشبه بين سياق العبارة الأول وسياق ورودها في خطاب الرئيس الجزائري عبد المجيد تبون هو وجود نظام بعقلية قديمة سائدة يسعى إلى عرقلة ونبد كل جديد، وذلك بسبب حرصه على عدم فقدان شرعيته ووسطوته فيما كان يعرف بمجال نفوذه، كما تتقاسم تلك القوى صفة النفوذ إلى درجة تهديد وجود الدعوة وصاحبها ومشروعه الجديد، وما كان ورود العبارة إلا في سياق تأكيد

العزيمة بمواصلة العمل على نفس الصراط وبنفس الوتيرة والمناول الجديد لتحقيق وتجسيد الهدف وبلوغ الغاية، إضافة إلى طلب الدعم والسند من متلقي الخطاب (أبو طالب في السيرة النبوية، والولادة في خطاب الرئيس)، ولعل من أهم ما يعكس تلك القوة والعزم هو افتتاح العبارة بحرف "القاف" حيث يحمل هذا الحرف الانفجاري دلالة القوة والعزيمة والشدة، ذلك أن الحرف القوي يأخذ أقصى إحياءاته في القوة والفعالية والغلظة عندما يكون في أول اللفظة والكلام (حسن، 1998، 41).

لم يرد التخيير مفيدا معنى التخيير كما تشير إليه الأداة "أو" في الخطاب الأصلي، وإنما كان اعتماده في سياق بلاغي ينفي إمكانية الاختيار في الموضوع المتحدث فيه، مفيدا بذلك معنى الاستمرارية على النهج المتبع و"الإقدام". تذكرنا هذه العبارة بأخرى للرئيس الجزائري الراحل هواري بومدين، حيث جاء في خطابه للجيش الجزائري قبل الحرب العربية الإسرائيلية تخيير لأفراد الجيش بين النصر والشهادة قائلا: "أمامكم طريقين، إما النصر أو الشهادة"، حيث تضمن هذا الأسلوب البلاغي معنى عدم وجود إمكانية الاختيار بين النصر ونقيضه (الخسارة).

يملك المترجم له الحق في مطالبة المترجم مدّه بانفعال ما، وتضمن ترجمته نفس الشحنة العاطفية التي ضمنها صاحب الخطاب الأصل في خطابه، بحيث يكون ذلك الانفعال مشابها لما استشعره المتلقي الأول والمترجم كذلك، أو أن يستشعر تلك القوة المزلزلة للمعنى المراد، وينقل معها ذلك اللحن الحر الناتج عن رصّ الكلمات في البناء اللغوي، وإلى تلك الصرخة التي تحرك الإرادة الفولاذية وتبعثها من صلصالها لتصم متلقيها وتستصرخهم إلى القصد منه، ومن حقه كذلك استشعار قدسية المعنى وبردته اللغوية حتى يرحل في الزمن مع الراحلين إلى ما يعتبره صاحب الخطاب بالزمن المقدس.

لم يرد أسلوب التخيير في الترجمة المعتمدة، بل اعتمد المترجم على التصريح بقوة العزيمة والعزم على الماضي قدما لتحقيق الهدف المرجو تحقيقه. «Forts de notre détermination»

بالعودة إلى ماهية الترجمة وتعريفاتها ومختلف النظريات الدارسة لها ولطرق الترجمة، نستحضر المقاربة الناصية على أن المترجم يجب أن يقول ما كان صاحب الخطاب الأصل سيقوله لو تحدث بتلك اللغة الهدف. ومن هذا المنطلق تتبعنا خطابات السيد رئيس الجمهورية باللغة الفرنسية فلم نجد لعبارة «forts de notre détermination» استعمالا في خطابه، حيث كان يفضل استعمال صيغة الوجوب «on doit» وكلمة الهدف «notre objectif». فإتمام الواجب وبلوغ الهدف يستوجبان دربا وعزيمة قوية لبداية السير عليه ومواصلته وإتمام المسير، ولكننا لم نجد أيضا تكرارا للسياق الذي وردت فيه العبارة الأصل بالعربية في خطابات السيد الرئيس بالفرنسية. وبهذا لا يمكننا إثبات أو نفي بأن المترجم قد خالف أسلوبية صاحب الخطاب التداولية في اللغة الفرنسية، ليثري خطابه بلاغة ويزيد المعنى قوة وثباتا، ولا يسعنا إلا زيادة الغوص في الدلالات ومقابلتها.

إن كانت كلمة « forts » مؤدية لمعنى القوة وناقلة معناها من الاستتار إلى العلن مانحة متلقي الترجمة استشعار جانب القوة من الخطاب الأصل، فهل قصد المترجم بالتركيز على لفظ « notre détermination » وصف الرئيس بأولي العزم من الساسة كما كان صاحب التناس المقدس من أولي العزم من الرسل؟ لا يختلف اثنان أن إضفاء القداسة على صاحب الخطاب ينقل خطابه إلى التقديس، فهل كان المترجم ينوي إظهار قداسة النص الأصل بإضفاء قداسة نسبية على السياسي مقابلة مع تلك المطلقة لسيد الخلق؟ هي أسئلة ربما لا يملك إجابتها إلا المترجم نفسه.

إن كان المعنى الخفي للعبارة يفيد قوة العزيمة على مواصلة الدرب، فإن المعنى المستقى من مكوناتها اللغوية يفيد وجود إمكانية الهلاك في سبيل بلوغ المرام، فباعتماده تسمية العصابة مع علمه المسبق أن الفئة المقصودة به تأنفه، يكون قد انظم إلى أعدائهم وكسر رمحا بينه وبينهم.

حافظت الترجمة المعتمدة على الجانب المقصود من صياغة التعبير باعتماد الاقتراض « issaba » غير أنها لم تبرز ذلك الجانب اللغوي الواصف لإمكانية التضحية من أجل تحقيق الهدف المنشود، وهذا ما ذهب إليه بيترنيو مارك حيث قال أنه أثناء عملية الترجمة لا بد أن يضع شيء من المعنى وهذا بسبب التوتر المستمر القائم بين لغات العمل الترجمي (بحراوي، 2015، 24)، كما سلخت الترجمة معنى العزم من ردائه اللغوي الذي منحه درجة القداسة وذكروا بقداسة العبارة الأصل وقدسية صاحبها.

كان بمقدور المترجم إضافة عبارة مكافئة لمعنى التضحية كـ «à tout prix» أو «coûte que coûte»، وما يماثلهما من العبارات التي تعني "مهما كان الثمن"، أو حتى إعتقاد الترجمة الحرفية لإعطاء العبارة المترجمة نفحة عربية في الكناية عن رفع التحدي وقوة الإرادة، وكذلك في صياغة أسلوب التخيير لكن المترجم اختار اختراق الحجب اللغوية والأسلوبية لإعادة بعث المعنى في جسد لغوي يختلف عن ذلك الذي أوجد فيه. إن كان هذا التغييب للجانب الشكلي-من أسلوب بلاغي (التخيير) وإيحائي (التضحية)-يعتبر خيانةً للشكل وجمالية العبارة الأصل، فإنه يصطدم بأمانة الترجمة للمعنى وحسن تأديتها له وإن كانت تلك الأمانة نسبية ذلك أنها جاءت عاكسة لمعنى العزيمة القوية على مواصلة الطريق « forts de notre détermination » لتحقيق الهدف المرجو بلوغه «à éradiquer...»، وقوة العزيمة على تحقيق هدف ما دليل على شدة المصاعب المانعة من بلوغه، ذلك أن المغنم على قدر المغرم.

"الذي لا يستطيع فإن الله لا يكلف نفسا إلا وسعها" « celui qui n'est pas capable, peut se retire » وردت عبارة "لا يكلف الله نفسا إلا وسعها" في الآية 286 من سورة البقرة، وقد جاءت ترجمتها في النسخة الفرنسية المترجمة لمعاني أي القرآن ترجمة حرفية كما يلي:

« Allah n'impose à aucune âme une charge supérieure à sa capacité »

وقد عرض نعوم حجار ترجمتين مختلفتين لنفس العبارة، حيث اعتمد في الأولى على الترجمة الحرفية مفضلاً تقنية التحوير، فصارت العبارة « Dieu n'impose à personne un fardeau au-dessus de ses forces » « à brebis tondue, Dieu mesure le vent » (نعوم حجار، 1986، 57)

وردت ترجمة العبارة المقدسة في النصين السابقين اعتماداً على الترجمة الحرفية، وما كان من المترجمين للعبارة إلا اعتماد هذه التقنية انطلاقاً من قدسية السياق الواردة فيه. فقدسية العبارة مستقاة من قدسية القرآن الكريم والآية الواردة فيها، وإن كانت الترجمة الأولى قد وردت ضمن ترجمة معاني أي القرآن، فإن ورودها منفصلة ومستقلة بذاتها في النص الثاني يجعلها تحتفظ بنفس تلك القدسية، وهذا في ظل غياب سياق تخاطبي يكسبها معنى تواصلياً ويضفي عليها صفة الأدبية.

أما في الثالثة فقد جاءت العبارة "لا يكلف الله نفساً إلا وسعها" مترجمة للمثل الفرنسي « à brebis tondue, Dieu mesure le vent »، إذ لم يجد المترجم أحسن منها ليقوم مقام المثل الفرنسي، ورغم إلمامه بالمثل الفرنسي ومعناه إلا أنه لم يوظفه في سياق ترجمة العبارة، بل اختار عكس الأدوار الترجمة لتقوم العبارة الموظفة والمتمتعة بطابع الكمال والقداسة المطلقتين والمعنى الصريح محل العبارة المتمتعة بطابع الكمال النسبي والتعظيم الدلالي الجزئي، فكانت ترجمته الأولى مكتسبة طابع الحرفية لنقل نفس درجة الوضوح والسلاسة التعبيرية للعبارة المقدسة، في حين اعتمد التكافؤ في الثانية لإضفاء بعض القدسية على العبارة الفرنسية إضافة إلى السيولة المتمتعة بها.

إلا أن ورود الآية الكريمة "لا يكلف الله نفساً إلا وسعها" في الخطاب الرئاسي أعطاه معنى جديداً، فإن كان المعنى الأصلي يفيد تغيير الحمل حسب قدرة الأشخاص، فإن سياقها التخاطبي يفيد تغيير الأشخاص حسب قدرتهم على الحمل. أي أن في المعنى الأصلي جاءت العبارة مثبتة للشخص مغيرة للحمل حسب قدرة الأشخاص، بينما وردت في الخطاب الرئاسي مفيدة تثبيت الحمل المتمثل في المسؤولية وتغيير الأشخاص في حال عدم قدرتهم على تحمل تكاليفها، وبذلك يكون المعنى الأصلي للعبارة المسكوكة قد عرف انزياحاً تاركاً مكانه للمعنى الجانبي السياقي.

وهذا يمكننا القول بأن استدعاء التعبيرات المسكوكة في غير إطارها المنتجة فيه يفتح لها توسعاً ويعطي لمعانيها امتدادات ترتبط بأنواع الخطاب المستعملة فيه وسياقات استدعائها، وهذا ما يجعلنا نذكر العبارة الشهيرة "إن شاء الله" التي استعملها المترشح للرئاسيات الأمريكية "بايدن" أمام غريمه "ترامب"، هذه العبارة عرفت بدورها انزياحاً نحو المعنى المستعملة فيه "الاستحالة".

أدرك مترجم الخطاب الرئاسي المعنى المراد من تناص الآية الكريمة، فما كان منه إلا أن عزل المعنى المحمول عن حامله اللفظي مسقطاً بذلك جمالية التعبير وقديسية العبارة أمام قدسية الرسالة والمعنى، مستبدلاً بذلك التضمين بالتصريح في قوله " من لا يقدر يستطيع الانسحاب " «celui qui n'est pas capable, peut se retirer».

لم يكن اعتماد الرئيس الجزائري للتناص المقدس اعتباطياً أو وليد صدفة، وإنما كان نتاج وعي وإدراك بثقل المسؤولية من جهة ومراعاة لنفسية جمع المخاطبين من جهة أخرى، ففضل الرئيس تعويض عبارات جارحة مكروهة الدلالة في نفس المتلقي وتعويضها بأخرى لا تحمل نفس المعنى الأصل، في حين أن مدلولها والمراد منها ينزاح إلى المعنى القصد وفق السياق الذي أُلقيت فيه، إن كان الرئيس قد اعتمد أسلوب التلطف بإبدال العبارة الحادة بعبارة أخرى أقل حدة منها مراعاة للجانب النفسي، فإن المترجم لم يقم وزناً لذلك الاعتبار ونزوع صاحب الخطاب الأصلي إلى التحايل في التعبير عن مراده، وفضل تجسيد المعنى المراد من العبارة كما هو « peut se retirer ».

إن اعتماد المترجم للخطاب الرئاسي لإحدى الترجمتين السابقتين كان بإمكانه إعطاء العبارة معنى قبول ثقل المسؤولية كعذر لعدم الكفاءة في تأديتها، وبذلك يحيد عن المعنى المراد من اعتماد العبارة.

إذن فقد أصاب المترجم مقصد صاحب الخطاب ومراده، غير أنه لم يعكس أسلوب لباقتة في التعبير عن قصده، فمكانة ملقي الخطاب من المخاطبين تمنحه حرية التصريح واستعمال الأسلوب المباشر، إلا أنه تخلى عن ذلك الحق لصالح اللباقة وجمالية الأسلوب الإلقائي، وهذا ما لا يمكن للترجمة إظهاره باعتماد التجريد والصياغة المباشرة للمعنى القصد.

ذهبت ربحنا

استعمل الرئيس الجزائري عبد المجيد تبّون هذه العبارة في عدة مناسبات، نستعرض منها ثلاث بترجمات مختلفة. واستعمل ما يدل عليها في مناسبة أخرى إثر لقائه مع قناة الجزيرة، حيث فضل استعمال مثل من المستوى الشعبي للدلالة عليها " كنا ماشيين في داهية " للدلالة عن حال البلد وكناية عن خطورة الوضع وما كان يمكن أن تؤول إليه الأوضاع لولا الحراك المبارك حسب قول صاحب الخطاب.

ورد أصل هذه العبارة في القرآن الكريم " وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم..." (سورة الأنفال، الآية 46)، حيث جاءت ترجمتها كالآتي:

« ne vous disputez pas, sinon vous fléchirez et perdez votre force » حذر سبحانه

وتعالى المؤمنين في الآية الكريمة من الابتعاد عن طاعته وطاعة رسوله، ونهاهم عن التنازع كي لا

يفقدوا عزهم وقوتهم، فالريح تعني القوة والعزّ وفق ما أفادت به كتب التفسير واللغة وما استظهرته ترجمة معاني الآية.

وظّف الرئيس الجزائري العبارة في سياق معناها المقدّس، حيث عمد إلى شرح الآية الواردة فيها قبل ذكرها " تذهب ريحنا"، فقد أورد في خطابه الأول "علينا اليوم جميعا أن نطوي صفحة الخلافات والتشتت والتفرقة فهي والله عوامل الهدم والتدمير. وقد أمرنا الله عزّ وجلّ بنبد الخلافات والتنازع حتى لا نفشل وتذهب ريحنا" لم يحافظ الرئيس الجزائري على النصّ الألهي للآية، إلا أنه استحضّر أركانها كما حافظ على مبدأ السببية الذي بُنيت عليه الآية.

اختار المترجم ترجمة الآية في سياق ورودها، أي سياق النفي، ورفض بثّ عاطفة التخوف والتشاؤم الباعث على القشعريرة جراء التدبر وتخيل ما يمكن أن توحى به العبارة، مفضلا اختيار مفردات تبث روح التفاؤل كـ "النجاح" وكلمة "كلنا معا" فقال:

«Il faut... pour que nous réussissons tous ensemble »

وبهذا يكون المترجم قد فتح أبواب المستقبل المجهول ليخرج من وصاية النصّ الأصل وسجن كلماته فيتخطى المعنى المباشر والمعنى الغير مباشر وصولا إلى تداولية العبارة (la pragmatique)، ويمنح بذلك لنفسه مشروعية المغامرة في ليل المستقبل المعتم ليمنح متلقي الخطاب نور الأمل في نجاح منشود.

وما كان اعتماد المترجم الفوري لقناة فرانس 24 لهذه الترجمة إلا بناء على القرينة الهادية " حتى لا نفشل" التي وردت في سياق التناص المقدس وبَيّنت معناه، حيث وردت العبارة الكاملة كما يلي " حتى لا نفشل وتذهب ريحنا". وبذلك يكون المترجم قد فضّل نهج دانيكا سيلسكوفيتش في عزل المعنى المراد من العبارة وإعادة صياغته في قالب لغوي أهمل جمالية المبنى الأصل وقديسيته.

أما المناسبة الثانية حيث وردت في السياق التالي " إذا ابتعدنا عن بيان أول نوفمبر ذهبت ريحنا": « Tout écart de la déclaration du 1^{er} novembre serait un égarement », في خطابه ليوم 2020/10/10.

حصر عزّ وجلّ أسباب القوة ودوامها في طاعته واطاعة رسوله، في حين حصر الرئيس الجزائري أسباب العز والقوة في التزام مبادئ أول نوفمبر بوصفه العروة الوثقى والوثيقة السياسية الجزائرية الأكثر قداسة، وأن أي حياد عنه مدعاة للتفرقة والتنازع، وما تنازع قوم إلّا حلّ بهم الفشل وانمحت هيبتهم وذهب عزّهم، والأجدر في وقت الجدّ نبذ التنازع والفرقة والدعوة إلى الاتحاد من اجل مواجهة العدو المشترك كائنا ما كانت ماهيته.

دعوة صاحب الخطاب إلى التمسك بمبادئ نوفمبر مدعاة إلى تقديم مصالح العامة على المصالح الشخصية الخاصة بما تضمنه من رؤى ومبادئ، فما تنازع القوم إلا في المغانم، والاجتماع على مصالح العامة من أهم أسباب القوة. لذا كان الابتعاد عنه ابتعادا عن الاجتماع والجماعة، والفرد ضعيف بنفسه قوي برهطه.

في خضم هتكه للأستار اللغوية للعبارة المزجاة، أدرك المترجم التحريري لوكالة APS تلك القدسية التي أراد الرئيس الجزائري إضفاءها على بيان أول نوفمبر، فما كان منه إلا أن حافظ عليها وزانها بأن ضمن ترجمته تشبيه احترام تلك المبادئ بالسير على الصراط المستقيم والسائرين على نهجه بالمهتدين، وذلك بتصريحه بأن الابتعاد عنه ضلال « tout écart ...serait un égarement » وكأنه ينقل ذلك الضعف والتشتت الذي أشار إليه صاحب الخطاب وحملته الآية الكريمة بين طياتها لينقلنا إلى مشهد آخر وعصر غير العصر الحاضر، فيشبه ذلك العصر بعصر التيه في غابة الوجود. لذا فإن المترجم وجه نصّه في اتجاه الخطاب الأصل من جهة والنص الإلهي المقدس من جهة أخرى، فالنص المقدس حصر أسباب القوة في الإيمان والوحدة، وحصر الرئيس الجزائري مقومات القوة بما قامت ثورة التحرير عليه ولأجله.

لذا كان على المترجم أن يخرج متلقي نصه من نعاس الثقافة السياسية السائدة وخدر العولمة وسمومها بأن نقل المفهوم السياسي إلى القداسة وبث روح الرعب في المنحاز عن ذلك المقوم السياسي بوصفه بالضلال. والضلال وإن اشتدت قوته فهي سبب هلاكه، وقوة أي بلد في اتحاد المنتمين إليه ودفاعهم عن مقوماته التي تضمن له ولهم الاستقلالية والبقاء، وتحفظه من الانحلال والزوال.

في حين اعتمد المترجم التحريري لوكالة APS تضمين المعنى المراد من التناص المقدس وإضفاء صفة القداسة البلاغية عليه مركزا على أسباب الضياع " الابتعاد عن مبادئ نوفمبر"، فإن المترجم الشفوي لقناة "روسيا اليوم"، وهي المناسبة الثالثة، فقد فضّل الخوض في تفاصيل تلك الريح المتمثلة في مؤسسات الدولة وتحديد معالم ذلك الضياع، فغاص في عمق معنى العبارة واصفا ذهاب ريح الدولة بضياع مؤسساتها، حيث ترجم العبارة " كادت أن تذهب ريحها" إلى:

« L'état fallait s'effondrer et perdre ses institutions »

وبهذا فقد أسهم المترجم في تدشين معنى جديد للآية الكريمة يتماهى مع سياقها السياسي السيادي الواردة فيه ويتمشى وفق مطارق العصر ومظاهره التنظيمية والمؤسسية، فالفجوة الزمنية الفاصلة بين الميلاد الأول للعبارة واستعمالها الحاضر تمنح المترجم حق تغيير الجزئيات المتغيرة بفعل عاملي الزمان والمكان. تغير مظاهر الضعف والقوة في نفس الحضارة عبر التاريخ، جعل المترجم يتجاوز ذلك التأريخ المذهبي للمعنى التفسيري للآية لينفذ إلى محدّدات النظام المعرفي

(السياق الإلقائي) التي تحكم آليات إنتاج المعنى، وهذا بواسطة الحفر الأركيولوجي الذي يكشف عن الأرضية المشتركة للمعنى المقدس والسياق المسيّس، فيحفظ المعنى الأصل ويربطه بمظاهر العصر. مع أن العبارة المتناصّة في الخطابات الثلاث واحدة، إلا أن ترجمتها قد اختلفت في المواضع الثلاث. يمكن إرجاع سبب هذا الاختلاف إلى طبيعة الترجمة في المناسبات الثلاث (تحريرية وفورية) وتدخل عامل هامش الزمن المتاح للترجمة في الحالتين، أو تباين مدى ثراء الحقل اللغوي للمتترجمين، لكن احتمال تأثير هذه العوامل في اختلاف الترجمات يضعف أمام اختلاف السياق الواردة فيه العبارة في المناسبات الثلاث.

ففي العبارة الأولى استعمل الرئيس الجزائري " تذهب ربحنا " في إطارها المقدس مبينا معناها باستخدامه قرينة هادية في سياق دعوي إلى نبذ الفرقة والخلافات، فضّل المترجم الإفصاح عن الوعد المنشود وجائزة سلوك النهج الذي دعا إليه صاحب الخطاب. أما السياق الثاني فكان تنبيهاً على شكل بديهية سرمدية لتقرير مصير وسيرورة بلاده " الإبتعاد عن مبادئ نوفمبر " معناه " ذهاب الريح"، مما جعل المترجم يركز على أسباب ذهاب الريح لتجنّب حصولها، فوصف الجياد عن مبادئ نوفمبر بالضلال، بينما وردت ذات العبارة في مقابلة الرئيس لقناة روسيا اليوم في إطار الثناء على ما يعرف بالحراك السلمي، وإرجاع الفضل إليه وإلى مؤسسة الجيش في عدم ذهاب الريح وبقائها. وهذا فإن المترجم الفوري كان بصدد التعامل مع حوادث سابقة الوقوع وواضحة المعالم من جهة، ومن جهة أخرى كفاية العبارة التي استعملها صاحب الخطاب وقدرتها على التعبير عما لا تكفي الكتب للتعبير عنه بنية الإفصاح والتهويل عما كان يمكن أن يكون بعيداً عن التعقيم. منح هذان العاملان المترجم حق الخوض في تفصيلها ولو بشكل نسبي، فاستبدل العبارة بما يمكن أن توحى به من تفسخ وانحلال للدولة وضياع مؤسساتها.

اعتمد المترجمون للعبارة نفس النسق واختلفوا في التقنية، فقد فضلوا التركيز على معنى العبارة المتناصّة وعزله عن مكوناته اللغوية، ومع أن المترجم التحريري لوكالة الأنباء الجزائرية والمترجم الفوري لقناة فرانس 24 قد وظّفا الاختزال، إلا أن الأول قد اعتمد أسلوب الاستعارة المكنية لإعطاء ترجمته نوعاً من البلاغة الأسلوبية، في حين فضل الثاني الخوض في المعنى التداولي للعبارة واختصاره في كلمة بسيطة، ورغم سادية الزمن المتاح في الترجمة الفورية إلا أن مترجم قناة روسيا اليوم فضل شرح معنى العبارة في السياق السياسي باستعمال العادي من الكلام.

وقد ارتأينا إدراج نتائج الترجمات في جدول بغية تحليله:

التناص المقدس	ترجمات مقترحة	الترجمة المعتمدة	المؤسسة المترجمة	تقنية الترجمة
باسم الله الرحمن الرحيم	Au nom d'Allah le tout Miséricordieux le très Miséricordieux	Au nom de Dieu Clément Miséricordieux	ترجمة فورية لقناة فرانس 24	ترجمة حرفية.
القضاء على العصابة أو نهلك دون ذلك.	/////	Forts de notre détermination à éradiquer.	ترجمة تحريرية لوكالة الأنباء الجزائرية.	ترجمة المعنى (المعنى مباشر)
الذي لا يستطيع، لا يكلف الله نفسا إلا وسعها.	À brebis tondue, Dieu mesure le vent.	Qu'il n'est pas capable peut se retirer.	ترجمة تحريرية لوكالة الأنباء الجزائرية. A.P.S	ترجمة المعنى (مقصد الملقى)
ذهبت ريحنا.	Perdre la force.	Il faut que nous réussissons tous ensemble.	ترجمة فورية لقناة فرانس 24.	ترجمة المعنى (مقصد المتلقي)
		Tout écart... est un égarement.	ترجمة تحريرية لوكالة الأنباء الجزائرية.	ترجمة المعنى (الإختصار)
		L'état fallait s'effondrer et perdre ses institutions	ترجمة فورية لقناة روسيا اليوم.	ترجمة المعنى (الشرح)

6. تحليل النتائج: من خلال التحليل الدلالي التقابلي للتراجم المحققة للتناص المقدس في سياقها التخاطبي السياسي والمذكورة أعلاه، لمسنا اتفاق المترجمين في التوجه الترجمي الذي فضل النظرية التأويلية على غيرها من النظريات مبرزاً أفضلية المعنى ونقله على جمالية المبنى وإعادة رسمه، وهذا هو المبدأ الذي أسست عليه النظرية الباريسية على يد كل من ليدراروسيليسكوفيتش. في خضم تركيز هذه الأخيرة على تفصيل مراحل العملية الترجمية ركزت على تعرية المعنى وعزله عن الأستار اللغوية للنص الأصلي، بينما أبقت طريقة إعادة صياغته واختيار الأستار اللغوية الجديدة لاجتهاد المترجم وقدرته على

الحياكة والحبكة اللغوية في اللغة الهدف، ولهذا فقد ميزنا في الأمثلة المدروسة ثلاث تقنيات مختلفة، فمنها ما مال إلى الاختزال، ومنها ما مال إلى الشرح والإطالة، ومنها ما استعمل عادي الكلام (نفس الطول بصياغة أخرى).

الشرح هو عبارة عن توضيح ما اتصف بالغموض من القول إما لطبيعة التعبير المتعدد الإيحاءات والمعاني المختزنة فيه أو لطبيعة وحساسية النص الوارد فيه، وإما لرغبة صاحب النص الأصلي في إضفاء صفة الغموض على مستوى معين من التعبير أو فكرة بحد ذاتها، ذلك لأن الوضوح لا يخدم غايته الخطابية.

لكن اعتماد الشرح وإن أدى غايته التوضيحية فإنه يعتبر تطويلا لما وجب تقصيره واختزاله، وبذلك فإنه يشكل نوعا من التراخي المؤثر سلبا على إيقاعية النص وتعابير من جهة، ويشوه العمل الأصل بنقله من التركيز الممتلئ بالإيحاءات إلى نص آخر فارغ من كل نغم إيقاعي وتناغم حسي، وينقل الدلالات من العمق إلى السطحية، فهو بذلك يحرم قارئ الترجمة من لذة التدبر والتمعن لفائدة لإشباع غريزة حب السهل الممتنع السهل الإدراك من جهة أخرى.

الاختصار هو اختزال كمي وكيفي للعبارة المراد ترجمتها، فيحيل بذلك تلك التعابير والنصوص الداخلة في تركيب الخطاب الجديد على عملي الهدم الصوتي (القوافي والتناغم) والهدم التركيبي بالاستغناء التام عن المكافئات الدلالية للمكونات اللغوية للتعابير وحقولها الدلالية المقابلة لها في اللغة الهدف، ويعكف المترجم على استدعاء كم لغوي لا يمت بأي صلة لغوية أو صوتية ظاهرة بالعبارة الأصل، لكنه يملك القدرة على تعويض تلك التعابير في اللغة الهدف ورسم نفس الصورة الدلالية في ذهن متلقيه، والوصول به إلى نفس درجة الوعي الموجودة عند متلقي النص الأصلي بأقل تكلفة لغوية، إذن فالاختصار يهدف إلى إنتاج وعي عند متلقي النص المترجم مشابه لذلك الذي يتمتع به متلقي النص الأصلي بكم لغوي أقل من ذلك المستخدم في النص الأصل.

ملاحظة:

قادتنا دراسة التعابير المقدسة الداخلة في سياق الخطاب السياسي لدعم بنيته اللغوية الجمالية والإقناعية تحت غطاء الشرعية الأدبية للتناص إلى ملاحظة عدم التعامل مع ترجمتها بنفس الطريقة وعدم انتظام السلوك الترجمي وإن كان ينضوي تحت لواء نفس النظرية، فتارة تحظى بترجمة مستقلة، وتارة يدمج معناها مع ما سبقها من عبارات لاشتراكهما في المعنى، وتارة أخرى لا نجد لها أثرا بسبب معناها السابق التعبير عنه والمتكرر كثيرا.

لكن أليس التكرار وجها من أوجه البلاغة في اللغة العربية، أليس للتكرار وظيفة تأكيدية للمعنى بالتركيز عليه وإعادة بث نفس الرسالة بأجساد لغوية مختلفة؟ أليس ذلك التكرار مقصودا من صاحب الخطاب لغاية في نفس يعقوب؟ أم أن طبيعة اللغة الهدف وهندستها تنبذ كل تكرار.

يقودنا هذا التساؤل الفلسفي إلى تساؤل ترجمي قديم حول "الوحدة الترجمية" وطريقة تحديدها والتعامل معها، لكن هذه المناسبة التي سمحت بطرحه لا تسمح لنا بدراسته والخوض فيه من منطلق عملي.

7. الخاتمة: إن كانت التعبيرات العادية لم تعد تملك الكفاية على حمل المعنى ولا القدرة على إحداث التأثير المرجو منها في الخطاب السياسي، فإن استنجاها بالتناص المقدس ينقل ذلك الضعف إلى العلن.

استدعاء المقدس من الألفاظ والتعبيرات والنصوص في الخطاب السياسي يستوجب مراعاة ومعاملة ترجمية خاصة به خصوصية النص نفسه، فلا تعامل ألفاظه ومعانيه معاملة العادي من الكلام أو المعنى، إذ يستوجب المعنى استظهارا كما تستوجب تلك القداسة استحضارا في الترجمة لتمييز تلك النصوص عن غيرها.

تختلف السلوكات الترجمية للمتترجمين في التعامل مع التناص المقدس، فكل إناء ينضح بما فيه من قدرات لغوية ودراية دلالية وقوة بلاغية وانتماء إيديولوجي، فتنج عن تفاعل هذه العوامل سلوكات تختلف بين جمهور المترجمين حتى في ترجمة نفس العبارة، مما يثبت أن خضوع الترجمة للموضوعية في نقل المعنى لا ينفي تأثيرها بالذاتية الأسلوبية في تجسيد المبني.

8. قائمة المراجع:

القرآن الكريم.

1. Le noble Coran et la traduction du sens de ses versets, 1999. Complexe de roi Fahd pour l'impression du noble Coran, Al Médina.
2. بنيس، محمد، حادثة السؤال، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، طبعة أولى، 1985.
3. باختين، ميخائيل، الخطاب الروائي، ت: محمد برادة، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة/باريس طبعة أولى، 1987.
4. الزعبي، أحمد. 2000. التناص نظريا وتطبيقيا. مؤسسة عمان للنشر. عمان. الأردن.
5. علوش، سعيد. 1985. معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان.
6. غودار، إلزا. 2019. أنا أوسيلفي إذن أنا موجود، ترجمة: سعيد بنكراد. المركز الثقافي للكتاب، الدار البيضاء المغرب.
7. حسن، عباس. 1998. خصائص الحروف العربية ومعانيها. إتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا.

8. بحراوي، حسين. 2015. مأوى الغريب دراسات في شعرية الترجمة، المركز القومي للترجمة، القاهرة، مصر.
9. نعوم حجار، جوزيف. 1983. المنجد في الأمثال والحكم والفوائد اللغوية. دار المشرق، بيروت، لبنان.
- المواقع الإلكترونية:
1. موقع وكالة الأنباء الجزائرية.

2. Perelman Marc; exclusive.

3. <https://www.france24.com/fr/afrique/20200704-exclusif-le-pr%C3%A9sident-alg%C3%A9rien-tebboune-croit-%C3%A0-un-apaisement-de-la-situation-avec-la-france> (15/08/2021)

4. <https://www.lexpressiondz.com/videos/retrouvez-l-interview-integrale-de-tebboune-avec-la-chaine-russe-rt> (13/08/2021)



ترجمة الصور البيانية في النصوص المالية من الانكليزية إلى العربية والفرنسية
مقالات مجلة "التمويل والتنمية" - إصدار صندوق النقد الدولي - أنموذجا

Translation of Figures of Speech in Financial Texts

From English into Arabic and French

Case Study: Articles of "Finance & Development" Magazine,

Published by the International Monetary Fund (IMF)

أ. ليلي لعيمش*

تاريخ القبول: 2021.12.23

تاريخ الاستلام: 2021.08.16

ملخص: إن الصور البيانية حاضرة في كل لغات العالم على اختلاف أنظمتها وثقافتها، وقد حظيت باهتمام البلاغيين والمترجمين على حد سواء. وهي ليست حكرا على لغة النثر والشعر، بل صارت خاصية مميزة لبعض لغات الاختصاص كلغة الاقتصاد والمالية. ففي مجلة "التمويل والتنمية"، التي تصدر عن صندوق النقد الدولي يتجلى ميل الباحثين والخبراء والاقتصاديين إلى توظيف الصور البيانية في مقالاتهم وتقاريرهم للفت انتباه القارئ. وعليه، يسعى هذا العمل إلى شرح مختلف أنواع الصور البيانية في اللغات الثلاث، العربية والانجليزية والفرنسية وكذا تحليل جملة من الأمثلة المترجمة المنتقاة من بعض أعداد المجلة المذكورة أعلاه للوقوف على تقنيات ترجمة هذه الصور بما يضمن الأمانة في نقل معانيها حسب السياقات المتخصصة التي وردت فيها.

كلمات مفتاحية: الصور البيانية؛ لغة الاقتصاد والمالية؛ القارئ؛ تقنيات ترجمة؛ الأمانة في النقل.

Abstract: Figures of speech are present in all languages and cultures. They represent an important field of study for rhetoricians and translators. Also, figures of speech are not limited to prose and poetry; they have become a distinctive feature of some specialised languages like the language of economics and finance. In the "Finance & Development" magazine (F&D), published by the IMF, researchers, experts, and economists tend to use figures of speech in their articles and reports to grab the reader's attention. Thus, the aim of this work is to explain the different types of figures of speech (in Arabic, English, and French), and to analyse some translated examples, taken from some issues of the abovementioned magazine, in order to determine the techniques of translation used to ensure a faithful transfer of those figures, according to the specialised contexts in which they occur.

Keywords: figures of speech; language of economics and finance; reader; techniques of translation; faithful transfer.

مقدمة: يعد مصطلح "الصورة البيانية" من أكثر المصطلحات الأدبية والنقدية شيوعاً واستخداماً. فالصورة تعبر عن طريقة خاصة في التفاعل مع المدركات الحسية والمجردة، تتشكل حسب رؤية الكاتب، ويبرز فيها خياله وطريقة تفاعله. كما أن معنى الصورة "متملص"، إن صح التعبير، أي يصعب تحديده في مفهوم موحد يجمع أنواع الصور كلها ويمنع غيرها مما لا يدخل في حيزه. ويعود ذلك إلى أسباب عديدة منها: شيوع المصطلح في علوم متباينة واختلاف مناهج البحث والنقد، بالإضافة إلى تشعب مفهوم الصورة في حد ذاته ليشمل الكثير من جوانب الإبداع وكذا تداخله مع مفهومات أو مصطلحات أخرى مثل "الخيال" و"التمثيل" و"الانزياح" و"التشخيص" إلى غير ذلك.

وقد حاولنا قدر المستطاع في هذا المقال أن لا نتوغل في حقل "الصورة" الشائك، واكتفينا ببعض التعريفات والمفاهيم الأساسية، قديماً وحديثاً، بما يخدم موضوع البحث. والصورة البيانية عموماً حاضرة في اللغة العربية واللغات الأجنبية على اختلاف أنظمتها وثقافتها. كما أنها لم تعد حكراً على الشعراء والأدباء الذين يطرحون فيها عصارة خيالهم، بل صارت خاصية مميزة لبعض لغات الاختصاص كلفة الاقتصاد والمالية المعروفة أصلاً بالأسلوب المباشر في توصيل الحقائق، والبعد عن الخيال والتصوير. لذلك سيركز هذا العمل على شرح مختلف الصور البيانية، وتحليل جملة من الأمثلة المنتقاة من "مجلة التمويل والتنمية" (إصدار صندوق النقد الدولي) بالإنكليزية، وكذا ترجماتها إلى العربية والفرنسية لضبط معانيها ضمن السياقات المتخصصة التي وردت فيها، مع إبراز طرائق نقلها.

1. "البيان" في اللغات الثلاث: العربية والإنكليزية والفرنسية:

"البيان" أو "التصوير البياني" يعني ما يبين به الشيء من الدلالة وغيرها. وقد كان "الجاحظ" سباقاً إلى النظر في معنى "البيان"، حيث سعى أحد كتبه "البيان والتبيين". والبيان عنده هو الكشف والإيضاح والفهم، حيث قال: "والبيان اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى، وهتك الحجاب دون الضمير، حتى يفضي السامع إلى حقيقته، ويهجم على محصوله كائناً ما كان ذلك البيان، ومن أي جنس كان الدليل؛ لأن مدار الأمر، والغاية التي إليها يجري القائل والسامع، إنما هو الفهم والإفهام؛ فبأي شيء بلغت الإفهام وأوضحت عن المعنى، فذلك هو البيان في ذلك الموضع"¹.

وفي التصوير البياني أيضاً يقول "الجرجاني": "ومعلوم أن سبيل الكلام سبيل التصوير والصياغة، وأن سبيل المعنى الذي يعبر عنه سبيل الشيء الذي يقع التصوير والصوغ فيه، كالفضة والذهب يصاغ منهما خاتم أو سوار. فكما أن محالاً إذا أنت أردت النظر في صوغ الخاتم، وفي جودة العمل وردائه، أن تنظر إلى الفضة الحاملة لتلك الصورة، أو الذهب الذي وقع فيه ذلك العمل وتلك الصنعة، كذلك محال إذا أردت أن تعرف مكان الفضل والمزية في الكلام، أن تنظر في مجرد معناه، وكما أنا لو فضلنا خاتماً على خاتم، بأن تكون فضة هذا أجود، أو فضة أنفس، لم يكن ذلك تفضيلاً له من حيث هو

خاتم، كذلك ينبغي إذا فضلنا بيتا على بيت من أجل معناه، أن لا يكون تفضيلا له من حيث هو شعر وكلام. وهذا قاطع، فاعرفه².

يعني هذا القول أن "الجرجاني" يرى قيمة الكلام في قالب أو الصورة التي يرد فيها لا في الكلام في حد ذاته. ويبقى "البيان" و"التصوير البياني" عموما مصطلحين متداولين في البلاغة. ولعل تفضيل أحدهما على الآخر يعود إلى الخيار الذوقي للباحث الذي يتناول هذا الموضوع بالدراسة. وقد شاع عند العرب تقسيم علم البيان إلى قسمين: "بيان" و"بديع". أما البيان فهو إيضاح المعنى الواحد بطرق مختلفة، والبديع يراد به تحسين الكلام المطابق لمقتضى الحال³.

والبيان ليس حكرا على اللغة العربية، بل هو معروف أيضا في اللغات الأجنبية، منها الإنجليزية، حيث يقابل مصطلح "البيان" مصطلح «Figurative language» أي "اللغة التصويرية" وهي سمة أساسية في الأعمال الأدبية، ذلك أنها تنقل المعنى إلى جانب الأحاسيس والمشاعر، كما أنها حاضرة أيضا في كثير من مظاهر الحياة اليومية. فعلى سبيل المثال، عندما يعبر الرجل الإنكليزي عن "غزارة المطر" بقوله «it is raining heavily»، فهذا تعبير حقيقي عن حالة هطول المطر بغزارة، وعندما يقول: «it is raining cats and dogs»، فهو يقصد المعنى ذاته، لأن هذه العبارة المجازية تفيد معنى العبارة الحقيقية المذكورة آنفا، أي أن مطرا غزيرا يهطل. ويقابل هذه العبارة في اللغة العربية: "إنها تمطر قططا وكلابا" وهذه "ترجمة لفظية" أو "ترجمة كلمة بكلمة" لا معنى لها.

وبدل على البلاغة في الإنجليزية أيضا مصطلح «Rhetoric» الذي من تعريفاته:

«Rhetoric: Traditionally, the art of putting a thought over in a particular manner; command of a number of artfully different manners of expression or persuasion»⁴

"البلاغة بالمعنى التقليدي هي فن التعبير عن فكرة ما بطريقة خاصة، أو التحكم في عدد من الطرق المختلفة للتعبير أو الإقناع ببراعة"-ترجمتنا.

وهناك تعريف آخر يعيد المصطلح إلى مفهومه لدى القدماء، وتحديدًا عند "أرسطو"، جاء فيه:

«Aristotle defined rhetorical discourse as the art of discovering all the available means of persuasion in any given case»⁵

"عرّف أرسطو الخطاب البلاغي على أنه فن اكتشاف كل طرق الإقناع المتاحة في أي حالة من الحالات"-ترجمتنا.

أما في البلاغة الفرنسية، فنجد مصطلح «Rhétorique» الذي وضع له عدد معتبر من التعريفات، لا تختلف كثيرا عن تلك الواردة بالإنجليزية، منها تعريف مقتضب دقيق جاء فيه:

«Rhétorique: L'art de bien parler et la technique de la mise en œuvre des moyens d'expression»⁶

"البلاغة: فن حسن الكلام وتقنية توظيف وسائل التعبير" - ترجمتنا.

من خلال التعريفات والمفاهيم أعلاه، يتضح أن مصطلح "البيان" أو "البلاغة" حاضر في اللغة العربية واللغات الأجنبية على اختلاف أنظمتها وثقافتها.

2. عرض تقابلي " للصورة البيانية " بين اللغات الثلاث: العربية والانكليزية والفرنسية: تزخر البلاغة العربية القديمة بتعريفات الصورة البيانية التي تناولها البلاغيون من زوايا متعددة ومتباينة. فقد أشار "الجاحظ إلى معنى "الصورة" في قوله: "المعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجمي والعربي، والبدوي والقروي. وإنما الشأن في إقامة الوزن، وتخير اللفظ، وسهولة المخرج، وكثرة الماء، وفي صحة الطبع وجودة السبك"⁷.

أما "الجرجاني" فقد انفرد بمنهج متميز في دراسة الصورة مقارنة بمن سبقه من العلماء العرب، وعلى الرغم من تأثيره الكبير بهم، إلا أنه أبدع في تناول الاستعارة، على سبيل المثال، ومن أقواله فيها: "ومن الفضيلة الجامعة فيها أنها تبرز هذا البيان أبدا في صورة مستجدة تزيد قدره نبلا، وتوجب له بعد الفضل فضلا"⁸.

كما يربط "الجرجاني" الصورة بدوافع نفسية إضافة إلى الخصائص الدوقية والحسية، حيث تجتمع هذه الخصائص عبر صلات حية لتعطي الصورة شكلا ورونقا وعمقا مؤثرا، إذ يقول إن "التمثيل إذا جاء في أعقاب المعاني، أو برزت هي باختصار في معرضه، ونقلت عن صورها الأصلية إلى صورته، كساها أبهة، وكسها منقبة، ورفع من أقدارها، وشب من نارها، وضاعف قواها في تحريك النفوس لها، ودعا القلوب إليها، واستثار لها من أقاصي الأفئدة صباة وكلفا، وقسر الطباع على أن تعطيها محبة وشغفا"⁹.

وينظر "الجرجاني" أيضا إلى الصورة نظرة متكاملة لا تقوم على اللفظ وحده أو المعنى وحده، بل إنهما عنصران متكاملان، فيقول: "واعلم أن قولنا 'الصورة' إنما هو تمثيل وقياس لما نعلمه بعقولنا على الذي نراه بأبصارنا، فلما رأينا البيئونة بين آحاد الأجناس تكون من جهة الصورة، فكان تبين إنسان من إنسان وفرس من فرس، بخصوصية تكون في صورة هذا لا تكون في صورة ذاك، وكذلك كان الأمر في المصنوعات، فكان تبين خاتم من خاتم وسوار من سوار بذلك، ثم وجدنا بين المعنى في أحد البيتين وبينه في الآخر بينونة في عقولنا وفرقا، عبرنا عن ذلك الفرق وتلك البيئونة بأن قلنا: للمعنى في هذا صورة غير صورته في ذلك"¹⁰.

أما في البلاغة الحديثة، فقد تغيرت نظرة الباحثين نوعا ما للصورة، وظهر مصطلح "الصورة الفنية" الذي يقول فيه "جابر أحمد عصفور": "ومع أن الصورة الفنية مصطلح حديث، صيغ تحت وطأة التأثير بمصطلحات النقد الغربي والاجتهاد في ترجمتها، فإن الاهتمام بالمشكلات التي يشير إليها المصطلح قديم، يرجع إلى بدايات الوعي بالخصائص النوعية للفن الأدبي. قد لا نجد المصطلح - بهذه

الصياغة الحديثة - في التراث البلاغي والنقدي عند العرب، ولكن المشاكل والقضايا التي يثيرها المصطلح الحديث وي طرحها موجودة في التراث، وإن اختلفت طريقة العرض والتناول، أو تميزت جوانب التركيز ودرجات الاهتمام¹¹.

من جهته، يرى "عبد القادر الرباعي" أن "بعض أشكال الصورة بسيط لا يتعدى الإشارات الساذجة أو التشابيه المتناسبة الأجزاء، وبعضها معقد شديد التعقيد كالرموز والاستعارات التي لا تقف عند إيجاد علاقات بين أمور متناسبة أو متشابهة أو متجانسة فحسب، وإنما تتعدى ذلك إلى إحداث علاقات بين أمور مختلفة متباعدة، بل بين أمور متضادة متنافرة أيضا"¹².

ويقابل مصطلح "الصورة البيانية" في الانجليزية مصطلح « Figure of speech » ويعني:

« **Figure or Figure of Speech:** an expression that departs from the accepted literal sense or from the normal order of words, or in which an emphasis is produced by patterns of sound. Such figurative language is an especially important resource of poetry, although not every poem will use it; it is also constantly present in all other kinds of speech and writing, even though it usually passes unnoticed"¹³.

" الصورة أو الصورة البيانية: تعبير تحيد دلالاته عن المعنى الحرفي المتعارف عليه أو عن الترتيب الطبيعي للكلمات، أو هي تعبير تحدث فيه معايير الصوت نوعا من التوكيد. وهذه اللغة المجازية مورد أساسي للشعر حتى لو وظفت في قصائد وغابت عن أخرى؛ إنها أيضا حاضرة دوما في كل أنواع الكلام والكتابة الأخرى، حتى لو لم يلاحظها أحد " - ترجمتنا.

ومن تعريفات "الصورة" أيضا:

« **Figures of speech**, or rhetorical figures, or schemes, in which the departure from standard usage is not primarily in the meaning of the words, but in the order or syntactical pattern of the words. This distinction is not a sharp one, nor do all critics agree on its application »¹⁴

"... الصور البيانية أو الصور البلاغية أو القوالب التي لا يختص الخروج فيها عن التوظيف المعياري بمعنى الكلمات في المقام الأول، وإنما بترتيبها أو قواعد تركيبها. وهذا التمييز ليس دقيقا، ولا يتفق جميع النقاد على تطبيقه " - ترجمتنا.

نلاحظ هنا أن كلا التعريفين يشير إلى مسألة الانزياح والخروج عن المعاني المباشرة أو التراكيب الأصلية لتشكيل الصورة البيانية كما في اللغة العربية.

أما في اللغة الفرنسية، فنجد مصطلح « Figure de style » أو « Figures du discours » :

« **Les figures du discours** : sont les traits, les formes ou les tours plus ou moins remarquables et d'un effet plus ou moins heureux par lesquels le discours, dans l'expression des idées, des pensées ou des sentiments, s'éloigne plus ou moins de ce qui en eût été l'expression simple et commune »¹⁵

" الصور البيانية: هي التعابير أو الصيغ أو القوالب التي تلفت الانتباه وتحقق الإمتاع نوعاً ما، ينأى بها الخطاب إلى حد ما عن العبارة البسيطة والمتداولة في التعبير عن الأفكار أو الآراء أو المشاعر"- ترجمتنا.

ومن التعريفات التي تلفت الانتباه تعريف لا يخلو من الجمالية في توضيح معنى الصورة البيانية جاء فيه:

« **Les figures** sont des tours particuliers donnés aux pensées, des manières de les exprimer distinguées des autres par une modification spéciale qui fait qu'on les réduit chacune à une espèce à part. Les figures fournissent au style une grande variété d'ornements : les unes gaies, vives, folâtres, enjouées, réjouissent agréablement l'esprit ; d'autres très graves, énergiques ou touchantes élèvent l'âme, émeuvent et pénètrent vivement le cœur. Sous la plume d'un habile écrivain, elles sont comme des javelots dans la main d'un chasseur adroit : toujours, elles frappent à l'endroit marqué. Les figures sont encore, dans le discours, comme des fleurs naturelles et charmantes dont le coloris réjouit la vue, et dont le parfum flatte agréablement l'odorat»¹⁶

" الصور البيانية: قوالب خاصة تصاغ فيها الأفكار، وطرق للتعبير عنها تتميز عن غيرها بتحويل خاص يجعلنا نصنف كلا منها على حدة ضمن نوع معين. والصور تضيف على الأسلوب زخماً من الزخرفة: فمنها صور مفعمة وملتوية، تبعث البهجة والسرور في النفس، وأخرى عميقة وقوية، تلامس المشاعر، تسمو بالروح، وتهز القلب وتخرقه اختراقاً. إنها بريشة كاتب محنك كرماح بيد صياد ماهر: تصيب دوماً أهدافها في الصميم. وهي في الخطاب أيضاً كأزهار طبيعية آسرة، تسر النظر بألوانها وتزكي الشم بأريجها"-ترجمتنا.

يحيل هذا التعريف التصويري، إن صح التعبير، إلى مسألة دراسة الصورة بالصورة، كما أشار إليها "غاستون باشلار" حين قال: "ولا يمكن درس الصورة إلا بالصورة"¹⁷ ليخلط "موضوع" البحث "بأداة" البحث. فهل يصح أن يجزم المترجم أيضاً بالقول: "لا يمكن ترجمة الصورة إلا بالصورة"؟ وهل اللغات في هذا الحكم سواء؟

يبقى هذا الأمر، على العموم، محل جدل وخلاف بين الممارسين والمنظرين. ومن خلال ما ورد أعلاه، يتضح أن الصورة البيانية حاضرة في اللغات البشرية على اختلافها، وتبقى غايتها واحدة: إضفاء الجمالية والتأثير في المتلقي عن طريق الخروج أو الانزياح عن المعاني المباشرة المألوفة.

3. "الصورة" في لغة الاقتصاد والمالية: معاني سياقية وطرائق نقل: لم تعد "الصورة" حكرا على لغة الأدب بل صارت خاصية مميزة للعديد من لغات الاختصاص كلغة الاقتصاد والمالية. ففي "مجلة التمويل والتنمية" مدونة هذا المقال، يتجلى ميل كتاب المقالات والتقارير من باحثين وخبراء ورجالات الفكر والاقتصاد ومدراء الهيئات المالية العالمية نحو توظيف الصورة في السياقات المتخصصة بغرض لفت انتباه القارئ. وقد كان لذلك أثر جمالي في التعبير، خاصة لما وظفت الصور البيانية في العنوان، كتشبيه الأزمات المالية بالفيروسات، وارتفاع الأسعار بالصاروخ، ونظم رصد المخاطر في المصارف بأحزمة الأمان، والكناية عن الهند بالنمر، وعن الصين بالتنين، وعن دول أمريكا اللاتينية بزواحف الإغوانا في إطار التجارة الدولية، وعن "اليورو" بالعملة الموحدة، وعن البترول بالذهب الأسود، وغيرها من الصور. ومع ذلك، يبقى الانزياح في النصوص المتخصصة سلاحا ذا حدين فإن كان يضفي الجمالية على الأسلوب فهو يحتاج إلى تحليل وتمعن لفهم الصورة البيانية في سياقها المتخصص بما يحفظ الأمانة عند ترجمتها.

وتعد "مجلة التمويل والتنمية" من أهم الإصدارات الدورية لصندوق النقد الدولي باللغة الانجليزية، ولها ترجمات إلى اللغات المعتمدة على مستوى هذه الهيئة (العربية والفرنسية والاسبانية والروسية والصينية وأضيفت اليابانية مؤخرا)، تشرف على إعدادها فرق ترجمة متخصصة. وتحظى هذه المجلة، في نسختها الورقية والالكترونية، بمقروئية كبيرة على مستوى العالم من أهل الاختصاص وغيرهم: طلبة وموظفون ومهتمون بالاقتصاد والمالية.

أما طرائق نقل الصورة في السياقات العامة أو المتخصصة فقد اختلفت باختلاف آراء الممارسين والمنظرين وتباين مناهج تناولهم للموضوع. وقد ارتأينا تلخيص هذه الطرائق فيما يلي:

- إعادة إنتاج الصورة: عن طريق الترجمة الحرفية عندما يكون هناك تقارب بين اللغتين الأصل والهدف، لكن بشرط أن لا يحدث ذلك خلافا للمعنى والتأثير.

- ترجمة الصورة بصورة مكافئة لها: أي البحث في اللغة الهدف وثقافتها عن صورة مكافئة للصورة الأصلية تؤدي المعنى ذاته لكنها تختلف عنها في عناصرها وخلفيتها الثقافية. وإن كان البعض يرى هذا النقل إبداعا في لغة الأدب، فهو في لغات الاختصاص مغامرة قد تجهز على المعنى وتحيد بالترجمة عن غايتها.

- شرح الصورة: عندما يتعذر نقلها حرفيا أو إيجاد صورة مكافئة لها في اللغة الهدف وثقافتها.

4. أنواع الصور البيانية: أمثلة مترجمة منتقاة من مقالات مجلة " التمويل والتنمية ": تقسم الصور البيانية في العربية إلى أربع هي: "التشبيه" و"الاستعارة" و"الكناية" و"المجاز المرسل". يقابل هذه الصور في اللغة الانجليزية على الترتيب: simile, metaphor, metonymy, synecdoche

وفي اللغة الفرنسية نجد: la comparaison, la métaphore, la périphrase, la métonymie

والجدير بالذكر هنا هو أن مسألة التقابل الخطي بين اللغات مسألة نظرية إلى حد كبير، نظرا لاختلاف أنظمة هذه اللغات وتباينها، وارتباط مسألة التصوير أساسا بثقافة اللغة أكثر من اللغة في حد ذاتها، وعليه فالتداخل بين هذه الصور البيانية أمر وارد حتما. فإن كانت البلاغة الفرنسية مثلا تفرق بين "المجاز المرسل" أو "مجاز الكلية" métonymie و"مجاز الجزئية" synecdoque و"مجاز العلمية" antonomase، فإن العربية تختصر كل هذه المجازات في "المجاز المرسل"، وليس في بلاغتها ما يقابل مصطلح "مجاز العلمية". واللفظ الدال على "المجاز المرسل" في الفرنسية métonymie يقابله اللفظ الدال على "الكناية" metonymy في اللغة الانكليزية، إلى غير ذلك من التباينات والتداخلات.

1.4. التشبيه - Simile-La comparaison :

التشبيه هو " أن تثبت لهذا معنى من معاني ذاك، أو حكما من أحكامه، كإثباتك للرجل شجاعة الأسد، وللحجة حكم النور، في أنك تفصل بها بين الحق والباطل، كما يفصل بالنور بين الأشياء"¹⁸. والتشبيه أيضا في أبسط تعريفاته هو: "الدلالة على مشاركة أمر لأمر في معنى مشترك بينهما بإحدى أدوات التشبيه المذكورة أو المقدرة المفهومة من سياق الكلام"¹⁹.

ويكون التشبيه بهذا المعنى: "علاقة مقارنة تجمع بين طرفين، لاتحادهما أو اشتراكهما في صفة أو حالة، أو مجموعة من الصفات والأحوال. هذه العلاقة قد تستند إلى مشابهة حسية، وقد تستند إلى مشابهة في الحكم أو المقتضى الذهني، الذي يربط بين الطرفين المقارنين، دون أن يكون من الضروري أن يشترك الطرفان في الهيئة المادية أو في كثير من الصفات المحسوسة"²⁰. والتشبيه أيضا: "أول طريقة تدل عليها الطبيعة لبيان المعنى. لأن الإنسان لما كان يجهل حقيقة كثير من الأمور اعتاد أن يعرض ما أراد وصفه على شيء آخر أوضح فيقيسه به. وموقع التشبيه في البيان موقع مرموق. وذلك لإخراجه الخفي إلى الجلي، وإدناؤه البعيد من القريب، وتوخيّه التزيين أو التهجين والمبالغة. وفي كل هذه الأغراض افتنان وتنوع في القول للفت النظر"²¹.

والتشبيه من أشكال التصوير الرائجة في اللغة الانجليزية أيضا، يعبر عنه بالمصطلح «Simile»، ولا يخرج تعريفه فيها عموما عن مفهومه في العربية:

« Simile: a figure of speech in which one thing is likened to another »²²

" التشبيه: صورة بيانية يُشبه فيها شيء ما بشيء آخر "- ترجمتنا.

ومن تعريفات التشبيه أيضا:

« **Simile**: An explicit comparison between two different things, actions or feelings, using the words "as" and "like"...a very common figure of speech in both prose and verse»²³

"التشبيه: مقارنة صريحة بين شيئين أو فعلين أو شعورين مختلفين باستعمال المفردتين "as" و "like" (حرف الكاف و "مثل")... وهو صورة بيانية رائجة في النثر والشعر"-ترجمتنا.
وجاء في شرح مضمون هذه الصورة أيضا:

« In a simile, a comparison between two distinctly different things is explicitly indicated by the word "like" or "as". A simple example is Robert Burns, "O my love's like a red, red rose »²⁴
" يتضمن التشبيه مقارنة بين شيئين مختلفين تماما، يشار إليها صراحة باللفظ "like" أو "as" ("مثل" أو حرف الكاف). وكمثال بسيط على ذلك، التشبيه الذي يقول فيه "روبرت بيرنز": "أه.. حبي مثل وردة حمراء"-ترجمتنا.

أما في اللغة الفرنسية، فالتشبيه يأتي في الغالب لمخاطبة الحواس:

« ... elle repose le plus souvent sur une image concrète, évoquant une réalité matérielle qui peut être perçue par la vue ou l'un des autres sens »²⁵

" تقوم المقارنة غالبا على صورة حسية، تجسد حقيقة مادية يمكن إدراكها بالعين المجردة، أو حاسة من الحواس الأخرى"-ترجمتنا.
أما الغرض منه، فهو:

« Le but de la comparaison est de mieux dégager l'aspect, le sens de l'objet comparé (personne, animal, objet, pensée) ».²⁶

" إن الغرض من التشبيه هو إبراز مظهر المشبه ودلالته (شخص أو حيوان أو شيء أو فكرة)" - ترجمتنا.

والتشبيه في السياقات الاقتصادية والمالية المتخصصة يأتي غالبا على صورة مقارنة المجرد بالحسي، أي تجسيد المفاهيم الاقتصادية والمالية المجردة في حقائق محسوسة-وقد يشبه المجرد بمجرد آخر أيضا - كما في التشبيهات الآتية المنتقاة من بعض أعداد مجلة التمويل والتنمية، على سبيل المثال لا الحصر:

المثال الأول:²⁷

التشبيه بالانكليزية:

« But in the late 1990s, the Asian crisis showed us how powerful economic forces have the ability to wreak havoc across borders, with a crisis in one country spreading like wildfire to other economies that had been perceived as sound until then »

الترجمة العربية:

" ولكن في أواخر أعوام التسعينيات من القرن الماضي، بينت لنا الأزمة الآسيوية مدى قدرة القوى الاقتصادية القادرة على إشاعة الدمار عبر الحدود، عندما تنقل أزمة من بلد ما وتنتشر كالنار في الهشيم في اقتصادات أخرى كانت تعتبر سليمة حتى ذلك الوقت "

الترجمة الفرنسية:

« Mais, à la fin des années 90, la crise asiatique a montré à quel point de puissantes forces économiques peuvent causer des ravages par-delà les frontières, une crise survenue dans un pays se propageant tel un feu de brousse dans d'autres économies jusqu'alors considérées comme étant solides »

تحليل: وضح الكاتب في هذه الصورة قدرة القوى الاقتصادية على نقل الأزمات من بلد إلى آخر، فشبّه الانتقال السريع لأزمة بلد إلى اقتصادات مجاورة سليمة بالحريق في سرعة انتشاره. وقد نقل اللفظ wildfire من الانجليزية إلى ما يقابله في الفرنسية feu de brousse دلالة على حرائق الغابات والأدغال. أما الترجمة العربية فقد جاءت تعبيراً مجازياً مكافئاً هو "النار في الهشيم". والهشيم جمع "هشيمة" وهي الأرض التي يبس شجرها أو الشجرة اليابسة البالية.

المثال الثاني:²⁸

التشبيه بالانكليزية:

« Yet financial markets, like society itself, rely on shared ethical standards »

الترجمة العربية:

" إلا أن الأسواق المالية، مثلها مثل المجتمع نفسه، تعتمد على معايير أخلاقية مشتركة "

الترجمة الفرنسية:

« Pourtant, à l'image de la société même, ces marchés sont régis par des normes éthiques »

تحليل: شبه الكاتب الأسواق المالية بالمجتمع، فهذه الأسواق قائمة على التعاملات المالية بين المؤسسات والشركات، والمجتمع قائم على التعاملات والعلاقات بين أفرادها. فإن كان هذا المجتمع يحتاج إلى المعايير الأخلاقية ليستمر ويتطور، فالأسواق المالية بدورها تحتاج لأخلاقيات التعامل

لتحقيق النجاح والازدهار وحفظ حقوق الأطراف الفاعلة فيها. وقد نقل هذا التشبيه إلى اللغتين العربية والفرنسية عن طريق الترجمة الحرفية.

المثال الثالث:²⁹

التشبيه بالانكليزية:

« Like an epidemic in which an invisible virus infects many people and communities, the financial crisis spread when losses to intermediaries in one nontransparent market raised concerns about liquidity and solvency elsewhere »

الترجمة العربية:

"ومثل وباء يصيب فيه فيروس خفي أناسا كثيرين ومجتمعات متعددة، فقد انتشرت الأزمة المالية عندما أثارت خسائر الوسطاء في سوق واحدة غير شفافة المخاوف بشأن السيولة والملاءة في أماكن أخرى"

الترجمة الفرنسية:

« Telle une épidémie provoquée par un virus inconnu qui infecte quantité de personnes et de communautés, la crise financière se répand lorsque les pertes subies par des intérimaires sur un marché opaque font craindre des problèmes d'illiquidité et d'insolvabilité ailleurs »

تحليل: في هذه الصورة مقارنة مثيرة للاهتمام بين مجرد وحسي، حيث شبه الكاتب الأزمة المالية بالوباء والسوق غير الشفافة، أي التي تفتقر إلى الوضوح والمصادقية في تعاملاتها فتؤدي إلى حدوث أزمة مالية، بالفيروس المسبب لهذا الوباء. والمعنى هنا أن خسائر الوسطاء المتعاملين في سوق غير موثوق بها أدت إلى نشر مخاوف بشأن السيولة والملاءة وتعني القدرة على تسديد الديون-في أماكن أو أسواق أخرى، تماما مثل الفيروس المجهول التي ينقل المرض من مكان لآخر. أما عن التقنية المعتمدة في النقل فهي الترجمة الحرفية التي ظهر فيها بوضوح نقل المصطلحات المالية المتخصصة من الانجليزية إلى مقابلاتها العربية والفرنسية.

المثال الرابع:³⁰

التشبيه بالانكليزية:

« Just as diseases are passed on by close human contact, pests, and contaminated food, so this financial crisis has been transmitted through connected markets and institutions»

الترجمة العربية:

"ومثلما ينتقل المرض بالمخالطة الوثيقة بين البشر، وعن طريق الآفات والأغذية الملوثة، كذلك انتقلت هذه الأزمة المالية من خلال الأسواق والمؤسسات المترابطة"

الترجمة الفرنسية:

« Tout comme une maladie infectieuse se transmet au contact d'une personne, d'un animal ou d'aliments infectés, la crise financière s'est propagée par l'interconnexion des marchés et des institutions »

تحليل: لا يختلف هذا المثال كثيرا عن السابق، وقد جاء في سياق متصل في المقال ذاته. حيث شبه الكاتب الأزمة المالية بالمرض. فإن كان المرض ينتقل عن طريق المخالطة أو الاتصال بين البشر والحيوان أو عن طريق الأغذية الملوثة، فالأزمة المالية أيضا تنتشر عن طريق اتصال الأسواق والمؤسسات من خلال التعاملات المالية فيما بينها. وقد نقل هذا التشبيه من الانجليزية إلى العربية والفرنسية عن طريق الترجمة الحرفية، وعلاقة المشاركة واضحة في الترجمتين.

إن التشبيه من أروع الصور البيانية حتى أن البلاغيين عدوه أشرفها على الإطلاق، تتجلى فيه قدرة المتكلم على الربط بين حقول دلالية مختلفة بوجه شبه واحد أو أوجه شبه متعددة تستدعي أعمال الفكر. وتوظيف هذه الصورة في لغة الاقتصاد والمالية يضفي على السياقات المتخصصة جمالية كمثال "الأزمات المالية" و"الفيروسات" أعلاه، ذلك أن طرافة التشبيه وقوته كما يقول "ابن رشيق": "لا تتحققان إلا إذا كان قائما على الجمع بين صفات متباعدة، كما أن حسن التشبيه أن يقرب بين البعيدين، حتى يصير بينهما مناسبة واشتراك"³¹. لكن وجهة النظر هذه في التشبيه لا يجمع عليها الباحثون. حيث يرى "جوزف نعوم حجار" مثلا أنه "ينبغي اجتناب وجه الشبه البعيد أو الغريب الذي يقتضي فكرة وتدقيق نظر. والمعلوم أنه لا يُعتمد إلى التشبيه إلا لزيادة في الإيضاح. وينبغي أن تكون معانيه جديدة طريفة... وألا يكون وجه الشبه سخيلا يُمُجّه الذوق الصحيح"³².

2.4. الاستعارة-Metaphor-La métaphore

يُعتقد أن أول من وظّف مصطلح "الاستعارة" من علماء البلاغة العرب هو "الجاحظ" الذي قال إنها "تسمية الشيء باسم غيره، إذا قام مقامه"³³. كما عرّفها "أبو هلال العسكري" وحدد وظيفتها بقوله: "الاستعارة نقل العبارة عن موضع استعمالها في أصل اللغة إلى غيره لغرض، وذلك الغرض إما أن يكون شرح المعنى وفضل الإبانة عنه، أو تأكيده والمبالغة فيه، أو الإشارة إليه بالقليل من اللفظ، أو بحسن المعرض الذي يبرز فيه"³⁴.

أما "الجرجاني" الذي يعد من أبرز اللغويين العرب الذين تناولوا الاستعارة، فقد عرفها بقوله: "اعلم أن الاستعارة في الجملة أن يكون للفظ أصل في الوضع اللغوي معروف تدل الشواهد على أنه اختص به حين وضع، ثم يستعمله الشاعر أو غير الشاعر في غير ذلك الأصل، وينقله إليه نقلا غير لازم، فيكون هناك كالعارية"³⁵.

وفائدة الاستعارة، كصورة بيانية، لخصها "الجرجاني" في كلمات معبرة قائلا: "فإنك لترى بها الجماد حيا ناطقا والأعجم فصيحاً، والأجسام الخرس مبينة، والمعاني الخفية بادية جلية"³⁶.
أما حديثاً، فيرى البلاغيون العرب في الاستعارة مظهراً راقياً من مظاهر الفعالية الخلاقة للغة، ووسيلة ضرورية من وسائل التشكيل الجمالي في العمل الفني³⁷. ولهذا الأسلوب، حسب "جوزف نعيم حجار"، موقع هام في الكتاب إذ أنه يثير الإحساسات، ويوسع الخيال، فيضفي على الكلام قوة، ويكسوه حسناً ورونقاً. وبذلك يفوق أساليب التشبيه طرافة وإيضاحاً للمعنى ومبالغة فيه. وما يستهجن في الاستعارة هو عدم مراعاة حسن التشبيه للطرفين، أو الإفراط في المبالغة لتراكب الصور على بعضها ولغرابتها والخروج فيها إلى الإحالة³⁸.
والاستعارة إما أن تكون "تصريحية" explicite يصرح فيها بلفظ المشبه به، أو "مكنية" analogique يحذف فيها المشبه به ويكنى عنه بأحد لوازمه وهي "القرينة" analogie³⁹. وتمثيلاً لذلك نورد ما يلي:⁴⁰
جاء في قول "التهامي" يرثي ابنه:

يا كوكبا ما كان أقصر عمره * وكذلك عمر كواكب الأسحار

فقد أغفل المشبه (الولد)، وذكر المشبه به (الكوكب): وهذه استعارة تصريحية وفي قولنا: "تبسمت الرياض" ذكر المستعار له (المشبه: الرياض) وحذف المستعار منه (المشبه به: الإنسان)، وكُنِيَ عنه "بالتبسم" لأنه من لوازمه (وهي القرينة). وهذه استعارة مكنية.
والاستعارة شأنها شأن التشبيه صورة بيانية حاضرة في اللغات الأجنبية أيضاً. ففي اللغة الانجليزية، تعد الاستعارة ميزة فنية أساسية في الأعمال الأدبية، يستخدمها الكتاب والشعراء على حد سواء، يدل عليها مصطلح « Metaphor » وتعرف على أنها:

« Metaphor: the most important and widespread figure of speech, in which one thing, idea, or action is referred to by a word or expression normally denoting another thing, idea, or action, so as to suggest some common quality shared by the two. Metaphors may also appear as verbs or as adjectives, or in longer idiomatic phrases »⁴¹

" الاستعارة: هي أهم الصور البيانية وأكثرها شيوعاً، يشار فيها إلى شيء أو فكرة أو فعل بلفظ أو تعبير يدل أصلاً على شيء آخر أو فكرة أخرى أو فعل آخر، لبيان وجود صفة مشتركة بين الاثنين. وقد تظهر الاستعارات أيضاً كأفعال أو صفات أو في عبارات مجازية طويلة"-ترجمتنا.
وفي أبسط تعريفاتها، تعني الاستعارة:

« Metaphor: A figure of speech in which one thing is described in terms of another. The basic figure in poetry. A comparison is usually implicit; whereas in simile it is explicit »⁴²

"الاستعارة: صورة بيانية يوصف فيها شيء ما بخصائص شيء آخر. وهي أهم صورة في الشعر، تأتي المقارنة فيها عادة ضمنية في حين أنها في التشبيه صريحة"-ترجمتنا.
وإذا أخذنا المثال الوارد في عنصر التشبيه، مع التعديل، صار استعارة:

« For example, if Burns had said "O my love is a red, red rose" he would have uttered, technically speaking, a metaphor instead of a simile »⁴³

"لو قال 'بيرنز' على سبيل المثال: "آه.. حبي وردة حمراء" لكان ذلك، من الناحية التقنية، استعارة لا تشبيها"-ترجمتنا.

نرى هنا أن الاستعارة بمعناها في هذا المثال تقترب إلى حد ما من التشبيه البليغ أو التشبيه المؤكد في اللغة العربية. والتشبيه البليغ هو ما حذف منه الأداة ووجه الشبه، والتشبيه المؤكد هو ما حذف منه الأداة⁴⁴.

أما في اللغة الفرنسية:

« **La métaphore**, en français, est l'un des noms de l'IMAGE. Tandis que la comparaison exprime le point de ressemblance entre deux êtres, la métaphore le sous-entend. Elle n'utilise pas des termes : comme, de même que, tel que...etc., qui introduisent la comparaison. C'est donc une comparaison abrégée »⁴⁵

"الاستعارة في الفرنسية هي اسم من أسماء 'الصورة'، وفي حين أن التشبيه يعبر عن وجه الشبه بين موجودين فإن الاستعارة تكني عنه. هي لا توظف المفردات: comme, de même que, tel que ("مثل" أو حرف الكاف...) وغيرها، التي تدخل على التشبيه. إنها إذن تشبيه مختصر" - ترجمتنا.

ومثالاً على ذلك قولنا: الحياة نهر طويل هادئ: La vie est un long fleuve tranquille
وفي الاستعارة:

« Quand une métaphore progresse et se développe avec harmonie, elle rejoint l'allégorie, qui est la personnification des idées abstraites »⁴⁶

"إذا استرسل في الاستعارة بتناغم صارت 'استحضاراً' ويعني شخصنة الأفكار المجردة" - ترجمتنا.
ومن تعريفاتها أيضاً:

« **Métaphore** : Procédé qui consiste dans un transfert de sens (terme concret dans un contexte abstrait) par substitution analogique »⁴⁷

"الاستعارة: أسلوب يتمثل في نقل المعنى (لفظ حسي في سياق مجرد) عن طريق الاستبدال بقرينة"-
ترجمتنا.

وهذا المعنى، لا تختلف الاستعارة في اللغة الفرنسية كثيرا عنها في اللغة الانجليزية، وقد تقترب من الاستعارة المكنية في اللغة العربية، وهي عموما مصطلح شامل un hyperonyme أي يشمل كل الصور الأخرى وكل استعمال مجازي للغة. وقد تتحول بفعل التداول إلى قوالب جامدة لا نستشعر فيها مع الوقت قيمة الصورة ولا تأثيرها. وتمثيلا لذلك:

« ...elle est aussi d'un usage très abondant dans le parler quotidien : une jeune fille stupide devient une jeune oie, un homme impoli un vieil ours »⁴⁸

"... الاستعارات غزيرة في الكلام اليومي: الفتاة البليدة هي استعاريا إوزة يافعة، والرجل غير المهذب هو استعاريا دب عجوز"-ترجمتنا.

نشير هنا إلى أن اللغة الفرنسية معروفة أصلا بخاصية التصوير والاستعارة من عالم الحيوان. أما في لغة الاقتصاد والمالية، فقد صارت الاستعارة ميزة أساسية في هذه اللغة المتخصصة التي يعتقد الكثيرون أنها لغة الأرقام والإحصائيات والمعاني الصريحة المباشرة التي لا مجال فيها للتصوير. وقد وردت استعارات كثيرة في مقالات مجلة "التمويل والتنمية"، منها على سبيل المثال لا الحصر:

المثال الأول:⁴⁹

الاستعارة بالانكليزية:

« In 1997— 98, a financial crisis brought three East Asian middle-income countries - Indonesia, Korea, and Thailand - to their knees »

الترجمة العربية:

" في عام 1997-1998، أدت أزمة الدول متوسطة الدخل في شرق آسيا إلى ركوع ثلاث دول على ركبها وهي إندونيسيا وكوريا وتايلند "

الترجمة الفرنسية:

« En 1997—98, une crise financière saigna à blanc trois pays à revenu intermédiaire d'Asie de l'Est - l'Indonésie, la Corée et la Thaïlande »

تحليل: « to bring to knees » تعبير مجازي شائع في اللغة الانجليزية للدلالة على الهزيمة والإضعاف والإخضاع. وإذا وظف في السياقات الاقتصادية والمالية صار استعارة تحمل معاني الخسارة والإفلاس والانهيار والاستنزاف. وقد نقلت هذه الصورة إلى العربية عن طريق الترجمة الحرفية، فجاءت استعارة مكنية في هذا السياق، حيث حذف المشبه به (الإنسان) وأبقى على أحد لوازمه، وهي القرينة (الركوع). والركوع في العربية هو الانحناء سواء مست الركبتان الأرض أم لا، وهنا جاز القول أيضا إن لفظ "الركوع" قد وظف في سياق مجرد، حيث دفعت الأزمة المالية بعض الدول متوسطة الدخل في شرق آسيا إلى الركوع مثل إنسان.

أما النقل إلى الفرنسية فقد جاء عن طريق التكافؤ، حيث عوضت الاستعارة الانجليزية بأخرى مكافئة لها في الثقافة الفرنسية، تدل على المعنى ذاته وهو الإخضاع والاستنزاف. ويعود أصل التعبير الفرنسي « saigner à blanc » إلى عالم الحيوان، فقد كانوا قديما يجعلون دم الطريدة ينزف حتى يبيض لحمها.

المثال الثاني:⁵⁰

الاستعارة بالإنكليزية: « When Crises Collide »

الترجمة العربية: " عندما تتلاطم الأزمت "

الترجمة الفرنسية: « Quand les crises s'entrechoquent »

تحليل: يدل الفعل « to collide » في الانجليزية على الاصطدام بالمعنى المادي، أي اصطدام شيء بآخر أو تلاطم الأمواج، ومعناه المجازي هو التناقض والتعارض والصراع. وقد نقلت هذه الاستعارة حرفيا إلى العربية حيث يمكن أن نفهم من هذا السياق أن الأزمت قد شُبهت بأمواج البحر التي تتلاطم أي تتقاذف ويضرب بعضها بعضا، فحذف المشبه به (الأمواج) وأبقى على أحد لوازمه (تتلاطم). وعند النقل إلى الفرنسية وظف الفعل « s'entrechoquer » الذي يعني الاصطدام وتلاطم الأمواج، ومنه يمكن اعتبار الصورة ترجمة حرفية.

3.4. الكناية-La périphrase- Metonymy:

الكناية " لفظ أطلق وأريد به لازم معناه، مع جواز إرادة ذلك المعنى "⁵¹. وهي أيضا "عدول عن التصريح توسعا وحبا في الابتكار، وفن بياني يخلع مسحة من الجمال البديع على الكلام "⁵². ومن تعريفاتها أيضا: " تعبير بياني يلجأ إلى التلميح دون التصريح، فيحتمل معنيين: معنى قريب حقيقي غير مقصود ومعنى بعيد مجازي وهو المقصود عادة.. فلان طويل اليد: المعنى الحقيقي هو أن يده طويلة فعلا. والمعنى المجازي (وهو المقصود)، أنه رجل ذو سلطة "⁵³

وفيما يخص تقنيتهما فالكناية صورة بيانية يكتن بها: عن "موصوف" كقولنا حيوان ناطق (أي الإنسان)، أو "صفة"، فتكون: إما قريبة، ينتقل منها إلى المطلوب بصراحة (رحب الصدر: متسامح)، وإما بعيدة، ينتقل منها إلى المطلوب بواسطة (كثير الرماد: كثرة الرماد تدل على كثرة النار، وكثرة النار دليل على كثرة الطباخ، وكثرة الطباخ إنما تكون لكثرة الأضياف)، وإما ملازمة لصاحبها (نسبة صفة: الكرم بين برديه: أي في شخصه) "⁵⁴.

أما أغراض الكناية فيقول فيها "جوزف نعوم حجار": " للكناية أغراض معينة يراد بها بنوع خاص الإبهام على السامعين، لأن الكناية نقيض التصريح. ولكنها تفيد كأحد أساليب البيان تحسين اللفظ وتعزيز الكلام بإيراد المعنى الواحد بتعابير عديدة غزيرة الصور "⁵⁵.

والكناية شأنها شأن سائر الصور البيانية حاضرة بقوة في اللغات الأجنبية، لكن مع بعض الاختلافات. ففي الانجليزية يعبر عنها بالمصطلح « Metonymy » وتعني:

« Metonymy: a figure of speech that replaces the name of one thing with the name of something else closely associated with it, e.g. the Oval Office for the US presidency »⁵⁶

" الكناية: صورة بيانية تعوض اسم شيء باسم شيء آخر ملازم له. فعلى سبيل المثال، نطلق 'المكتب البيضوي' كناية عن مقر الرئاسة في الولايات المتحدة الأمريكية"-ترجمتنا.
ومن أمثلة الكناية في الانجليزية أيضا:

« 'The Stage' for the theatrical profession; 'The Crown' for the monarchy; 'The Bench' for the judiciary »⁵⁷

" 'الخشبة' كناية عن مهنة المسرح، و'التاج' كناية عن النظام الملكي، و'كرسي القاضي' كناية عن سلطة القضاء"-ترجمتنا.

وفي شرح الكناية جاء ما يلي:

« In metonymy, the literal term for one thing is applied to another with which it has become closely associated... Thus, 'the crown' or 'the scepter' can be used to stand for a king and 'Hollywood' for the film industry »⁵⁸

" في الكناية، يطلق اللفظ ويراد به معنى آخر، صار لازما لمعناه الذي وضع له. وهكذا، يمكن إطلاق 'التاج' أو 'الصولجان' كناية عن الملك، و'هوليوود' كناية عن صناعة السينما"-ترجمتنا.

نلاحظ من خلال التعريفات أعلاه أن معنى "الكناية" في الانجليزية يقترب من معناه في البلاغة العربية، وقد أشرنا آنفا إلى أن المصطلح الموظف في الانجليزية للدلالة على "الكناية" « Metonymy » يقابله في الفرنسية مصطلح « Métonymie » لكن للدلالة على "المجاز المرسل" لا "الكناية".

أما الكناية في اللغة الفرنسية، فيعبر عنها بالمصطلح « Périphrase »، وهذا دليل على الاختلافات بين اللغات وثقافتها وأنظمتها.

وأغراض الكناية العربية المذكورة أعلاه تتقاطع جزئيا مع الكناية الفرنسية التي تعرف على أنها:

« En français, la périphrase consiste à exprimer par plusieurs mots ce que l'on pourrait dire en un seul ; par exemple quand on définit une chose au lieu de la nommer (La ville lumière = Paris ; La ville éternelle = Rome ; Le nerf de la guerre = l'argent) »⁵⁹

" الكناية في اللغة الفرنسية هي التعبير بعدة ألفاظ عما يمكن قوله بلفظ واحد؛ عندما نعرف الشيء مثلا بدل تسميته ('مدينة النور' كناية عن باريس، و'المدينة الخالدة' كناية عن روما، و'عصب الحرب' كناية عن المال)"-ترجمتنا.

ومن تعريفاتها أيضا:

« **Périphrase** : figure qui consiste à exprimer par un groupe de mots une notion qu'un seul mot pourrait désigner. On ne nomme pas la réalité mais on la désigne par une ou plusieurs de ses caractéristiques : elle est donc descriptive »⁶⁰

" الكناية: صورة تتمثل في التعبير بمجموعة من الكلمات عن مفهوم يمكن تعريفه بكلمة واحدة. فلا تسمى الحقيقة، وإنما يشار إليها بإحدى سماتها أو بعضها: فهي إذن وصفية -ترجمتنا. وعن أثر الكناية في اللغة الفرنسية، يقول "جوزف نعوم حجار":

« La périphrase excite souvent en nous une émotion, un sentiment que le terme propre ne suffirait pas à éveiller »⁶¹

" تثير الكناية فينا غالبا انفعالا أو شعورا قد لا يسع اللفظ الصريح إيقاظه -ترجمتنا. والكناية حاضرة في السياقات المتخصصة، وقد كان لها أثر واضح في مجلة "التمويل والتنمية"، خاصة في عناوين المقالات، منها على سبيل المثال لا الحصر:

المثال الأول:⁶²

الكناية بالانكليزية: « Converting a Tiger »

الترجمة العربية: " جعل الحساب الجاري قابلا للتحويل لدى أحد النمور"

الترجمة الفرنسية: « La conversion d'un Tigre »

تحليل: النمر كناية عن "الهند"، لأن أكثر من فصيلة من هذا الحيوان تعيش في الهند، ويقال أيضا إن الهند موطن 70 بالمائة من نمور العالم، وتكثر فيها المحميات التي تسعى إلى الحفاظ على هذا الحيوان المقدس من الانقراض. وهكذا صار النمر يرمز للهند مثلما يرمز التنين للصين. وقد جاءت هذه الكناية في عنوان مقال تناول النمو الاقتصادي الذي حققته الهند في التسعينيات بفضل الإصلاحات التي أجرتها الحكومة - لكن ينبغي عدم الخلط بين هذه الصورة وصورة أخرى يطلق فيها اسم "النمور" على بعض دول شرق آسيا التي حققت طفرة اقتصادية، ونعني بها: "تاوان" و"سنغافورة" و"هونغ كونغ" و"كوريا الجنوبية" و"ماليزيا" و"إندونيسيا" و"الفلبين". وقد نقلت هذه الكناية حرفيا إلى الفرنسية، أما الترجمة العربية فقد جاءت شارحة لمعنى "التحويل" المجمل في المصطلحين « converting » و« conversion »، مع الإبقاء على الصورة في لفظ "النمور". والمقصود في هذا السياق المتخصص هو أن الهند حررت الاستثمار الأجنبي، الأمر الذي جلب رؤوس الأموال للبلد وجعل العملة المحلية قابلة للتحويل.

المثال الثاني:⁶³

الكناية بالانكليزية: « Smart Economics »

الترجمة العربية: " مبادئ الاقتصاد الذكي "

الترجمة الفرنسية: « L'Économie Intelligente »

تحليل: "Smart Economics" مصطلح حديث يطلق على الاقتصاد باعتباره "سلوكا اقتصاديا"، أي اقتصاد يوظف التكنولوجيا في تطوير قطاعات الإنتاج وتسهيل الحصول على الخدمات بجودة عالية، وهو أيضا اقتصاد يأخذ بعين الاعتبار الحفاظ على البيئة من خلال البحث عن الطاقات البديلة أو المتجددة للتقليل من مخاطر التلوث. وقد نقلت هذه الصورة إلى اللغتين العربية والفرنسية عن طريق الترجمة الحرفية، ويمكن اعتبارها كذلك "محاكاة" وهي تقنية تستعمل بكثرة في الترجمة المتخصصة لنقل المصطلحات الجديدة.

4.4. المجاز المرسل - La métonymie - Synecdoche :

المجاز: هو أن تستعمل لفظة بمعنى جديد لم توضع له في الأصل. وهذا المعنى الجديد يسمى "المعنى المجازي": كل مجاز بني على التشبيه يسمى "استعارة". وكل مجاز بني على غير التشبيه يسمى "مجازا مرسلًا". المجاز المرسل قريب من الكناية. والفرق بين الكناية والمجاز المرسل هو أن هذا لا يقصد به المعنى الحقيقي قطعاً. ويتصف المجاز المرسل "بالإيجاز" (la concision). فمن سنن العرب الاقتصار على ذكر بعض الشيء وهم يريدون كله⁶⁴.

وهكذا فالمجاز المرسل "يعتمد عكس الاستعارة على علاقة مع المعنى الحقيقي ليست الشبه بل "القرينة" وقرائن المجاز كثيرة عدها البعض إلى الثلاثين أهمها: السببية، والمسببية، والجزئية، والكلية، واعتبار ما كان، واعتبار ما سيكون، والمحلية، والحالية، والآلية والمجاورة⁶⁵ وتمثيلاً للمجاز المرسل نورد بعض علاقاته:⁶⁶

- الكل بدل الجزء: وضع إصبعه في أذنه = رأس الإصبع: أنملة

- المكان بدل السكان: اجتمع المجلس = أهله

- الشيء مكان آله: " اذكرني بلسان صدق " = بكلام صدق

والمجاز المرسل ميزة حاضرة أيضا في اللغة الانجليزية وآدابها، يعبر عنه بالمصطلح « Synecdoche » ويعرف على أنه:

« Synecdoche : a common figure of speech by which something is referred to indirectly, either by naming only some part or constituent of it, or — less often — by naming some more comprehensive entity of which it is a part. Usually regarded as a special kind of

metonymy, synecdoche occurs frequently in political journalism (e.g. 'Moscow' for the Russian government), but also has literary uses"⁶⁷

"المجاز المرسل: صورة بيانية شائعة يشار فيها إلى شيء ما بطريقة غير مباشرة، سواء بتسمية جزء أو مكون منه فقط، أم أحيانا بتسمية كيان أكثر شمولاً هو جزء منه. والمجاز المرسل، الذي ينظر إليه عادة على أنه نوع خاص من الكناية، يرد كثيراً في الصحافة السياسية (مثال: يطلق الاسم "موسكو" للدلالة على الحكومة الروسية)، لكنه يستعمل أيضاً في مجال الأدب"-ترجمتنا.
وفي المجاز المرسل أيضاً:

« In synecdoche, a part of something is used to signify the whole, or the whole is used to signify a part...We use, in current slang, "wheels" to stand for an automobile »⁶⁸

" في المجاز المرسل، يستخدم جزء من شيء ما للدلالة على الكل، أو الكل للدلالة على جزء... ففي العامية، نطلق لفظ 'عجلات' للدلالة على سيارة "-ترجمتنا.
وبالمعنى ذاته:

« **Synecdoche**: a figure of speech in which the part stands for the whole, and thus something else is understood within the thing mentioned. For example: in 'Give us this day our daily bread', 'bread' stands for the meals taken each day»⁶⁹

" المجاز المرسل: صورة بيانية يدل فيها الجزء على الكل، وعليه يفهم شيء آخر ضمن الشيء المذكور. ففي قولنا على سبيل المثال "أعطنا خبز يومنا هذا"، يدل "الخبز" على الوجبات التي نتناولها كل يوم"-ترجمتنا.

أما في اللغة الفرنسية، فالمجاز المرسل يعبر عنه بالمصطلح « **Métonymie** » الذي يعرف على أساس العلاقة لا الشبه، ليقترّب بذلك من معنى المجاز المرسل في اللغة العربية:

« Le contenu de cette figure pouvait en revanche faire l'objet de plusieurs tentatives de classification : métonymie du contenant pour le contenu, de l'instrument pour l'agent, etc. »

70

" إن مضمون هذه الصورة يمكن أن يفتح المجال لتصنيفات عدة: مجاز مرسل على أساس علاقة الحاوي بالمحتوى أو الآلة بالعامل عليها.. إلى غير ذلك "-ترجمتنا.
ويعرف "جوزف نعوم حجار" المجاز المرسل في الفرنسية بقوله:

« En français également, la métonymie consiste à designer la personne ou la chose par un autre nom que le sien, parce que ce nom frappe davantage. Ainsi nomme-t-on la cause pour

l'effet, la partie pour le tout, le contenant pour le contenu, l'abstrait pour le concret, le signe pour la chose signifiée, et vice-versa»⁷¹

" في الفرنسية أيضا، يتمثل المجاز المرسل في تسمية الشخص أو الشيء باسم آخر غير اسمه، لأن هذا الاسم تأثيره أبلغ. وهكذا، نسمي السبب للنتيجة، والجزء للكل، والحاوي للمحتوى، والمجرد للمحسوس، والدال للمدلول، والعكس بالعكس" - ترجمتنا.

ويتفرع المجاز المرسل في الفرنسية إلى صور أخرى منها "مجاز الجزئية synecdoque" وفق مجموعة من العلاقات كالجاء للكل والمفرد للجمع، بالإضافة إلى نوع آخر يعرف بمجاز "العلمية" ويختص بأسماء العلم.

ومن أمثلة المجاز المرسل في الفرنسية:⁷²

Cette obscure clarté qui tombe des étoiles : النجوم دلالة على السماء

Enfin avec le flux, nous fait voir trente voiles : الشراع دلالة على السفينة

في الأخير، تجدر الإشارة إلى أن اللفظ الدال على المجاز المرسل في اللغة الانجليزية synecdoche يقابله اللفظ الدال على أحد تفرعاته فقط في اللغة الفرنسية، ونعني "مجاز الجزئية synecdoque"، وهذا يحيل مرة أخرى إلى مسألة التباين والاختلاف بين اللغات وثقافتها. وفيما يلي بعض الأمثلة عن المجاز المرسل من مجلة "التمويل والتنمية"، فهو حاضر أيضا في لغة الاقتصاد والمالية:

المثال الأول:⁷³

المجاز المرسل بالإنكليزية: « The Quest for Rules »

الترجمة العربية: "السعي وراء القواعد"

الترجمة الفرنسية: « En quête de règles »

تحليل: وظف الكاتب لفظ "القواعد" وأراد به، حسب مضمون المقال، "المفاهيم والقوانين الاقتصادية" التي اشتهر بها الاقتصادي الأمريكي "جون تيلور". فقد عمل هذا الأخير على استنباط الكثير من القواعد والمعادلات الرياضية لصياغة القوانين والمفاهيم والسياسات الكلية الكفيلة بتطوير الاقتصاد الأمريكي وضمان تفوقه على سائر اقتصاديات العالم. والمعنى هنا أن القوانين والسياسات الاقتصادية هي نتيجة توظيف هذا الخبير الاقتصادي للقواعد والمعادلات لصياغتها. وقد نقلت هذه الصورة حرفيا إلى اللغتين العربية والفرنسية.

المثال الثاني:⁷⁴

المجاز المرسل بالانكليزية: « Paying the Price for Sun »

الترجمة العربية: "دفع ثمن مقابل الشمس"

الترجمة الفرنسية: « La rançon du soleil »

تحليل: وظف الكاتب في النص الانجليزي لفظ «Sun» وأراد به "الاحترار العالمي" الذي أثار سلبا في قطاع الزراعة. ويعود هذا المصطلح على "ارتفاع درجة حرارة الكوكب" الناجمة عن انبعاث غازات ثاني أكسيد الكربون. وقد ترجم هذا العنوان حرفيا من الانجليزية إلى الفرنسية والعربية. فالشمس هي مصدر الحرارة الرئيسي لكوكبنا، أي أنها علميا أحد العوامل المسببة لهذه الظاهرة المناخية العالمية.

المثال الثالث:⁷⁵

المجاز المرسل بالانكليزية: «Stockholm Solutions»

الترجمة العربية: "حلول ستوكهولم"

الترجمة الفرنسية: «Les solutions de Stockholm»

تحليل: «Stockholm Solutions» عنوان مقال وظف فيه الكاتب اسم "Stockholm"، عاصمة السويد وأراد به "الحكومة السويدية" التي بادرت إلى إعادة هيكلة النظام المالي لإخراج البلاد من الأزمة التي عصفت باقتصادها سنوات 1991-1993. وقد نقلت هذه الصورة حرفيا إلى العربية والفرنسية فجاءت مجازا مرسلا.

5. خاتمة:

في نهاية هذا العمل، يتضح أن "الصورة" كصنعة بلاغية حاضرة في كل اللغات، مع وجود اختلافات وتباينات صريحة في المعنى والتسمية من لغة إلى أخرى، فلكل لغة ثقافتها وروحها، وما تعدده هذه اللغة وثقافتها "استعارة" هو "تشبيه" في تلك. ويتعين على المترجم توخي الحذر عند تحليلها، فلا بد من ضبط معانيها بما يضمن الأمانة في نقلها. وهذه الصورة البيانية صارت خاصية مميزة لبعض لغات الاختصاص منها لغة الاقتصاد والمالية. وفي معظم الأمثلة المترجمة المنتقاة من "مجلة التمويل والتنمية"، أعيد إنتاج الصورة الأصلية الانجليزية فجاءت صورة مماثلة في العربية والفرنسية، وهنا نلمس حذر المترجمين بصندوق النقد الدولي في التعامل مع السياقات المتخصصة، لذا كانت تقنية الترجمة الحرفية، التي تحفظ خصوصية اللغة المصدر إلى حد كبير، حلا لتفادي مشاكل التأويل وتحريف المعنى. وفي أمثلة أخرى، نقلت الصورة الأصلية بصورة مكافئة لها، أي صورة تختلف عنها لكنها تؤدي المعنى ذاته في اللغة الهدف، كما وظفت المحاكاة مع الحفاظ على الصورة عند النقل. وفي الأخير، لا بد من الإشارة إلى ضرورة الإلمام بجوانب النص المتخصص وكذا بخصائص لغة الاقتصاد والمالية لنجاح الترجمة وتحقيق الغرض منها. وقد ذهب بعض المنظرين والممارسين للترجمة إلى القول بضرورة دراسة التخصص المراد ترجمته ليفتحوا بذلك نقاشا جدليا في مسألة المترجم المتخصص والمتخصص المترجم.

6. قائمة المراجع:

1.6. باللغة العربية:

1- الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1998، ط7،

ج1

2- الجاحظ، الحيوان، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة،

1965، ط2، ج3

3- الجرجاني، عبد القاهر، أسرار البلاغة، تحقيق محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة - دار

المدني، جدة، 1991 ط1

4- الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز، تحقيق محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة -

دارالمدني، جدة، 1992 ط3

5- الرباعي، عبد القادر، الصورة الفنية في شعر أبي تمام، المؤسسة العربية للدراسات والنشر

والتوزيع، بيروت، 1999، ط1

6- باشلار، غاستون، شاعرية أحلام اليقظة، ترجمة جورج سعد، المؤسسة الجامعية للدراسات

والنشر والتوزيع، بيروت، 1991 ط1

7- جودي، عبد الحميد، قراءة في آلية الصورة من خلال شعر الزهد عند أبي إسحاق الإلبيري،

مجلة قراءات، مخبر وحدة التكوين والبحث في نظريات القراءة ومناهجها، جامعة بسكرة، العدد 2010

8- حجار، جوزف نعوم، دراسة في أصول الترجمة، دارالمشرق، بيروت، 2008، ط8

9- شيخ أمين، بكري، البلاغة العربية في ثوبها الجديد، علم البيان، دار العلم للملايين، بيروت،

1984، ط2

10- صندوق النقد الدولي، مجلة التمويل والتنمية، الترجمة العربية (أعداد منتقاة)، واشنطن.

11- عتيق، عبد العزيز، علم البيان، دار النهضة العربية، بيروت، 1985. د.ت

12- عصفور، جابر أحمد، الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، المركز الثقافي

العربي، بيروت، 1992 ط3

2.6. باللغة الانكليزية:

1- Abrams. M.H, A Glossary of Literary Terms, Heinle & Heinle - Thomson Learning, Boston, USA, 1999, 7th edition

2- Baldick, Chris, The Concise Oxford Dictionary of Literary Terms, Oxford University Press, 2001, 2nd edition

3- Childs, Peter & Fowler, Roger: The Routledge Dictionary of Literary Terms, Routledge - Taylor & Francis Group, London and New York, 2006

4- Cuddon. J.A, The Penguin Dictionary of literary terms and literary theory, Penguin Books, 1999, 4th edition

5- International Monetary Fund (IMF), Finance & Development Magazine (F&D): Original Version in English (Selected Issues), Washington

3.6. باللغة الفرنسية:

1- Bacry, Patrick, Les figures de style, Bellin, 1992

2- Fond Monétaire International (FMI), Magazine Finance & Développement (F&D) : Traduction française (Numéros sélectionnés), Washington

3- Fontanier, Pierre Émile, Les Figures du Discours, réédition Paris, Flammarion, «Champs Flammarion», 1977

4- Ricalens-Pourchot, Nicole, Dictionnaire des Figures de Style, Armand Colin, Paris, 2003

7. هوامش:

1- الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1998، ط7،

ج1، ص76

2- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تحقيق محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة - دار

المدني، جدة، 1992، ط3، صص 254-255

3- جوزف نعوم حجار، دراسة في أصول الترجمة، دار المشرق، بيروت، 2008، ط8، ص192.

4 - Peter Childs, Roger Fowler, The Routledge Dictionary of Literary Terms, Routledge - Taylor & Francis Group, London and New York, 2006, p204

5 - M. H. Abrams, A Glossary of Literary Terms, Heinle & Heinle - Thomson Learning, Boston, USA, 1999, 7th edition, p268

6 - Nicole Ricalens-Pourchot, Dictionnaire des Figures de Style, Armand Colin, Paris, 2003, p07

7- الجاحظ، الحيوان، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة،

1965، ط2، ج3، صص 131-132

8- عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، تحقيق محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة - دار

المدني، جدة، 1991، ط1، ص42

- 9-المرجع نفسه، ص115
- 10-عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تحقيق محمود محمد شاكر، مرجع سابق، ص508
- 11-جابر أحمد عصفور، الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1992 ط3 ص7
- 12-عبد القادر الرّباي، الصورة الفنية في شعر أبي تمام، المؤسسة العربية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، 1999، ط1 ص16
- 13 - Chris Baldick, The Concise Oxford Dictionary of Literary Terms, Oxford University Press, 2001, 2nd edition, p97
- 14 - M. H. Abrams, A Glossary of Literary Terms, Op. Cit. p97
- 15-Pierre Émile Fontanier, Les Figures du discours, réédition Paris, Flammarion, «Champs Flammarion», 1977, p64.
- 16 - Nicole Ricalens-Pourchot, Dictionnaire des figures de style, Op. Cit. p08
- 17-غاستون باشلار، شاعرية أحلام اليقظة، ترجمة جورج سعد، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، 1991 ط1، ص51.
- 18-عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، تحقيق محمود محمد شاكر، مرجع سابق، ص87
- 19-بكري شيخ أمين، البلاغة العربية في ثوبها الجديد، علم البيان، دار العلم للملايين، بيروت، 1984، ط2، ص15.
- 20-جابر أحمد عصفور، الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، مرجع سابق، ص172.
- 21-جوزف نعوم حجار، دراسة في أصول الترجمة، مرجع سابق، ص198.
- 22 - J. A. Cuddon, The Penguin Dictionary of literary terms and literary theory, Penguin Books, 1999, 4th edition, p830
- 23 - Chris Baldick, The Concise Oxford Dictionary of Literary terms, Op. Cit. p237
- 24 - M. H. Abrams, A Glossary of Literary Terms, Op. Cit. p97
- 25 - Patrick Bacry, Les figures de style, Bellin, 1992, p35
- 26 - Nicole Ricalens-Pourchot, Dictionnaire des figures de style, Op. Cit. p55
- 27- ورد النص الأصلي و الترجمات على الترتيب في:
- IMF, F&D, Issue of September 2007: « March of the Cities », p48.

- صندوق النقد الدولي، مجلة التمويل والتنمية، عدد سبتمبر 2007: "مسيرة المدن"، ص48.
- FMI, F&D, Numéro de Septembre 2007 : « L'urbanisation en marche », p48.

28-المرجع نفسه (في الأصل و الترجمة)، ص52.

29-ورد النص الأصلي والترجمات على الترتيب في:

- IMF, F&D, Issue of June 2008: "A Crisis of Confidence... and a lot more", p14.

- صندوق النقد الدولي، مجلة التمويل والتنمية، عدد جوان 2008: " أزمة ثقة... وأكثر من ذلك"، ص14.

- FMI, F&D, Numéro de juin 2008 : « Une crise de confiance... et beaucoup plus», p14.

30-المرجع نفسه (في الأصل و الترجمة)، ص14.

31-عبد الحميد جودي، قراءة في آلية الصورة من خلال شعر الزهد عند أبي إسحاق الإلبيري، مجلة قراءات، مخبر وحدة التكوين والبحث في نظريات القراءة ومناهجها، جامعة بسكرة، العدد 2010، ص345.

32-جوزف نعوم حجار، دراسة في أصول الترجمة، مرجع سابق، ص199.

33-الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام هارون، مرجع سابق، ص153.

34-عبد الحميد جودي، قراءة في آلية الصورة من خلال شعر الزهد عند أبي إسحاق الإلبيري، مرجع سابق، ص351 - نقلا عن: أبو هلال العسكري، الصناعتين، تحقيق علي البجاوي ومحمد أبو الفضل، مطبعة عيسى الحلبي، القاهرة، 1952، ص268.

35-عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، تحقيق محمود محمد شاكر، مرجع سابق، ص30.

36-المرجع نفسه، ص43.

37-عبد الحميد جودي، قراءة في آلية الصورة من خلال شعر الزهد عند أبي إسحاق الإلبيري،

مرجع سابق، ص351.

38-جوزف نعوم حجار، دراسة في أصول الترجمة، مرجع سابق، ص207.

39-المرجع نفسه، ص207.

40-المرجع نفسه، ص207.

41- Chris Baldick, The Concise Oxford dictionary of Literary Terms, Op. Cit. p153

42- J. A, Cuddon, The Penguin Dictionary of literary terms and literary theory, Op. Cit. p507

43- M. H. Abrams, A Glossary of Literary Terms, Op. Cit. p97

44-جوزف نعوم حجار، دراسة في أصول الترجمة، مرجع سابق، ص197.

45-المرجع نفسه، ص208.

46-المرجع نفسه، ص208.

47- Nicole Ricalens-Pourchot, Dictionnaire des figures de style, Op. Cit. p84.

48- Patrick Bacry, Les figures de style, Op. Cit. p58

49-ورد النص الأصلي والترجمات على الترتيب في:

- IMF, F&D, Issue of March 2007: « The Two Faces of Financial Globalization », p38

- صندوق النقد الدولي، مجلة التمويل والتنمية، عدد مارس 2007: " وجهها العولمة المالية "، ص38.

- FMI, F&D, Numéro de mars 2007 : « Les deux visages de la mondialisation financière», p38.

50-ورد النص الأصلي والترجمات على الترتيب في:

- IMF, F&D, Issue of December 2008: « Cracks in the System: », p26.

- صندوق النقد الدولي، مجلة التمويل والتنمية، عدد ديسمبر 2008: " صدوع في النظام "، ص26.

- FMI, F&D, Numéro de décembre 2008 : « Fissures dans le système», p26.

51-عبد العزيز عتيق، علم البيان، دار النهضة العربية، بيروت، 1985، د.ت، ص203.

52-عبد الحميد جودي، قراءة في آلية الصورة من خلال شعر الزهد عند أبي إسحاق الإلبيري،

مرجع سابق، ص357.

53-جوزف نعوم حجار، دراسة في أصول الترجمة، مرجع سابق، ص213.

54-المرجع نفسه، صص 213-214.

55-المرجع نفسه، ص214.

56 - Chris Baldick, The Concise Oxford Dictionary of Literary Terms, Op. Cit. p154

57 - J. A, Cuddon, The Penguin Dictionary of literary Terms and Literary Theory, Op. Cit. p510

58 - M. H. Abrams, A Glossary of Literary Terms, Op. Cit. p98

59-جوزف نعوم حجار، دراسة في أصول الترجمة، مرجع سابق، ص215

60 - Nicole Ricalens-Pourchot, Dictionnaire des figures de style. Op. Cit. pp 100 - 101.

61-جوزف نعوم حجار، دراسة في أصول الترجمة، مرجع سابق، ص215

62-ورد النص الأصلي والترجمات على الترتيب في:

- IMF, F&D, Issue of March 2007: « The Two Faces of Financial Globalization », p20

- صندوق النقد الدولي، مجلة التمويل والتنمية، عدد مارس 2007: " وجهها العولمة المالية "، ص20.

- FMI, F&D, Numéro de mars 2007 : « Les deux visages de la mondialisation financière», p20

63-ورد النص الأصلي والترجمات على الترتيب في:

- IMF, F&D, Issue of June 2007: « Unleashing the Economic Power of Women », p07

- صندوق النقد الدولي، مجلة التمويل والتنمية: عدد جوان 2007: "إطلاق العنان لقوة المرأة الاقتصادية"، ص07.

- FMI, F&D, Numéro de juin 2007 : « L'éclosion du pouvoir économique des femmes », p 7

64-جوزف نعوم حجار، دراسة في أصول الترجمة، مرجع سابق، ص.223

65-عبد العزيز عتيق، علم البيان، مرجع سابق، صص 158-164.

66-جوزف نعوم حجار، دراسة في أصول الترجمة، مرجع سابق، ص.224

67 - Chris Baldick, The Concise Oxford Dictionary of Literary terms, Op. Cit. pp 254-255

68 - M. H. Abrams, A Glossary of Literary Terms, Op. Cit. pp 98- 99

69 - J. A. Cuddon, The Penguin Dictionary of literary terms and literary theory, Op. Cit.

p890

70 - Patrick Bacry, Les figures de style, Op. Cit. p88

71-جوزف نعوم حجار، دراسة في أصول الترجمة، مرجع سابق، ص.225

72-المرجع نفسه، ص225.

73-ورد النص الأصلي والترجمات على الترتيب في:

- IMF, F&D, Issue of March 2008: « Commodity Boom: How Long Will It Last? », p06

- صندوق النقد الدولي، مجلة التمويل والتنمية، عدد مارس 2008: "ازدهار السلع الأساسية: كم سيدوم ؟"، ص06

- FMI, F&D, Numéro de mars 2008, « Boom des matières premières : pour combien de temps encore ? », p06

74-المرجع نفسه (في الأصل والترجمة)، ص25

75-ورد النص الأصلي والترجمات على الترتيب في:

- IMF, F&D, Issue of December 2008: « Cracks in the System », p21.

- صندوق النقد الدولي، مجلة التمويل والتنمية، عدد ديسمبر 2008: "صدوع في النظام"، ص21.

- FMI, F&D, Numéro de décembre 2008 : « Fissures dans le système», p21.

ترجمة المصطلح المتخصص بين النظر والتطبيق

كتاب "Translation Studies" لسوزان باسنيت، ترجمة فؤاد عبد المطلب أنموذجا

Translation of specialized terminology between theory and practice

("Translation Studies" author Susan Bassnett and translation of Fuad Abdul Muttalib as a model)

أ. عبد السلام بساس*

د. ليلى بوخيميس²

تاريخ القبول: 2022.10.20

تاريخ الاستلام: 2021.12.22

ملخص: تهدف هذه الدراسة إلى التعريف بالمصطلح المتخصص والطرق العلمية لوضعه، اعتمادا على المنهج الوصفي التحليلي، واختارنا كتابا علميا موضوعه الترجمة مدونة للدراسة، للكاتبة سوزان باسنيت، عنوانه: "Translation Studies"، ترجمة فؤاد عبد المطلب. علماء المصطلح هم من يتكفلون بوضع المصطلح وفق ضوابط وأسس معينة، ويتعين على مستعملها من مترجمين وغيرهم ألا يقللوا من هذا الجهد بتجاوزه وعدم الرجوع إليه. وهنا تبرز إشكالية الدراسة: ما طرق وآليات وضع المصطلحات؟ وفيما تكمن أهميتها؟ وهل استعان المترجم بالخبراء ومعاجمهم وقواميسهم أم سلك طريقا آخر عند ترجمته لمصطلحات المدونة؟ بعد دراسة نماذج التطبيق خلصنا إلى ضرورة اتباع الطرق العلمية المتعارف عليها في وضع المصطلحات، وأهمية المصطلح المتخصص عند نقل العلوم والمعارف، والحاجة للعودة إليه في مظاهره والاستعانة به للحصول على ترجمة صحيحة، وتجنب فوضى المصطلحات. كلمات مفتاحية: المصطلح المتخصص؛ التوليد؛ علم المصطلح؛ الترجمة.

Abstract: The aim of this study is to highlight the essence of specialized terms and the scientific methods to create them. We have based our study on a descriptive analytical method applied on a scientific book entitled *Translation Studies* as corpus. Terminologists establish new terms according to specific rules, the users of the terminology among them translators should not underestimate this effort by sidestepping it. In this context we tried to answer the following questions: What are the methods and techniques involved in terminology elaboration? Did *Abdul Muttalib* take support of experts and their dictionaries? Or did he choose another method in the translation of the terms of the corpus? The results of the study underlined the significance of specialized terms in the transfer of science and knowledge.

Keywords: specialized terms; neology; terminology; translation.

* - جامعة باجي مختار، قسم الترجمة، مخبر الترجمة وتعليمية اللغات، عنابة، الجزائر.

البريد الإلكتروني: abdeslam.bessas@univ-annaba.org / bessasabdeslam@gmail.com (المؤلف المرسل)

2- جامعة باجي مختار، قسم الترجمة، مخبر الترجمة وتعليمية اللغات، عنابة، الجزائر.

البريد الإلكتروني: leila.boukhemis@univ-annaba.dz

1. مقدمة: من المتعارف عليه أنّ المصطلحات هي مفاتيح العلوم، فلكلّ علم مصطلحاته التي يولجُ بها إليه، ولا شك أنّ ثمة تقنيات وطرق معتمدة لوضعها وتوليدها لا يمكن تجاوزها. وعليه، تهدف هذه الدراسة إلى التعريف بالمصطلح المتخصص، وآليات وضعه اعتماداً على المنهج الوصفي التحليلي. تبدأ الدراسة بتعريف بالمدونة وبالمصطلح المتخصص وأهميته، ثم توضيح الفرق بين المترجم المصطلحي والمصطلحي المترجم وكذا آليات وضع المصطلحات في اللغة العربية. نتناول بالدراسة بعد ذلك طرق توليد المصطلحات، وقراءة في المصطلحات المتخصصة المترجمة، ثم ننهي العمل بخاتمة نلخص فيها أهم الاستنتاجات والمقترحات.

الإشكالية: من المعلوم أن المصطلح المتخصص يتكفل بوضعه علماء المصطلح، كلّ حسب اختصاصه وفق ضوابط وأسس معينة، وعلى مستعمليه من مترجمين وغيرهم ألاّ يقلّلوا من هذا الجهد بتجاوزه وعدم الرجوع إليه. من هذا المنطلق تبرز إشكالية الدراسة: ما طرق وآليات وضع المصطلح؟ وفيما تكمن أهميتها؟ وهل استعان فؤاد عبد المطلب بالخبراء ومعاجمهم وقواميسهم أم سلك طريقاً آخر عند ترجمته لمصطلحات المدونة؟ للإجابة عن هذه التساؤلات؛ اخترنا كتاباً علمياً موضوعه الترجمة مدونة للدراسة، موسوماً بـ "Translation Studies". للكاتب سوزان باسنيت، ترجمة فؤاد عبد المطلب.

الدراسات السابقة: اطلعنا على جملة من الدراسات والبحوث على علاقة بالموضوع؛ نذكر منها: حجازي (1993) والقاسمي (2019) والشمري (2012) والميساوي (2013) والزركان (1997) والسامرائي (1990) والبوشيخي (2004) والديداوي (2002، 2005، 2007) ودويدري (2013). تعدّ هذه الكتب مداخل لعلم المصطلح؛ إذ تناولته من حيث التعريف، وآليات الوضع والتوحيد، والجهود المبذولة في ذلك. ركّز بعضها على علاقة علم المصطلح بالعلوم الأخرى؛ كاللسانيات والترجمة وغيرها، ودرس بعضها الآخر مصطلحاً معيناً ينتهي إلى حقل من حقول المعرفة؛ كالمصطلح اللساني والإسلامي وغيرهما.

ومن الرسائل الجامعية نذكر دراسة الباحثة: بوغنة خالدية، بعنوان: "مظاهر القلق المصطلحي في الترجمة دراسة مصطلحية مقارنة بين ترجمتين عربيتين للفصل الأول من كتاب *Structure du langage poétique* لجون كوهن"، أطروحة دكتوراه (2020/2019). تمحورت إشكالية الدراسة حول الآليات المتبعة في ترجمة المصطلحات، وأسباب فوضى المصطلحية، وسبل النهوض بالمصطلح العربي. وقد خلصت الباحثة إلى أهمية إحاطة المترجم بعلم المصطلح، والبحث التوثيقي، وتحيين المعاجم المتخصصة، والاهتمام بالموثوث المصطلحي.

ومن المقالات التي عالجت موضوع ترجمة المصطلح المتخصص ما أورده الباحثان: فارس بنطال وفادي جابر في مقالهما المعنون بـ "ترجمة المصطلحات العلمية: النظرية والتطبيق"، وقد ركّزا على دور

المعجم في ترجمة النصوص العلمية في مجالي الكيمياء والرياضيات. ومدى التزام المعاجم بمبدأ توحيد المصطلحات الذي يُعدّ عقبة أساسية في الترجمة، ودور التخطيط اللغوي لإنجاح عملية التعريب.

2. تعريف بالمدونة: اخترنا كتاب: "Translation Studies"، للباحثة الإنجليزية سوزان باسنت (Susan Bassnett) مدونة للدراسة. يتكون الكتاب من 176 صفحة، وقد صدرت الطبعة الثالثة عام 2002 عن مؤسسة "روتلدج" لندن ونيويورك.

Bassnett, Susan. (2002). Translation Studies. London & New York: Routledge Taylor & Francis Group.

في تمهيد للطبعة الثالثة؛ التي وردت في إحدى عشرة صفحة؛ تناولت فيها باسنت تطور علم الترجمة بداية من السبعينيات إلى غاية بداية القرن الواحد والعشرين، واستقلاليتها عن اللسانيات والأدب المقارن، وتطوّرت إلى مرحلة ما بعد الكولونيالية؛ وظهور باحثين من كندا والهند والصين وإفريقيا وأمريكا الجنوبية يدعون إلى إلغاء الهيمنة الأوروبية على هذا العلم، حيث عدّوا الترجمة كتابة مبدعة، والمترجم محرراً (يحرّر النصّ من العلامات الثابتة لشكله الأصلي)، كما ناقشت فكرة (تعدد النظم) لتوري (Tourey)، و(مرئية المترجم) لفينوتي (Venuti) و(دراسات الجنوسة). ثم خلصت إلى النظرة المستقبلية للترجمة التي يفترض أن تُبرز أكثر دور المترجم والترجمة.

وفي مقدمة للطبعة الأولى أوردت الكاتبة عرضاً تاريخياً لتطور الترجمة، ثم ناقشت مسألة الترجمة من حيث هي فن أم حرفة، وكذا استعمال مصطلح "علم" لوصف الترجمة في اللغة الإنكليزية، وكيف استقر الأمر على استعمال مصطلح "Translation Studies" في توصيف العلم الجديد. تناولت بعدها الباحثة صعوبة الترجمة كونها عملية معقدة، ومبدأ التكافؤ وعدم قابلية الترجمة (أو تعذر الترجمة) (Untranslatability). وأوضحت أنّه يمكن تقسيم دراسات الترجمة إلى أربعة أقسام؛ اثنين يركزان على المنتج (Product) أي على وظيفة النص الهدف، ويركزان على عملية الترجمة (Process). ثم شرعت في الحديث عن كتابها؛ الذي قسّمته إلى ثلاثة أقسام؛ اهتمت في القسم الأول المعنون بـ "قضايا مركزية" بالمعنى، وعدم قابلية الترجمة، ومشكلة التكافؤ وبَيّنت في القسم الثاني الموسوم بـ "تاريخ الترجمة" اختلاف مفهوم الترجمة عبر الزمن، وعنوانت القسم الثالث بـ "المشكلات الخاصة بالترجمة الأدبية" الذي تطرقت فيه إلى صعوبات الترجمة الأدبية، وفي الأخير خلّصت الكاتبة إلى أنّ هناك مبادئ عامة للترجمة يمكن الاعتماد عليها بغض النظر عن اللغات المدروسة؛ مُحوية بذلك إلى إمكانية إيجاد نظرية عامة للترجمة.

3. المصطلح المتخصص وأهميته: من نافلة القول التأكيد على أن لكل علم مفتاحاً، ومفتاحه مصطلحاته والمصطلح كما عرفه الزبيدي في معجمه (تاج العروس من جواهر القاموس) في مادة "ص ل ح" هو: "اتّفاق طائفة مَخْصُوصَةٍ على أمرٍ مَخْصُوص...". (1998، ج 6/ ص 551)؛ وجاء في كتاب

(التعريفات) أن: "الاصطلاح: عبارة عن اتفاق قوم على تسمية الشيء باسم ما ينقل عن موضعه الأول" (الجرجاني، 1983، ص28)، أما التهانوي فقد أورد أنه: "العرف الخاص، وهو عبارة عن اتفاق قوم على تسمية شيء باسم بعد نقله عن موضعه الأول لمناسبة بينهما، كالعموم والخصوص، أو لمشاركتها في أمر، أو مشابهيتهما في وصف أو غيرها..." (1996، ص212)، وفي العصر الحديث، يذكر محمود فهمي حجازي في كتابه "الأسس اللغوية لعلم المصطلح أن: "هناك تعريفات حديثة للمصطلح تربط المفهوم بالمصطلح الذي يدل عليه، منها التعريف التالي: "المصطلح كلمة أو مجموعة من الكلمات من لغة متخصصة (علمية، أو تقنية... إلخ يوجد) موروثاً أو مقترضاً، ويستخدم للتعبير بدقة عن المفاهيم، وليدل على أشياء مادية محددة" (1993، ص11). وفي اللغات الأجنبية؛ يقدم لنا المعجم الفرنسي "Le Grand Robert" التعريف الآتي:

"terme n. m: Borne, qui marquait la limite d'un champ, d'une frontière, etc."

ومعناه (ترجمتنا): "المصطلح اسم مذكر: التخيم؛ الحد الفاصل بين حقليْن، أو بين أرضين، إلخ". أما عند أهل التخصص؛ فنجد هلمت فلبر النمساوي (Helmut, Felber) يعرفه في كتابه "Terminology Manual" وهو يجيب عن السؤال الآتي: "What Is Terminology?":

The term "terminology" is assigned to three concepts: terminology1: Terminology science, Inter-and transdisciplinary field of knowledge dealing with concepts and their representations (terms, symbols, etc.). terminology2: Aggregate of terms, which represent the system of concepts of an individual subject field. terminology3: Publication in which the system of concepts of a subject field is represented by terms. A term is any conventional symbol representing a concept defined in a subject field. (1984, p. 1)

كما نجد في كتاب على القاسمي المعنون بـ "علم المصطلح: أسسه النظرية وتطبيقاته العملية"، تعريفاً لفيستر للمصطلحية أورد فيه أنه: "العلم الذي يحكم نظام المعجم المختص بعلم من العلوم" (2019، صص 308-309)، ثم حدد سماته بخمس وهي:

1- يبحث علم المصطلح في المفاهيم، للوصول إلى المصطلحات التي تعبر عنها. 2- ينتهج علم المصطلح منهجاً وصفيّاً. 3- يهدف علم المصطلح إلى التخطيط اللغوي، ويؤمن بالتقييس والتنميط. 4- علم المصطلح علم بين اللغات. 5- يختص علم المصطلح غالباً باللغة المكتوبة. (2019، ص309)

أما التعريف الذي اعتمدته المنظمة الدولية للتقييس (إيزو ISO: International Organization for Standardization) في توصيتها رقم 1087 الصادرة عن اللجنة التقنية، فهو أنّ المصطلح: "أي رمز يتفق عليه للدلالة على مفهوم، ويتكون من أصوات مترابطة، أو من صورها الكتابية (الحروف)، قد يكون المصطلح كلمة أو عبارة" (مؤسسة إيزو، ترجمة مكتب تنسيق التعريب في الوطن العربي، 1983،

ص206). ويجدر التنبيه إلى أن الفرق بين "المصطلح" و"الكلمة" يكمن في أنّ الكلمة تندرج فيما يسمى اللغة المعجمية أو اللغة العامة التي يتداولها المتحدثون، ونجدها في المعاجم العامة. أما المصطلح فينتهي إلى اللغة المصطلحية أو اللغة المتخصصة التي يستعملها أهل الاختصاص في مختلف العلوم والفنون، وتُجمع في معاجم متخصصة.

1.3 المترجم مصطلحيا والمصطلحي مترجما: استقل كل من علم المصطلح وعلم الترجمة حديثا عن اللسانيات التطبيقية، وكلاهما يتعامل مع اللغة؛ المصطلحي على مستوى المفردة (المصطلح) أو العبارة، في حين المترجم يتعامل مع النص (الأصل والهدف). والمصطلحي يتعامل مع لغة واحدة -وهذا هو الأصل- إلا أنّ المترجم يتعامل مع لغتين مختلفتين. نظريا لا علاقة للمترجم بوضع المصطلحات، وإنما عليه أن يعود إلى المعاجم المتخصصة لاختيار المصطلح المناسب؛ فـ "ليس من مهام المترجم أن يولّد مصطلحات؛ بل أن يوظفها في المادة التي يترجمها، ويعمل جاهدا على استخدام مصطلحات يستقيمها من المعاجم المتخصصة ويحرص على توحيدها..." (فرقاني، ص34)، إلا أنّ الواقع مغاير أحيانا حين لا يجد المترجم المقابل في المعاجم العامة، ولا في المعاجم المتخصصة، فيضطر إلى وضع مصطلح مقابل باجتهاده الخاص.

ولتحقيق ذلك يعود لمفهوم المصطلح في المعاجم المتخصصة، إذ لا يكفي ترجمته دون الرجوع إلى مفهومه؛ لذا يتوجب عليه أن يطلع على علم المصطلح. وعليه، فإن من يتكفل بوضع المصطلحات هم علماء المصطلح (Terminologists) وأعلمهم خبراء، ومخترعون، وفنانون، وأطباء، ومهندسون بإعطاء أسماء لما يكتشفونه أو يخترعونه من أشياء وأمراض وآلات وتقنيات إلخ. هذا في الدول المنتجة، أما في الدول المستهلكة؛ فتستورد المصطلح باستيراد المنتج، أو الخدمة، أو التكنولوجيا، حينها يضطر علماء المصطلح إلى ترجمة المصطلحات من اللغة الأصلية إلى لغتهم عن طريق العودة إلى مفاهيمها الأصلية؛ ممّا يضطرهم إلى ضرورة الإحاطة بمبادئ الترجمة ووسائلها الإجرائية. والخلاصة أنه وعلى الرغم من أنّ علم المصطلح والترجمة ينتميان إلى حقلين مختلفين، يتعين على المصطلحي معرفة مبادئ الترجمة وإجراءاتها العملية، كما يتعين على المترجم معرفة مبادئ علم المصطلح وإجراءاته العملية (القاسمي، 2019، صص 339-340). وقد ركّزنا على هذه النقطة لأهميتها عند مناقشة مصطلحات المدونة.

4. آليات وضع المصطلحات في اللغة العربية: تبعا لما سلف، نلخص فيما يأتي منهجية وضع المصطلحات مرتبة حسب الأولوية:

أ- البحث عن اللفظة العربية التي تؤدي معنى المصطلح الأصلي (الأجنبي) في المعاجم، والموسوعات العامة والمتخصصة أحادية وثنائية اللغة، والكتب العربية القديمة والحديثة العلمية والعامة.

ب- إذا تعذر إيجاد اللفظة في اللغة العربية، يُلجأ إلى وضعها بالعودة إلى مفاهيمها الأصلية؛ عن طريق التوليد من خلال الاشتقاق، والتركيب، والنحت، والمجاز.

ت-إذا لم ينجح في إيجاد المقابل، يُلجأ إلى الاقتراض.

وفيما يلي تفصيل للأساليب المذكورة في وضع مقابل للمصطلحات.

1.4 طرق توليد المصطلحات: على الرغم من الثراء المعجمي للغة العربية، فإنه يبقى محدودا مقارنة بالكم الهائل من المصطلحات التي تُوضع يوميا في جميع مجالات المعرفة، لذا يُلجأ إلى التوليد لتكوين مصطلحات جديدة مكافئة. نبدأ بالاشتقاق، ثم نعرض على طرق التوليد الأخرى.

-الاشتقاق: يعدّ أهم طريقة في توليد المصطلحات وتطويرها، لذا كان موضع عناية كبيرة من علماء العربية ويقصد به إيجاد كلمة جديدة قياسا على وزن عربي. جاء تعريفه في المعجم الوسيط: "الاشتقاق (في العلوم العربية): هو صَوُّغُ كلمة من أخرى على حسب قوانين الصَّرْف" (مصطفى والزيات وعبد القادر والنجار 1960 ص 489). ومن الأمثلة عن ذلك: الطائرة، والهاتف، والكازمة، والحاسوب، والنقل والحافلة، وهو أربعة أنواع:

-الاشتقاق الصغير: ويسمى أيضا بالاشتقاق العام، وبالاشتقاق الأصغر، وهو استخراج كلمة من كلمة أخرى بتغيير في الصيغة بشرط: الاشتراك في المعنى، والاتفاق الأحرف، والمحافظة على ترتيبها. مثال ذلك: كتب: كاتب، كتاب، مكتوب، اكتب...وعلم: عَلِمَ، عَالِمٌ، مَعْلُومٌ، اَعْلَمَ... (الجرجاني، 1985، ص28)؛

-الاشتقاق الكبير: ويسمى أيضا بالإبدال، والقلب. وهو استخراج كلمة من كلمة أخرى بتغيير في حرف من حروفها، مع تشابه بينهما في المعنى دون الترتيب. نحو: قضم وخضم، الأولى لأكل اليابس، والثانية لأكل الرطب. وهذا النوع محدود اشتقاقيا. (الجرجاني، 1985، ص28)؛

-الاشتقاق الأكبر: وقد عرفه ابن جني في كتابه الخصائص قائلا:

"هو أن تأخذ أصلا من الأصول الثلاثية، فتعقدَ عليه، وعلى تقاليبه الستة معنى واحدا، تجتمع التراكيب الستة وما ينصرف من كل واحد منها عليه... نحو: (ك ل م) (ك م ل) (م ل ك) (ل م ك) (ل ك م) (م ك ل)..." (1952، ج 2/ ص134)؛

-الاشتقاق الكبّار: ويسمى كذلك النّحت، وهو ضرب من الاختصار تصاغ فيه الكلمة من كلمتين أو أكثر نحو: البسملة منحوتة من (بسم الله)، وكذلك الحولقة من (لا حول ولا قوة إلا بالله)، وغيرها؛

-التركيب: وهو ضمّ كلمة إلى كلمة أخرى أو أكثر من كلمة، مثال ذلك: (عبد) و(السلام) لتصبح (عبد السلام)، وأنواعه كالآتي:

-المركب الإسنادي: هو عبارة أو جملة تتكون من مسندٍ ومُسند إليه، ومن المصطلحات التي وضعت بهذه الطريقة: المصادرة على المطلوب، والواجب لذاته وغيرها؛

-المركب الإضافي: كلّ عبارة تتركّب من المضاف والمضاف إليه، ومثال ذلك: أحادي اللغة، وغير مباشر وفوق البنفسجي. وقد يتكون من ثلاثة أجزاء نحو: غدة فوق الكظرية ...

-المركب البياني الوصفي: وهو أكثر الأنماط استعمالاً، ويكون من كلمتين، تجمعهما علاقة الصفة بالموصوف، ومثال ذلك: الزاوية القائمة، والأعداد الأولية، والزاوية المنفرجة، والزائدة الدودية...
-المركب العطفى: ويكون بين كلمتين، يربط بينهما حرف عطف، نحو: الألفة والإلاف، والطبع والتطبع والبيان والتبين وغيرها، وهو أقلها استعمالاً.

-المركب المزجي: هو جمع كلمتين معا في كلمة واحدة، ومن الأمثلة: اللاشعور، واللاإرادي، واللاهوائي واللاسلكي، واللائهائي، واللاأخلاقى وغيرها.

-النحت: جاء عن ابن فارس في كتابه "معجم مقاييس اللغة": "ومعنى النحت أن تؤخذ كلمتان وتُنحت منهما كلمة تكون آخذة منهما جميعاً بحظ... من قولهم خيّل الرجل، إذا قال حيّ على... (1979، ص328). ومن ذلك المصطلحات المتخصصة: الزمكان، والكهرومغناطيسي. وهذا النوع قليل الاستعمال.

-المجاز: جاء في "المعجم الأدبي" أنّ المجاز: "هو كلام فيه قرينة على عدم إرادة معناه القريب الموضوع له أصلاً، وهو إما كناية لم تذكر القرينة معه، وإما استعارة، وهو الذي يبنى على التشبيه... فإذا كانت العلاقة غير المشابهة فهو المجاز المرسل، وإلا فهو الاستعارة" (جبور، 1984، ص237). ويُعدّ من أهم طرق توليد المصطلحات، ومن الأمثلة: السيارة، والطائرة، والقاطرة...

بالمجاز تنتهي طرق توليد المصطلحات، فإذا لم تنجح في إيجاد المقابل، يُلجأ إلى الاقتراض.

-الاقتراض: كما اقترض غير العرب من اللغة العربية الكثير، أخذت العربية من غيرها كثيراً من الكلمات. منها: الكمبيوتر، والتلفزيون، والماوس، وتراجيديا، وكوميديا، وغيرها -وهو إجراء مؤقت- فكثير من هذه المصطلحات غريب، فكان لدينا: الحاسوب، والتلفزة، والفأرة، والمأساة، والملمهة. والاقتراض نوعان: فإذا اندمجت هذه المفردات المقترضة في اللغة العربية، وتبعت معاييرها الصوتية والصرفية سُميت: "معرباً"، وقد تشدّد فتسمّى: "دخيلاً"، (شابكة) معرب و(إنترنت) دخيل.

من كل ما سبق تتجلى أهمية المصطلح المتخصص والآليات المتبعة لوضعه في نقل العلم والمعرفة، وهذا يدلّ على جدية العمل وصعوبته، فعلى المترجم ألاّ يُقلّل من هذا الجهد بتجاوزه؛ وذلك بإنشاء مصطلحات جديدة على الرغم من وجود المقابل وشهرته، وانتظامها في قواميس عامة أحادية أو ثنائية اللغة، ولاسيّما المعاجم والموسوعات المتخصصة.

5. المصطلح المتخصص المترجم في المدونة: بما أنّ مضمون المدونة هو محاولة تأسيسية لعلم الترجمة وهو علم يبني تتداخل فيه كثير من العلوم والاختصاصات؛ مثل اللسانيات، وتحليل الخطاب، والسيمائية ونظرية المعرفة (أبستمولوجيا)، والأدب المقارن، وعلم المصطلح وغيرها. فإنّ المصطلحات الواردة فيها وترجمتها وردت ضمن هذه المجالات، ولكننا سنركّز أكثر على المصطلحات المتعلقة بعلم الترجمة.

1.5. قراءة في المصطلحات المتخصصة المترجمة:

1.1.5 مصطلح (Linguistics): تكرر هذا مصطلح كثيرا في الكتاب، وقد اختار المترجم "اللغويات" مقابلا له، وأحيانا "علم اللغة" على الرغم من وجود مقابلات أخرى لاسيما مصطلح "اللسانيات" الأكثر شيوعا واستعمالا. ولفهم ذلك علينا الرجوع إلى مفهوم المصطلح في لغته الأصلية، ثم في اللغة العربية: حيث نجد في معجم "A Dictionary of Linguistics and Phonetics" الآتي:

linguistics (n.) The scientific study of language; also called linguistic science. As an academic discipline, ... This reflects partly an increased popular and specialist interest in the study of language and communication in relation to human beliefs and behaviour... arising largely out of the work of the American linguist Noam Chomsky and his associates... (Crystal, 2008, pp. 283-284)

أما في قاموس "The Cambridge Dictionary of Linguistics" فنقرأ:

"LINGUISTICS The study of language according to scientific principles..." (Brown & Miller, 2013, p. 269).

أما مصطلح "Linguistic" من دون الحرف "s"، فنجد في "A Dictionary of Linguistics and phonetics" التعريف الآتي:

linguistic (adj.) A term which has to be used with care because of its ambiguity: it can be (1) the adjective from language, as in such phrases as 'linguistic philosophy', 'linguistic skill' and 'linguistic minority', or (2) the adjective from linguistics, where it refers to an approach characterized by the scientific attributes of that subject, as in 'linguistic analysis'... (Crystal, 2008, p. 281)

ومنه يتبين أنّ مصطلح "Linguistic" له مفهومان منفصلان؛ الأول متعلق باللغة والثاني متعلق بالعلم الذي موضوعه اللغة. أما بالعودة للقواميس العربية، فنجد في "المعجم الموحد لمصطلحات اللسانيات": "Linguistique Linguistics دراسة علمية للغة... وتتوق هذه الدراسة العلمية إلى النظر في اللغة لذاتها دون اعتبارات خارجيه عنها، وذلك باستعمال طرق تجريبية ذات بعد وصفي" (2002، ص 87).

ونجد في "معجم المصطلحات اللسانية": "Linguistics Linguistique لسانيّات" (الفهري، 2007، ص 177). والاختيار نفسه ذهب إليه المسدي 1989 في "قاموس اللسانيات" صفحة 155. وفي "معجم المصطلحات الألسنية" نجد: "Linguistics Linguistique ألسنية، علم اللغة: علم يبحث في اللغة من جميع جوانبها الصوتية والنحوية والدلالية والمعجمية." (مبارك، 1995، ص 168)، بينما نجد في "معجم

مصطلحات علم اللغة الحديث " -الجزء إنجليزي عربي-مقابل مصطلح "Linguistics" علم اللغة، وجاء أيضا "علوم اللغة" مقابلا لمصطلح "linguistic sciences" (باكلا والريح وسعد وصيني والقاسمي، 1983، ص51)؛ والملاحظ أن في عنوان المعجم توجد كلمة "الحديث" لكن في متن المعجم نجد: "علم اللغة" دون "الحديث".

في قاموس عبد السلام المسدي الموسوم بـ "قاموس اللسانيات: عربي-فرنسي. فرنسي-عربي مع مقدمة في علم المصطلح" وتحت عنوان: "مصطلح علم وعلم مصطلحه"، تحدث عن كيفية ظهور تلك المصطلحات المقابلة وتطورها، وأحصى منها ما يناهز العشرين مصطلحا منها: فقه اللغة، علم اللغة، علم اللسان، النظر اللغوي الحديث، اللغويات، الألسنية، اللسانيات (بكسر اللام وسكون السين)، اللسانيات (المسدي، 1989، ص55-72).

1.1.1.5 مناقشة المصطلح: ورد مصطلح "linguistics" اثنين وثلاثين (32) مرة؛ وذلك راجع إلى الصلة الوثيقة بين علم الترجمة واللسانيات؛ فقد كانت الترجمة تابعة للسانيات التطبيقية. وأن المقاربة اللسانية كانت ولا تزال من أهم المقاربات في دراسة الترجمة؛ بما أنها عملية نصية بامتياز. فـ "linguistics" هو العلم الذي يهتم بالدراسة العلمية للغات الإنسانية. ونلاحظ أن المترجم فؤاد عبد المطلب اختار مصطلح "اللغويات" في بعض الأحيان، ومصطلح "علم اللغة" في أحيان أخرى، دون أن يُبرّر استعماله لمقابلين لمصطلح واحد في تخصص واحد، فقد اختار (16) مرة مصطلح "اللغويات" و(11) مرة مصطلح "علم اللغة"، وخمس (5) مرات لم يترجم المصطلح. ومثال ذلك: تُرجم في الصفحة (25) من المدونة الأصل، والصفحة (12) من المدونة المترجمة بـ "اللغويات"، وبـ "علم اللغة" في الصفحة (15) من المدونة المترجمة، والصفحة (3) من المدونة الأصل.

ونجد الاختلاف نفسه في ترجمته للمصطلحات التي تنتمي إلى ذات الحقل الدلالي مثل: "linguists"؛ التي ترجمها بـ "علماء اللغة" و"اللغويين"، وقد تكرر كل منهما مرتين. وترجمها لما كانت مفردة "linguist" بـ "اللغوي" ثلاث (3) مرات، و"الباحث في اللغة" مرة واحدة. أما إذا أضيفت كلمة أخرى للمصطلح "linguistics" ففي هذه الحالة نجده اختار "اللغويات" مقابلا لها؛ مثال: "applied linguistics"، "cognitive linguistics، structural linguistics" واختار تباعا: "اللغويات التطبيقية" و"اللغويات البنوية" و"اللغويات المعرفية"، لكنّه استعمل "علم اللغة" عند ترجمة "contemporary linguistics" فترجمت بـ "علم اللغة المعاصر"، أما "linguistic" من دون الحرف "s" فقد وردت سبعا وسبعين (77) مرة، ترجمها بـ "اللغوي"، وفي الصفحة (42) من المدونة الأصل والصفحة (61) من المدونة المترجمة ترجمها بـ "اللغويات"، وهذا خطأ بيّن (وفقا لمفهوم مصطلح "linguistic" الذي شرحناه سابقا). والملاحظ أن ترجمة "linguistic" بـ "اللغوي" تنقل جزءا فقط من المفهوم؛ أي المتعلق باللغة، وتغفل عن الجزء الثاني. لذا كان من الأفضل ترجمة "linguistics" باللسانيات، ومن ثمّ ترجمة الجزء الأول

من المفهوم "linguistic" بـ "اللغوي" والجزء الثاني منه بـ "اللساني": أي المتعلق باللسانيات، وهو المقاربة العلمية لهذا الموضوع.

يتبين ممّا سبق، أن المترجم لم يثبت على اختيار مصطلح واحد لمفهوم واحد، على الرغم من أهميته. قد نجد له مبرراً لو اختار مصطلحاً واحداً فقط من المصطلحات العشرين المذكورة آنفاً، وحافظ عليه دون تغيير في كامل الكتاب، لكن أن يستعمل مصطلحين لترجمة مصطلح واحد دون تبرير منطقي، فذلك مدعاة لطرح أسئلة تخمينية وفرضيات؛ هل قام بترجمة المدونة في فترات متباعدة مما أوقعه في هذا الاضطراب؟ لكن بالعودة إلى المدونة المترجمة نجد في الصفحة الخامسة عشر ترجمة مصطلح "linguistics" ثلاث مرات إلى "علم اللغة" ومرة إلى "اللغويات"، وفي الصفحة نفسها استعمل مصطلح "علماء اللغة". الأمر الذي يُبعد احتمالية الفرضية الأولى، لتأتي الفرضية الثانية، وهي احتمال وجود مترجمين اثنين أسهما في ترجمة الكتاب (المدونة)، لكن المترجم لم يُصرح بهذا، أو أن المترجم قام بجمع ما ترجمه غيره (أكثر من مترجم) ووضع في كتاب واحد. بعد جمع هذه المعطيات، تبين أن لا وجود لدليل لهذا الاحتمال إلا الملاحظات السابقة حول ترجمة مصطلح "linguistics" (ومصطلحات أخرى سنتناولها بالدراسة). ولتؤكد على عدم توظيف المترجم المصطلح الأكثر شيوعاً وهو "اللسانيات"، والعدول عنه إلى غيره، مما جعله يقع في متاهة تُحير القارئ المتخصص فكيف بالقارئ العادي. وغني عن القول أن: "تعدد ترجمة المصطلح اللساني الأجنبي الواحد في المنجز اللساني العربي، وهذه الظاهرة تعد مشكلة حقيقية يعاني منها القارئ العربي، ويعتبر عقبة أمام تلقي الدرس اللساني العربي..." (بن عمران، 2012، ص 9). وممّا هو معلوم أن: "الشرط الرئيس في المصطلح أن يكون للمفهوم الواحد سواء أكان اسم معنى أم اسم ذات لفظة اصطلاحية واحدة يتفق عليها أهل الاختصاص." (بوخاتم، 2003: 25). وما ذهب إليه المترجم يخالف هذه المسلمة المهمة من مسلمّات علم المصطلح.

2.1.5 مصطلح (Skopos theory): كلمة سكوبوس "skopos" يونانية ومعناه "الغرض" أو "الهدف" وبالإنكليزية "purpose"، وقد صاغها الألماني هانز جوزيف فيرمير سنة 1978 للدلالة على الغاية من الترجمة. فبتحديد الهدف "skopos" يختار المترجم استراتيجيات وطريقة الترجمة، ولكن لم يختار المترجم تعريب مصطلح "skopos" دون ترجمته رغم أن آخر ما يلجأ إليه هو الاقتراض كما أسلفنا، ألا توجد مصطلحات أخرى مقابلة في اللغة العربية؟ للإجابة عن هذه الأسئلة، رجعنا إلى المعاجم المختصة، فوجدنا في "معجم دراسات الترجمة" التعريف الآتي:

skopos theory، نظرية الغاية... والمصطلح مشتق من الكلمة اليونانية "skopos" بمعنى غرض أو غاية منهج في الترجمة اقترحه رايس Reiss وفيرمير Vermeer في أواخر سبعينيات وأوائل ثمانينيات القرن العشرين... وتقول هذه النظرية بأن شكل النص المستهدف ينبغي في المقام الأول أن تحدده

الوظيفة أو "الغاية" التي يهدف إلى تحقيقها في السياق المستهدف. (شتلويرث وكووي، ترجمة الجيزيري، 2008، ص303)

ووجدنا في "موسوعة روتلج لدراسات الترجمة" التعريف الآتي:

skopos theory، نظرية الغرض: نظريه الغرض هي أسلوب للترجمة ظهر في ألمانيا في أواخر السبعينيات من القرن الماضي (Vermeer 1978) ويعكس نقلة عامة من نظريات الترجمة التي تركز على الجوانب اللغوية بدلا عن الشكلية، إلى مفهوم للترجمة يركز على الجوانب الوظيفية والجوانب الاجتماعية والثقافية... كلمة skopos هي كلمة مشتقة من اللغة اليونانية، وتستخدم كمصطلح في بمعنى غرض الترجمة. يجب أن يتم تحديد غرض الترجمة قبل البدء... (بيكر، ترجمة الحميدان، 2010، ص376)

1.2.1.5 مناقشة المصطلح: ما أثار اهتمامنا هو عدم اختيار المترجم أيًا من المرادفات المتوفرة لكلمة "skopos" وفضل تعريب المصطلح؟ وبعد عرضنا لتعريف المصطلح، في كل من القاموس والموسوعة المختصين في الترجمة. فوجدنا أنّ الأول اختار "الغاية"، أمّا الثاني فقد اختار "الغرض" والكلمتان متقاربتان. ويمكن أن نجد كلمات أخرى تؤدي المعنى نفسه: "الهدف"، و"المقصد"، و"المأرب"، و"المراد"، وكلها كلمات عربية. فكان الأجدر بالمترجم أن يختار واحدا من المصطلحين: "الغاية أو الغرض". لوجودهما في معجم وموسوعة مختصتين في الترجمة، ولا يضع مصطلحا ثالثا؛ حتى لا يزيد مشكلة المصطلح فوضى وتعقيدا، لا سيما أن الموضوع يتعلق بتعريف "علم الترجمة"، كما أنّه لم يصحّ بمنهجيته في اختيار المصطلحات؛ حيث ورد في مقدمته: "وقد حاولتُ في هذه الترجمة أن أكون قريبا من النصّ الأصل معظم العمل، وأبقيت بعض العبارات أو العناوين بلغتها الأصلية مع ترجمتها إلى العربية لضرورة ذلك" (باسنيت، ترجمة فؤاد عبد المطلب، 2012 ص07). وهذا لا يُبرّر ما ذهب إليه سواء في المصطلح السابق "linguistics" أم هذا المصطلح "skopos" أو ما سيأتي من المصطلحات.

3.1.5 مصطلح (Dubbing): يقدم معجم "Dictionary of Translation Studies" التعريف الآتي:

Dubbing A term used to refer to one of the two main techniques used in the translation of audio-visual material such as films and television programmes... the term usually refers more narrowly to lip-sync dubbing, which is defined as the process in which "the foreign dialogue is adjusted to the mouth movements of the actor in the film. (Shuttleworth & Cowie, 2014, p. 44-45)

ونقرأ في "موسوعة روتلج لدراسات الترجمة:"

dubbing الدوبلاج: أكثر أشكال الترجمة الصوتية المرئية شيوعاً وشهرة هما ترجمه الشاشة والدوبلاج... أما الدبلج فهو وسيلة شفوية؛ وهو أحد طرق الترجمة التي تعتمد على القنوات الصوتية في ترجمه الشاشة... يتضمن استبدال الكلام الأصلي بخلفية صوتية تحاول بقدر الإمكان تتبع التوقيت وحركة الشفة للحوار الأصلي... (بيكر، ترجمة الحميدان، 2010، ص 116)

أما في "معجم الدراسات الترجمة" فنجد الآتي:

الدبلجة: Dubbing مصطلح يستخدم للإشارة إلى أحد الأسلوبين الأساسيين المستخدمين في ترجمة المواد السمعية والبصرية مثل الأفلام والبرامج التليفزيونية... ولكن المصطلح يدل في الغالب دلالة أكثر تخصيصاً على دبلجة الحركة المتزامنة للشفاه lip-sync dubbing التي تعرف بأنها العملية التي يتم فيها "تكييف الحوار الأجنبي على حركات فم الممثل في الفيلم" (درايز 1995 Dries، ص 9). التي تهدف لأن تعطي الانطباع بأن الممثلين الذين يراهم الجمهور يتحدثون اللغة المستهدفة فعلاً. (شتلويرث وكوي، ترجمة الجزيري 2008، ص 103)

1.3.1.5 مناقشة المصطلح: ينتهي هذا المصطلح إلى مجال الترجمة السمعية البصرية، وقد اختار المترجم كمكافئ "dubbing": "تسجيل الأفلام" و"الدبلجة". تكرر المصطلح مرتين في متن الكتاب، في حين استعمل المعجم "الدبلجة" والموسوعة اختارت "الدوبلاج"، ويبدو جلياً أن اختيار المترجم كان موفقاً لولا إتباعه بمصطلح آخر، وقد سبق أن ناقشنا هذا الإشكال عند مصطلح "Linguistics".

4.1.5 مصطلح (Subtitling): يندرج أيضاً ضمن الترجمة السمعية البصرية، ونجد تعريفاً له في معجم "Dictionary of Translation Studies" كما يلي:

Subtitling A term used to refer to one of the two main methods of language transfer used in translating types of mass audio-visual communication such as film and television (see also dubbing). First used in 1929, subtitling can be defined as the process of providing synchronized captions for film and television dialogue. Subtitles can be either interlingual... or intralingual... (Shuttleworth & Cowie, 2014, p. 161)

أما في "موسوعة روتلج لدراسات الترجمة" فنقرأ:

subtitling ترجمة الشاشة منذ أن أصبح للأفلام الصوتية جمهوراً في العالم كله منذ عام 1929 ظهر نوعان من ترجمة السينما، وهي: ترجمة الشاشة والدوبلاج. ويتم الإشارة للنوع الثاني في بعض الأحيان بالتزامن التالي... عبارات ترجمة الشاشة، والتي يشار إليها بالتعليقات (captions) هي ترجمة حوار الفيلم أو البرنامج التليفزيوني تقدّم بشكل فوري على الشاشة... وجرت العادة أن توضع الترجمة في أسفل الشاشة في وضع متوسط أو بمحاذاة اليسار. (بيكر، ترجمة الحميدان، 2010، ص 391)

أما في "معجم الدراسات الترجمة" فنجد:

subtitling ترجمة الحوار أسفل الشاشة: مصطلح يستخدم للإشارة إلى أحد منهجين أساسيين لنقل اللغة المستخدم عند ترجمة أنواع الاتصال الجماهيري السمعي البصري كما في السينما والتلفزيون... واستخدم أسلوب ترجمه الحوار أسفل الشاشة لأول مرة في عام 1929... هناك عدة أسباب لاختيار أسلوب ترجمه الحوار أسفل الشاشة بدلا من الدبلجة. فهذا الأسلوب على سبيل المثال أسرع، وتكلفته لا تعادل سوى 1 من 15 من تكلفة الدبلجة. (شتلويرث وكووي، ترجمة الجزيري، 2008، ص311)

1.4.1.5 مناقشة المصطلح: تكرر هذا المصطلح ثلاث مرات، وتُرجم بـ "الترجمة على الشاشة" و"الترجمة السينمائية المكتوبة على الشاشة". و"الترجمة المطبوعة على الفيلم"، ونلاحظ أن المترجم استعمل ثلاثة مصطلحات مختلفة، والغريب أنه استعمل مصطلحا (الثاني) يتكون من خمس كلمات لمصطلح يتضمن كلمة واحدة. بينما استعمل المعجم المختص في الترجمة كمقابل "ترجمة الحوار أسفل الشاشة". في حين استعملت الموسوعة "ترجمة الشاشة". وعليه، نلاحظ أن المعجم عمد إلى الترجمة الحرفية مع الشرح والتفسير، فنتج عنها مصطلح متكون من أربع كلمات لمصطلح من كلمة واحدة وإن كانت مركبة. في حين أن الموسوعة ترجمت معنى المفهوم، فكانت ترجمتها أكثر سلاسة، وتتضمن كلمتين فقط. ويبقى مبدأ الاختصار والاقتصاد في وضع المصطلحات هو الفيصل في الاختيار بينها. وعليه، فإن مصطلح الموسوعة أولى بالاختيار، كما تجدر الإشارة إلى وجود مقابل في اللغة العربية وهو "السترجة" الذي يُعد تعريبا للمصطلح من اللغة الفرنسية.

5.1.5 مصطلح (Pseudotranslation): حتى نتبين مفهوم هذا المصطلح الذي ينتهي إلى مجال الترجمة؛ استعنا بمعجم وموسوعة في الحقل نفسه. فوجدنا في "موسوعة روتلج لدراسات الترجمة" التعريف الآتي:

pseudotranslation، الترجمة الكاذبة: مصطلح الترجمة الكاذبة هو مصطلح شائع في الأدب على الأقل منذ أن أنتون بوبوفيتش (1976: 20) والذي وضع له تعريفا. "قد يقوم أحد الكتاب بنشر عمله الأصلي كترجمة كاذبه لتوسيع دائرة جمهور قراءة حتى يستفيد من توقعاتهم..." وبشكل عام فإن الترجمة الكاذبة تعرف بأنها عمل يصعب تحديد حالته من حيث كونه أصليا أو مشتقا؛ وذلك لأسباب اجتماعية أو نصية. (بيكر ترجمة الحميدان، 2010، ص295).

ووجدنا في "معجم دراسات الترجمة" التعريف الآتي:

pseudotranslation الترجمة الزائفة: (1) مصطلح يستخدم للإشارة إلى "نصوص اللغة المستهدفة التي ينظر إليها في الثقافة المستهدفة على أنها ترجمات على الرغم من عدم وجود نصوص أصلية مترجمة عنها هذه النصوص" (توري 1980، ص31). ومن هنا تشير فكرة الترجمة الزائفة

الى نوع التزييف الأدبي literary forgery الذي يحاول فيه الكاتب أن يقدم نصًا أصيلا كما لو كان مترجما... ويستخدم بوبوفيتش ([1976]) مصطلحين -وهما الترجمة الزائفة pseudotranslation والترجمة المختلقة fictitious translation- للإشارة إلى نفس الظاهرة. (شتلويرث وكووي، ترجمة الجزيري، 2008، ص263).

ولتوضيح مفهوم المصطلح أكثر نستعين بالطبعة الثانية الموسوعة " Routledge Encyclopedia of Translation Studies" حيث نجد ما يلي:

Pseudotranslation The compound noun pseudo-translation, as the Greek etymon pseudés (= false) suggests, refers to a target-oriented practice of imitative composition which results in texts that are perceived as translations but which are not, as they usually lack an actual source text. In other words, it refers to a relationship of imitation which does not link a target text to a specific source text but rather to an ideal one, possibly abstracted from a group of texts identifying a particular genre. (Baker & Saldanha, 2011, pp. 208-209)

1.5.1.5 مناقشة المصطلح: تكرر هذا المصطلح ثلاث مرات، وترجم بـ "الترجمة الظاهرية" مرة، وبـ "ما يشبه الترجمة" مرة أخرى. أما الثالثة فموجودة في الفهرس (لم يُترجم). فقد رأينا أن المعجم ترجم المصطلح بـ "الترجمة الزائفة"، في حين ترجمته الموسوعة بـ "الترجمة الكاذبة"، وكما هو واضح في التعريف لمفهوم المصطلح في الموسوعة (الطبعة الثانية باللغة الإنكليزية)؛ أنه مركب من جزئين "pseudo" و "translation" والجزء الأول أصله يوناني ومعناه "الخطأ". ومن ثَمَّ فالترجمة الأقرب لهذا المعنى هي "الترجمة الزائفة"، أما "الترجمة الكاذبة" فليست بعيدة ومقبولة. وما ذهب إليه المترجم - بغض النظر عن استعماله مصطلحين مختلفين لترجمة مصطلح واحد- باختيار "الترجمة الظاهرية" ثم "ما يشبه الترجمة"، فيبدو بعيدا عن مفهوم المصطلح في لغته الأصل، فإما أن تكون هناك ترجمة أو لا تكون. ولا توجد ترجمة يمكن أن نسميها "ما يشبه الترجمة". والظاهر أن المترجم لم يستعن بالمعجم، ولا بالموسوعة لا في نسختهما الأصلية ولا في النسخة المترجمة، وإلا فكيف نُفسر هذا الاضطراب في اختيار ترجمة مصطلحات مفتاحية في علم الترجمة؟ مع الإشارة إلى أن المعجم والموسوعة الأصل وترجمتهما قد طُبعا قبل ترجمة فؤاد عبد المطلب للمدونة؛ حيث صدرت الطبعة الأولى للمعجم عام 1997، والموسوعة عام 1998، وأما ترجمتهما فكانت في: 2008 و 2010، في حين طبعت المدونة المترجمة في 2012، ممّا يعني أنّها كانت موجودة في السوق لاسيما النسخة الإنكليزية (الأصلية) وكان بالإمكان الاستعانة بها.

6. خاتمة: ناقشنا في هذه الدراسة مسألة ترجمة المصطلح المتخصص تنظيراً وتطبيقاً، وبما أن المدونة تنتهي إلى علم بيئي يتوزعه أكثر من اختصاص؛ فإن المصطلح موضوع الدراسة ينتهي إلى علم الترجمة واللسانيات. وبينا باختصار منهجية توليد المصطلح، وضرورة اتباع تلك الخطوات بترتيب يّ عند ترجمتها. وتساءلنا هل أتبع المترجم تلك الطرق والخطوات أم نهج طريقاً آخر، ثم ناقشنا المصطلحات المستعملة في المدونة بالرجوع إلى مفاهيمها في اللغة الأصل، وفي اللغة الهدف -إن وجدت-، وذلك بالعودة إلى معاجم وموسوعات متخصصة تبعاً لنوع المصطلح المتخصص، دون أن نهمل المعاجم العامة أحادية اللغة (في اللغتين المصدر والهدف)، وكذلك المعاجم ثنائية اللغة، واستعنا أيضاً بمعاجم بلغة ثالثة (الفرنسية)، وتبعاً لذلك يمكننا تلخيص النتائج كالآتي:

-إن مهمة وضع المصطلحات المتخصصة منوطة بأهل الاختصاص في كلّ علم وفنّ؛

-ليس من مهام المترجم وضع أو توليد مصطلحات جديدة إلا إذا تيقّن من عدم وجود المقابل؛ فيضطر إلى وضعه باتباع الطرق الصحيحة المنصوص عليها؛

-إن وضع مصطلحات جديدة على الرغم من وجود مقابل أو أكثر؛ يجعل أزمة المصطلح العربي تتفاقم (فوضى المصطلحات)، ممّا يؤدي إلى ترجمات تفتقد إلى النوعية؛

-يُعدّ الرجوع إلى المعاجم العامة ثنائية اللغة أسهل الطرق لإيجاد المقابل للمصطلح الأجنبي، غير أن ذلك مدعاة للوقوع في الخطأ، ولتفادي ذلك على المترجم أن يعود للمعاجم المتخصصة ثنائية اللغة، وإلى المعاجم والموسوعات المتخصصة أحادية اللغة في اللغتين (المصدر والهدف)، وإن لم يقطع الشك باليقين فلا بأس أن يستعين بمعجم متخصص في لغة ثالثة يكون متمكناً منها؛

-لم يلتزم المترجم باختيار مقابل واحد لبعض المصطلحات في الميدان الواحد، بل اختار لكل مصطلح أكثر من مقابل حتى في الصفحة الواحدة كما رأينا مع مصطلح اللسانيات، على الرغم من أن قانون وضع المصطلحات يؤكّد أنّ لكلّ مفهوم واحد مصطلحاً واحداً في الميدان الواحد؛

-اقتصرنّا في التحليل على مناقشة خمسة مصطلحات، إلا أنّ مشكل تعدّد المقابل للمصطلح الواحد في الاختصاص الواحد يتكرّر مع بقية المصطلحات مثل: "Ethics of Translation" و "Visibility of the Translator" و "Drama" و "Gender in Translation" و "Etymological" و "Shifts" و "Approaches".

-تبين أنّ مشكلة المصطلح المتخصص في اللغة العربية لا يتعلّق بنقص أو انعدام المقابل، بل بالعكس تماماً، إذ تكمن المشكلة في وجود مقابلات كثيرة مع غياب توحيدها وتنميطها، وسبب ذلك - كما أسلفنا - هو عدم احترام المبادئ الأساسية لعلم المصطلح. وعليه، فلا فائدة من وجود مجامع للغة وهيئات لترقية اللغة إذا لم نلتزم بقراراتها وتوصياتها؛

-إن ثراء اللغة العربية بالمصطلحات الحضارية قديما، واستيعابها لكم هائل من المصطلحات في عصر الترجمة أيام الرشيد وابنه المأمون مثلا؛ يؤهلها لأن تكون قادرة على إيجاد مصطلحات لكل ما يُستجد في العلوم والفنون وغيرها، بفضل ما تتوفر عليه من آليات كالاشتقاق، وغيره من طرق توليد المصطلحات.

-نظرا لأهمية علم المصطلح بالنسبة للمترجمين، نقترح تدريس المبادئ العامة (مدخلا لعلم المصطلح) مقياسا لطلاب الترجمة في المراحل النهائية من الطّور الأوّل (ليسانس) أو مرحلة الماجستير، والأمر نفسه في تدريس الترجمة ومبادئها الأساسية لطلبة علم المصطلح؛
-تدريب طلبة الترجمة على كيفية الاستعانة بالمعاجم والقواميس بدءا بالأحادية والثنائية اللغة، ولاسيما المعاجم والموسوعات المتخصصة، وعدّ المعجم والقاموس أداة لا غنى عنها في تكوين المترجم.

7. قائمة المراجع:

1. باسنيث، سوزان. (2012). دراسات الترجمة Translation Studies (ترجمة: ف عبد المطلب). دمشق: الهيئة العامة السورية للكتاب.
2. ابن جني، أبي الفتح عثمان. (1952). الخصائص ج 2. القاهرة: المكتبة العلمية.
3. ابن فارس، الحسين أحمد. (1979). معجم مقاييس اللغة ج 1. القاهرة: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
4. باكلا، محمد حسن والريح، محي الدين خليل وسعد، جورج نعمة وصيني، محمود إسماعيل والقاسمي، علي. (1983). معجم مصطلحات علم اللغة الحديث. بيروت: مكتبة لبنان.
5. بن عمران، بن يطو، (2012). واقع ترجمة المصطلح اللساني الأجنبي إلى اللغة العربية في العصر الحديث في العالم العربي (المشكلات والتحديات). مجلة معالم، 04 (01)، 13-05. تم الاسترجاع من موقع: <https://www.asjp.cerist.dz/en/article/144348>
6. بوخاتم، مولاي علي (2003). مصطلحات النقد العربي السيماء وي الإشكالية والأصول والامتداد. اتحاد الكتاب العرب. منشور إلكتروني. www.awu-dam.org.
7. بيكر، موني. (2010). موسوعة روتلج لدراسات الترجمة (ترجمة ع الحميدان). الرياض: النشر العلمي والمطابع.
8. التهانوي، محمد بن علي. (1996). كشف اصطلاحات الفنون والعلوم. بيروت: مكتبة لبنان ناشرون.
9. جبور، عبد النور. (1984). المعجم الأدبي. (ط 2) بيروت: دار العلم للملايين.
10. الجرجاني، محمد الشريف. (1985). التعريفات. بيروت: مكتبة لبنان.

11. حجازي، محمود فهمي. (1993). الأسس اللغوية لعلم المصطلح. القاهرة: دار غريب للطباعة.
12. الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني. (1969). تاج العروس من جواهر القاموس. الكويت: مطبعة حكومة الكويت.
13. شتلويرث، مارك، وكووي، مويرا. (2008). معجم دراسات الترجمة (ترجمة ج الجزيرة). القاهرة: المركز القومي للترجمة.
14. فرقاني، جازية. (2017). تكوين المترجم بين مطرقة المصطلحية وسندان الترجمة. مجلة معالم، 08، 31-37. تم الاسترجاع من موقع: <https://www.asjp.cerist.dz/en/article/35051>
15. الفهري، عبد القادر الفاسي. (2007). معجم المصطلحات اللسانية. الرباط: دار الكتاب الجديدة المتحدة.
16. القاسمي، علي، (2019). علم المصطلح: أسسه النظرية وتطبيقاته العملية. (ط2) بيروت: مكتبة لبنان ناشرون.
17. مبارك، مبارك. (1995). معجم المصطلحات الألسنية. بيروت: دار الفكر اللبناني.
18. المسدي، عبد السلام. (1989). قاموس اللسانيات مع مقدمة في علم المصطلح. تونس: الدار العربية للكتاب.
19. مصطفى، إبراهيم، والزيات، أحمد حسن، وعبد القادر، حامد، والنجار، محمد علي. (2004). المعجم الوسيط. (ط 4) القاهرة: مكتبة الشروق الدولية.
20. مكتب تنسيق التعريب. (2002). المعجم الموحد لمصطلحات اللسانيات. الدار البيضاء: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم.

21. Bassnett, Susan. (2002) (3rd Ed). Translation Studies. London & New York: Routledge Taylor & Francis Group.
22. Brown, Keith & Miller, Jim. (2013). The Cambridge Dictionary of Linguistics. Cambridge: University Press.
23. Crystal, David. (2008). A Dictionary of Linguistics and Phonetics. Oxford Blackwell Publishing.
24. Helmut, Felber. (1984). Terminology Manual.. Retrieved from :unesdoc.unesco.org
25. Shuttleworth, Mark & Cowie, Moira. (2014). Dictionary of Translation Studies.
26. London & New York: Routledge Taylor & Francis Group.

ترجمة مفاهيم السيميائيات السردية في النقد العربي

translation of the concepts of narrative semiotics in the Arab criticism

أ. كريمة بلخامسة*

تاريخ القبول: 2021.05.23

تاريخ الاستلام: 2021.01.20

ملخص: سنحاول في هذا البحث استقراء مفاهيم السيميائية السردية عند الباحثين العرب وسيتم التركيز على أعمال الباحث المغربي "سعيد بنكراد" في كتابه "مدخل إلى السيميائية السردية، وأبحاث رشيد بن مالك في الجزائر من خلال كتابه "البنية السردية في النظرية السيميائية" وكذا أبحاث "محمد الناصر العجيمي" في كتابه "في الخطاب السردى- نظرية قريماس"، والباحث عبد المجيد نوسي في كتابه "التحليل السيميائي للخطاب الروائي" وستبين من خلالهم مدى تجاوزهم مع الطرح الغريماسي في تحديده للسيميائيات السردية ومتابعة فعل الترجمة والاختلافات التي نلاحظها في ترجمتهم لبعض المفاهيم وإظهار انعكاساتها على مستوى النصوص التطبيقية.

كلمات مفتاحية: السيميائية، العلامة، النموذج العاملي، المربع السيميائي، البرنامج السردى.

Abstract: In this study, we attempt to reveal the concepts of the narrative semiotics in the Arab criticism, focusing on the following books: An introduction to the narrative semiotics of Said Ben krad, The narrative structure in the theory of Semiotics of Rachid Benmalek, In the narrative discourse: the Greimas' theory of Mohamed ennacer el ojaimi, and The semiotic analysis of the narrative discourse of Abdelmadjid Noussi, we aim at knowing the response of these writers to the Greimas' approach in terms of defining the narrative semiotics and the difference between them in translating some concepts, and the impact of it on the practical texts.

Keywords: semiotics, the semiotic square, the discursive program, translation.

✻ - جامعة عبد الرحمان ميرة بجاية، الجزائر.

البريد الإلكتروني: belkhamsakarima@yahoo.fr (المؤلف المرسل)

1. مقدّمة: لقد عرفت الساحة النقدية العربية في الفترة الحديثة توجهها نقديا مخالفا وذلك بظهور المنهج السيميائي وانتشار مبادئه وأسسها الإجرائية، وقد كانت الحركة السيميائية دفعا قويا حرك الفعل النقدي العربي وبهذا تزعزعت المسلّمات النقدية التقليدية المعروفة وكان ذلك بظهور بعض الأبحاث التي عملت على التعريف بهذه المدرسة والكشف عن خلفياتها الفلسفية وبسط أسسها للقارئ العربي.

على الرغم من أن "المتتبع للحركة السيميائية في العالم العربي يدرك أنها ظهرت في ظروف تختلف اختلافا يكاد يكون جذريا عن تلك التي رافقت ولادتها في البحوث الأوروبية وهو اختلاف نلمسه على جميع الأصعدة. ذلك أن ولادتها في البحوث العربية تمت عبر عملية قيصرية، وفي جو مشحون بالرفض في أغلب الأحيان والانتقادات المجانية لمن تبناوا هذا التيار ومكتنف بهيمنة التوجه الكلاسيكي في الممارسة النقدية المنجزة بمنأى عن الأعمال الجماعية الضامنة لمصادقية البحث العلمي. وحتى المؤسسة العلمية التي تحولت فيها المعرفة إلى بضاعة لم تكن مهيأة لتلقي القيم الجديدة التي يحملها الخطاب النقدي الوافد من الغرب" (رشيد بن مالك، 2001)

ويعدّ هذا الارتباك والرفض الملاحظ في ذهن القارئ العربي أمرا طبيعيا، إذ ليس من السهل مسح المسلّمات النقدية الراسخة في الأذهان مرة واحدة واستبدالها بمشروع نقدي مخالف تماما كما "أنّ المتصفح للمنشورات الصادرة في المغرب أو في بعض الأقطار العربية الأخرى يدرك بشكل جلي هذا القصور، فغالبا ما تكون هذه المنشورات عبارة عن ترجمة لمقالات أو أجزاء من كتب وأحيانا تعاليق مختصرة عن نظرية أو مجموعة من النظريات... فتظل ناقصة (ومضللة أحيانا) لأنّها تقدم مفصولة عن أسسها الاستمولوجية، وعن المناخ الذي ولدت فيه، الشئ الذي يجعل القارئ عاجزا في أغلب الأحيان عن إدراك الفروقات والاختلافات بين هذه النظرية أو تلك، بين هذا المفهوم أو ذاك. كما لا يدرك كيف أنّ المصطلح الواحد قد ينتمي إلى مدارس متعددة، حاملا مضامين ودلالات متنوعة" (سعيد بن كراد، 2003).

ومن هذا المنطلق فقد كانت أعمال الباحثين العرب المختلفة السبيل الوحيد لتبسيط مفاهيم المدرسة السيميائية في الأذهان وتفعيلها على مستوى التطبيق، وقد لعبت الترجمة دورا كبيرا في توصيل أسس ومبادئ هذه المدرسة إلى المتلقي رغم كل الصعوبات والاضطرابات التي تطرحها. وسيتسنى لنا بهذا معرفة مدى استيعاب الباحث العربي للمنظومة الاصطلاحية لسيميائيات مدرسة باريس وهل أثّرت الترجمة والتناقضات التي تطرحها - في بعض الأحيان سلبا في فهم المجال النظري للسيميائيات والانتقال إلى مستوى التطبيق، لنصل في الأخير إلى معرفة مدى استثمار الباحث العربي، بعد كل هذه السنوات، للمفاهيم السيميائية وهل تجاوزت هذه الآليات الإجرائية مع النصوص

الإبداعية العربية المختلفة على الرغم من اختلاف الفلسفة الفكرية والأيدولوجية السياسية التي أسست لظهورها والخلفية الفكرية والثقافية العربية التي أطرت هذه النصوص في عمقها.

2. الترجمة في الخطاب الأدبي والنقدي: عرف الانسان الترجمة منذ القدم وهي من أقدم النشاطات الانسانية وقد صحب هذا النشاط على مرّ الزمن آراء ونظريات في مفهوم الترجمة ومجالاتها والصعوبات التي تطرحها على المترجمين. فإذا كانت الترجمة "هي إبدال مادة نصانية في لغة بمادة نصانية في لغة أخرى" (يوسف نور عوض، 1977)، والعمل على نقل أو تحويل نص معين من لغة الى لغة أخرى فإن عملية الانتقال والتحويل هذه لا تتم بشكل تلقائي مباشر، وهي "مجال من مجالات الدراسة العلامية (sémiotique) لكون الهدف الذي تتمركز حوله هو نقل المعنى من نظام علامي لغوي معين الى نظام علامي آخر" (يوسف نور عوض، 1977).

ولقد أثارت عملية الترجمة نقاشات عديدة عبر تاريخها الطويل وقد تمحورت في أغلبها حول "الصراع بين الترجمة الحرة والترجمة الحرفية والتناقض بين استحالتها أصلاً والحاجة المطلقة إليها" (بيترنيو مارك، (دس)) حيث تطرح الترجمة صعوبات ومشاكل مختلفة وتتعدد المسألة أكثر حين يتعلق الأمر بترجمة الأدب، وي طرح السؤال: هل المطلوب من الترجمة عامة والترجمة الأدبية خصوصاً هو المحافظة على لغة وثقافة النص الأصلي أم أن عليها التركيز على المكونات الأدبية ذات الطابع الإنساني الشامل؟

وبهذا الخصوص تذهب الباحثة "كريستين ميسون" الى القول بضرورة التعامل مع النص كجزء من الثقافة التي ينتمي إليها "وعليه فإن دور الترجمة حسب هذه الرؤية هو تعريف قارئ لغة الهدف أي اللغة المترجم إليها بثقافة متحدثي لغة النص الأصلية، يعطي قارئ الترجمة القدرة على فهم بيئة النص وسياقه الثقافي" (عبد الله حراصي، www.nizwa.com)، في حين يرى "جون كوهن" -وبمنطقية في الطرح- أن الترجمة عملية تواصلية توحد بين لغتين دون إلغاء المسافة التي تفصل بين الأنا والآخر.

كما يتخذ أمبرطو ايكو موقفاً لصالح اللغة الهدف ويذهب الى أن التفكير في الترجمة هي إشكالية تخص اللغة التي تتجه إليها (أي اللغة الهدف) فعلى عاتقها مسؤولية حلّ المسائل الدلالية والأسلوبية التي يطرحها النص الأصلي ويمكن تحديد قواعد الترجمة حسبه دائماً على النحو التالي:

- لا يجب فهم النص المصدر حرفياً، ولكن يجب المراهنة على العوالم الممكنة التي يتحدث عنها النص، أي الدخول في عالم التأويل؛

- احترام الحد الأدنى من مبدأ إزالة اللبس في النص المترجم؛

- حفظ التناسية؛

- أخذ الأفق الثقافي للترجمة في الحسبان.

ويصل "ايكو" الى أن الترجمة الحرفية مستحيلة في النصوص الأدبية ويраهن على كلمة "تقريباً"، ويقرّ أن قول الشيء نفسه مستحيل عملياً، إذ لا يمكن أبداً إيصال كل الإيحاءات الدلالية لكلمة أو لإيقاع أو نبرة في تعبير أو جملة لكن على المترجم أن يجتهد في قول أكثر ما يمكن قوله.

هكذا يجب على المترجم أن لا يتقيّد بالقواعد اللغوية فقط ولكنه يأخذ بعين الاعتبار العناصر الثقافية بالمفهوم الواسع للكلمة، والترجمة لا تتم بين لغتين وإنما بين ثقافتين ومحاولة المترجم إحداث الأثر نفسه الذي أحدثه النص الأصلي في القارئ لهذا فالمطلوب هو إعادة إنتاج الأثر نفسه، ولهذا فكل ترجمة جيدة هي محاولة نقدية من أجل فهم النص الأدبي.

من هنا يتخذ المترجم معنى "الوفاء" كالالتزام بينه وبين النص الأصلي والاستعداد الدائم للتفاوض في كل لحظة على الحلّ الذي يبدو له هو الأصح من أجل الوصول الى عمق النص.

وينبغي أن نشير هنا أيضاً الى أن عالم الترجمة في العالم العربي اليوم يحفل بقدر هائل من الفوضى وعدم التنظيم"، بعدما كانت حركة الترجمة في العصور السابقة والعصر العباسي على الخصوص مزدهرة، فلم تعد كذلك في الفترة الراهنة نظراً لما تعيشه المجتمعات من تراجع وتدني المستوى الثقافي وشهدت حالة من الانحسار والركود والاختناق فأصبحت "الترجمة مهنة من لا مهنة له، فلا يوجد لها قواعد تنظمها لا في مصر ولا في أغلب الدول العربية بمعنى أن كثير من الهواة وغير المتخصصين يعملون في مجالات الترجمة المتعددة دون حسيب أو رقيب، بل إنّ أغلب العمل في سوق الترجمة يقع في يد الهواة غير المتخصصين" (أكرم مؤمن، 2016) ولا نجد هيئات علمية متخصصة تشرف وتتابع عملية الترجمة وهذا ما خلق الفوضى في ترجمة المصطلحات وعدم توحيدها وخلق ترجمات ضعيفة تفتقد الى الدقة والأمانة للنص الأصلي، ويعود هذا الى عدم وجود إستراتيجية واضحة علمية تؤطر فعل الترجمة في الواقع العربي.

3. ترجمة مفاهيم السيميائيات السردية عند الباحثين العرب: تعد أبحاث سعيد بنكراد أحسن مثال على ذلك "لما تتسم به دقة وتمثّل واضح للسيميائية الغريماشية في كتابه "السيميائيات السردية" الذي يعدّ انجازاً مهماً في الدراسات السيميائية العربية، وتكمن أهمية هذا البحث في بساطة خطابه النقدي ومرونته وأصالته ووضوح مضمونه الناجم عن تمثله لهذا التيار في أصوله ومقاصده المنهجية. إنّ هذه الدراسة التي تشتمل على المبادئ الأولية للنظرية السيميائية تندرج ضمن الممارسات النقدية الساعية إلى فضح مكامن السقوط في النظام النقدي التقليدي المبني أساساً على التقيّد بالمسلمات وإصدار الأحكام المسبقة ولئن كانت هذه الممارسات تشكل قفزة نوعية في الدراسات النقدية العربية" (رشيد بن مالك، 2001).

لقد عمد الباحث سعيد بنكراد في كتابه "مدخل إلى السيميائية السردية" الى التعريف بنظرية غريماس واستعراض أهم مبادئها واستقراء أسسها، فهي نظرية تتميز عن باقي النظريات الأخرى في

المجال السردى بخاصية أساسية يمكن تحديدها في "مشكلة المعنى" "مقاربة نص ما لا يكون لها من معنى إلا في حدود طرحها للمعنى كهدف وغاية لأي تحليل. فالتعريف عن المعنى وتحديد حجمه لا ينفصل عن المکانیزمات التي أنتجته. من هنا فالتحليل لا يعني تعيين المعنى بشكل حدسي دون تحديد لسيرورة نموه وموته" (سعيد بنكراد، 2003).

بهذا تتلخص نظرية غريماس في لهما وعمق تشكلها في موضوعها الأساس وهو المعنى وكيفية إنتاجه والشروط المنتجة له وتحديد حجمه وطبيعته، وعلى هذا الأساس فهدف أي تحليل هو البحث عن المعنى وترويضه وإرجاعه إلى العناصر التي أنتجته.

كما يشير إلى شمولية نظرية غريماس في التصور أي قدرتها على التحاور مع عناصر معرفية تنتهي إلى مجالات مختلفة، وكذا قدرتها على استيعاب عناصر تنتهي إلى نظريات سردية أخرى وهذا يكشف عن نواقصها وعن الثغرات الموجودة في داخلها من جهة، كما تقدم تبريرا لقصور النظريات الأخرى من جهة ثانية. وفي كلتا الحالتين تؤكد على ضرورة التكامل بين كل النظريات.. (سعيد بنكراد، 2003) ونسجل هنا هذه الروح الانتقادية التي تميز الباحث في عرضه لهذه النظرية، ولا تتوقف مهمته في مجرد استعراض لأسس السيميائية الغريماسية.

وهكذا وبعد استعراض الأسس المعرفية التي قامت عليها نظرية غريماس والعودة إلى الروافد التي أسهمت في بلورتها (كالإرث الشكلاي بروب، وكلود ليفي شتراوس...) عمل الباحث بنكراد على رسم هيكلها النظري مثلما جاء في أبحاث الناقد غريماس وقد أشار إلى أن هدفه ليس البحث في الأصول وتحديد موقع كل إرث داخل نظرية غريماس، فتلك مهمة أخرى ليس مجالها هنا، وإنما ما سنقوم به- مثلما يذهب الباحث- هو "عرض شامل وواف عن هذه النظرية وتحديد موقعها من التيارات المكونة للسرديات المعاصرة، كما سنعمل على بيان مواقع قوتها وضعفه وتحديد الأسس المعرفية التي قامت عليها..." (سعيد بنكراد، 2003).

لقد عمد الباحث إلى تتبع أسس نظرية غريماس وشرحها، بحيث أشار في البداية إلى ملاحظة انتهى إليها غريماس ومفادها "أنّ الذهن البشري ينطلق من عناصر بسيطة لكي يصل إلى خلق موضوعات ثقافية، ويسلك في هذا سبيلا معقدا يواجه فيه إرغامات عليه أن يتجاوزها، واختيارات عليه أن يحدد موقعه ضمنها" (سعيد بنكراد، 2003)

ومن هذا المنطلق وضع غريماس تقسيمه المشهور للسيميائيات السردية إلى التنظيم العميق والتنظيم السطحي وهذا انطلاقا من مبدأ أنه "إذا كانت البشرية جمعاء تشترك في مجموعة من المضامين (المدركة كثنائيات) فإن كل مجتمع ينظم مضامينه بطرق مختلفة، وسيصبح تحقق البنية المجردة، وفق هذا التصور تخصيصا لبنيات هذا المجتمع وكشف عن خصوصياته. فلا يكفي إذا تحديد سلسلة الثنائيات العامة، التي قد تكون لها القدرة على مدنا بمعرفة حول اشتغال سلوك

اجتماعي ما، إلا أنّها عاجزة على مدّنا بأدوات التمييز بين هذه المجموعة البشرية أو تلك. وعليه فإن التسليم بوجود نموذج عام منظم للسلوك الإنساني، إنّ كان قاعدة صلبة وجسرا نحو الكشف عن خصوصية مجتمع ما، يجب أن يكون متبوعا بإبراز نمط تحققه أو تحققاته، ولعل هذا ما يسمح لنا بالحديث عن خصوصية النص وعن تمييزه عن النصوص الأخرى" (سعيد بنكراد، 2003) وعلى ضوء هذا التحديد سنكون أمام تنظيمين مختلفين لنفس الكون الدلالي.

يطرح التنظيم العميق داخله المعنى بصفته العنصر المميّز المسؤول عن أي تمفصل دلالي وسيكون النموذج التكويني أو المربع السيميائي أول أشكال التنظيم الدلالي باعتباره تأليفا تقابليا لمجموعة من القيم المضمونية، وهذه البنية الدلالية البسيطة تحتوي على قدرة قابلة لتوليد سلسلة لا منتهية من العلاقات الداخلية وبعبارة أخرى فإنّها تمتلك القدرة على جعل المعنى قادرا على التدليل.

وإذا سلمنا بأنّ كل موضوع سيميائي يتحدد من خلال نمط إنتاجه، فإن المكونات المتضمنة في هذه السيرة تتمفصل وفق مسار يقود من العنصر الأكثر تجريدا إلى العنصر الأكثر محسوسية (Greimas, 1979) وعندما نتتبع عملية الإثبات والنفي الخاصة بالمضامين فتشير إلى أولى العلاقات التحويلية الممكنة انجازها وطرحها على شكل ملفوظ سردي بوجهيه الانفصالي والاتصالي حينها ستظهر العلاقات الثلاث: التضاد، التناقض والاقتضاء، كتحويلات وستقوم هذه التحويلات على نفي مضمون ما، وإثبات آخر وسيطلق الانفصال على تحول النفي وسيطلق اسم الاتصال على تحول الإثبات (سعيد بنكراد، 2003) ويفسر الباحث بنكراد هذه المسألة بمقولة مجردة الاستبعاد التي يستخرج منها جميع الإمكانيات الفعلية التي تحتويها (مستبعد (م) حرّ، استبعاد (م) حرية..)

أما التنظيم السطحي فيتحدد من خلال النموذج العاملي وهو أساس تشكل النص كأحداث أي كصيغة تصورية وبعبارة أخرى إنّهُ يمثل شكلا قانونيا لتنظيم النشاط الإنساني أو هو النشاط الإنساني مكثفا في ترسيمة ثابتة رغم تغير عناصر تظهرها، فهو " يجمع داخله كل العوامل المحددة للفعل الإنساني: هدف للفعل، ما يدفع إلى الفعل، المستفيد من الفعل، الرغبة في الفعل، المساعد على الفعل، والمعيق لهذا الفعل" (سعيد بنكراد، 2003)

وإذا كان النموذج العاملي في نظر غريماس هو نتاج عملية قلب للعلاقات المشكلة للنموذج التكويني (المربع السيميائي)، فإنّ أصوله وجذوره تعود إلى أبحاث ماضية وهي نتائج أبحاث بروب، ونموذج سوريو ونموذج تنيير.

يطوّر غريماس نموذج العاملي في ضوء الدراسات الشكلانية التي درست الحكاية العجيبة، وبالخصوص أبحاث فلاديمير بروب، فقد ذهب إلى أنّ هذا الباحث أوضح مفهوم العوامل دون أن يضع المصطلح نفسه، خاصة عندما وضع الوظائف المتعددة وحددها في سبع شخصيات أساسية وقد

اعتبرها غريماس بمثابة عوامل. ويقول: "إنّ العوامل تمتلك إذن قانونا ميتا لسانيا بالنسبة للممثلين، إنّها تفترض بالإضافة إلى ذلك التحليل الوظيفي، أي التكوين التام لدوائر نشاطها" (Greimas, 1966) بهذا يعتمد غريماس انطلاقا من النماذج الثلاثة (بروب، تنيير، سوريو) في تنوعها إلى صياغة الصورة النهائية للنموذج العاملي ويتكون من ست عوامل تأتلف في ثلاث علاقات تشكل محاور هي كالتالي:

محور الرغبة: هو المحور الذي يربط بين الذات والموضوع، وتشكل الفئة العاملية ذات/موضوع العمود الفقري داخل النموذج العاملي، إنّها مصدر للفعل ونهاية له، فهي مصدر الإرسال لأجل إثبات أو إلغاء حالة أو خلق حالة جديدة. ولا تتحدد الذات الفاعلة إلاّ بعد دخولها في علاقة مع الموضوع مثلما لا يتحدد هذا الأخير إلاّ في علاقته بالذات ويمكن إعتبار الموضوع كموقع إشكالي يكتنفه نوع من الغموض نتيجة انتمائه إلى محور الرغبة ومحور الإبلاغ في الوقت نفسه.

محور الإبلاغ: هو عنصر الربط بين المرسل والمرسل إليه، أي من دافع على الفعل ومن مستفيد منه وهما يقعان على المستوى الذهني للفعل، ولا يتحددان إلاّ من خلال موقعهما من حالي البدء والنهاية كجزأين سرديين مؤطرين لمجموع التحولات المسجلة داخل النص السردية.

محور الصراع: هو ما يجمع بين المعيق والمساعد ويحدد "غريماس" هذه الفئة الثالثة المشكلة للنموذج العاملي في ما يسميه بالصراع، فالبطل في الحكاية الشعبية يقوم برحلة بحث عن موضوع قيمة ويصادف في طريقه أشخاصا أو حيوانات يقومون بمساعدته لتحقيق موضوعه أو معيقين يحولون دون وصوله لتحقيق هدفه النهائي.

وإذا كانت هذه الصورة المبسطة التي تصوّرها الحكاية الشعبية للمساعد والمعيق، فإن الأمور تتعدد أكثر مع النصوص الإبداعية المعاصرة.

يضعنا هذا النموذج بعلاقاته الثلاث أمام العلاقات المشكلة لأي نشاط إنساني كيفما كانت طبيعته، وبعبارة أخرى فإنّ هذا النموذج يشكل بطريقة ما تعريفا لمعنى الحياة.

ودرس غريماس في التنظيم السطحي أيضا البرنامج السردية وهو صيغة تركيبية منظمة للفعل الإنساني بشكل صريح أو ضمني وستكون الصيغة التركيبية لهذا البرنامج هي حالة انفصال تقود إلى حالة اتصال أو العكس.

هكذا فقد عمل الباحث سعيد بنكراد على الوقوف على أهم الأسس الإجرائية التي وضعها غريماس في نظريته وشرح العناصر التي تكوّنها وربطها بمنطلقاتها الأولى وجذورها الأصلية، وقد سجل الباحث على نفسه النقص الفادح الذي وقع فيه وهو عدم تدعيم بحثه بنصوص تطبيقية توضح وتبسط المسائل النظرية المعقدة على القارئ.

كما أسهم الباحث محمد الناصر العجيجي في بحثه الموسوم "في الخطاب السردى- نظرية غريماس- في ترجمة بعض أسس نظرية غريماس إلى القارئ العربى وتفعيل أسسها الإجرائية على النصوص الإبداعية العربية، حيث قام بالوقوف عند أهم آلياتها الإجرائية فقط ،- وهذا خلافا لما رأيناه عند سعيد بنكراد الذي كانت دراسته مفصلة ووافية فقد تركز عمله في البداية على دراسة المستوى السطحي للخطاب وذلك بدراسة النموذج العاملي من حيث هو نظام ثابت يقوم على ثلاثة أزواج من العوامل هي: المؤتى/المؤتى إليه، والفاعل/الموضوع والمساعد/المعارض.."

وعاد بالتفصيل إلى العلاقات التي تجمع بين هذه العوامل مدعما في كل مرة شروحاته النظرية بأمثلة تطبيقية من نص "الأرنب والفيلة"، فالعلاقة بين الفاعل والموضوع هي بؤرة النموذج العاملي و" الصلة بين العاملين تعالقية وإن أحدهما موجود دلاليا للآخر وبه، وليس من الضروري أن يكون الفاعل كائنا إنسانيا كما لا يتحتم أن يكون الموضوع شيئا جامدا" (محمد الناصر العجيجي، 2006). وتنتظم الوجدتان العاملتان في سياق العلاقة بين الفاعل والموضوع وتحدد وظيفة المساعد في تقديم المساعدة للذات الفاعلة من أجل تحقيق مشروعه العملي، أما المعارض فيقف عائقا دون تحقيق الفاعل لموضوعه.

أما العلاقة بين "المؤتى" و"المؤتى إليه" فيوحي حضورهما في الخطاب السردى -حسب غريماس- بوجود عالم مؤسس على منظومة من القيم يحكم بمقتضاها على الأفعال سلبا أو إيجابا فتحل في مرتبة المحرم أو المباح أو الواجب. والوظيفة الموكولة إلى المؤتى تتمثل في المحافظة على هذه القيم وصيانتها وضمان استمرارها وذلك بتبليغها إلى المؤتى إليه وإملائها عليه" (محمد الناصر العجيجي، 2006).

كما درس محمد العجيجي الأنموذج العاملي في حركيته ويقصد به البرنامج السردى، إذ أن السرد يقوم في أساسه على التحوّل من طور إلى طور والانتقال من حال إلى حال بحيث يكون التحويل اتصالي يتجسد في صورة الامتلاك وتحويل انفصالي تتمثله في صورة الاستلاب وقد تتبع أنواع هذه التحويلات وجزئياتها من خلال نماذج تمثيلية من نص "الأرنب والفيلة ودرس المكيفات المساعدة في انجاز الفاعل لفعله وهي: الشعور بوجود الفعل، والرغبة في الفعل والقدرة على الفعل.

وبحث في إطار دراسته للمستوى السطحي أيضا عنصر المكون التصويري، حيث يصبح الخطاب تصويريا عندما يشحن الموضوع بشحنة دلالية تخوّل للذات أن تدركه من حيث هو صورة تمثيلية. وفي دراسته للمستوى العميق شرح الباحث عنصر "المعنى" (Séme) كونه الوحدة الدلالية الصغرى، حيث يكتسب دلالته من علاقته مع وحدات معنوية أخرى تتشكل ثنائيات معنوية مبنية على التقابل يجمعها عنصر ثالث هو المحور الدلالي.

فالمحور الدلالي الجامع للثنائية الدلالية: الحياة-الموت مثلاً هو الوجود، وهذا ما وضّحه غريماس في المربع الدلالي، حيث عمل على تحديد ميكانيزماته واستقراء حركية المعنى وتحوّله من خلال نوعية العلاقات التي تجمع أركانه وهي: التراتبية، والتناقض فاحدى الوجدتين تنفي الأخرى والعلاقة الضدية يقابل أحدهما الآخر ويعاكسه وبهذا يتم اكتشاف الدلالة العميقة المؤسسة للنص والمتحركة في بنيته السطحية.

هكذا استطاع الباحث محمد الناصر العجيمي تقديم أهم المبادئ المؤسسة لنظرية غريماس والتركيز بالخصوص على المستويين السطحي والعميق في الخطاب السردى متجاوزاً بذلك كل العناصر الإجرائية المثيرة للجدل والغموض واكتفى في عرضه بالشرح الدقيق للنموذج العاملي في ثباته وحركته، والمربع الدلالي.

وقد خلص رغم هذا الاختصار الشديد في الطرح إلى الإشادة بالنظرية وبطاقاتها الإجرائية الفعالة، وإمكانية استثمارها في دراسة نصوص متنوعة مختلفة. وختم بحثه بدراسة تطبيقية لنص الأرناب والفيلة من كتاب كليله ودمنة محاولاً تجسيد هذا الأساس النظري في هذا النص.

واختصر الباحث "رشيد بن مالك" الحديث في نظرية غريماس في كتابه: "البنية السردية في النظرية السيميائية على المكون السردى والآليات التي تحكمه والقواعد التي تضبطه بدءاً من التحديد النظري للبرنامج السردى الذي يستند إلى تحليل مكونات البنية السردية وفحص العلاقات الموجودة بين الفاعل والموضوع والتي ترتب في وجودها إلى مجموعة من الحالات والتحويلات التي تكون في تواليها نظاماً قادراً على كشف بنية المكون السردى" (رشيد بن مالك، 2001).

وقد فصل البحث في مفهوم الحالة والتحويل التي تربط الفاعل بالموضوع، واستناداً إلى كتاب غريماس "المعنى" يستعرض الباحث جميع حالات التحوّل وجزئياتها الدقيقة بين الفاعل وموضوعه، وتكتسي العلاقة: فاعل/موضوع أهمية بالغة، بحيث تنبني عليها طموحات الفاعل، وفي إطارها تتوزع الأدوار، وعلى متنها تتولد الرغبات ويشتدّ التنافس والصراع. وواضح من هذا الكلام أنّ القيمة لا تتحقق في تفرداها ولا توظف لذاتها بل تستمد وجودها من هذه الرغبة الدفينة التي تملك كيان الفاعل وتقوده إلى الصراع من أجلها وتملكها. ومن هنا جاء تعريف الموضوع بوصفه حيزاً توظف فيه قيم تقترن بالفاعل أو تنفصل عنه" (رشيد بن مالك، 2001).

وبهذا يستعرض بالتحليل ميكانيزمات البرنامج السردى الذي ينبني على سلسلة من الحالات والتحويلات المنتظمة على أساس العلاقة الرابطة بين الفاعل والموضوع وتحويلها، وإنّ كل تحويل وصلي يفرض حتماً إلى إحداث تحويل فصلي للفاعل المقابل وقد يتحول البرنامج السردى البسيط إلى برنامج معقد.

وتستمد هذه البرامج السردية حركيتها من طاقات يملكها الفاعل تنبني أساسا على رسم سردي ينظم تعاقب الملفوظات في شكل أطوار أربعة متماسكة البناء ومرتبطة فيما بينها ارتباطا وثيقا خاضعا لمبدأ التدرج والافتراضات المنطقية: التحريك، الكفاءة، الأداء والتقويم.

يتبين لنا إذن من خلال الدراسة أنّ رشيد بن مالك لم يخص الحديث عن السيميائيات السردية عند غريماس فقط بل عمل على قراءة بعض التنظيرات السيميائية لباحثين آخرين وترجمة نصوصهم. ونشير الى نوع آخر من البحث عند العرب الذي ذهب بعيدا وانتقل في السيميائيات الغريماشية من النظرية الى التطبيق وتجاوز النقل والتعريف التنظيري للمنظومة الإصطلاحية لنظرية غريماس وهذا ما لاحظناه عند الباحث "عبد المجيد نوسي" في عمله المعنون: (التحليل السيميائي للخطاب الروائي) (عبد المجيد نوسي، 2002)، حيث عمل على تطبيق المفاهيم الإجرائية للمنهج السيميائي على رواية "اللجنة" للروائي صنع الله ابراهيم الذي تميّز مساره بكتابة نصوص شكّلت لحظات أساسية في تاريخ الرواية العربية والمصرية من حيث طرح إشكال الكتابة والبحث في عناصر البناء والاشتغال بشكل تنصهر فيه مكونات الخطاب الروائي من لغة سرد وعناصر الزمان والمكان والشخصيات لتأسيس فضاء متخيّل.

ويستند هذا الباحث في دراسته التطبيقية على أعمال المدرسة الفرنسية وخصوصا على أعمال غريماس ومثلما يشير أنّ عمله لن يتوقف عند الاستثمار الانتقائي لمستوى من مستوياتها مثل المستوى العميق أو المستوى العاملي أو لمفهوم من مفاهيمها الإجرائية مثل مفهوم المربع السيميائي أو التشاكل، ولكنه سيستثمر معطيات النظرية في تعالق كل مستوياتها، بدءا من المكون العميق الى البنية الأولية للدلالة، الى البنية التركيبية.

نلاحظ من خلال تتبعنا لهذه الدراسة أنّ الباحث لم يتقيد بالأسس الإجرائية التي وضعها غريماس بل استثمر كل ما أنتجته المدرسة الفرنسية من أبحاث، واللافت للانتباه أن المؤلف يدعم عمله التطبيقي بأقوال تنظيرية لأصحابها من أجل التوضيح وربط القارئ بالأصول، ولكنه يسقط في الكثير من الأحيان في التنظير على حساب التطبيق. وما يثير الاضطراب في ذهن القارئ هو توظيفه في الكثير من المرات لمصطلحات أخرى غير التي عرفناها مع الساحة النقدية، ويظهر التعقيد أكثر عندما دمج بين كل ما أنتجته المدرسة الفرنسية بشقيها اللساني والأدبي.

4. فعل الترجمة والمصطلح السيميائي عند الباحثين العرب: انطلاقا من قراءتنا المفصلة لهذه الأبحاث في السيميائيات السردية الغريماشية نصل إلى نتيجة مفادها عدم توحيد الباحثين للمنظومة الاصطلاحية المستعملة بحيث وضع سعيد بنكراد مصطلحات خاصة به فيترجم مثلا مصطلح "الفاعل" الذي ترجمه "العجيمي" "العامل" (Actant) والمربع السيميائي " (carré sémiotique)" "النموذج التكويني" وفي طبعة أخرى لنفس العمل (منشورات الزمن) يوظف كلمة "النموذج التأسيسي" (Modèle)

(constitutionnel) وبالمقابل يترجمه العجيجي ب"المربع الدلالي"، كذلك في ترجمته لعناصر النموذج العاملي (Modèle actanciel) وظّف العجيجي مقابل المرسل (Destinateur) والمرسل إليه (Destinataire) "المؤتي" و"المؤتي إليه" ويصبح هذا الاختلاف في ترجمة المفهوم الواحد إلى عدة مصطلحات هو بمثابة الإعاقة التي ستبعد القارئ العربي من هذه النظرية.

كما أنّ هناك الكثير من المفاهيم المثيرة للجدل في هذه النظرية بين دارسها فمفهوم "الفاعل" مثلاً يصنّف ضمن المحور السردى في المستوى السطحي باعتباره وحدة تركيبية نحوية، إلّا أننا نجده مع ذلك لا يكتسب صفته تلك إلّا بتحميله دلالة الفاعلية الكامنة بدورها في المستوى العميق، والأمر نفسه ينطبق على مفهوم "المكون التصوري".

نسجل كذلك أثناء تفحصنا لهذه النماذج من الأبحاث السيميائية العربية أنّنا لا يمكن تصنيفها في نفس المرتبة، بحيث نلتمس في دراسة سعيد بنكراد الكثير من التعمق والإلمام الكبير بجميع عناصر نظرية غريماس على الرغم من أنّ الإحاطة الشاملة بهذه الأخيرة سواء أكان ذلك في أصولها العلمية أم في مفاهيمها الإجرائية وحدود هذه الأسس ليس بالأمر السهل، وشساعة هذه النظرية ونزعتها الشمولية وتشعب مصادرها المعرفية والفلسفية وتداخلها واختلاف منابعها التي استندت إليها في بناء جهازها المفهومي، يعدّ من أكبر العقبات التي تحول دون الإمساك بروح هذا المشروع والقبض على كل جوانبه وجزئياته، بالإضافة إلى هذه الصعوبات نشير إلى ذلك الجدول الذي كثيراً ما يثار حول بعض طروحات هذا المشروع ومفاهيمه، بل و جدوى الآفاق التي فتحتها أو يمكن أن يفتحها في وجه دارسي النصوص الأدبية المختلفة.

بينما تأتي دراسة العجيجي ورشيد بن مالك جزئية غير ملّمة بكل أسس ومبادئ سيميائيات غريماس، على الرغم من الوضوح الذي تميزا به في طرحهما، فقد اعتمد بنكراد في بحثه لغة التعقيد التي لا تصل الملتقي بكل سهولة، حيث لم يدعم هذه الأسس النظرية البحتة بنماذج تطبيقية توضيحية مثلما فعل "العجيجي" الذي كان عمله بسيطاً واضحاً مدعماً بمقاطع نصية تطبيقية مستمدة من نص "الأرناب والفيلة"، بحيث عمل على تتبع مقاطع هذه الحكاية الشعبية بالتحليل والوقوف عند برنامجها السردى البسيط السهل التحديد الذي يتمحور في موضوع البحث عن الماء وتنجح الذات الفاعلة (فيروز) بذكائها تحقيق الهدف والاتصال بالموضوع، مثلما استوقفتها في الحكاية أيضاً الأقطاب الدلالية ودرس الأقطاب الدلالية لتنعكس البنية الداخلية العميقة للنص التي تنتظم في ثنائيات العطش والارتواء-خوف الأرناب من الهلاك تحت أقدام الفيلة.

لكن ينبغي أن نشير من خلال هذه الدراسة التطبيقية أنّ المسألة أعقد بكثير من هذا واختيار الباحث لهذا النص قد يصلح للقارئ المبتدئ لشرح المفاهيم الأولية وتبسيطها في ذهنه بينما المشروع السيميائي لغريماس أعمق بكثير في محاولته تبين إستراتيجيات بناء المعنى في النصوص السردية

المختلفة، بحيث يستمد النص السردى تماسكه الدلالي من وجود بنية عميقة موظفة كبنية كبرى للنص وكذا من وجود منطق سردي ينظم العلاقات بين الوحدات السردية كما تبدو من خلال الخطاب، وينبغي حسب غريماس التسليم بفكرة مفادها "أنه بإمكان البنى السردية أن تظهر في مواقع أخرى خارج نطاق التجليات الدلالية التي تتم في اللغات الطبيعية: في اللغة السينمائية والخيالية وفي الرسم التشكيلي الخ.." (أ.ج.غريماس، 2000).

كما نصل إلى أن الباحث العربي في مجال السيميائيات توقف دوره على نقل أسس هذه النظريات المختلفة التي ينتجها الغرب ولم يسجل في أعمالهم آراء نقدية معارضة أو مناقشة لهذه المفاهيم، فاقصر الأمر على الفهم والترجمة وهذا غير منطقي تماما، إذ ما يخلق في ثقافة فكرية وفلسفية وايدولوجية معينة لا يصلح دائما لثقافة فكرية أخرى بطريقة مطابقة، ولا يقتصر دور المترجم على التحكم في القواعد اللغوية للنص الأصلي ولكنه ينبغي أن يضع في اهتماماته أثناء فعل الترجمة العناصر الثقافية بالمعنى الواسع للكلمة، بحيث إنّ الترجمة لا تتم بين لغتين وإنما بين حضارتين وثقافتين مختلفتين لهذا تعتبر كل ترجمة سليمة هي بمثابة مساهمة نقدية في فهم النص الأصلي.

لقد كان لفعل الترجمة لسيميائيات غريماس على الخصوص الأثر السلبي الى حد بعيد في الوطن العربي أوقع القارئ العربي في اضطراب وحيرة أمام كثرة المصطلحات وتشعبها وتعقيد المفاهيم وقلة النماذج التطبيقية التي تبين مدى نجاعة هذه الآليات الإجرائية على مستوى النصوص الإبداعية العربية خاصة، ويمكن إرجاع هذا الإشكال الى تشتت جهود الباحثين وعدم توحيد نتائج البحوث، ولا توجد مؤسسة أو مجلس لمراقبة والنظر في هذه الترجمات وتوحيد المصطلحات وتظهر هذه الأبحاث في الساحة النقدية منفردة شخصية خاصة بكل باحث وهذا ما خلق عددا هائلا من المصطلحات ولا يجد القارئ نفسه في هذا العالم الذي تشبه الفوضى ولا يعرف ماذا يختار وأين الصحيح من الأصح وهذا ما عقد هذه النظرية أكثر عند الباحث العربي..

5. خاتمة: نسجل في الأخير وننوّه بمجهودات الباحثين العرب في هذا المجال وإسهامهم في نقل هذه النظرية السيميائية بكل تشعباتها وتعقيداتها، وخاصة نظرية غريماس التي لم يعمل صاحبها على جمع أسسها في كتاب موحد بل تمتد نظريته على مجموعة هامة من الدراسات المنشورة في مؤلفات مستقلة أو ضمن مجلات مختصة. وقد استثمر الدارس العربي بعد كل هذه السنوات المفاهيم السيميائية المختلفة واستطاع وبفعل حركة الترجمة أن تنتقل نظرية غريماس الى القارئ العربي وأن ينتقل من النظرية إلى التطبيق وتتجاوب هذه الآليات الإجرائية الى حد بعيد مع النصوص الإبداعية العربية المختلفة على الرغم من اختلاف الخلفية الفلسفية والفكرية التي أسست لظهورها والثقافة الفكرية التي أطرت هذه النصوص الإبداعية في عمقها، وهذا ما يحملنا إلى القول إنّ الفكر الإنساني موحد في أساسه العميق.

6.الهوامش:

- 1- رشيد بن مالك، البنية السردية في النظرية السيميائية، دار الحكمة، (د ط) الجزائر، 2001، ص-56
- 2- سعيد بنكراد، مدخل إلى السيميائية السردية، منشورات الاختلاف، الطبعة الثانية، الجزائر، 2003، ص-5
- 3- يوسف نور عوض، علم النص ونظرية الترجمة، دار الثقة، الطبعة الأولى، مكة المكرمة، 1977، ص-76
- 4- المرجع نفسه، 79
- 5- بيترونيو مارك، اتجاهات في الترجمة، جوانب من نظرية الترجمة، تر-محمود إسماعيل صيني، دار المريح، الرياض المملكة العربية السعودية، (دس)، ص-44
- 6- عبد الله حراصي، في ترجمة الاستعارة العربية، مجلة نزوة، العدد3 www.nizwa.com
- 7- أكرم مؤمن، أصول الترجمة للمحترفين، مكتبة لسان العالم الالكترونية، 2016، ص6
- 8- رشيد بن مالك، البنية السردية، ص-55
- 9- سعيد بنكراد، مدخل إلى السيميائية السردية، ص-7
- 10- المرجع نفسه، ص-8
- 11- المرجع نفسه، ص-28
- 12- المرجع نفسه، ص-29
- 13- المرجع نفسه، ص-31
- 14- Greimas ,courtes -sémiotique, dictionnaire raisonné de la theorie du langage, hachette université ,paris1979
- 15- سعيد بنكراد، مدخل إلى السيميائية السردية، ص-37
- 16- سعيد بنكراد، السيميائيات السردية –مدخل نظري-منشورات الزمن، المغرب، 2001، ص-71
- 17- Greimas -sémantique structurale ,recherche de methode ,larousse,1966,p-84-85
- 18- محمد الناصر العجيجي، في الخطاب السردى نظرية قريماس، عالم الكتاب، تونس 2006، ص-
- 19- المرجع نفسه، ص-36
- 20- رشيد بن مالك، البنية السردية في النظرية السيميائية، ص-8
- 21- المرجع نفسه، ص-15
- *يراجع عبد المجيد نوسي، التحليل السيميائي للخطاب الروائي، -البنيات الخطابية-التركيب – الدلالة-، دار النشر المدارس الطبعة الأولى، الدار البيضاء، المغرب، 2002

22- يراجع- أج.غريماس، في المعنى (دراسات سيميائية)، تعريب نجيب غزاوي، مطبعة الحداد، اللاذقية، سوريا 2000 ص-12

6. قائمة المراجع:

1. أج.غريماس، في المعنى (دراسات سيميائية)، تعريب نجيب غزاوي، مطبعة الحداد، اللاذقية، سوريا 2000.
2. أكرم مؤمن، أصول الترجمة للمحترفين، مكتبة لسان العالم الاليكترونية، 2016.
3. بيتر نيو مارك، اتجاهات في الترجمة، جوانب من نظرية الترجمة، تر: محمود إسماعيل صيني، دارالمريخ، الرياض المملكة العربية السعودية، (دس).
4. رشيد بن مالك، البنية السردية في النظرية السيميائية، دار الحكمة، (د ط) الجزائر، 2001.
5. سعيد بنكراد، مدخل إلى السيميائية السردية، منشورات الاختلاف، الطبعة الثانية، الجزائر، 2003.
6. سعيد بنكراد، السيميائيات السردية – مدخل نظري-منشورات الزمن، المغرب، 2001.
7. عبد المجيد نوسي، التحليل السيميائي للخطاب الروائي، -البنيات الخطابية- التركيب – الدلالة-، دار النشر المدارس، الطبعة الأولى، الدار البيضاء، المغرب، 2002.
8. محمد الناصر العجيمي، في الخطاب السردى نظرية قريماس، عالم الكتاب، تونس 2006.
9. يوسف نور عوض، علم النص ونظرية الترجمة، دار الثقة الطبعة الأولى مكة المكرمة، 1977.
10. عبد الله حراصي، في ترجمة الاستعارة العربية، مجلة نزوة، العدد 3 www.nizwa.com

المراجع باللغة الأجنبية

1. Greimas ,courtes :sémiotique, dictionnaire raisonné de la theorie du langage, hachette université ,paris1979
2. Greimas :sémantique structurale ,recherche de methode ,larousse,1966.



صناعة الترجمة في عصر العولمة: تواصل أم حدّ من الهيمنة؟

Translation Industry in the Globalization Era

Communication or Limitation of Hegemony?

د. بن أحمد عبد الفتاح*

تاريخ القبول: 2021.05.12

تاريخ الاستلام: 2021.01.19

ملخص: يبدو أنّ العولمة في العصر الحالي أصبحت تستفرد بكلّ مجالات الحياة من اقتصاد، وتجارة وثقافة، ولغة، ومن ثمّ بلغت الهيمنة أوجها لدرجة أن تجسّد واقع إمّا أن تكون أو لا تكون. أن تكون في زمن العولمة معناه أن تأخذ بأسباب الكينونة التي تملّحها على الفرد والمجموعة، بدءا بالتحكّم في زمام اللّغة العالمية التي هي الإنكليزية. يفرض هذا الواقع نوعا من التوجّس والقلق الذي يبعث على شحذ همم المجابهة والمقاومة بإدراج الوسائل الضرورية والممكنة. يهدف هذا المقال إلى تسليط الضوء على واقع الترجمة وصناعتها في يومنا الحالي، باعتبارها إحدى دروع المقاومة المشهورة في وجه الهيمنة العالمية، لا سيما اللغوية. تصبح صناعة الترجمة والتعويل عليها الملاذ الذي يمكن من خلاله الحفاظ على اللّغة الوطنية وتعزيز قوّتها في التواصل والتعليم والاستثمار ونشر المعارف. لذلك إنّ حضور الترجمة وترقية صناعتها في عصر العولمة يشي بالدور الريادي الذي تقوم به في تحقيق التواصل والحدّ من الهيمنة على حدّ سواء.

كلمات مفتاحية: العولمة؛ الهيمنة؛ صناعة الترجمة؛ التواصل؛ اللّغة الواحدة؛ التعدّد اللّغوي؛ الترجمة الآلية؛ أنشطة الترجمة.

Abstract: Nowadays, globalization seems to invade all domains of life namely: economics, trade, culture and language. Therefore, hegemony has reached its climax and imposed the to be or not to be reality. To live in the globalized era means to adopt means to reach existence imposed on the individual and the group with the mastering of global language that is English. This reality generates both fear and anxiety which lead to confrontation and resistance by using possible and appropriate means.

This paper aims at shedding light upon the position of translation and its industry, as a means of resistance against global hegemony especially the linguistic one represented in English, in this epoch. Translation industry becomes a means to protect national language and strengthen its communicative role in teaching, investment and transmitting knowledge. Hence, Translation in the globalized era plays a dual role in achieving communication and limiting hegemony.

Keywords: globalization; hegemony; translation industry; communication. monolingualisme; multilingualism; machine translation; Translation activities.

✻ - بجامعة مصطفى اسطنبولي معسكر، الجزائر.

البريد الإلكتروني: abdefettah.benahmed@univ-mascara.dz (المؤلف المرسل)

مقدمة: لم تعد العولمة ترتبط بالمجال الاقتصادي فحسب، بل أصبحت تشمل كذلك التواصل بين الشعوب لا سيما مع تطوّر تكنولوجيات الإعلام والاتصال من أنترنت، وهواتف لا سلكية، وفضائيات مفتوحة. كما أصبحت تتراوح بين نزعتين سواء في الاقتصاد أم السياسة أم الفكر: تتجه الأولى نحو الانخراط في العولمة والانفتاح على كلّ ما هو عالمي، بينما تتوجّس النزعة الثانية خيفة على ثقافتها ورموزها من الاضمحلال، نظرا لفقدانها القدرة على المجابهة والمواجهة. ويتعرّز هذا التخوّف حينما تتمظهر هذه العولمة في اللّغة التي تتخذها وسيلة للهيمنة، فتزداد الهوة اتّساعا وعمقا، فيغيب أو ينحسر جوهر الوجود وهو التواصل. وقد تجلّى هذا الواقع مع سقوط النظام الشيوعي وبروز الأحادية القطبية بزعامة أمريكا، وكذا الانفتاح على اقتصاد السوق وفق معايير منظمة التجارة العالمية وصندوق النقد الدولي.

ومن هنا يجدر بنا أن نتساءل عن موقع الترجمة في ظلّ العولمة، باعتبارها وسيلة تتيح التواصل مع الآخر والاطلاع على منجزاته من معارف وخبرات. كما أنّنا لن نبالغ إن قلنا بأنّ مجتمع المعرفة اليوم في حاجة ماسة إلى الترجمة، شأنه في ذلك شأن المجتمع المستهلك لها، وعيا منه بأنّ المعارف تنتقل وتتطوّر عبر الزمان والمكان، وأنّها لا تبقى حبيسة اللّغة الواحدة والقارئ الواحد، ولنا في التاريخ خير دليل وعبرة. ونحن نروم من خلال هذه الورقة إمطة اللّثام عن هذا النشاط الذي ما انفكّ يستقطب، في وقتنا الراهن، اهتمام المؤسّسات والهيئات المختلفة في العالم، لأنّه غدا -في واقع الأمر- صناعة لها مقوماتها وأدواتها ومؤسّساتها. وهكذا يتسّنى لنا طرح التساؤل التالي:

ما موقع الترجمة في عصر العولمة؟ وهل يمكن اعتبارها أداة تواصل أم حدّ من هيمنة اللّغة الواحدة المتمثلة في الإنكليزية؟

1. مفهوم العولمة: إذا ما حاولنا أن نلامس دلالة مصطلح العولمة نجد بأنّه المقابل العربي الأكثر تداولاً للكلمة الإنكليزية ("Globalization or Globalisation"UK)، المنحدرة بدورها من كلمة (Globe) والتي تعني العالم¹ (Cambridge Dictionary, 1995)، وهي في الوقت نفسه المقابل للكلمة الفرنسية (Mondialisation)، الدّالة على كلّ فعل يضيء بعدا عالميا وشاملا على شيء ما² (Hachette, 1997). هناك مقابلات أخرى للكلمة في اللّغة العربيّة مثل الكوكبة، والكونية، والعالمية إلّا أنّه لم يتم تداولها بنفس درجة لفظة العولمة لما تحمله من دلالات واسعة. وتبقى كلمة العولمة التي جاءت على وزن فَوْعَلَة هي المعتمدة في الحديث عن الظاهرة، وقد أجازها مجمع اللّغة العربيّة بالقاهرة³ (نواز، 2017)، ولذلك نعتمدها في مقالنا هذا أكثر من غيرها.

يكتسي مصطلح العولمة نوعا من الضبابية إذ يتّخذ معانٍ عديدة في سياقات مختلفة، إلّا أنّه يرتبط بالدرجة الأولى بثالوث الاقتصاد والمال والتجارة القائم على أساس الرأسمالية. وفقا لـ جون لوك فيرانديري، ظهر هذا المصطلح مع منتصف الثمانينات في مدارس إدارة الأعمال الأمريكيّة، ويتمثّل

مفهومه في " تلك الحركية المعقدة لانفتاح الحدود الاقتصادية وتحريرها للسماح للنشاطات الاقتصادية الرأسمالية بتوسيع حجم نشاطها في كافة أرجاء المعمورة".⁴ (Ferrandéry, 1998) يشير هذا التعريف إلى ربط العولمة بالاقتصاد والتوسع خارج الحدود الوطنية من خلال الشركات العالمية الكبرى، وهو ما يعزّزه أنطوان أيوب حيث يعرفها على أنها "انتشار الانتقال الحر للممتلكات، والخدمات، ورؤوس الأموال والناس، والأفكار بين جميع بلدان العالم مع اختزال الحدود السياسية التي تفصل بينهم"⁵ (Bolduc et Ayoub, 2000). كما أشرنا سابقاً، فإنّ مفهوم العولمة لصيق بالاقتصاد في المقام الأول إلّا أنّه توسّع ليشمل مجالات أخرى، ففي العلوم الاجتماعية مثلاً يتداول المصطلح بشكل عام، وهو يدلّ على تسارع التواصل العالمي في جميع مجالات الحياة من ثقافة وتكنولوجيا وسياسة وأفكار وغيرها، ولذلك تكاد تلتقي التعاريف السابقة مع ما يقدمه هيلد في تعريفه، "عملية (أو مجموع العمليات) التي تجسّد تحوّلًا في النظام الفضائي (العمرائي) والعلاقات الاجتماعية والصفقات - يمكن تقييمها من حيث امتدادها وشدّتها وسرعتها وتأثيرها- تخلق تدفقات وشبكات من النشاط والتفاعل وممارسة السلطة عبر القارات وبين المناطق في العالم".⁶ (Held, 1999) نلاحظ بأنّ العولمة تعني التحوّل وهذا ما يمكن أن يلاحظه الإنسان في حياته اليومية بداية من نمط العيش والبناء مثلاً إلى التحوّلات السياسية والاقتصادية في العالم، وكذا الصفقات التجارية العادية والإلكترونية، فالإنسان أصبح وكأنّه مبرمجاً يتوقّع دائماً مزيداً من التحوّلات داخل بيئته وخارجها. بعد أن حاولنا تقديم بعض تعاريف العولمة سننّج فيما يلي إلى الإشارة إلى خصائصها ومحركاتها.

2- خصائص العولمة ومحركاتها

2-1 خصائصها: يشير أنتوني ماك غرو إلى بعض خصائص العولمة ويجمّلها بولدوك وأنطوان أيوب⁷ (Bolduc et Ayoub, 2000) فيما يلي:

2-1-1 الترابط (Interdépendance): حينما يتزايد التبادل وتنتشر المعلومة، تتجاوز النشاطات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية الحدود الوطنية، فتبرز أحداث تؤثر على الأفراد والمجموعات في جميع أنحاء العالم. فظاهرة الهجرة غير الشرعية مثلاً تنبع من النزاعات والحروب في المناطق الفقيرة، وبالتالي تنعكس على بعض بلدان العبور في الضفة الأخرى وهنا يتجلّى الترابط.

2-1-2 محو الحدود الوطنية: تغدو الحدود بين ما هو محليّ وعالمي ضبابية، فيصبح التمييز بين ما هو داخلي وخارجي عويصاً. نرى بأنّ القناعة باختزال الحدود برزت مع الليبرالية الرأسمالية، صاحبة شعار "دعه يعمل دعه يمر" لما تخلقه من عراقيل أمام التبادل الحرّ، وكذلك أمام حريّات الأفراد ورغبتهم في التنقل ونشر أفكارهم وثقافتهم. جاءت العولمة إذا فأربكت هذه الحدود وأضعفتها، وقد ساعد على ذلك كثير من العوامل مثل المنظمات والهيئات الدولية التي تسمح لنفسها بالتدخل باسم

القانون الدولي، كهيئة الأمم المتحدة، وكذلك المنظمات غير الحكومية والأقمار الصناعية والشبكة العنكبوتية في آخر المطاف. ومن هنا برز بطبيعة الحال نوع من التحوّف من اندثار المحلي وضعفه فظهر نوع من المقاومة سعيا للحفاظ عليه.

2-1-3 صراع السيادة (Conflit de souveraineté): يخلق تسارع الترابط مشاكل عابرة للحدود تجعل السيادة الوطنية محلّ صراعات لا يمكن حلّها إلّا عن طريق تدخّل الأطراف الدولية. من الواضح أنّ السيادة تتزعزع أولا من الجانب الاقتصادي حينما تزيد المديونية ويصبح العجز واضحا في تمويل مشاريع الدولة وصرف الرواتب، فيتدخل صندوق النقد الدولي ويملي إصلاحات اقتصادية قصد تجاوز الأزمة، ومن هنا تضعف سيادة الدولة ومن ثمّ قراراتها السياسية وغيرها.

2-2 محرّكاتهما: إضافة إلى ما ذكرناه من خصائص، تحكم العولمة ثلاثة عوامل يجمعها ماك غرو⁸ (McGrew, 2010) في ما يلي:

1-2-2 التقنيات: إنّ الاقتصاد العالمي لم يكن ليتجسّد في صورته الحالية بدون التجهيزات القاعدية لتكنولوجيات التواصل الحديثة.

2-2-2 الاقتصاديات: وهي لا تقل أهمية عن التكنولوجيا، فالبحث عن الأسواق العالمية والربح يؤدي إلى عولمة النشاط الاقتصادي. اتخذ التسويق بعدا عالميا بفضل التكنولوجيات المتطورة، ولا تزال التجارة الالكترونية تحظى باهتمام الهيئات الحكومية والمؤسسات الاقتصادية والقانونية لتسهيل اقتناء السلع وضمان جودتها وحماية مستهلكيها.

2-2-3 السياسات: تتلخص في الأفكار والمصالح والسلطة. فإذا كانت التكنولوجيا تزوّد العولمة بالتجهيزات المادية فإنّ السياسات تمدّها بتجهيزاتها المعيارية، أي بالقوانين وما شابهها من موافقات واتفاقيات.

3 أشكال العولمة: إنّ للعولمة أوجها متعدّدة نلخص أهمّها فيما يأتي:

1-3 العولمة الاقتصادية: تعني الولوج إلى اقتصاد السوق ورفع الحواجز أمام حركة المال وانتقاله. تمثّل الشركات المتعدّدة الجنسيات واجهة النظام الرأسمالي فتتنظّم الإنتاج والتسويق على أسس عالمية كما تعمل المؤسسات المالية الدولية، التي تضمن الدخول إلى اقتصاد السوق، على تحديد الدول التي تستحق القروض مع الشروط اللازمة.⁹ (Ibid)

2-3 العولمة السياسيّة: تعني نشر مفاهيم الديمقراطية في العالم، من خلال إتاحة التعددية السياسية ومراعاة جوانب عديدة مثل حقوق الإنسان، وحرية التعبير، وحماية الأقليات وممارسة الشعائر الدينية وكذا تعزيز التعاون فيما بين الدول وفض النزاعات والحروب وإحلال السلم والقضاء على الإرهاب وغير ذلك من القضايا الدولية العالقة.

3-3 العولمة الثقافية: تعني نشر القيم الثقافية والفكرية للدول المتطورة إلى الدول الأخرى، وهذا النوع من العولمة يثير -كما أشرنا سابقا- نوعا من الخوف والمقاومة من قبل الأفراد والمجتمعات والأمم على حدّ سواء.

4-3 العولمة اللغوية: يمكن للغة أن تصبح عالمية -إن صحّ التعبير- حينما تغدو لغة القراءة والكتابة والتداول العالمي، كما هو شأن اللغة الإنكليزية في وقتنا الراهن والتي أصبحت لغة إنتاج المعرفة ونشرها والمعاملات التجارية العالمية والتخاطب بين الأفراد والمجتمعات. فاللغة العالمية يمكن تمثيلها باللغة التي تحتل المركز مقارنة باللغات الأخرى التي تبقى على الهامش.

5-3 العولمة الاتصالية/ التكنولوجية: وتتجسد في الثورة التكنولوجية والمعلوماتية الجديدة، التي جعلت فضاء كوكب الأرض يعجّ بالأقمار الصناعية المعدة لأغراض مختلفة، والباتّة -بالصوت والصورة- لبرامج متنوعة وأحداث مباشرة وغير مباشرة. زيادة على ذلك التسهيلات الجليلة التي تقدّمها الشبكة العنكبوتية للإنسان سواء في البحث عن المعلومة أم نشرها أم تخزينها في ظرف وجيز. ولذلك، جاءت هذه الآلية لتختزل المسافات والحدود الجغرافية فتحوّل العالم إلى قرية صغيرة " Global village" على حدّ تعبير ماك لوهان. فالعولمة الاتصالية سلاح ذو حدين يشمل الإيجابي الذي ينفع الأمة والسلبي الذي يدمّر مقوماتها، وعليه أصبحت تسهم إمّا في المثاقفة أو الاغتراب.

6-3 العولمة الاجتماعية: أثّرت العولمة الاقتصادية والاتصالية على الفرد والمجموعة، فما تزايد موجات الهجرة من الجنوب نحو الشمال ومن الشرق إلى الغرب -لا سيما الهجرة غير الشرعية الراهنة- إلّا دليل على ذلك خاصة وأنها تحوّلت إلى قضية عالمية في مجال تنقل الأشخاص. إضافة إلى العوامل التي ذكرناها، هناك عوامل أخرى أجّبت الوضع الاجتماعي في كثير من الدول، وعلى سبيل المثال يشير روزنو إلى مسألة الأقليات والمنظمات المهنية والحراك الاجتماعي، الذي هو بالنسبة له آلية من آليات العولمة. تعمل هذه الأمور على خلق التفاعل وإيصال صوته إلى الخارج مخترقة الحدود والقوانين الوطنية.¹⁰ (Rosenau, 1993) ومن مظاهر العولمة الاجتماعية كذلك انتشار الجريمة وشبكات المخدرات وغيرها من الآفات الأخرى.

4-العولمة اللغوية والترجمة: كما سبق وأشرنا يمكن للغة ما أن تصبح لغة التعامل ونشر المعرفة، بمعنى تمرّ بمرحلة نشاط وازدهار-كما تمرّ بمرحلة ضعف وركود-وهذا ما شهدته بعض اللغات في تاريخ البشرية كالإيونانية واللاتينية والعربية. وعادة ما تستمدّ اللغة قوّتها وازدهارها من عاملين أساسيين يتمثلان في التطوّر العلمي المعرفي والاقتصادي. ويحصل في العصر الحالي بأن تتسّم الإنكليزية هذه المكانة وتحظى بالتميّز ولقب اللغة العالمية. في مقابل ذلك، هناك عدد لا بأس به من اللغات التي لا تزال تجابه في الميدان، وتفرض نفسها بالتأليف والترجمة. فما يمكن ملاحظته، هو أنّه في الوقت نفسه

تبرز معالم اللغة الواحدة (المهيمنة)، كما تبرز معالم اللغات المتعددة (الرامزة للتنوع) والترجمة (الواصلة بين الشعوب). ولذلك، فما العلاقة التي تربط بين أطراف هذه الظاهرة؟

4-1 الترجمة واللغة العالمية: حينما نسلّم باللغة العالمية، فإنّ ذلك يعني وجود لغة واحدة يشترك فيها البشر، يتواصلون بفضلها ويتبادلون أفكارهم وأحاسيسهم ومعارفهم دونما أيّ حاجة إلى الترجمة. فاللغة العالمية من هذا المنظور تغيب عملية الترجمة لعدم جدواها في فضاء يتخاطب البشر فيما بينهم بلسان واحد. فهل تمثل اللغة الإنجليزية اليوم فعلا هذا الواقع؟ على الرغم من وضوح الإجابة في شكلها السطحي إلا أنّ الأمر يتطلب نوعا من التمعّن والتفحص.

4-1-1 اللغة الإنكليزية والتواصل العالمي: تشير بعض الدراسات إلى أنّ اللغة الإنكليزية تُعتمد كلغة رسمية في أكثر من تسعين بلدا، بل إنّ عدد الناطقين غير الأصليين بها يفوق عدد الناطقين الأصليين، وأنّ الولايات المتحدة لا تمثل إلا عشرين بالمائة من مجمل الناطقين بها.¹¹ (Newton, 2013) وتبيّن إحصائيات المنتدى الاقتصادي العالمي هذا الواقع بحيث أنّ هناك بليون ونصف ناطق باللغة الإنكليزية كلغة أجنبية أولى في العالم بينما هناك حوالي 400 مليون ناطق أصلي بها.¹² (Lustig, 2018) من الواضح إذا بأنّ التواصل يتمّ، في كثير من المجالات، عن طريق اللغة الإنكليزية، وأنّ النجاح المهني يصبح حليف كلّ من يتحكّم في زمام هذه اللغة، وهذا ما ينبّه إليه كلود هجاج في قوله "وهكذا، لم تعد الكفاءة المهنية هي الوحيدة التي يتقرّر بها التوظيف- كما يملّيه المنطق السليم- بل كذلك مسألة معرفة اللغة الإنكليزية"¹³. (Nerrière, 2006) لذلك، أصبح الإقبال على تعلّم اللغة الإنكليزية يشهد تزايدا كبيرا في العالم قصد التواصل مع الناطقين الأصليين بها وغيرهم من الشعوب الأخرى، وهكذا أصبحت تعتبر بأنّها اللغة المشتركة (lingua franca) التي تتيح التواصل مع الأجنبي في العصر الحالي.

ولتسهيل عملية التواصل لا سيما في مجالات التجارة والتسويق والسياحة، يلجأ المتحدثون إلى استعمال إنكليزية بسيطة أحدثها الفرنسي جون بول نيريير (Jean-Paul Nerrière)، نائب رئيس شركة إيبام (IBM) الأمريكية، عام 2004 أطلق عليها اسم (Globish) وهي كلمة مولّدة عن طريق دمج وتقليص مفردتي عبارة (Global English)، ويمكن أن نعتبرها لغة براغماتية وإن كانت لا تلقى الترحيب في الوسط الأوروبي- لا سيما فرنسا- نظرا للتسميات التحقيرية التي ألحقت بها مثل لغة المطارات¹⁴ (Ibid)، والإنكليزية الرديئة وغيرها.

تشير بعض الإحصائيات إلى أنّ حضور اللغة الإنكليزية على الشبكة العنكبوتية يمثل ما يفوق السبعين بالمائة (Schaffner, 2000)¹⁵، إلا أنّ الإحصائيات المنشورة سنة 2015 تقف عند ما يقارب الستين بالمائة أي 55,7% (unbabel.com)¹⁶ لتصل سنة 2021 إلى 60,4% (W3Techs.com)¹⁷. وإذا ما أخذنا بالأرقام المنشورة من قبل "إنترنت وورلد ستات" (Internet World Stats) لسنة 2020، سنجد

بأن نسبة المتعاملين باللغة الإنكليزية على الشبكة تقدّر بـ 25,9%،¹⁸ وهي نسبة معتبرة إذا ما راعينا العدد الإجمالي لمستخدمي الانترنت الذي يفوق أربعة ملايين ونصف حسب المصدر نفسه. تبقى اللغة الإنكليزية مستعملة في الهيئات الدولية والمؤسسات الاقتصادية والتواصل بين الأشخاص سواء في أرض الواقع أم العالم الافتراضي كما أنّ انخفاض نسبة المحتوى الشبكي بالإنكليزية نخاله ينم عن رغبة الرواد في ولوج الشبكة بلغاتهم الوطنية.

تعدّ اللغة الإنكليزية حالياً لغة السلطة والتعامل في الهيئات الدولية بما في ذلك الاتحاد الأوروبي الذي يتبنى مبدأ التعدّد اللغوي، بحيث أنّ غالبية وثائق مجلس أوروبا، واللجان، والنصوص القانونية تحرّر بالإنكليزية ثمّ تترجم إلى اللغات الأخرى¹⁹ (Gourd, 2020)، وهو الوضع الذي أصبح يثير قلق المهتمين الأوروبيين، لا سيما إن استمرّ على حاله بعد أن خرجت بريطانيا من الاتحاد الأوروبي.²⁰ (Ibid) أصبح الحديث إذا عن هيمنة اللغة الإنكليزية على جميع المجالات، باعتبار أنّ وجود لغة مشتركة يضمن سهولة التواصل العالمي بجميع أغراضه. تجسّدت هذه الهيمنة من خلال العولمة التي لم تستثن اللغة فظهر ما يسمى بـ "الامبريالية اللغوية" ممثلة في الإنكليزية الحاضرة في البحث العلمي والتجارة والسياحة والملاحة الجوية والبحرية وغيرها من الميادين.

أصبحت اللغة الإنكليزية في عصر العولمة لغة البحث العلمي والأكاديمي بامتياز، ينشر من خلالها الباحثون أعمالهم وإنجازاتهم، سواء كانوا ناطقين أصليين بها أم غير ذلك. لم يعد يقتصر النشر باللغة الإنكليزية على مجالات البحث في العلوم الطبيعية والدقيقة فحسب بل شمل كذلك البحوث في العلوم الاجتماعية والإنسانية. تشير دراسة لباحثين بجامعة مونتريال بكندا، قدّمت كمدخلة في الملتقى السنوي للوكالة الجامعية للفرنكفونية عام 2015، بأنّ 80% من البحوث في هذا المجال منشورة باللغة الإنكليزية، وهذا بعدما كان شأن نشرها يعود إلى لغات وطنية أخرى مثل الفرنسية والألمانية اللتين أصبحتا تحظيان بنسبة 20% من مجمل المنشورات. وخلصت الدراسة إلى أنّ لجوء الباحثين إلى النشر بالإنكليزية هو بهدف الوصول إلى المرئية - أو بالأحرى أكبر عدد من المقروئية- والتصنيف (Indexation) والاقتباس (Citation)²¹ (Larivière et Desrochers, 2015)

على الرّغم من محاولة بعض الأطراف إخفاء الهيمنة اللغوية للإنكليزية وانحسار اللغات الوطنية مقابلها - تارة بدوافع إيديولوجية وسياسية وتارة أخرى بغيرها- إلّا أنّه مع مرور الوقت، أصبح من الصعب تورية هذا الواقع، وهذا ما يؤكّده عبد الكريم بوفارة ومجموعة من الباحثين الآخرين - في عمل تحت إشراف المرصد الأوروبي للتعدّد اللغوي- بأنّ اللغة الإنكليزية لم تعد "لغة دولية" - بصيغة التنكير- بل أصبحت "اللغة الدولية" التي يتمّ بها البحث في جميع المجالات والتخصّصات.²² (BOUFFARA, 2017) ويشير بيير فراث (Pierre Frath) في السياق نفسه بأنّ التحوّل في مجال البحث من اللغات الأوروبية الوطنية إلى الإنكليزية أضّر كثيراً بالمصطلحات التقنية والعلمية الأوروبية المتأصّلة

في التاريخ اللغوي الأوروبي. ولمواجهة هذا الوضع الذي يصفه بالخطر يقترح حلولاً من أجل الخروج من هذا المشكل، من بينها تعزيز استعمال الفرنسية من قبل النخبة في وسائل الإعلام وغيرها وكذلك تشجيع الترجمة إلى اللغات الأوروبية. (Ibid)²³ ويشير جان لويس كالفي إلى أنّ حجم الترجمة في عصر العولمة يتخذ مساره - حسب جوهان فايلبران- من اللغة المركزية (الإنجليزية) إلى اللغات المحاذية للمركز مثل الفرنسية والألمانية والإسبانية وبنسبة أقل نحو اللغات الموجودة على الهامش.²⁴ (Calvet, 2010) وفي ظلّ استقرار هذه المعطيات وهذا الواقع، نرى بأن نصل رأينا برأي المختصين من أنّ هيمنة اللغة الإنكليزية على المجتمع والاقتصاد والسياسة والتعليم والبحث أصبح ظاهراً للعيان، ولا يمكن ذر الرماد في العيون بقول خلاف ذلك واللجوء إلى حجج أخرى من قبيل أنّ هذه اللغة الأحادية ستتجزأ بدورها إلى أنواع مختلفة، وبالتالي يصبح من الصعب التواصل بها لعدم مفهوميتهما وأنّ المستقبل لن يبقى حليفاً.

وفي مقابل ذلك، وعلى الرغم من أنّ الوقت الراهن يفصح بكلّ وضوح بأنّ اللغة الإنكليزية تجسّد التواصل العالمي إلى حدّ بعيد، إلّا أنّه لا يمكننا أن نساير الطرح كلياً وبصفة مطلقة ونحكم بأنّها الضامن الأساس ليتحقّق التواصل والفهم على المستوى الدولي إذا ما أضفنا إلى رصيد لغاتك. لطالما نحاول أن نؤمن بنجاح التواصل إذا ما أخذنا بزمام اللغة العالمية إلّا أنّ الواقع يظهر لنا قصور ذلك كلّما نرى مسئولا رفيع المستوى - كرئيس الدولة أو غيره- حينما يشرع في إلقاء خطابه في محفل دولي بلغته الأم (الإنجليزية) أو بلغته العالمية المكتسبة (الإنجليزية في الوقت نفسه)، يلجأ كثير من الحضور إلى الاستنجاد بسمّاعة الترجمة التي تصبح - في هذا الوقت- الضامن الرئيس لتحقيق التواصل وفهم الآخر. يوضّح لنا هذا المثال بأنّ هذه اللغة المشتركة (العالمية) وضعتنا أمام حالة لا تواصل على الرغم من أنّ ما يفترض أن تقوم به هو عكس ذلك. نخلص بذلك إلى أنّه في ظلّ اللغة الواحدة، تظلّ الترجمة حاضرة تفتكّ لنفسها الاعتراف بمهمّة التواصل العالمي. وفي نهاية المطاف أفلا نلاحظ بأنّ الترجمة تتموقع بين كلّ من اللغة الواحدة واللغات المتعدّدة فتسدى خدمات التواصل والتحاوّل إلى جميع بني البشر؟

2-4 الترجمة في ظلّ التعدّد اللغوي: تعمل العولمة على بعث الحركية في كلّ المجالات، سواء في ما يخص حركية الأشخاص أم الأموال أم الأفكار أم الثقافات واللغات. وعادة ما تسهم هذه الحركية في إضفاء التنوع على الأفراد والجماعات، وما يرتبط بهم من تراث ولغة وثقافة. ثمّ إنّ ما أصبح يعيشه العالم المعاصر من تعدّدية لغوية وتنوّع ثقافي -على الرغم من محاولة هيمنة الإنكليزية- لخير دليل على نشاط هذه الحركية الممثلة للعولمة. وسواء كانت هذه الحركية واقعية تتجسّد بفعل هجرة الأشخاص العادية أم بهجرة افتراضية عن طريق الانترنت إلّا أنّها تؤدّي غرضها بصفة شاملة. فالتنوّع اللغوي والثقافي واقع يتجلّى بكلّ وضوح في عصرنا الحالي، وأصبح يحظى بالحماية القانونية والاعتراف الدولي،

وهذا ما أكّدت عليه الجمعية العامة للأمم المتحدة بجعل عام 2008 سنة دولية للغات من خلال هيئة اليونسكو التي قامت بدورها هي الأخرى عامي 2003 و2005 بوضع اتفاقيات تحثّ على حماية التراث الثقافي اللامادي- الذي ينشر بفضل اللغة- والتنوع الثقافي²⁵. (Matsuura, 2008) في مقابل ذلك، غدا وجود هذا التنوع يثير في الوقت نفسه الإحساس بتناقض يلف هذا العالم الذي يتغنى باللغة-الثقافة الواحدة وهيمنتها من جهة، وباللغات المتعددة وما تحمله وتمرّره من موروث ثقافي وحضاري من جهة أخرى، لا سيما وأن رغبة اليونسكو في تكثيف التعدد اللغوي على الشبكة العنكبوتية لا تزال قائمة، باعتبار أنّ لكل واحد الحق في ولوج الشبكة بلغات متعددة ونشر ما تحمله لغته من تراث وثقافة²⁶. (Unesco).

تغدو الترجمة في خضمّ هذا الوضع أكثر من ضرورية، بل هي الوجه الآخر للعولمة كما يراها دومينيك فولتون، لأنّه وببساطة لا يمكننا الانفتاح على الآخر دون احترام هويته الثقافية التي تتجسّد فيها لغته، فبالترجمة وصناعتها يمكن الحصول على عولمة سلمية وهي الشرط الأوّل لاحترام الآخر²⁷. (Volton, 2010) يشير هذا الرأي إلى أنّه لا غنى عن الترجمة في عالم تسوده التعددية اللغوية التي ترسّمت في واقع الناس- إن أخذنا بذلك- منذ بابل، حينما انتقل الحال من اللغة الواحدة إلى اللغات المتعددة، وما أصبحت ترمز إليه من قطيعة وتشتّت، فتأتي الترجمة في ثوب المخلص من هذا البعد والشتات والاتصال.

تشير إحصائيات هيئة اليونسكو على لسان مديرها السابق السيّد ماتسورا إلى وجود حوالي ستة آلاف لغة في العالم²⁸ (Matsuura, 2008)، ومن ثمّ كيف السبيل إلى التواصل مع كلّ الناطقين بها؟ سيكون الجواب في الحقيقة واضحاً للعيان ولا يمكن إنكاره، إذ كشفت لنا الحياة بأنّ المترجم، أو هذا الوسيط، حاضر دوماً لتذليل العقبات والصعاب. ولنستق من التاريخ أمثلة وأمثلة، بداية من الحملة الفرنسية على مصر ثمّ الغزو الفرنسي للجزائر وبالأمس القريب غزو العراق، إذ عادة ما يحدث التوغل في البلاد بالاستعانة بالمترجمين، وإن كان ذلك لا يتجلّى بوضوح، فيؤعز ذلك التوسّع إلى القوّة العسكرية المحضة دون قوّة التواصل الفاعلة. فكم من معركة ربما تمّ تجنبها بفضل هؤلاء المترجمين الذين يعرفون لغة الأهالي ويدركون أعرافهم وثقافتهم. وهذا ما تبينّ جلياً للولايات المتحدة الأمريكية من أهميّة إستراتيجية للترجمة بعد اعتداءات الحادي عشر سبتمبر، لا سيما حينما رأت بأنّ هناك نقصاً كبيراً للمترجمين إلى العربية. (Apter, 2015).

تعيش أوروبا اليوم نوعاً من التجانس وتعمل جاهدة على الحفاظ على تعددها اللغوي والثقافي (24 لغة رسمية)، لأنّه يضمن ازدهارها وحركيتها. بل رسخت القناعة لدى الأوروبيين في تعليم أبنائهم عدّة لغات عوض الاكتفاء بلغة واحدة²⁹ (Hagège, 1992)، وهذا لما رأوه من فائدة ترجع بها عليهم حينما يبلغون سنّ الشغل، فتفتح لهم آفاق كبيرة في المجال المهني أولها في اعتلاء مهنة المترجم الترجمان.

فالتعدد اللغوي يمثل للأوروبيين أساس مشروع مجتمع يخطو نحو التقدم والازدهار، ولكن شريطة أن يكون ضمن إطار سياسة واعية للاتحاد الأوروبي حتى لا يصبح عقبة ونقمة ومصدر الخلافات والنزاعات.³⁰ (Orban, 2010) ويرى كثير من المهتمين بأن الترجمة هي الوسيلة الناجعة لتحقيق الانسجام والتوافق والتفاهم ونبذ الصدامات والخلافات لدرجة أن أمبيرتو إيكو يعتبرها لغة أوروبا.³¹

يتوصل لويس جان كالفي³² (Calvet, 2010) إلى قناعة راسخة تتمثل في أن للترجمة أهمية بالغة في التطور العلمي، وهو ما استخلصه من تاريخ الحضارة العربية التي عرفت ازدهارا وتألقا في شتى العلوم بفضل الترجمة التي تعمل على الانفتاح والتخلص من الركود. وهو لا يستبعد أن تسترجع الثقافة العربية مجدها لو أعادت وطبقت سياسة أسلافها، باعتماد الترجمة إلى العربية في المرحلة الأولى ثم منها إلى سائر اللغات الأخرى كمرحلة ثانية. كما يعتبر ميكائيل أوستينوف الترجمة مسألة مصيرية في مجابهة اللاتواصل، وأنه لا يمكن أن نساير عبارة "كل شيء بالإنكليزية"³³ في الإشارة إلى اللغة الواحدة، ما دام أن هذه الأخيرة نفسها تعيش في وسط متعدد³⁴ (Oustinoff, 2011). وتذهب باربارا كاسان إلى إنه في ظل هذه التعددية اللغوية سيكون من غير الممكن مطالبة الأوروبيين بتعلم جميع لغات الاتحاد لكي يتسنى لهم التواصل فيما بينهم، وإنما في هذه الحالة تأتي الترجمة لتحقيق ذلك، لا سيما التعويل على الترجمة الآلية التي تعتبرها الرهان الأساس في عصر زخم الترجمات.³⁵ (Cassin, 2011) إن ما نلاحظه في مجال التواصل اليوم على مستوى الأنترنت، لا سيما بالنسبة للرواد الذين لا يعرفون اللغة الإنجليزية أو غيرها من اللغات الأجنبية، ولكي يتجاوزوا مشكلة اللاتواصل يلجئون إلى الترجمة بواسطة غوغل (Google) أو من خلال أجهزة الترجمة الذكية كلما وجدوا أنفسهم في وضع تواصل مع الأجنبي. يشير هذا الوضع إلى الاستنجا بالترجمة على مستوى بسيط يتمثل في الحاجة إلى التواصل بغية تحقيق غايات وأهداف خاصة أو فردية، كما أن هناك من يسعى إلى توظيفها وتطويرها لغاية عامة من نشر للمعارف والعلوم والخبرات وغيرها، وفي كلا الحالتين برزت الحاجة الماسة إليها في وسط لغوي متعدد.

5- صناعة الترجمة ورهان العولمة: لقد أصبحت الترجمة صناعة ومهنة تستقطب كل من يهتم بمسألة الوساطة بين الثقافات والشعوب، وما فتئت الرغبة في تطويرها تزداد يوما بعد يوم. إن الحديث عن أهمية الترجمة في هذا الإطار أصبح لا جدوى منه بعدما تأكد ذلك على جميع الأصعدة، بل إن الاهتمام كله ينصب في هذا العصر على تطوير الترجمة في أشكالها الجديدة من خلال الوسائل التكنولوجية المتاحة. فالمترجم، في ظل تطور الانترنت وتكنولوجيات التواصل الحديثة، لم يعد حبيس الورقة والقلم والمعجم، بل انفتح على توظيف أدوات أخرى لتفعيل نشاطه على الأجهزة والحواسيب رغبة منه في ربح الوقت من جهة، والوصول إلى ملازمة فعالية الآلة، في عصر يعج بالتقنيات والتطبيقات والبرمجيات المتنوعة، من جهة أخرى. إن تطور الدراسات في مجال اللغة، لا سيما حينما انتقل الاهتمام إلى معالجتها حاسوبيا، فتح آفاقا جديدة للترجمة ومستقبلها، وبات تطويرها آليا رهان

المختصين في مجالات عديدة مثل علوم اللغة، والمعلوماتية، والفيزياء، والترجمة وغيرها، وهناك كثير من الجهود والأموال التي لا تزال تصرف لذلك. ولعل من بين الرهانات التي يعول عليها في عصر العولمة هي الترجمة الآلية.

1-5 الترجمة الآلية وأشكال الممارسة الجديدة: إن تصور مشروع الترجمة الآلية هو ليس وليد القرن الحالي بل ظهرت إرهاصاته مع بداية النصف الثاني من القرن العشرين، أي حينما نشرت شركة (IBM) بمعية جامعة جورج تاون بيانا تعلم فيه بأنه تم ترجمة ما ينيف عن ستين جملة من الروسية إلى الإنجليزية آليا³⁶، ومن ثم تجلت بينة إمكانية تحقيق مشروع الترجمة الآلية على أرض الواقع. ارتكزت الترجمة الآلية في بداية الأمر على تحويل الجمل أو النصوص خطيا أو حرفيا، انطلاقا من تزويد الآلة بقواميس ثنائية اللغة، وهو ما أظهر محدوديتها لسنوات عدة لدرجة أن اللجنة الاستشارية للمعالجة الآلية للغة (ALPAC) بأمريكا صرحت بأن الترجمة الآلية مستحيلة ولا تستحق الجهد والعناء لتطويرها.³⁷ لم تنحسر الجهود أمام هذا التصريح وتواصلت الأبحاث في مجال المعلوماتية وميادين أخرى وثيقة الصلة قصد خلق برامج تستوعب الجوانب اللغوية من تركيب وصرف ونحو، إلى أن وصلت إلى مرحلة الذكاء الاصطناعي والشبكات العصبية الاصطناعية (Réseaux neuronaux)، (Roudau, 1992)³⁸ التي تحاكي، في مبدئها، الدماغ البشري في استقبال المعلومة ومعالجتها.

بات التعويل على الترجمة الآلية في عصر العولمة يسعى لا غنى عنه، بل أمرا مطلوبا للغاية لما يقدمه من خدمات جليلة للبشرية عامة والمؤسسات الاقتصادية والتجارية والخدمات خاصة. يزداد الطلب على الترجمة الآلية بشكل يومي أمام الكم الهائل من الوثائق والمستندات والتقارير، الورقية والإلكترونية، التي ترد من كل حذب وصوب إلى الإدارات والحكومات والهيئات، والتي تتطلب في غالب الأحيان السرعة في الانجاز. وعليه تكاثفت جهود الباحثين بمختلف مشاربهم والمهتمين بتطوير مشاريع الترجمة الآلية في الجامعات ومراكز البحث العالمية في أمل الوصول إلى نتائج ملموسة وأكثر فعالية. وهذا ما توصلت إليه الأبحاث الأخيرة التي انتقلت من البحث في تطوير طرق التحويل الآلية إلى تطوير طرق التحويل الذكية التي لا يزال العلماء يعلقون عليها آمالا كبيرة.

أصبح البحث الآن ينصب في الترجمة الآلية على تطوير مبدأ العمل على الشبكات العصبية الاصطناعية، ومن ثم برز ما يعرف بـ "Neural Machine Translation" التي أحرزت حسب جولي كاتيو (Julie Cattiau) نتائج جد مشجعة: "مع ظهور الترجمة الآلية العصبية (NMT) أحرزنا -دفعه واحدة- من التقدم ما قدره عشر سنوات من البحث على المحركات الإحصائية" (Lupieri, 2019)³⁹ وعلى الرغم من أن الأمر لا يصل إلى اختزال دور المترجم البشري إلا أن النجاح في ترجمة النصوص

الوظيفية آليا، من خلال الأنظمة الذكية، أصبح أمرا ملموسا، لا سيما بين بعض اللغات مثل الفرنسية والإنجليزية.

إضافة إلى ذلك تحققت نتائج مشجعة في مجال الترجمة الآلية الشفهية (Speech-to-speech translation) انطلاقا من التقنيات الذكية التي تعمل بمبدأ "التعرف على الصوت" (La reconnaissance vocale)، بحيث تتلخص مراحل العملية في: تحويل الخطاب الشفهي إلى نص مكتوب، يترجم بدوره إلى نص مكتوب في اللغة الهدف، ليتحول في الأخير إلى نص شفهي⁴⁰، وهذا ما أدرج سنة 2014 في تطبيق الاتصالات المرئية سكايب (Skype) بحيث أصبح يتوفر على الترجمة الآنية في سبع لغات تتمثل في: الإنجليزية والفرنسية والألمانية والبرتغالية والإسبانية والإيطالية والمالديش⁴¹. كما أنجزت شركة سيستران الرائدة في الترجمة الآلية برنامجا (Pure Neural MT) موجها للمؤسسات الكبرى، وهو ذو فعالية مرموقة في المجال التقني الذي أصبحت الشركة تعول عليه بكثرة، ما دام أن 30% من رأسمالها هو بفضل الشركات⁴² (Rolland, 2016) التي تحتاج لخدمات الترجمة يوميا. ومع وجود هذه المحركات تبقى مراجعة الإنسان أو المترجم البشري في غاية الأهمية ضمانا للدقة والجودة.

لم تقف شركة غوغل هي الأخرى موقف المتفرج تجاه هذه العولمة الرقمية فعملت على تطوير برنامجها للترجمة على الشبكة (Google Translate) باعتماد تقنيات الذكاء الاصطناعي، بحيث أصبح بإمكانه الآن ترجمة الخطابات المطولة آليا، إضافة إلى أنها عززت برنامجها بـ 66 لغة أخرى⁴³ (Rochefort, 2020)، وهكذا سيتسنى لكل فرد التواصل مع العالم بلغات مختلفة وبسرعة فائقة. تشير كل هذه الإنجازات إلى مدى التقدم الذي أحرزته الترجمة الآلية بأنواعها والأدوات المساعدة على ذلك من ذاكرات ترجمة، وترجمة مسعفة حاسوبيا (TAO)، ومعاجم وبنوك مصطلحات متخصصة آلية، وهو ما يشي بصناعة ترجمية في عصر الرقمنة والتعلم العميق للحواسيب (Deep learning) والتعرف الآلي على الصوت. لذلك، أمام هذا التقدم التكنولوجي الكبير يتجلى نوع من التخوف على الترجمة البشرية ومستقبل المترجمين في العالم، مادام أن برمجيات متطورة قد أعدت لذلك وأتيحت لقطاعات العمل⁴⁴. يسود هذا التخوف على زوال مهنة المترجم في حين أننا نرى بأن الأمر مبالغ فيه لأن هذه البرمجيات مهما بلغت من تطور سوف لن يكون بإمكانها أن تحل محل الإنسان بصفة كليّة، بل نخالها وسائل تسهل على المترجم أداء مهمته وتريحه كثيرا من الوقت والجهد وهو في واقع الأمر يلجأ إلى استعمالها لا سيما وأنه -بفضلها- بدأت الترجمة تأخذ أشكالا جديدة تتمشى مع ما تفرضه العولمة المعاصرة.

ومع التقدم الذي أحرزته الترجمة الآلية في زمن الثورة الرقمية، لا يمكننا أن نغفل عن ممارسة الترجمة التي بدأت تأخذ أشكالا جديدة، وإن كانت تروم في مجملها تحقيق التواصل في فضاء لغوي متعدد. أصبحنا نلاحظ حضور المترجم في مجالات متنوعة، عامة، ومتخصصة، وهو ما يشي بأن حيز

نشاطه قد توسّع وازداد توسّعا بفضل التكنولوجيات الجديدة والانترنت. لذلك، نحاول أن نتقصّى نشاط الترجمة في ظلّ هذا الواقع العالمي فننظر في بعض أشكال الترجمة التي أصبحت تستقطب حاليا اهتمام المترجمين، باعتبارهم عناصر فاعلة في التواصل المتعدّد اللّغات. وفي ظلّ هذا السياق يرى ماتيو غيدير بأنّ هناك مهنا جديدة أفرزتها العولمة يجمعها ضمن ثلاثة مجالات تتمثّل في التواصل المتعدّد اللّغات (Communication multilingue)، والوساطة الإنسانية (Médiation humanitaire)، والمراقبة الإستراتيجية (Veille stratégique).⁴⁵ (Guidère, 2010)

يتطرق في المقام الأول إلى ترجمة مواقع الانترنت وتوطينها (Traduction- localisation) كونها الواجهة التي تتطوّر من خلالها المؤسّسات والهيئات بفضل الإشهار الافتراضي في زمن الانترنت⁴⁶ (Guidère, 2010) وما تستوعبه من لغات متعدّدة. ويرى دانيال غواديك بأنّ هذا النشاط يتطلّب كفاءات عديدة تأتي على رأسها إتقان الترجمة المتخصصة والتحرير وإعادة الكتابة إضافة إلى التحكّم في أدوات المعلوماتية وإدارة المشاريع⁴⁷ (Gouadec, 2003) وغير ذلك من الكفاءات التي تتوافق مع متطلبات عصر التكنولوجيا.

يدرج كذلك غيدير مهمّة الوساطة الإنسانية التي يجسّدها المترجم الترجمان بامتياز- كوسيط إنساني بين الثقافات- ضمن الأشكال الجديدة للترجمة لا سيما في ظروف الحرب والنزاعات، فهو بخبرته التواصلية وباعه في معرفة خصوصية الشعوب الثقافية والحضارية، يسهم في إحلال السّلم والأمان.⁴⁸ (Ibid) وعادة ما تدخل ممارسة الترجمة في هذا المجال ضمن التطوّع الإنساني، وتتجلّى بوضوح في شبكة الجمعيات - مثل مترجمون بلا حدود (TSF) وغيرها-⁴⁹ (Gambier, 2007) التي تقدّم خدمات الترجمة مجانا لمساعدة المنظمات الإنسانية في أداء مهامها بكلّ سهولة وتحصيل المساعدات من الأطراف الراغبة في ذلك، ما دام أنّ ترجمة الوثائق والمستندات تسمح - للأطراف الممونة- بالإطلاع على أنماط التدخلات الإنسانية التي تباشرها هذه الهيئات، ومن ثم تأتي فرصة تحصيل أكبر قدر من الأموال والمساعدات لاستثمارها في الميدان.

يتدخل المترجم أيضا في مجال بالغ الأهمية وهو الرقابة الاستراتيجية التي -هيّ بدورها إستراتيجية مؤسّسية- تتمثّل في تقصّي المعلومات عن مسألة أو موضوع ما، انطلاقا من مصادر ولغات متعدّدة، وبتوظيف آليات البحث التوثيقي، وهذا كلّ من أجل اطلاع المؤسّسات على مستجدات المحيط العالمي الذي تنشط ضمنه ومن ثمّ التوصل إلى تحديد أهدافها واتخاذ قراراتها⁵⁰ (Guidère, 2010). ويميّز بين نوعين من الرقابة هما الرقابة المؤسّساتية المتعلقة مثلا بالمؤسّسات العمومية على المستوى الوطني والدولي والمنظمات غير الحكومية والرقابة التنافسية التي تكون بين المؤسّسات الخاصة سواء في مجال التصدير أو الخدمات وغيرها.⁵¹ (Ibid) نرى بأنّ أشكال الترجمة الجديدة هذه تصبّ في مسعى الاتحاد

الأوروبي وتتمشى مع سياسته في تفعيل وترقية التعدد اللغوي في ظلّ العولمة وما يعرف بالاقتصاد الذكي الذي يشكّل المترجم - برصيده اللغوي والثقافي - إحدى حلقاته.

وفي سياق التطور الذي تشهده الترجمة الآلية وكذا النقائص التي لا تزال تعرفها، يتجلى شكل آخر لممارسة الترجمة يتمثل في مراجعة ترجمة الآلة (La post-édition/Post-Editing) من قبل المترجم الذي يقوم بتنقيح الترجمة من الأخطاء التركيبية والأسلوبية وكذا إدراك النقائص المتعلقة بالمصطلح وغيره. ويشهد هذا الضرب من الممارسة انتشارا كبيرا نظرا للاعتماد المعتمد على الترجمة الآلية في العصر الحالي، وهذا ما يصرّح به كيني دوروتي (Kenny Dorothy) "إنّ قطاع سوق الترجمة الذي يعرف نمواً بالغاً يتحدّد في المراجعة (PE) للترجمة الآلية".⁵² (Schumacher, 2019) وقد تشمل المراجعة مجمل جوانب الترجمة من تراكيب ومصطلحات ومعنى إجمالاً، فتسمّى مراجعة كاملة (PE complète/ Full Post Editing) أو جوانب لغوية نحوية وصرفية فتسمّى مراجعة طفيفة أو جزئية (Légère/Light).⁵³ وهكذا، يتنامى الطلب على خدمات المراجعة والتدقيق كلّما تزايد الاعتماد على الترجمة الآلية من قبل المؤسسات والهيئات.

وعلاوة على لجوء بعض المؤسسات إلى خدمات الترجمة الآلية، هناك من يعتمد منها على خدمات الترجمة التي يضطلع بها مترجمون أحرار (Traducteurs freelance)، ومستقلون يعملون لحسابهم الخاص، فيشتغلون على أنواع عديدة من النصوص والخطابات تتراوح من العامة إلى المتخصصة إضافة إلى توطيّن المواقع وألعاب الفيديو والدبلجة وغيرها من الوسائط. تشير الإحصائيات الخاصة بسوق الترجمة المهنية المنشورة عام 2017 بأنّ هناك 18000 مؤسسة ترجمة عبر العالم و640000 مترجم يمثل فيه المترجمون الأحرار نسبة الربع.⁵⁴ وبالتأمل في هذه الأرقام وغيرها، نصل إلى معرفة أنّ الترجمة ما فتئت في عصرنا الحالي تتنامى بفضل طلب المؤسسات الاقتصادية والمالية عليها في المقام الأوّل، إضافة إلى الهيئات الدولية وغير الدولية الرامية إلى تعزيز العلاقات ومدّ روابط التعاون الدولي والإنساني والاقتصادي والثقافي، ومن أجل تجسيد ذلك كلّه يظلّ المترجمون -بتعدّدهم اللغوي وانفتاحهم على الثقافات الأخرى- أداة فاعلة في الميدان، على الرّغم من أنّها تكون غير مرئية في غالب الأحيان، ويُغضّ الطرف عنها سواء عن قصد أم غير قصد.

خاتمة: نخلص في الأخير إلى أنّ العولمة شملت مجالات الحياة كلّها، بداية بالاقتصاد ووصولاً إلى نمط العيش، محدثة تحولات على مستوى الفرد والمحيط والمجموعة. وما اللّغة التي يتواصل من خلالها البشر إلّا إحدى العناصر التي لم تسلم من العولمة وتأثيراتها التي قد تصلّ بها إلى الاندثار أو الانشطار. ويرجع ذلك عادة إلى ضعف يصيب كيان أهلها ومحيطهم الاقتصادي والاجتماعي والثقافي، لأنّ قوّة اللّغة تستمدّ من قوّة الأمّة والعكس صحيح.

وينطبق الحديث عن قوّة اللّغة في العصر الحالي على الإنكليزية، لغة الاقتصاد والتّسويق والتّعليم والبحث ونشر العلوم والمعارف عبر العالم، كما أنّ امتلاك ناصيتها أصبح مرادفاً للنّجاح المهني والعلمي والتّواصلي. فحضور اللّغة الإنكليزيّة في جميع المجالات والقطاعات قد أفصح عن هيمنة لغويّة أصبحت تقلق أطرافاً دوليّة عديدة عبر العالم، لما تشكّله من خطورة على تراثها اللغوي والثقافي والمادي، وقد نتج عن هذا التّخوّف نوع من التّفكير في طرق المجابهة والمقاومة للحدّ من تفاقم اللّوضع. يأتي التّفكير في الترجمة وترقية صناعتها ضمن استراتيجيات مقاومة الهيمنة اللّغوية للإنكليزية بعدما أن رسخت القناعة على أنّها كفيلة بذلك، وقادرة على افتكاك الريادة في تحقيق التّواصل حينما يتعدّد حصوله من خلال اللّغة العالميّة التي تعيش بدورها في زخم اللّغات. تغدو الترجمة في عصر العولمة سلاحاً ذو حدّين، يعوّل عليه في مدّ جسور التّواصل والتّثاقف بين الشعوب من جهة والحدّ من الهيمنة اللّغوية من جهة أخرى. وبفضل حضور الترجمة، يصبح التّواصل، والتّعلّم والبحث متاحاً للجميع، بعدما كان حكراً على فئة محدّدة، كما يصبح التّسويق والتّجارة والمنافسة أمراً سهلاً على من يلج السوق العالميّة التي كانت هي الأخرى حكراً على من يحمل تأشيرة اللّغة العالميّة. وفي الأخير، إذا كان أمبرتو إيكوي يعتبر الترجمة لغة أوروبا، فلم لا يمكننا أن نعتبرها -بعيدا عن كلّ مزايدة- لغة العالم؟

6. قائمة المراجع:

- Cambridge International Dictionary of English, Cambridge University Press, First published, London, 1995
- Dictionnaire Hachette Encyclopédique, Hachette livre, 1997.

• المؤلفات:

- Apter Emily, Zones de traduction, Pour une nouvelle littérature comparée, Traduis par Hélène Quiniou, ouvertures Fayard, France, 2015, p23.
- Ferrandéry Jean Luc, Le point sur la mondialisation, Presses universitaires de France, Paris, p" 3.
- HELD, David, MCGREW, Anthony, GOLDBLATT, David, PERRATON, Jonathan, (eds), Global Transformations, Stanford University Press, Stanford, 1999

• المقالات:

- BOLDUC David et AYOUB Antoine, La mondialisation et ses effets: revue de la littérature, GREEN, université Laval, Québec, Canada, 2000.

http://www.cms.fss.ulaval.ca/recherche/upload/antoine_ayoub/fichiers/2000-11_La_mondialisation_et_ses_effets.pdf

- Rosenau, J. N, Les processus de la mondialisation: retombées significatives, échanges impalpables et symbolique subtile, Etudes internationales, 24 (3), 497-512. p506.

<https://www.erudit.org/fr/revues/ei/1993-v24-n3-ei3054/703206ar/>

- Schaffner Christina, Globalisation, Communication, Translation, Translation in the Global Village, Language and Society , Multilingual Matters, Vol 2, 2000.

- Abdelkrim BOUFFARA, Le français à l'université, le 22/04/2017». IN Frath, Pierre et José Carlos-Herreras (Dir.), Plurilinguisme et créativité scientifique, Observatoire européen du plurilinguisme (OEP), The BookEdition.com

- Gouadec Daniel, Le bagage spécifique du localiseur/localisateur: le vrai «nouveau profile requis», Meta, N° 4, 2003, P. 534. <https://www.erudit.org/fr/revues/meta/2003-v48-n4-meta725/008724ar.pdf>

- Kristine, Newton, Can Globish be the Language of the World? Examining the Effectiveness of Using Highly Simplified English in International Education, Literacy Information and Computer Education Journal (LICEJ), Volume 4, Issue 3, September 2013. p1166. <https://infonomics-society.org/wp-content/uploads/licej/published-papers/volume-4-2013/Can-Globish-be-the-Language-of-the-World-Examining-the-Effectiveness-of-Using-Highly-Simplified-English-in-International-Education.pdf>

- Nerrière Jean-Paul, Pour être global, parlons Globish, in L'Expression Management Review, N° 122/2006/3, p47. <https://www.cairn.info/revue-l-expansion-management-review-2006-3-page-44.htm>

- Orban Leonard, Langue et traduction: une politique cruciale pour la traduction, Hermès, 56, 10, p24.

- Schumacher Perrine, Avantage et limites de la post-édition, Traduire, 241, 2019, p109. [file:///C:/Users/HP%20G6/Downloads/traduire-1887%20\(1\).pdf](file:///C:/Users/HP%20G6/Downloads/traduire-1887%20(1).pdf)

- Volton Dominique, La traduction, passeport pour accéder à l'autre, Hermès, N° 56, 2010, p9. Lien: http://documents.irevues.inist.fr/bitstream/handle/2042/37393/Hermes_2010_56-9-12.pdf?sequence=3

Cassin Barbara, Intraduisible et mondialisation, Entretien réalisé par Michaël Oustinoff, Hermès, N° 49, 07, p202.

http://documents.irevues.inist.fr/bitstream/handle/2042/24145/HERMES_2007_49_197.pdf?sequence=1

<http://www.bulletin.auf.org/index.php?id=2566#text> (Consulté le 04/01/2021)

• مواقع الإنترنت:

- blog YUQO, La naissance et l'histoire de la traduction automatique. <https://www.yuqo.fr/la-naissance-et-lhistoire-de-la-traduction-automatique/> (Consulté le 21/12/2016)

- Edward Back, Google traduction: la retranscription en temps réel arrive!, FUTURA TECH, 18/03/2020. <https://www.futura-sciences.com/tech/actualites/traducteur-google-traduction-retranscription-temps-reel-arrive-56770/> (Consulté le 09/01/2021)

- Gourd Michel, L'Union européenne et l'avenir de l'anglais, LEDEVOIR, 29 décembre 2020, <https://www.ledevoir.com/opinion/idees/592404/europe-l-union-europeenne-et-l-avenir-de-l-anglais> (Consulté le 03/01/2021).

- <https://tradutec.com/blog/les-chiffres-de-la-traduction-professionnelle-en-2017/>

- <https://unbabel.com/blog/top-languages-of-the-internet/> (Consulté le 08/01/2021)

- https://w3techs.com/technologies/overview/content_language (Consulté le 08/01/2021)

- Jaap van der meer, The Future Does Not Need Translators, 24/02/2016 <https://blog.taus.net/the-future-does-not-need-translators> (Consulté le 10/01/2021)

- Kōichirō Matsuura, Message de M.MATSUURA, Directeur général de l'Unesco, 2008 <https://www.un.org/french/events/iyl/unesco.shtml>, (Consulté le 30/12/2020).

- Lustig Robin, Can English remain the 'world's favourite language? BBC World Service, 23 May 2018, <https://www.bbc.com/news/world-44200901> (Consulté le 01/01/2020)

- Sylvain Rolland, Quand l'intelligence artificielle révolutionne la traduction automatique, La Tribune, 22/12/2016. <https://www.latribune.fr/technos-medias/internet/quand-l-intelligence-artificielle-revolutionne-la-traduction-automatique-626326.html> (Consulté le 22/12/2016)

- Unesco, La diversité linguistique et le multilinguisme sur Internet.
<http://www.unesco.org/new/fr/communication-and-information/access-to-knowledge/linguistic->
- ZDNet.fr, Traduction simultanée : Skype Translator est disponible pour tous sous Windows, 14/01/2016.<https://www.zdnet.fr/actualites/traduction-simultanee-skype-translator-est-disponible-pour-tous-sous-windows-39831182.htm> (Consulté le 09/01/2021)
- diversity-and-multilingualism-on-internet/ (Consulté le 30/12/2020)
- Internet World Stats: <https://www.internetworldstats.com/stats7.htm> (consulté le 03/01/2021)
- Tradutec, Les chiffres de la traduction professionnelle en 2017, <https://tradutec.com/blog/les-chiffres-de-la-traduction-professionnelle-en-2017/> (Consulté le 13/01/2021)
- Vincent Larivière et Nadine Desrochers, Langues et diffusion de la science: le cas des sciences humaines et sociales, 2015 Acfas Magazine, <https://www.acfas.ca/publications/magazine/2015/11/langues-diffusion-recherche-cas-sciences-humaines-sociales> (Consulté le 12/01/2021)



7. هوامش:

1- Voir: Cambridge Dictionary, p600.

2- Voir: Dictionnaire Hachette Encyclopédique, p1236.

3- ينظر: محمد نواز، الترجمة والعولمة (دراسة تحليلية، العلم، 1، 2017، ص156.

4- «Il sert à désigner un mouvement complexe d'ouverture des frontières économiques et de déréglementation, qui permet aux activités économiques capitalistes d'étendre leur champ d'action au niveau de la planète» P. 3

5- Cité par BOLDUC et AYOUB, p7 « propagation de la libre circulation des biens, des services, des capitaux, des hommes et des idées entre tous les pays en faisant abstraction des frontières politiques qui les séparent. ».

6- Held «a process (or set of processes) which embodies a transformation in the spatial organization of social relations and transactions- assessed in terms of their extensity, intensity, velocity and impact- generating transcontinental or interregional flows and networks of activity, interaction, and the exercise of power. » p16

7- Voir: BOLDUC et AYOUB, op cit, p9.

8- Voir: MCGREW, OP Cit, p22.

9- Ibid, p21.

10- Voir: Rosenau, p506.

11- Voir: Christine Newton, p1166.

12- Voir: Lustig

13- Cité par Jean-Paul Nerrière in L'express Management Review, Pour être global, parlons Globish, p47. « Ainsi, ce n'est plus la compétence professionnelle seule qui décide du recrutement, comme il serait de bon sens, mais c'est bien le fait de connaître l'anglais».

14- Voir: Jean-Paul Nerrière, Ibid, p45.

15- Voir: Christina Schaffner, Globalisation, Communication, Translation, Translation in the Global Village, Language and Society, Multilingual Matters, Vol 2, 2000, p1.

16- <https://unbabel.com/blog/top-languages-of-the-internet/> (Consulté le 08/01/2021)

17- https://w3techs.com/technologies/overview/content_language (Consulté le 08/01/2021)

18- Voir: Internet World Stats: <https://www.internetworldstats.com/stats7.htm>

19- Voir: Michel Gourd, L'Union européenne et l'avenir de l'anglais, LEDEVOIR:, 29 décembre 2020, <https://www.ledevoir.com/opinion/idees/592404/europe-l-union-europeenne-et-l-avenir-de-l-anglais>

20- Ibid

21- Voir: Vincent Larivière et Nadine Desrochers, <https://www.acfas.ca/publications/magazine/2015/11/langues-diffusion-recherche-cas-sciences-humaines-sociales>

22- Voir: Abdelkrim BOUFFARA, Le français à l'université, « Un plurilinguisme qui est plutôt synonyme d'anglicisation, avec tout ce que cela implique dans le cas de l'anglais devenu non seulement «une» langue internationale mais «la» langue internationale, ce qui mène les autres langues européennes, chargées de tant d'histoire, à devenir presque des« sous-langues» Voir: e des «dialectes».

23- «Tout-à-l'anglais», expression citée par Michaël Oustinoff,. <https://books.openedition.org/editions-cnrs/15048?lang=fr>

24- Voir: Louis-Jean Calvet, La mondialisation au filtre des traductions, Hermès, N° 49, P47-51.

25- Voir: message de M.MATSURA, <https://www.un.org/french/events/iyl/unesco.shtml>

26- Voir: Unesco, La diversité linguistique et le multilinguisme sur Internet. <http://www.unesco.org/new/fr/communication-and-information/access-to-knowledge/linguistic-diversity-and-multilingualism-on-internet>

27- Voir: Volton, Op cit, p9.

28- Voir: Matssura, Op Cit.

29- Cité par Leonard Orban, Langue et traduction: une politique cruciale pour la traduction, Hermès, 56, 10, p24. «L'Européen devra élever ses fils dans la variété des langues et non dans l'unité»

30- Voir: Leonard Orban, Op cit, PP 24-25.

31- «La langue de l'Europe c'est la traduction», expression citée par Michaël Oustinoff, La traduction enjeu central de la mondialisation, Présentation générale, Traduction et mondialisation, Hermès, CNRS Editions, 2011. <https://books.openedition.org/editions-cnrs/15048?lang=fr>

32- Voir: Louis-Jean Calvet, Op cit, P47-51.

33- «Tout-à-l'anglais», expression citée par Michaël Oustinoff, <https://books.openedition.org/editions-cnrs/15048?lang=fr>

34- Voir: Ibid

35- Barbara Cassin, Intraduisible et mondialisation, Op cit, p202.

36- Voir: blog YUQO, La naissance et l'histoire de la traduction automatique. <https://www.yuqo.fr/la-naissance-et-lhistoire-de-la-traduction-automatique/>

37- Ibid

38- Voir: Brigitte Roudaud, La traduction automatique: l'ordinateur au service des traducteurs, Meta, Vol 37, N°4, décembre 1992, PP 829-832. <https://www.erudit.org/fr/revues/meta/1992-v37-n4-meta338/003997arpd>

39- Voir: Stéfano Lupieri, La traduction automatique fait des pas de géant, Les Echos, publié le 1/3/2019. <https://www.lesechos.fr/weekend/business-story/la-traduction-automatique-fait-des-pas-de-geant-1211737>
« Avec les NMT, on a fait d'un seul coup autant de progrès qu'en dix années de moteurs statistiques »

40- Voir: Edward Back, Google traduction: la retranscription en temps réel arrive!, FUTURA TECH, 18/3/2020 <https://www.futura-sciences.com/tech/actualites/traducteur-google-traduction-retranscription-temps-reel-arrive-56770/> (Consulté le 09/01/2021)

41- Voir: ZDNet.fr, Traduction simultanée: Skype Translator est disponible pour tous sous Windows, 14/01/2016. <https://www.zdnet.fr/actualites/traduction-simultanee-skype-translator-est-disponible-pour-tous-sous-windows-39831182.htm> (Consulté le 09/01/2021)

42- Voir: Sylvain Rolland, Quand l'intelligence artificielle révolutionne la traduction automatique, La Tribune, 22/12/2016. <https://www.latribune.fr/technos-medias/internet/quand-l-intelligence-artificielle-revolutionne-la-traduction-automatique-626326.html> (Consulté le 22/12/2016)

43- Voir: Mathild Rochefort, SiècleDigital, Google traduit enfin les longs discours en temps réel, Le 18 mars 2020. <https://siecledigital.fr/2020/03/18/google-traduction-longs-discours/> (Consulté le 09/01/2021)

44- Voir: Jaap van der meer, The Future Does Not Need Translators, 24/02/2016 <https://blog.taus.net/the-future-does-not-need-translators> (Consulté le 10/01/2021)

45- Mathieu Guidère, Les nouveaux métiers de la traduction, Hermès, 56, 2010, PP 55-56.

46- Ibid

47- Voir: Daniel Gouadec, Le bagage spécifique du localiseur/localisateur: le vrai «nouveau profile requis», Meta, N° 4, 2003, P. 534.

48- Ibid, p57.

49- Voir: Yves Gambier, Réseaux de traducteurs/interprètes bénévoles, Meta, Vol 52, n° 4, décembre 2007, PP 266-267.

50- Guidere, Op cit, p58

51- Ibid p59.

52- Cité par Perrine Schumacher, Avantage et limites de la post-édition, Traduire, 241, 2019, p109. « le segment du marché de la traduction qui connaît la plus forte croissance est celui de la PE de TA »

53- Voir: RWS MORAVIA BLOG, Light and Full MT Post-Editing Explained, 14 Aug 2014, <https://www.rws.com/insights/rws-moravia-blog/bid-353532-light-and-full-mt-post-editing-explained/>

54 Voir: Tradutec, Les chiffres de la traduction professionnelle en 2017, <https://tradutec.com/blog/les-chiffres-de-la-traduction-professionnelle-en-2017/>

لهجة منطقة سطيف من خلال الممارسات اللغوية لدى الفئة المسنة
(قراءة في النظام المعجمي)

The dialect of the Setif region through the linguistic practices
of the elderly population
(Reading in the lexical system)

أ. عبد الحق عيد*

تاريخ القبول: 2022.02.23

تاريخ الاستلام: 2021.03.23

ملخص: كثر الحديث عن تنوع وتعدد لهجات اللغة الواحدة، ويبدو أن هذا التعدد أخذ في الزيادة وإن كنا لا نشعر بذلك، وما هذا إلا نتيجة التغير الاجتماعي الحاصل ميدانيا والذي يدعمه الاختلاط والتفاعل بين مختلف المجتمعات، والتطور الحضاري، الأمر الذي يولد على مر السنين عديد اللهجات التي تنطبع بخصائص المجتمعات الجديدة الناتجة عن التداخل والاحتكاك، والقول بتعدد اللهجات لا يعني تباينها الظاهر في مختلف المستويات، وإنما هو مجرد إشعار بوجود اختلافات بسيطة بينها قد لا تتعدى بعض الظواهر الصوتية، أو بعض المفردات، ومن هنا فإن دراسة لهجة منطقة معينة يشمل في مضمونه دراسة للهجات المجاورة، أو حتى البعيدة في بعض الأحيان. وسأطرق في هذا المقال إلى إحدى هذه اللهجات والمتمثلة في لهجة منطقة سطيف لدى الفئة المسنة محاولا في ذلك بقراءة النظام المعجمي لدى هذه الفئة.

كلمات مفتاحية: اللهجة؛ الفئة المسنة؛ الظواهر الصوتية؛ النظام المعجمي.

Abstract: There has been a lot of talk about the diversity and plurality of dialects of the same language, and it seems that this multiplicity is increasing even if we do not feel that, and this is only the result of social change taking place in the field and supported by mixing and interaction between different societies on the one hand, and civilization development on the other hand, which generates Over the years, the various dialects are imprinted with the characteristics of new societies resulting from overlap and friction, and saying that the dialects are multiplied does not mean their apparent variation at different levels, but rather it is just a notice that there are slight differences between them that may not go beyond some phonemic phenomena, or some vocabulary, hence the study of dialect A specific region includes in its content the study of the dialects adjacent, or sometimes even remote.

In this article, I will touch upon one of these dialects, represented by the dialect of the Setif region among the elderly, in an attempt to read the lexical system of this group.

Keywords: The dialect; the elderly population; Acoustic phenomena; the lexical system.

* - جامعة محمد لمين دباغين سطيف2، الجزائر.

البريد الإلكتروني: a.aid@univ-setif2.dz (المؤلف المرسل)

1. مقدمة: تعتبر اللهجة خزانا وخزانة معرفية لا غنى عنها، يمكن لها أن توفر على المؤرخ بحثاً ودراسة وتعمقاً كبيراً لاكتشاف قضية قد يجدها في كلمة عامية ما، في لفظ من ألفاظ لهجتنا المحكية المحلية، ونذكر على سبيل الحال اللهجة السطايفية التي عرفت تطوراً سريعاً وهذا نتيجة احتكاكها باللهجات المجاورة، نظراً للموقع الاستراتيجي الذي تحتله مدينة سطيف، والذي جعلها قطبا اقتصاديا هاما يقصده الناس من كل صوب وحذب الأمر الذي يسهل الاختلاط والاحتكاك بين مختلف اللهجات ويفقد اللهجة السطايفية خصوصياتها، فضلا عن انتشار التعليم الذي من شأنه التأثير على اللهجة بشكل كبير.

اعتمدت في هذا المقال المنهج الاستقرائي الاستنباطي، والذي به يمكن أن أقف على النظام الصوتي والمعجمي للهجة سطيف، وذلك من خلال ملاحظتي للممارسات اللغوية للفئة المسنة، والتي يفترض أنها تحافظ على معيار اللهجة الأصلية بسبب عدم احتكاكها بالوسط الخارجي الذي تنازعه عدة لهجات ولغات، وهذا ما يقلل تأثيرها بهذه اللغات، مما يجعل لغتها أكثر تمثيلا للهجة سطيف المقصودة بالبحث. ومنه نطرح الإشكالية التالية:

- فهل بإمكان هذه العينة حقيقة أن تمدنا بالمعطيات اللغوية الكاملة عن لهجة سطيف؟ وللإجابة على هذه الإشكالية قمت بجمع مدونة احتوت على خمس ساعات من الحديث، وذلك عن طريق المقابلة الشفهية الذي شاركت فيه مجموعة من فئة الرجال المسنين، السطايفيين في الأصل (حسب أقوالهم)، تراوحت أعمارهم بين الستين (60) والواحد وثمانين (81) عاما، وقد تمت هذه المقابلة أمام ساحة البريد المركزي لمدينة سطيف، فالموقع مقصود نظرا لاحتوائه على الفئة المسنة السطايفية، مما جعلني أنهي جمع المدونة في ظرف أربعة أيام، أما عن المادة، فكانت مواضيع متنوعة تضمنت الحديث عن: ذكريات الماضي بما في ذلك أيام الثورة ويوم الاستقلال، عادات وتقاليد المنطقة بين الماضي والحاضر، أطباق تقليدية، أغاني شعبية، بالإضافة إلى مواضيع أخرى جرها سياق الحديث.

الدراسات السابقة: استعنت في تقديم هذا المقال على بعض الدراسات التي تناولت وعالجت موضوع اللهجة والممارسات اللغوية؛ نذكر منها:

. مؤلفات خاصة بالجانب الاجتماعي: منها:

. علم اللغة الاجتماعي: لكمال بشر.

- اللغة واختلاف الجنسان: لأحمد مختار عمر.

. مؤلفات تتعلق بالجانب الصوتي: منها:

. الأصوات اللغوية لإبراهيم أنيس

. الصوتيات، لمصطفى حركات

- مراجع تتعلق بالدراسة المعجمية: وأغلبها معاجم منها:

- لسان العرب لابن منظور

- القاموس المحيط للفيروز أبادي

- العامية الجزائرية وصلتها بالفصحى، لعبد الملك مرتاض

2. اللهجة بين المفهوم اللغوي والاصطلاحي

1.2 مفهوم اللهجة لغة: اللهجة، يقال: لهج بالأمر لهجاً: أولع به واعتاده، واللهجة واللهجة: طرف

اللسان وجرس الكلام، ويقال: فلان فصيح اللهجة، وهي لغته جُبل عليها، فاعتادها ونشأ عليها (ابن منظور، 2007، ص 264)

2.2 مفهوم اللهجة اصطلاحاً: اللهجة هي مجموعة من الظواهر اللغوية تنتهي الى بيئة جغرافية معينة ويشارك في هذه الظواهر جميع أفراد هذه البيئة (النادري، 2009، ص 41)، والمقصود بالظواهر اللغوية في هذا التعريف هي صفات تتعلق بتدقيق مخارج الحروف وكيفية نطقها ووضع أعضاء النطق مع بعض الأصوات ومقياس أصوات اللين وكيفية إمالتها وكيفية التفاعل بين الأصوات المتجاورة حين يتأثر بعضها ببعض. فإذا تفشت هذه الصفات في بيئة جغرافية معينة وسمت لهجة أهل هذه البيئة بما يميزها عن سواها من لهجات البيئات المجاورة. وقد تتسع هذه السمات قليلاً لتشمل بعض المفردات والتراكيب، ولكن إن اتسعت رقعة التمايز لدرجة اختلفتا اختلافاً بيناً من حيث المفردات ودلالاتها ومن حيث صيغ الأفعال وأنواع الجموع وأداة التعريف وقواعد النحو تحولتا إلى لغتين (أنيس، 2007، ص 45).

3. لغات التخاطب في سطيف منذ القديم: إن الحديث عن لغات التخاطب في سطيف عبر مراحلها التاريخية، هو حديث عن تطور لغوي تاريخي، بدأ منذ أن عمر الإنسان المنطقة، ومعه بدأت قصة لهجة سطيف، التي أحاول - فيما يلي - رسم معالمها من خلال الأطوار التاريخية المتعاقبة والتي خلفت - دون شك - آثارها الواضحة والبليلة في معظم الأحيان على لغة التخاطب، فاللغة تتغير باستمرار بتغير المجتمع الذي يستخدمها، فتختلف من وقت إلى وقت، ومن مكان إلى مكان، وليس هذا التغير عمل فرد أو أفراد - وإن كان يحدث أحياناً - بل عمل المجتمع بأسره، لأن اللغة ظاهرة اجتماعية، كتلك الظواهر التي يستمسك بها المجتمع من الأعراف والتقاليد وأنماط السلوك المختلفة، لا تكاد تثبت حتى تتغير، ولكن التغير اللغوي يستغرق وقتاً طويلاً حتى يسود ويستقر إلى حين، لأنه يسري ببطء لا يكاد يدرك. (حسن عبد العزيز، 2009، ص 89).

فلهجة سطيف إذن بدأت مع سكانها الأوائل وهم البربر الذين كانوا يتكلمون اللغة الأمازيغية، وقد أطلقوا على المنطقة تسمية "أزديف" ثم سكن الرومان البلاد وأطلقوا عليها اسم سيتيفيس، فأصبحت اللاتينية لغة رسمية، بها تتم الكتابة، وبها تتم المعاملات الإدارية والرسمية.

أما الأفارقة- وهم الجنس الناتج عن الاختلاط بالسكان المحليين، فقد كانوا يتكلمون لغة تشبه (تلك اللغة التي كان يتكلمها أهل الموانئ والشواطئ على ضفاف البحر الأبيض وتسمى (le sabir) أي اللهجة، وهي خليط من لغات البحر الأبيض كلها) (مؤنس، 1992. ص 77)، وتسمى وإلى جانب هذه اللهجة كانت الأمازيغية تصارع من أجل البقاء وذلك على ألسنة العامة، مما شكل ازدواجية لغوية على مستوى المنطقة استمرت بتوالي الغزاة المتعاقبين عليها، فحلت لغات الوندال والبيزنطيين تاليا محل اللغة اللاتينية، وبقي الوضع اللغوي على حاله طوال فترة ما قبل الإسلام، وهي الفترة التي دامت طويلا، وتعاقب على سطيف - خلالها - الرومان والوندال والبيزنطيون" في أدوار تاريخية متعاقبة، ففرضوا عليها لغاتهم وقومياتهم وأعرافهم وثقافتهم وعقائدهم المفروضة بالإكراه (عبد الرحمان، 1969. ص 194)، فكانت لغاتهم لغات الكتابة والثقافة والإدارة وظل الوضع اللغوي على حاله إلى دخول العرب الفاتحين المنطقة، والذي على إثره دخلت اللغة العربية ثم أخذت في الانتشار لتشمل مع نهاية القرن الثامن منطقة سطيف.

وإذا حاولنا أن نرسم صورة آنية للهجة سطيف فسنجد أنها لهجة تنازعها عدة لغات ولهجات، ففيها ما هو فصيح، وفيها ما ينتسب إلى لهجات عربية، كما تنهل من الأمازيغية - وإن كان أغلب سكانها اليوم يتكلمون العربية الدارجة - إذ نجد ألفاظا أمازيغية صريحة، إلى جانب بعض الصيغ الأمازيغية. من جهة أخرى تعتبر لهجات الهلاليين والفاطميين، ولهجات اليمن وشبه الجزيرة العربية، أهم اللهجات العربية التي منها تبلورت لهجة سطيف، بعد أن فقدت الكثير من خصائصها بمرور الزمن، كفقدان الإعراب وبعض الصيغ الصرفية، كصيغة الفعل المبني للمجهول" فأثناء تطور اللغات جنح الناطقون بها. ولا سيما بعد أن دخلت بينهم شعوب كثيرة غريبة عن المجتمع النقي القديم - إلى التخفيف من قيود الإعراب، وهكذا اختفى نهائيا في اللغات واللهجات الحديثة التي ولدت من اللغات القديمة الفصحى (ظاظا، 1990. ص 25).

هذا ونعثر على عناصر من اللغات الفارسية والتركية متناثرة في ثنايا لهجة سطيف، فضلا عن الكم الهائل من الألفاظ والأصوات الفرنسية التي بقيت عالقة في اللهجة. هذه هي لهجة سطيف اليوم نتاج إرث تاريخي تمخض عن لقاء لحضارات ولغات مختلفة أسهمت كلها بشكل أو بآخر في تكوين اللهجة السطيفية الحديثة.

4. الممارسات اللغوية للفئة المسنة: لم تحظ الممارسات اللغوية للفئة المسنة باهتمام كبير من طرف الدارسين اللغويين "وإن كثرت الحديث عنها في بعض المناسبات، ولم تول بالعناية والنظر لهذه الفئة إلا في "منتصف القرن السابع عشر، حيث ظهر عدد من الدراسات تعرض للخلاف اللغوي بين الجنسين في مجتمع الهنود الكاريبي" (مختار، 1996) وذلك حين أدرك هؤلاء الدارسون بأن "الاختلافات اللغوية مجرد انعكاس للاختلافات الاجتماعية، وما دام المجتمع يقدم كلا من الرجل والمرأة على أنهما

جنسان مختلفان وغير متساويين، فستبقى الاختلافات اللغوية بين الاثنين "إذن للمرأة لغة خاصة، تميز لغتها عن لغة الرجل، وتتجلى هذه الخصائص في مختلف المستويات، وخاصة في مستوى الأصوات والمستوى المعجمي، ونذكر هذه الخصائص فيما يلي :

1.4 - في مجال الأصوات: يتميز صوت المسنين بالهدوء والبطء وانخفاضه، فيندر أن نجد مسنين يصرخون وهم يتلون كلاما سريعا وقد يفسر ذلك بالتعب والإرهاق الذي أتى عليهم، مادام الجهاز النطقي أحد الأجهزة الحيوية، فهو أيضا عرضة للإرهاق والتعب.

ينطق المسنون صوت التاء تاء فصيحة في الغالب-بدون زائدة سينية-وهذا يعني أن نطق الشباب له بهذه الكيفية يعود إلى احتكاكهم بغير السطايبيين، وهو ما يثبتته الواقع، بحيث أتيحت في أيامنا هذه فرص الالتقاء والاحتكاك بدرجة مذهلة، قد تؤثر في الكثير من الأصوات أيضا.

وما نجده شائعا بين المسنين أيضا هو نطق السين قريبة من التاء، ويعود ذلك إلى فقدان الأسنان التي بدونها يتعذر نطق السين، كيف لا وهو صوت أسناني.

كما يحدث أن تشبع بعض الأصوات بالسين كقولهم "كلشس" في "كلش" حيث أشبع صوت الشين بالسين، وما هذا إلا تأثير الأسنان الاصطناعية، التي قد لا يألفها المستنون فتفلت منها بعض الأصوات الزائدة.

2.4 - على مستوى المفردات والتعابير:

يشترك معجم المسنين مع معجم الشباب في أغلب محتوياته لأن اهتماماتهم هي نفسها منذ القديم، ويبدو معجم الفئة الشابة أكثر ثراء من ناحية المفردات الدالة على الحضارة والرقى والموضة. من جهة أخرى فقد هذا المعجم الكثير من الألفاظ والتعبير كما استبدل بعضها بعبارات أخرى، ومن الألفاظ التي فقدتها ما كانت تتعلق بصناعة تقليدية اندثرت مثلا المنسج، السداية، النيرة، لقيام... وهي كلها تتصل بصناعة الزرابي والبرانس عن طريق المنسج التقليدي... أو ما أسهم الزمن في اندثارها كأسماء بعض الأقمشة التي لم تعد موجودة الآن مثل: دالاس-كاس العالم-دبشة...، أما الألفاظ والتعابير التي استبدلت ندرجها في الجدول المبين في الملاحق (انظر الشكل رقم 01).

5. النظام المعجمي للهجة سطيف لدى عينة الدراسة: من خلال المدونة التي قمت بإعدادها على الألفاظ اللغوية السطايفية، وجدتها معربة ودخيلة، وقد حرصت بأن تتضمن القائمة الألفاظ الخاصة بمنطقة سطيف وما جاورها، وذلك على النحو التالي:

1- ألفاظ العامية الجزائرية التي تختلف مدلولاتها من جهة إلى أخرى عبر مناطق الوطن، فتحمل مدلولين أو أكثر، اكتفيت بشرح معناها في اللهجة.

2- ألفاظ العامية الجزائرية التي تختلف تأديتها تبعا لاختلاف جهات الوطن، وتتراوح هذه الاختلافات بين الهمس والجهر، والتفخيم والترقيق، والزيادة والحذف.

3- الألفاظ المقترضة التي تستعملها اللهجة وما جاورها، في حين تستعمل اللهجات الجزائرية الأخرى ألفاظا بديلة سواء مقترضة أم فصيحة.

4- الألفاظ العربية الفصيحة معنى ومبنى، والتي يستعملها متكلموا اللهجة، دون أن يدركوا بأنها فصيحة.

5- الألفاظ العربية الفصيحة التي تغيرت دلالاتها نسبيا، وأصبح معناها في اللهجة معنى آخر، فيه بعض من المعنى الأصلي، وفي هذه الحالة حاولت دائما إيجاد العلاقة بين المعنيين، هذه العلاقة التي قد تكون واضحة، كما قد تكون غامضة تفسر غالبا بالمجاز وعلاقاته المختلفة (السببية والمسببية والمجاورة والتضمنين والمشابهة...)

وقد وضعت هذه الألفاظ ضمن حقول دلالية أكبرى مستوحاة من تصنيف أحمد مختار عمر الذي عاد فيه إلى معجم (Greek New Testament) هذه الحقول هي:

1- الموجودات

2- الأحداث

3- المجردات

4- العلاقات

وفيما يلي إطلالة سريعة على أهم ما تضمنته هذه الحقول:

1- حقل الموجودات: ويشتمل على كل لفظ يعبر عن شيء محسوس، وينقسم إلى الحقول التالية:

أ- حقل الملابس والحلي ومواد الزينة.

ب- حقل السكن ولوازمه: زوايا البيت وجدرانه، أثاث، أواني.....

ت- حقل مهن ومراكز اجتماعية وأوصاف عامة.

ث- حقل الأطعمة وصفاتها: أطباق تقليدية، حلويات، لحوم، خضر،

ج- حقل الأرض: ويضم ما تحتويه الطبيعة من تضاريس.

ح- حقل مباني ومرافق عامة.

خ- حقل كلمات تدل على أشياء متفرقة.

2- حقل الأحداث: ويشمل الأنشطة التالية:

أ- النشاط الحركي: وفيه كل فعل يتطلب القيام بحركة إرادية مهما كان نوعها.

ب- النشاط الانفعالي: ويتضمن أفعالا تدل على ما يختلج في النفس من أحاسيس.

1- الحقل الدلالي هو مجموعة من الكلمات ترتبط دلالتها، وتوضع عادة تحت لفظ عام يجمعها، مثال ذلك كلمات الألوان في اللغة العربية، فهي تقع، تحت المصطلح العام "لون"، وتضم ألفاظا مثل: أحمر، أزرق، أصفر.... انظر أحمد مختار عمر، علم الدلالة، عالم الكتب، القاهرة، 1998، ط 3، ص 79.

وما تشعر به إزاء ما تعرض له.

ت-النشاط الحسي: ويشمل ما يصدر من أفعال يكون مصدرها إحدى الحواس.

ث-النشاط الكلامي: وفيه كل الأفعال التي تتطلب القيام بعملية الكلام، سواء كان ذلك تصريحاً أو تلميحاً.

ج-النشاط الذهني: ويتضمن الأفعال التي تنشأ عن نشاط الذهن.

خ-النشاط الطبيعي: وضمته الأفعال التي لا يكون الإنسان سبباً مباشراً في حدوثها.

3. حقل المجردات: ويشمل:

أ-ألفاظ تعبر عن معاني مجردة

ب-ظروف الزمان والمكان والأدوات العامة.

وتجدر الإشارة إلى أن ألفاظ هذا المعجم قد وردت على صيغتها التي وردت بها في المدونة، سواء كانت أفعالا ماضية أم مضارعة، مسندة إلى متكلم أم مخاطب، مفرداً أم جمعا، وسواء كانت الأسماء مفردة أم جمعا. وقد رتبت هذه الألفاظ ألفبائياً داخل الحقل الواحد-بحسب الحرف الأصلي الأول للكلمة دون اعتبار للسوابق التي تسبقها، في حين أخذت بعين الاعتبار ما يلحق الكلمة من تغيير يمس حشوها أي حروفها الوسطى، فالأجوف الواوي يأتي قبل الأجوف اليائي، وإن كانت أصولها تقضي بعكس ذلك.

وفيما يلي معجم الألفاظ اللغوية السطافية:

حقل الموجودات:

أ-حقل الملابس والحلي:

بنوار: وهو اسم اللباس السطافي العادي الخاص بالنساء، ويبدو أن اللفظ دخل من الفرنسية أصلة (peignoir) أي قميص الحمام، أما عن سبب هذه التسمية فيرجح أن تكون لعلاقة المشابهة بين اللباسين السطافيين وقميص الحمام، ويظهر ذلك خصوصا في طول كل منهما، واقتارانه بحزام عند ارتدائه.

جيبون: كلمة دخيلة من الفرنسية أصلها (jupon) ويعني تنورة داخلية.

شاشية: يقصد بها الطاقية التي توضع على الرأس، ويحتمل أن يكون هذا الاسم مشتق من لفظ

الشاش وهو عبارة عن قماش رقيق يلف به الرأس.

شرب أزدف: اسم أشهر أقمشة البنوارات في سطيف على الإطلاق، وقد أخذ تسميته من الرسوم

الحيرية الموجودة عليه، والتي تكون على شكل أصداف واحدها صدفة، أصبحت زدف، في لهجة

سطيف بسبب التغيرات الصوتية والصرفية الحاصلة عليها، والمتمثلة في جهر الصاد وتحول المفرد

(صدفة) إلى الجمع (زدف). أما لفظة "شرب" فهي تعكس نوعية هذا القماش الذي يتميز بأنه لا يتأثر

بالغسيل فلا يقلص حجمه، أي "مايشربش" بلهجة سطيف. فاللفظ إذن مستعمل على سبيل الضد.

لفرقاني: هو لباس تقليدي قسنطيني الأصل، لكنه مشهور في أغلب مناطق الوطن، منها سطيف على وجه الخصوص، وهو عبارة عن ثوب فضفاض من القطيفة مطرز بخيط ذهبي اللون، ويبدو أنه استوحى اسمه من لقب فنان المألوف القسنطيني، محمد الطاهر الفرقاني لأن عائلته هي التي اشتهرت بصناعته.

قمجة: تطلق هذه التسمية على القميص الرجالي من جهة، وعلى ثوب داخلي يخص النساء أيضا، ويبدو أن هذا اللفظ قد أخذ من اللفظ العربي قميص.

لمحرمة لفونار: المحرمة وشاح مربع الشكل تغطي به المرأة شعرها، ويحتمل أن تكون اللفظة مأخوذة من فعل "حرم" أي منع، ذلك أن المرأة تحرم غيرها من رؤية شعرها بارتدائها المحرمة. أما الفونار، فهو قماش رفيع.

ملاس: هو قماش ناعم الملمس، تصنع منه الملابس الداخلية النسوية، وخصوصا لجوابن¹، ويحتمل أن يكون قد أخذ تسميته من صفته كونه أملس أي ناعما، عكس الخشن.

كرافاش: هو عبارة عن سلسلة ذهبية سميكة تتكون عادة من خيطين ملتوين حول بعضهما البعض، وهي بذلك تشبه السوط الذي يضرب به، والذي يعرف في اللهجة بالكرافاش.

أ-2: مواد الزينة:

لجوز لجار: هو عبارة عن عروق شجر الجوز، تستعملها المرأة لتدليك لثتها فتصبح وردية إلى حمراء اللون، مما يزيدها حسنا وبهاء، وهو حار الطعم، أي لاذع.

ازليجية: هي مستحضر من مستحضرات التجميل يستعمل لإبراز الحاجب، "وهو نوع من الوشم، يستخدم بمزج المكونات من القرنفل وقشر اللوز، وسلفات النحاس، ويوضع هذا الخليط في إناء صغير يسمى "زليزية" ويوضع على نار هادئة للحصول على سائل أسود سميك لامع ومعطر، ويلصق هذا المزيج على الجبهة، الوجنات، الذقن... بواسطة رأس رفيع... وتكون الزخارف المرسومة عبارة عن نقاط، صلبان أو زخرفة على شكل V

حقل السكن ولوازمه:

باطات: ج، مفردا باط(ة)، وهي كلمة دخيلة من الفرنسية أصله (boite) التي تعني العلبة. لبوسط: يقصدون به المذياع، والكلمة دخيلة من الفرنسية أصلها جهاز استقبال (poste) وقد تخصصت دلالة الكلمة لتقتصر على الراديو، دون غيره من أجهزة الاستقبال.

لبرم: ج، مفردا برمة وهي القدر، واللفظ فصيح، فقد ورد في لسان العرب: البرمة: القدر مطلقا. حيك: هو غطاء متخذ من الصوف، تصنعه النساء قديما في بيوتهن، وهو نوعان أحمر وأبيض (باعتبار اللون الغالب عليه)، أما تسميته فهي مشتقة من عملية حياكته أي نسجه.

1 لجوابن ج: مفردا جيبون.

ركنة: هي زاوية البيت، وقد جاء في ل. ع "ركن الشيء هو جانبه الأقوى"، وهو كذلك في اللهجة فزاوية البيت هي أقوى ما فيه، وقد وردت اللفظة في صيغة المؤنث، وهو أمر كثير الحدوث في لهجة سطيف.

أزور: ج، مفردا زورة، وهي غطاء متخذ من الصوف يشتري جاهزا واللفظ كما يبدو مشتق من الإزار، وهو كل ما يتخذ للغطاء.

اسيلان: هو السلك مطلقا، أما في الفرنسية التي يرجح أنه أخذ منها فهو سلك خارجي أصله sillon وقد عمم اللفظ في اللهجة ليشمل مختلف أنواع الأسلاك.

أطلاعة: هي القفة، ويحتمل أن تكون اللفظة مأخوذة من لفظ "طلاع" فقد جاء في الصحاح: "طلاع الشيء ملؤه"، ذلك أن الطلاعة وجدت أساسا لتملاً بمختلف الأشياء، فالعلاقة بين المعنيين علاقة سببية.

لكسكاس: هو الإناء الذي يوضع فيه الكسكس ليفور ويطهى، واللفظة أمازيغية-حسب محمد شفيق-الذي يقول بأنه: "سعي بذلك لأنه مثقوب القعر ينظر من خلاله من الفعل.

لكواعط: هي الأوراق، واللفظ دخيل من الفارسية أصله كاغد، أبدلت داله طاء.

حقل الأحداث:

النشاط الحركي:

حدر: نزل، وهي كلمة فصيحة، فقد ورد في اللسان: "الحدر من كل شيء تحدره من علو الى أسفل.

حزم: ربط وشد: "وحزم الشيء يحزمه حزما شده

حكموه: يستعمل هذا الفعل في اللهجة للدلالة على معنى الإمساك، فحكموه تعني أمسكوه أو قبضوا عليه وفي الجهمرة: "أحكمت الرجل وحكمته عن كذا وكذا أي منعته"، وهو المعنى الذي يصب فيه معنى اللفظ السطايفي، ففي إمساك الإنسان منع له من القيام بنشاطاته المعتادة، وفي الإمساك بالشيء منع له من السقوط والإفلات.

النشاط الانفعالي:

بغيت: أردت وتمنيت، وهي لفظة فصيحة من "بغى الشيء طلبه وأنشده.

سخفت: أي اشتيت، وهو فصيح، ففي مجمل اللغة: "ووجدت سخف من الجوع، وهي الخفة تعتري

الإنسان إذا جاع.

تشتي: تحب، وأصلها تشتهي وقد حذفت هاؤها.

نلاويو: من لاوى يلاوي، ويقصدون به تحمل واحتمل وصبر، ويرجح أن يكون أصل هذا الفعل من

"يتلوى" وذلك في قولهم: يتلوى من الجوع، أي يتضور جوعا، وهي كناية عن شدة التحمل والصبر.

النشاط الحسي:

دق: أطل النظر مدققا فيه، وهو فصيح، ففي اللسان: "المدنق المستقصي، يقال دق إليه، النظر والتدنيق مثل الترنيق، وهو إدامة النظر إلى الشيء.

نعتلي: أراني، ويبدو أن هذا الفعل قد اشتق من النعت أي الوصف، فقد انتقل معنى اللفظ من الوصف المجرد في الفصحى إلى الرؤية المحسوسة في اللهجة، وذلك على سبيل الاستعارة، وهذه الظاهرة موجودة في الفصحى، والهدف منها توضيح الفكرة المجردة التي قد يصعب على الأذهان فهمها.

النشاط الطبيعي:

يسيح: أي يتدفق ويسيل، والكلمة فصيحة فقد ورد في القاموس المحيط: ساح الماء يسبح سباحا وسيحانا جرى على وجه الأرض.

ظنات: أي أنجبت، والفعل فصيح، ففي اللسان: "ظنأت المرأة، كثر ولدها، فهي ظانئ.

راجلي: أي ضاع لي، وهو مأخوذ من راح إذا ذهب فلم أعد أراه أو أملكه.

حقل المجردات:

حقل كلمات تدل على معاني مجردة:

بكري: قديما في زمن مضى، وفي القاموس المحيط، "باكره أتاها بكرة، بادر إليه"، وهذا يعني أن اللهجة قد بالغت في تقدير الإيكار بوصفه ما مضى من الزمن.

حائر: قبيح أو فاسد عكس مليح، جاء في القاموس: "والحائر المهزول، والردكوما هو إلا حائر من الحوائر أي لا خير فيه"، فالمعنى العام الذي ينحو إليه لفظ الحائر هو كل ما كان رديئا ومذموما، وهو ما يقصد به في اللهجة.

سهمهم: أي نصيبهم، واللفظ فصيح، ففي اللسان، "السهم: النصيب.

حقل ظروف الزمان والمكان والأدوات العامة:

برك: فقط ويكفي، ولعلها مشتقة من البركة، يقولون "برك" أي هذا الشيء فيه بركة، ويكتفي بما أعطي منه.

توال: أمام أو بجانب، ويبدو أن اللفظ مأخوذ من التولة، وهو حرز تستعمله المرأة لتبقي زوجها بجانبها، و"التولة ما تحبب به المرأة إلى زوجها"، فالعلاقة بين المعنيين علاقة مجاورة.

ضك: ظرف زمان بمعنى الآن، وأصل الكلمة-فيما يبدو-درك من الإدراك أبدلت فيها الدال ذالا، ثم فحمت لتصبح ضادا، أما رؤها فيمكن أن تحذف، كما يمكن أن تبقى على حالها في حالة (ضرك)، وفي اللسان: "الدرك اللحاق والوصول إلى الشيء أدركته. إدراكا"

لاه: أداة استفهام واستنكار بمعنى لماذا، وأصل الكلمة فيما يبدو من "ليه" المستعملة في المشرق العربي وخصوصا في مصر، والتي تحمل نفس المعنى إذ تتكون من اللام الاستفهامية و"يه" التي تعني ماذا، وهكذا تكون اللفظة السطافية مأخوذة من اللفظة المصرية، بإبدال يائها ألفا.

6. خاتمة: سعيت من خلال هذا البحث إلى الكشف عن النظام الصوتي والمعجمي لل لهجة سطيف، وذلك من خلال الممارسات اللغوية للفئة المسنة، أخذاً بعين الاعتبار معرفتي الشخصية لل لهجة بشكل عام، وبذلك استخلصت بعض النتائج منها:

- إن أحسن وسيلة لدراسة لهجة سطيف هي أخذها من متكلميها وهم الفئة المسنة، وذلك من خلال الوقوف عند بعض الفروق بين اللغة التي تستعملها هذه الفئة واللغة الرائجة بين أوساط الفئات الأخرى في أيامنا هذه، مما يعني أننا لا يمكن أن نعتبر هذه الأخيرة معياراً لدراسة لهجة سطيف، ذلك أن اختلافها عن لغة الفئة المسنة في بعض الخصائص. إنما يعود بالإضافة إلى اختلاف الاهتمامات والانشغالات إلى تعرضها لمؤثرات خارجية كالاختلاط والتعليم وانتشار وسائل الاتصال؛

- تتميز هذه اللغة من الناحية الصوتية بالنطق الفصيح لصوت التاء في الغالب (أي دون إلحاقه بالزائدة السينية المنتشرة حالياً) كما تتميز بفقدان شبه كلي لصوتي ال Vop الدخيلين وتعويضهما بصوتي الباء والفاء على التوالي؛

- أما من الناحية المعجمية فأهم ما يميزها هو التداخل اللغوي بين العربية الدارجة والفرنسية وذلك نظراً للظروف الاستعمارية، حيث عممت اللغة الفرنسية، مما أدى إلى استعمال بعض الكلمات الأجنبية التي أصبحت من العادات اللغوية مثل gateau; madame; normal، هذا إلى جانب الكم الهائل من الكلمات الأجنبية المترجمة ترجمة حرفية مثل الفاميلة - الباطيمة.

- في النظام نجد أن في ال لهجة ظواهر صوتية أخرى، هي الحذف والقلب والإبدال وذلك في إطار تيسير النطق؛

- في النظام المعجمي نجد معظم الألفاظ السطيفية عربية فصيحة أو محرفة، منها ما جاء بصيغته الفصيحة، وبالدلالة نفسها، مع بعض التغير في مصوتاتها، ومنها ما جاء محرف الصيغة واحتفظ بدلالته؛

- في ال لهجة بعض الألفاظ الفصيحة في مبناها، لكن معناها يختلف عن المعنى الفصيح.

- في ال لهجة عدد معتبر من الألفاظ التي تعود إلى أصل أمازيغي.

- تجمع لهجة سطيف بين عدة مميزات وخصائص لهجية منتشرة في مناطق مختلفة من الوطن، لكنها لا تجتمع كلها وبهذه الصفة إلا في هذه ال لهجة، التي بالإضافة إلى هذه الخصائص، تنفرد بمميزات أخرى، لا تتضمنها تلك ال لهجات.

7. قائمة المراجع:

- ابراهيم أنيس. (2007). الاصوات اللغوية. مصر: المكتبة الانجلو مصرية بيروت. صفحة 45.
- الانصاري ابن منظور. (2007). لسان العرب. القاهرة: مطبعة المعارف. صفحة 264
- حسن ظاظا. (1990). اللسان والإنسان. دمشق: دار القلم دمشق. صفحة 25
- حسين مؤنس. (1992). تاريخ المغرب العربي، من قبيل الفتح العربي إلى بداية الاحتلال. بيروت : العصر الحديث للنشر والتوزيع بيروت. صفحة 77.
- عائشة عبد الرحمان. (1969). لغتنا والحياة. مصر الجديدة: مطبعة الجبلاوي مصر. صفحة 194
- عمر مختار. (1996). علم الدلالة. لبنان: دار المعارف. صفحة 152
- محمد أسعد النادري. (2009). فقه اللغة، مناهله ومسائله. صيدا: المكتبة المصرية بيروت. صفحة 41
- محمد حسن عبد العزيز. (2009). المعجم التاريخي للغة العربية وثائق ونماذج. القاهرة: مطبعة دار السلام مصر. صفحة 89.

8. ملاحق:

العبارات القديمة	العبارات التي أخذت محلها
ماعنديش خبر	ماعلابليش
دار الشرع	المحكمة
يخطوا عليها العين	يستحقروها
كما ظهرلك	كما تحب
صبغنا لوضو(ء)	توضينا

شكل رقم 01: الألفاظ والتعابير المتداولة قديما والتي أخذت محلها



مصطلح التناس وترجمته بين التراث والدراسات اللسانية الحديثة of Intertextuality and its translation The term between Heritage and modern linguistics studies

أ. كريم الطاهري*

أ.د. حفيظة بلقاسمي²

تاريخ القبول: 2021.12.23

تاريخ الاستلام: 2021.06.12

ملخص: يعتبر التناس ظاهرة لغوية قديمة قدم التاريخ، فطّر عليها الإنسان العاقل الأول تمثلت في فكريتي التداول والمحاكاة. نظرا لإغريق لتمظهرات الظاهرة المتمثلة في التماهي بين النصوص، وقد تطرق الشعراء العرب إلى التداخل النصي بين الأشعار، وقام ابن قتيبة وابن خلدون وابن طباطبا العلوي وابن رشيق بالتنظير للظاهرة في شقيها المحمود المتمثل في التداخل النصوي والمذموم المتمثل في السرقات الشعرية. قام الناقد الروسي ميخائيل باختين بإرساء أول الإرهاصات لنظرية التناس التي سماها بالحوارية، وعلمها قامت جوليا كريستيفا ببناء نظريتها الحديثة حول التناس. شكلت دراسات النقاد العرب لمصطلح التناس في ثوبه الغربي الحديث واختلاف ترجماتهم أزمة نقدية حقيقية فانقسموا إلى قسمين أحدهما أكد أن ظاهرة التناس قد تم التعرض لها من طرف العرب قديما في حين أجزم آخرون أن التناس ظاهرة حديثة ظهرت بعد تطور اللسانيات وظهور النظريات اللغوية الحديثة. وعليه يهدف هذا البحث أساسا إلى التحقيق في أصول التناس في الدراسات اللسانية الحديثة والكشف عن تمظهراته في التراث والنقد العربي القديم مع التعرّيج على أهم المحطات التي مر بها المصطلح في رحلته التأليفية والترجمة عند العرب والغرب، بالإضافة إلى تبيان إسهامات الترجمة في نقل المصطلح. كلمات مفتاحية: التناس؛ الترجمة؛ المصطلحية؛ التراث.

Abstract: Intertextuality dates back to the Ancient times, a human instinct indeed, illustrated by the imitation of discourses and texts, as well as the deliberation of thought and speech. Intertextuality was later, introduced in Bakhtin's theory of Dialogism. Based on his ideas, Julia Kristeva demonstrated the modern theory of Intertextuality. Later on, some modern Arab scholars tried to find roots, of the new theory, in the old Arabic literature and criticism, while some agreed with the idea, others opposed it. This research aims at investigating the origins of intertextuality between critical and rhetorical heritage and recent linguistics studies.

Keywords: Intertextuality; Translation; Terminology; Heritage.

* - جامعة أحمد بن بلة، وهران 1، الجزائر.

البريد الإلكتروني: ettahri.karim@edu.univ-oran1.dz (المؤلف المرسل)

2- جامعة أحمد بن بلة، وهران 1، الجزائر.

البريد الإلكتروني: witooyacine@yahoo.com

مقدمة: يعتبر التناس نظرية لغوية حديثة ظهرت في ستينيات القرن الماضي بعد تطور اللسانيات وظهور المناهج اللسانية الحديثة وذلك على يد ميخائيل باختين وجوليا كريستيفا وقد ارتبط المصطلح الغربي بإشكالات نقدية كثيرة وتعددت التيارات التي مخرت عباب الظاهرة من سيميائية وأسلوبية وبنوية وتفكيكية فاختلفت مفاهيمه باختلاف المدارس التي انتى المنظرون إليها.

أسهمت الترجمة في نقل مفهوم التناس إلى اللغة العربية من منظوره الغربي فبدأت رحلة التأليف في الظاهرة باللغة العربية باعتماد المصادر والمرجعيات الغربية، وقد كانت كتابات محمد بنيس حجر الأساس التي أسهمت في صياغة مفهوم واضح للنظرية الغربية عند العرب.

وعلى الرغم من حداثة المفهوم إلا أنه يعود بجذوره إلى الوجود الأول للإنسان فهو فطرة إنسانية وظاهرة قديمة قدم التاريخ حسبما أكدّه العالمان وورتون وستيل، فقد ورد ذكر الظاهرة عند فلاسفة الإغريق والرومان متجلية في التلقين في المدارس الإغريقية الرومانية، كما تبين عند بعض النقاد العرب المحدثين أن مفهوم التناس له مظهرات في التراث والنقد العربي القديم فقد عرفه الشعراء العرب القدامى متمثلاً في التداخل النصي والسرقات الشعرية بعدها أن بعض مظهرات التناس كانت حاضرة في التراث والنقد العربي منذ القدم.

أدى اختلاف المفهوم عند الغرب وتباين خلفياتهم بالإضافة إلى اختلاف النقاد واللغويين والمترجمين العرب والآليات التي استخدموها في ترجمتهم لمصطلح التناس والمصطلحات المرتبطة به إلى بروز عدد هائل من المصطلحات، ما أدى إلى بروز ظاهرتي الترادف والاشتراك اللفظي فيها مشكلة أزمة وفوضى مصطلحية عارمة، وقد حاول النقاد والمترجمون والمصطلحيون العرب صياغة رؤية واضحة حول المفهوم ووضع المصطلحات المرتبطة به بدقة ووضوح مستخدمين آليات مختلفة.

يهدف هذا البحث إلى البحث في أصول التناس الأولى عند الإغريق والعرب والغرب، وتبيان مختلف المصطلحات التي ارتبطت بالظاهرة، مع بيان إسهامات الترجمة في نقل مفهوم التناس الغربي الحديث إلى اللغة العربية ودورها في الكشف عن مظهراته في التراث والنقد العربي القديم مع التعرّيج على أهم المحطات التي مر بها المصطلح في رحلته التأليفية عند الغرب والعرب، بالإضافة إلى بيان دور الترجمة والمصطلحية في ضبط وتوحيد المصطلحات النقدية المرتبطة بنظرية التناس.

1. أصول ظاهرة التناس: يعد التناس حسب العالمين وورتون وستيل ظاهرة إنسانية قديمة قدم التاريخ فطرت عليها البشرية جمعاء¹

(Worton, Michael ; Judith Still, 1990, p. 2)، فالكلمات والأفكار المتأصلة اليوم في أذهان الشعوب هي ميراث البشرية جمعاء ولبنة الفكر الإنساني عامة. ولم تكن فكرة التناس الأولية المتجلية في تداول ومحاكاة الفكر والكلام غائبة عن أذهان الناس وإلا لما تم تداولها من الأساس، فالتناس هو سماع

للكلام فَحِفْظُ فَتَذَكُّرٍ فَإِعَادَةُ قَوْلٍ مُعَدَّلٍ، وتلكم القضايا التي يصادفها الإنسان إنما تنماهى مع أفكار السابقين فتمتزج مع فكره فيأخذ منها ليخلق عالمه الجديد (قاسم، 2003، صفحة 70)².

أ - أصول التناس عند الإغريق والرومان: ورد ذكر ظاهرة التناس على ألسن فلاسفة الإغريق الذين عرفوها بالمحاكاة "Imitation" فقد أكد أفلاطون أن النقل من الأصل السابق سمة أساسية يعتمد إليها الشعراء في كل آنٍ وحينٍ (Alfaro & Martínez, 1996, p. 269)³، والأمر سيان بالنسبة إلى أرسطو الذي طرح فكرة المحاكاة "Mimesis" الذي أكد أنها فطرة إنسانية وأسلوب تعليمي يستخدمه الإنسان حتى ينهل من مآثر السابقين (Sullivan, 1989, p. 11)⁴، وجعل كل عمل فني إبداعاً خالصاً ما لم يكن تقليداً حرفياً. وقد أكد النقاد الغربيين المحدثين أن طرح أرسطو كان الأقرب إلى نظرية باختين الحوارية التي اعتبرت فيما بعد أول الإرهاصات في بناء نظرية التناس الحديثة (Worton, Michael ; Judith Still, 1990, p. 4)⁵.

كما استخدمت أيضا الظاهرة لغرض التعليم في المدارس الإغريقية الرومانية خلال العصور الوسطى (Dupertuis, 2007, p. 3)⁶. كما اعترف الخطيب الروماني شيشرون أنه استخدم التناس في تأليفه لكتبه فقد عمد إلى اقتباس نظريات أرسطو وسقراط وألف كتابه الشهير "دي أوراتور" على الطريقة الأرسطية في التأليف (Clark, 1951, p. 11)⁷. وقد كان التعليم قديما في المدارس الإغريقية الرومانية يستند إلى خمسة أركان وهي إتقان الخطابة والتمارين واحترام القواعد والتسلسلية بالإضافة إلى المحاكاة التي تعتبر حجر الأساس في عملية التلقين (Vandenberg, 2011, p. 114)⁸، وعليه أوصى كلنتيليان طلبته بالنهل من مآثر الخطباء الذين وقع عليهم اختياره (Fantham, 1978, p. 103)⁹.

ب - أصول التناس عند العرب: يعتبر التناس مصطلحا جديدا لظاهرة أدبية قديمة، ففكرة التداخل بين النصوص التي جاء بها النقاد الغربيون قد عرفها العرب قديما بمسميات عديدة مختلفة بعضها محمود تمثل في فكرة التداخل النصي وقد أسموه بالإحسان في السرق والآخر مذموم تمثل في السرقات الشعرية (حافظ، 2010، صفحة 93)¹⁰. وعلى الرغم من عدم استخدام النقاد العرب القدامى لمصطلحي "التناس" أو "تداخل النصوص" إلا أن أخذ الشعراء من بعضهم البعض كان جليا في الشعر والتراث العربي فهذا كعب بن زهير يقول:

ما أرانا نقول إلا رجيعاً ومعاداً من قولنا مكروراً (السكري، 1950، صفحة 154)¹¹

وهذا عنتره العبسي يقول:

هل غادر الشعراء من متردم أم هل عرفت الدار بعد توهم (القيس، 1969، صفحة 114)¹² كما ورد على لسان أمير المؤمنين الإمام علي صلى الله عليه وسلم أنه "لولا أن الكلام يُعاد لنفد" (العسكري، 1952، صفحة 196)¹³، فتحوير الكلام بين الأنام فطرة فطر عليها الإنسان. وقد كان الفرزدق أحد أولئك الشعراء الذين أكدوا أن التداخل النصي ضرورة للإبداع الفكري فأثنى في أشعاره

على معلميه امرؤ القيس وجرول والأعشيان وحسان بن ثابت وغيرهم، فأكد أنه امتداد لهم (بيفان، 1905، صفحة 200)¹⁴. وقد وافقه ابن قتيبة الذي أكد أن الإبداع يتطلب بادئ ذي بدء حفظ أشعار من سبق، وكلما كان الشاعر المتبع ذي شهرة حقق للمقتدي نبوغاً أوسع (قتيبة، 1985، صفحة 120) (الحفيظ، 1978، صفحة 226)¹⁵.

و مقابل هذه النظرة المحمودة للظاهرة عرفها العرب أيضا في صورتها المذمومة المتمثل في السرقات الشعرية فهذا القاضي الجرجاني يؤكد أن السرقة داء قديم وعيب عتيق وسمة من سمات الشعراء يغيرون على معاني و ألفاظ غيرهم (الجرجاني، 1966، صفحة 16)¹⁶، وقد خالفه في ذلك تلميذه عبد القاهر الجرجاني الذي خفف من وطأة مصطلح السرقة وأثر استخدام مصطلح الاحتذاء بدلاً منه، فالشاعر إنما يحتذي بالشعراء الآخرين أي يتخذ سبيلهم في الكلم، كما أكد عبد القاهر استحالة التماثل في الأشعار وأنكر بذلك السرقة إلا ما ظهر (الجرجاني ع.، 1992، صفحة 261)¹⁷. وقد وافقه في ذلك سيف الدين الأمدي الذي فرق بين السرقة والإبداع، فجعل السرقة في البديع المخترع، والإبداع في تحويل المعاني العقلية العامة، وقد أكد أحمد سليم غانم أن طرحه كان الأقرب لمعنى التناس العام أو التفاعل النصي بصورته الحديثة (غانم، 2006، صفحة 6)¹⁸.

وهذا ما ذهب إليه أيضا كل من أبي هلال العسكري وابن رشيق القيرواني وابن سنان الخفاجي الذين أكدوا وبينوا أن كل علم إلا وله أثر قد سبق في تأليفه ومعانيه و ألفاظه، وأن أنه لا يمكن للنصوص المحدثه الاستغناء عن النصوص السابقة (العسكري، 1952، الصفحات 177-178) (رشيق، 1964، صفحة 28) (الخفاجي، 1953، الصفحات 232-233)¹⁹، وقد جعلها ابن الأثير في ثلاثة أقسام اقتربت حسب الناقد محمد بنيس من قوانين التناس الحديثة (بنيس، 1985، صفحة 253)²⁰، وهو ما ذهب إليه أيضا كل من ابن طباطبا العلوي و الجاحظ الذين أكدوا أن استلهاهم الشاعر ممن سبق ضرورة لا مناص منها، فالتفاعل في الفكر والكلام من السنن الكونية الماثورة (العلوي، 1956، صفحة 10) (الجاحظ، 1996، صفحة 311)²¹.

ويؤكد و غليسي أن القاموس البلاغي العربي القديم يحوي عشرات المصطلحات التي تؤدي إلى مفهوم التناس وهي: "السرقات الأدبية"، "الاقتباس"، "التضمين"، "التلميح"، "العقد"، "الحل"، "المعارضة"، "المنافضة" "الاستشهاد" "الإغارة"، "الاستعانة"، "الموارد"، "المسخ"، "السلخ"، "النسخ"، "العنوان" (و غليسي، 2008، صفحة 400)²².

ج-أصول التناس عند الغرب: اختلف الدارسون الغربيون حول أصول التناس فقد أكد البعض أن بدايات مظهرات التناس الأولى عند الغرب كانت في منتصف القرن التاسع عشر عندما أكد الناقد ماثيو أرنولد ضرورة مقارنة النصوص الشعرية بالكتابات الكلاسيكية الخالدة مؤكدا وجود علائقية تناسية بينهما، وبناء على طرحه والأفكار الأرسطية قام الشاعر الإنكليزي توماس إليوت بالبت في

العلاقة بين الشعر والأعمال السابقة (Rakesh, 2016, p. 195)²³، وجعل الإبداع رهينة الاستعانة بلفظ وفكر من سبق، كما بين أن التباين في المؤلف إنما هو حاصل لا محالة (Eliot, 1962, pp. 294-295)²⁴. كما بين آخرون أن التناس إنما كان نتيجة أخطاء البنيوية وموت المؤلف وإهمال الوقائع التاريخية ودورها في صناعة النص (باختين، 1986، صفحة 56)²⁵. فيما رأى البعض الآخر أن بروز فكرة التناس كان نتيجة لأبحاث الشكلايين الروس عن النص وضرورة عزله عن عالمه الخارجي (العاني، 2000، صفحة 55)²⁶، فهم الذين مهدوا لظهوره عندما حاولوا تحديد مصطلحي "Synchronie" و "Diachronie" (بشير، 2004، صفحة 130)²⁷، فقد أكد يوري يميانوف ظاهرة التداخل بين النصوص والمجموعات الأدبية (بشير، 2004، صفحة 130)²⁸، طارحا مصطلح "Interférence" للدلالة عن ظاهرة التناس (بشير، 2004، صفحة 136)²⁹.

يعتبر الناقد الروسي ميخائيل باختين صاحب أول مصوغة فعلية لنظرية التناس في ثوبها الحديث و أول من وضع ظاهرة التناس في قالبها التنظيري المبنية على فكرة التداخل النصي، وكان ذلك أثناء تنبيهه للعلاقات الصريحة و الضمنية في دراسته لأعمال دوستوفسكي بين عامي 1928 و 1929 (تودوروف، 1988، صفحة 4)³⁰، و قد استخدم عدة مصطلحات للدلالة عليها من بينها : "Dialogisme" و "Polyphony" (تودوروف، 1988، صفحة 5)³¹، وكذلك مصطلح "Imitation" (بشير، 2004، صفحة 136)³².

2. مصطلحات التناس في الدراسات الحديثة:

أ - كريستيفا: يعود الظهور الأول لمصطلح « Intertextuality » إلى الناقدة جوليا كريستيفا، وذلك في أبحاثها المنشورة بين عامي 1966-1967 في مجلتي "Tel quel" و "Critique" والتي أرست فيها أول الإرهاصات في بناء نظرية التناس (البقاعي، 1998، الصفحات 59-60)³³، والتي عرفت بأنها عبارة عن تداخل وترحال وتقاطع وتنافي وأخذ بين النصوص (كريستيفا، 1997، صفحة 21)³⁴، واعتبرت النص كقطعة فسيفسائية من الاقتباسات وأكدت ضرورة تماهي النصوص السابقة في النصوص الجديدة (Gengembre, 1996, p. 46)³⁵. وقد قامت نظريتها التناسية بناء على ما أتى به السيميائي الروسي ميخائيل باختين بالإضافة إلى اعترافها بفضل فكرة "Paragramme" لعالم اللغويات الفرنسي دوسوسير في بلورة فكرة التداخل النصي في فضاء اللغة الشعرية، فذكرت إن مسألة تقاطع الخطابات الدخيلة في اللغة الشعرية قد سبق تسجيله من قبل دوسوسير في "Anagrammes" (كريستيفا، 1997، صفحة 63)³⁶. وبناء على ذلك تمكنت من إرساء نظرية باسم التصحيفية "Paragrammatisme" والتي تعني امتصاص نصوص (معاني) متعددة داخل الرسالة الشعرية (كريستيفا، 1997، صفحة 78)³⁷. كما أبرزت كريستيفا مصطلح "Ideologisme" الظاهرة التداخل النصي بعناصرها التاريخية والاجتماعية فهي عبارة تقاطع نظام نصي معين (ممارسة سيميائية معينة) مع الملفوظات

ب - (المقاطع) التي يحيل إليها فضاء النصوص (الممارسات السيميائية) (كريستيفا، 1997، صفحة 22)³⁸. طرحت أيضا كريستيفا في ما دبجته يراعاتها عدة مصطلحات دالة على مصطلح التناس وهي: Présence و "Transformation" و "Construction/Déconstruction" و "Interférence" و "Référence" و "Dialogue" و "Assimilation" و "Négation" بالإضافة إلى "Absorption" (بشير، 2004، صفحة 136)³⁹.

ج - جيرار جينيت: خطأ جيرار جينيت على خطى كريستيفا فقام بدراسة ظاهرة التناس بشكل مسهب وعرفه بأنه عبارة عن حضور فعال لنص في نص آخر بطريقة استحضارية وبشكل واع أو غير واع (بارت، 1988، صفحة 132)⁴⁰، وقام باستخدام مصطلحي (L'architexte) و (Paratexte) في كتابه "Palimpsestes" للدلالة على مفهوم التناس متجاوزا في ذلك المعطيات النظرية الأولية حول المفهوم (يقتين، 1992، صفحة 28)⁴¹، بالإضافة الى استخدامه في مؤلفاته لمصطلح (Présence textuelle) (بشير، 2004، صفحة 136)⁴². وقد أثر جينيت استخدام مصطلح "Transtextualité" الذي اعتبر أن التناس ما هو إلا مفهوم فرعي ينتهي إليها (Genette, 1974, p. 6)⁴³. فقام في دراسته بتصنيف أشكال العلاقات التي تربط بين النصوص وحصر هذه المفاهيم في خمسة أشكال وهي: (MAINGUENEAU, 1996, p. 49)⁴⁴.

- 1 - Intertextualité: وتتمثل في حضور نص ضمن نص آخر عبر الاستشهاد أو التلميح.
- 2 - La Paratextualité: وتعني الموازة أو الجوار أو الضواحي (L'entour) بمعنى النص (بحصر معناه)، ويعنى به محيط الدائرة النصية (Périphérie) من عناوين وإهداء وزخارف...
- 3 - La Métatextualité: وهي راجعة إلى علاقة التعليق (Commentaire) التي تربط نصا بآخر.
- 4 - L'architextualité: وهي تضع نصا ما في مفترق الطبقات المختلفة التي ينتهي إليها فهي إذن أكثر تجريدا.

5 - Hypertextualité: ينبنى فيها نص فوق نص لاحق "Hypertexte" على نص تحتي سابق "Hypotexte" عن طريق التحويل والتقليد.

د - رولان بارت: يعتبر رولان بارت أحد أكثر النقاد الذين درسوا ظاهرة التناس بشكل حثيث فقد ظهر مصطلح "Intertextualité" في بحثه (لذة النص) سنة 1973 فذكر أن معنى النص ليس مقترنا بوجوده ولكن بعبوره ومروره... ولا تتعلق تعددية النص في الحقيقة بغموض مضمونه ولكن بما نستطيع تسميته بالتعددية المضخمة التي تنسجه (جمعة، 2003، صفحة 20)⁴⁵. رأى رولان بارت أن التناس هو احتواء النص على نسيج من الإحالات والاقتباسات والمرجعيات والأصداء من اللغات الثقافية القديمة والحديثة التي تخترقه بكامله (بارت، درس السيميولوجيا، 1993، صفحة 63)⁴⁶، فكل نص متناس وينتمي إلى التناس بمستويات متفاوتة (سلام، 1998، صفحة 85)⁴⁷، فهو موجود في

عالم مليء بنصوص الثقافة السابقة و الحالية و كذلك الحاضرة فيه. (بارت، نظرية النص، دراسات في النص و التناسية، 1998، صفحة 38)⁴⁸ تمكن رولان بارت من تطوير وتعميق وتوسيع آفاق مصطلح التناس فقد نقله من محور (النص) إلى محور (النص- القارئ) (موسى، 2010، صفحة 43)⁴⁹، و قام بارت بطرح مصطلحات أخرى دالة على المفهوم وهي: "Inclusion" و "Connotation" و "Géologie de l'écriture" و "Reproduction" (بشير، 2004، صفحة 136)⁵⁰.

د- تزفيتان تودوروف: ميز تودوروف في كتابه أنواع الخطاب الذي ظهر سنة 1978، بين ثلاثة مفاهيم تناسية:⁵¹ (Gengembre, 1996, p. 47)

Intertextualité: والتي عبر عنها بأنها علاقات التقليد أو المحاكاة بين أثر وآخر.

Extratextualité: وقد بين ذلك بإفادة الأثر الأدبي من التشكيلات الرمزية المؤسسة من قبل وكمثال على ذلك دون جوان والمشاعر الغرامية.

Intratextualité: وقد بينه بأنه دوران الأثر الأدبي حول ذاته، واستعماله لآثار تم استخدامها آنفا. يرى تودوروف أن دراسة النص تتطلب الأخذ بعين الاعتبار حضور أو غياب الإحالة على نص سابق (بنيس، 1985، صفحة 252)⁵²، مما يسهم جلاً في تقويم النص الجديد في ضوء الاحتكاك والانزياح، وهكذا يصبح التناس كاشفاً عن مكنونات النص وعن الرؤى الإبداعية المستحدثة والتأويلات المبتكرة التي أضافها النص الجديد للنص السابق (الهاشمي، 1990، صفحة 29)⁵³، وكذلك مدى إسهاماتها في تكوين رؤية الشاعر. وقد طرح تودوروف في مؤلفاته مصطلحات دالة على مفهوم التناس وهي "Intégration" و "Présence" و "Référence" (بشير، 2004، صفحة 136)⁵⁴.

هـ - تعريفات أخرى: رأى لوران جيني أنّ التناس ظاهرة نقدية تشمل جل الشفرات الأدبية والمواضيع والأنظمة الإشارية بالإضافة إلى كل الممارسات المتراكمة وغير المعروفة التي تؤدي إلى بلورة الأفق الدلالي والرمزي للنص (حافظ ص، 1996، صفحة 59)⁵⁵، وقد طرح جيني مصطلحي "Transformation" و "Représentation" للدلالة على مفهوم التناس (بشير، 2004، صفحة 137)⁵⁶. كما استخدم مينغينو رفقة كورتين مصطلح "Interdiscours" الذي يعتبر مصطلحاً جديداً أقل تداولاً حيث أنه يقوم من الخطاب مقام التناس من النص (MAINGUENEAU, 1996, p. 50)⁵⁷. وقد فرق على إثر ذلك بين التناس والتخاطب حيث رأى أن التناس يستخدم في الحقل الأدبي في حين يستخدم التخاطب في حقول أعم لغرض بيان المتداخل من الخطابات سواء أكانت من نفس الحقل الخطابي أم من غيره (MAINGUENEAU, 1996, pp. 50-51)⁵⁸. اعتبر ريفاتر التناس في كتاباته بمثابة إحدى مراتب التأويل فربطه بالمقروئية الأدبية (حلي، 2007، صفحة 24)⁵⁹، فنشأة النصوص حسبته تتطلب وجود نصوص أخرى سابقة وكل نص يسعى لإزاحة سابقه من مكانه (فرج، 2007، الصفحات 196-197)⁶⁰. وقد طرح مصطلح Référentiel للدلالة على الظاهرة (بشير، 2004، صفحة 137)⁶¹.

3. التناس بين الموروث النقدي العربي والدراسات الحديثة: لما كان التداخل النصي ظاهرة قديمة قدم التاريخ فإن العرب قد عرفوها وبينوا فضلها ووضعوا الفروق بينها وبين السرقات، ولما كانت ظاهرة التناس بقالها التنظيري الحديث إبداعا غربيا ظهر بعد تطور الدراسات اللغوية، فإن الاختلاف بين النقاد العرب كان جليا في التشابه والتطابق بين مظهرات الظاهرة في التراث العربي و بين النظرية الحديثة، فمنذ بروز نظرية التناس إلى الأفق بدأ النقاد العرب بدراسة الظاهرة مثلما تمثلت في كتب النقاد الغربيين أمثال جوليا كريستيفا وميخائيل باختين و رولان بارت وغيرهم فلاحظوا تقاربا بينها وبين مفاهيم قديمة لها جذور في النقد العربي القديم، فقد أكد بعض الباحثين كصبري حافظ احتواء النقد العربي القديم لمفاهيم تقارب مصطلح التناس الحديث، فقال: "والتناس واحد من المفاهيم الحديثة التي نجد لها بعض البذور الجينية الهامة في نقدنا العربي القديم" (حافظ ص.، التناس وإشارة العمل الأدبي، 1984، صفحة 9)⁶². وحسبه فإن إنجازات علم البديع في النقد العربي القديم تناولت مصطلحات مثل: الاستخدام، الإدماج، التتبع، التضمن، الحذف والمعارضة، الإشارة، التمثيل، التلميح، العنوان الاقتباس، التوليد، النوادر، الاستتباع، حيث أن بعضها متجسد في مفهوم التناس الحديث (حافظ ص.، التناس وإشارة العمل الأدبي، 1984، صفحة 27)⁶³.

في حين نفى آخرون ذلك جملة وتفصيلا مثل أصطيف الذي يرى أن التناس ظاهرة حديثة تستند إلى معارف معاصرة لم تتيسر للنقد الأدبي إلا مؤخرا (أصطيف، 1993، صفحة 51)⁶⁴، و خليل موسى الذي أكد أن ظاهرة التناس تختلف عن المفاهيم النقدية القديمة المتمثلة في التضمن والاقتباس والسرقات الشعرية (موسى، التناس والأجناسية في النص الشعري، 1990، صفحة 83)⁶⁵، بالإضافة إلى جابر عصفور الذي أكد أن النقد العربي القديم خالٍ من أية مظاهر أو مقاربات لنظرية التناس الحديثة وأن السرقات الشعرية تختلف اختلافا جذريا عن مفهوم التناس (صدار، 2008، صفحة 225)⁶⁶.

ومن الذين خالفوا جابر عصفور نجد عبد الملك مرتاض الذي أكد أن العرب عرفت قديما فكرة التناس (مرتاض، 1991، صفحة 88)⁶⁷، وتطرقت لفكرة الأفكار المشتركة بين الناس وضرورة نسيان المحفوظ قبل بداية الكتابة وهي الأفكار التي شكلت حسبه لبنة نظرية التناس الغربية (مرتاض، 1991، صفحة 89)⁶⁸. كما قام عبد الله التطاوي بالربط بين مفهوم السرقات والمعارضة القديمين ومصطلح التناس الحديث (حافظ ا.، 2010، صفحة 96)⁶⁹، وكذلك أكد محمد مفتاح علاقة مصطلح التناس الحديث بمصطلحات نقدية قديمة كالمعارضة والسرقة والمناقضة في التراثين العربي والغربي فيؤكد أن التعاريف تكاد تتطابق في كلتي الثقافتين (مفتاح، 1992، صفحة 121)⁷⁰.

من بين الذين انتقدوا الطريقة التي تعامل بها النقاد العرب مع ظاهرة التناس نجد أحمد المديني الذي رأى أن التعميم والتوسع في إطلاق الأحكام حول ظاهرة التناس وما قد يقارنها دلاليا في النقد

العربي القديم لا يخضع لأي ضوابط فكرية (المديني، 1987، صفحة 99)⁷¹. كما أن محاولة ربط المصطلحات النقدية العربية القديمة بالمفاهيم الحديثة ستلغي حسب مصطفى بيومي الشروط التاريخية و الإبتيمولوجية للمصطلحات القديمة والجديدة أيضا (بيومي، 2010، صفحة 149)⁷²، وهي ناشئة حسبه عن محاولة العرب المستمرة مقاومة الهيمنة الكولونيالية و المعرفة والغربية (بيومي، قراءة الصورة، ممارسة التناس في النقد العربي المعاصر، 2014، صفحة 135)⁷³.

قد أسهمت سلطة التأصيل حسب عبد الستار جبر في التباس مفهوم التناس الحديث مع المفاهيم النقدية العربية القديمة التي يختلف معها في المنهج والقيمة و القصديّة (جبر، 2004، صفحة 273)⁷⁴.

4. خاتمة: خلص بحثنا هذا إلى نتائج تمثلت فيما يلي:

- تعد ظاهرة التناس قديمة قدم التاريخ فهي فطرة إنسانية تعود بجذورها إلى الإنسان الأول متمثلة في فعلي التداول والمحاكاة على الفكر والكلام، وقد عرف الإغريق الظاهرة قديما فوردت على ألسن فلاسفتهم متجلية في فعلي المحاكاة والتلقين، كما أن لها تمظهرات في التراث والنقد العربي القديم فقد عرفها الشعراء والنقاد العرب القدامى متمثلة في التداخل النصي والسرقات الشعرية، فحوى القاموس البلاغي القديم عشرات المصطلحات المؤدية لمفهوم التناس؛

- عرف الغرب في بدايات القرن الماضي ظاهرة التناس فوردت على ألسن الشعراء البريطانيين كماثيو أرنولد وتوماس إليوت والنقاد الروس كيوري يميانوف وميخائيل باختين الذي يعتبر أول من وضع ظاهرة التناس في قالبها التنظيري، وطرح هؤلاء عددا من المصطلحات الدالة عن الظاهرة؛

- يعتبر التناس بمفهومه التنظيري الحديث نظرية حديثة برزت بعد تطور اللسانيات، قد ارتبط المفهوم بإشكالات نقدية كثيرة وتعددت التيارات التي مخرت عباب الظاهرة من سيميائية وأسلوبية وبنوية وتفكيكية؛

- تعتبر الناقدة جوليا كريستيفا أول من أبرز مصطلح (Intertextuality) للدلالة على تماهي النصوص فيما بينها، وفي مرحلة بناء النظرية وفي منشوراتها طرحت كريستيفا مصطلحات أخرى عديدة للدلالة على الظاهرة، كما طرح منظرون آخرون مصطلحات عديدة أخرى للدلالة على الظاهرة كل حسب استيعابه.

- تسبب البحث حول أصول التناس القديمة والتقارب المفاهيمي بين النظرية الحديثة والمفاهيم النقدية العربية القديمة ومحاولة التأصيل للظاهرة في أزمة نقدية حقيقية، فقد أكد البعض أن مفهوم التناس الحديث بذور جينية في النقد العربي القديم في حين نفى البعض الآخر ذلك فأكدوا خلو النقد العربي القديم من أية مظاهر أو مقاربات للنظرية الحديثة.

- تسبب التباين الهائل بين اللغويين والنقاد والمترجمين العرب في طرق توليدهم لمصطلحات التناس وتقنياتهم الترجمية المستخدمة بالإضافة إلى عدم اتفاقهم على المصطلحات وانعدام التنسيق بينهم في ظهور ظاهرتي الترادف والاشتراك اللفظي مسببة فوضى مصطلحية هائلة.

قائمة المراجع:

- 1 - إبراهيم الخطيب، نظرية المنهج الشكلي-نصوص الشكلايين الروس، الشركة المغربية للناسرين المتحددين، ط1، 1982.
- 2 - ابن رشيقي، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة-مصر، ط3؛ 1964.
- 3 - ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة، تح: د. عبد المتعال الصعيدي مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده، القاهرة 1953.
- 4 - بن طباطبا العلوي، عيار الشعر، تح: د. طه الحاجري-د. محمد زغلول سلام، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، 1956.
- 5 - ابن قتيبة، الشعر والشعراء، تح: احمد محمد شاكر، دار المعارف، القاهرة، مصر، 1985.
- 6 - أبو هلال العسكري، كتاب الصناعتين الكتابة والشعر، تح: علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، القاهرة، ط1، 1952.
- 7 - أحمد المديني، ترجمة وتقديم لمارك أنجينو " في أصول الخطاب النقدي الجديد "، دار الشؤون الثقافية، بغداد، سلسلة المائة كتاب، ط1، 1987.
- 8 - أحمد سليم غانم، تداول المعاني بين الشعراء، قراءة في النظرية النقدية عند العرب، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء بيروت، ط1، 2006.
- 9 - أحمد طعمه حلبي، التناس بين النظرية والتطبيق، شعر البياتي نموذجاً، الهيئة العامة السورية، 2007.
- 10 - امرؤ القيس، ديوان امرؤ القيس، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف بمصر، ط3، 1969.
- 11 - أنتوني اشلي بيفان، نقائص جرير والفرزدق، مطبعة بريل، ليدن، 1905.
- 12 - تودوروف، التناس، تر: فخري الصالح، مجلة الثقافة الأجنبية، العدد 4-السنة 8، 1988.
- 13 - الجاحظ، الحيوان، تح: عبد السلام محمد هارون، المجمع العلمي العربي الإسلامي، بيروت، ط3، 1996.
- 14 - جوليا كريستيفا، علم النص، ترجمة فريد الزاهي ومراجعة عبد الجليل ناظم، دار توبقال للنشر، المغرب، ط2، 1997.

- 15 حافظ المغربي، أشكال التناس وتحولات الخطاب الشعري المعاصر، دراسات في تأويل النصوص، فكر ونقد، مؤسسة الانتشار العربي، 2010.
- 16 حسام احمد فرج، نظرية علم النص رؤية منهجية في بناء النص الفكري، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 2007.
- 17 حسين جمعة، المسير في النقد الأدبي، دراسة من منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، ط1، 2003.
- 18 خليل موسى، التناس والأجناسية في النص الشعري، الموظف الأدبي، (ع305)، 1990.
- 19 خليل موسى، التناس ومرجعياته في نقد ما بعد البنيوية في الغرب، مجلة الآداب العالمية، اتحاد الكتاب العرب، ع143 2010.
- 20 رولان بارت، آفاق التناسية، ترجمة د. محمد خير البقاعي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1988.
- 21 رولان بارت، درس السيميولوجيا، تر: عبد السلام بنعبد العالي، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط3، 1993.
- 22 رولان بارت، نظرية النص، دراسات في النص والتناسية، تر: محمد خير البقاعي، مركز الإنماء الحضاري، حلب، ط1 1998.
- 23 سعد سلام، التناس التراثي في الرواية الجزائرية، دكتوراه دولة، جامعة الجزائر، 1998.
- 24 سعيد يقطين، الرواية والتراث السرد من أجل وعي جديد بالتراث، المركز الثقافي العربي، ط1، 1992.
- 25 شجاع العاني، قراءات في الأدب والنقد، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2000.
- 26 صبري حافظ، أفق الخطاب النقدي، دراسات نظرية وقراءات تطبيقية، دار شرقيات للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 1996.
- 27 صبري حافظ، التناس وإشارة العمل الأدبي، مجلة ألف، ع4، 1984.
- 28 صنعة الإمام أبي سعيد السكري، شرح ديوان كعب بن زهير، دار الكتب المصرية، القسم الأدبي، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، 1950.
- 29 عبد الحفيظ عبد السلام، نقد الشعر بين ابن قتيبه وابن طباطبا العلوي، دار الفكر العربي، القاهرة، 1978.
- 30 عبد الستار جبر، المصطلح والقيمة، علامات في النقد، المجلد 51، الأسدي، ماهية التناس لقراءة في إشكاليته، ج13 مارس 2004.

- 31 عبد العالي بشير، إشكالية ترجمة المصطلح في الخطاب النقدي المعاصر (التناس نموذجاً)، مجلة المترجم، العدد 10 جويلية-ديسمبر، 2004.
- 32 عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تح: - محمود محمد شاكر، مطبعة المدني القاهرة، دار المدني، جدة، ط3 1992.
- 33 عبد الملك مرتاض، " فكرة السرقات الأدبية ونظرية التناس، مجلة "علامات في النقد"، النادي الأدبي بجدة، ج1، مج1 1991.
- 34 عبد النبي أصطيف، التناس، راية مؤتة، م2، 1993.
- 35 علوي الهاشمي، التعالق النصي في الشعر السعودي الحديث، مجلة مؤتة، العدد 3، سنة 1990.
- 36 علي بن عبد العزيز الجرجاني، الوساطة بين المتنبي وخصومه، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم- علي محمد البجاوي، دار القلم بيروت، 1966.
- 37 محمد بنيس، ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب مقارنة بنيوية تكوينية، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، ط2 1985.
- 38 محمد خير البقاعي، دراسات في النص والتناصية، مركز الإنماء الحضاري، ط1، حلب، سوريا، 1998.
- 39 محمد قاسم عبد الله، سيكولوجية الذاكرة: قضايا واتجاهات حديثة، مطابع السياسة، الكويت، 2003.
- 40 محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري، استراتيجية التناس، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط3، 1992.
- 41 مصطفى بيومي، التناس، النظرية والممارسة، النادي الأدبي، الرياض، السعودية، ط1، 2010.
- 42 مصطفى بيومي، قراءة الصورة، ممارسة التناس في النقد العربي المعاصر، مجلة علامات، العدد 80، أغسطس 2014.
- 43 ميخائيل باختين، قضايا الفن الإبداعي عن دستوفيسكي، تر: جميل نصيف التكريتي، مراجعة: حياة شرارة، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط1، 1986.
- 44 نور الدين صدار، النقد العربي القديم وجذور نظرية التناس، مجلة قراءات، العدد الأول، أبريل 2008.
- 45 يوسف وغليسي، إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف الجزائر، ط1، 2008.

- 46- Alfaro, María Jesús Martínez. "INTERTEXTUALITY: ORIGINS AND DEVELOPMENT OF THE CONCEPT." *Atlantis*, vol. 18, no. 1/2, 1996.
- 47- Clark, D. L. Imitation: Theory and practice in roman rhetoric. *The Quarterly Journal of Speech*, 37(1), 1951
- 48- Dupertuis, R. R, Writing and imitation: Greek education in the Greco-Roman world. *Forum*, 1(1), 2007.
- 49- Eliot, T.S. "Tradition and the Individual Talent". *English Critical Texts*. Eds. Enright, D.J., a,d Ernst De Chickera. Delhi : Oxford University Press, 1962.
- 50- Fantham, E. Imitation and decline: Rhetorical theory and practice in the first century after Christ. *Classical Philology*, 73(2), 1978.
- 51- Gengembre, Gérard. *Les Grands courants de la critique littéraire*. Paris: Ed. du Seuil, 1996.
- 52- Gérard genette, *Introduction à l'architexte*, Ed Du Seuil. Paris, 1974.
- 53- MAINGUENEAU D., *Les termes clés de l'analyse du discours*, Seuil, coll., «Mémo» 1996.
- 54- Rakesh, Chandra Joshi. Theory of Tradition : Aristotle, Matthew Arnold, and T.S Eliot, *International Journal of Humanities & Social Science Studies (IJHSSS)*. Vol III, III, November 2016.
- 55- Sullivan, D. Attitudes toward imitation: Classical culture and the modern temper. *Rhetoric Review*, 8(1), 1989.
- 56- Vandenberg, K. Revisiting imitation pedagogies in composition studies from a Girardian perspective. *Contagion: Journal of Violence, Mimesis, and Culture*, 18, 2011.
- 57- Worton, Michael and Judith Still, eds., *Intertextualiy: Theory and Practices*. Manchester : Manchester University Press, 1990.



7. هوامش:

- 1- See: Worton, Michael and Judith Still, eds., *Intertextuality: Theory and Practices*. Manchester: Manchester University Press, 1990, p2.
- 2- محمد قاسم عبد الله، سيكولوجية الذاكرة: قضايا واتجاهات حديثة، مطابع السياسة، الكويت، 2003، ص70
- 3- See: Alfaro, María Jesús Martínez. "INTERTEXTUALITY: ORIGINS AND DEVELOPMENT OF THE CONCEPT." *Atlantis*, vol. 18, no. 1/2, 1996, p269.
- 4- See: Sullivan, D. Attitudes toward imitation: Classical culture and the modern temper. *Rhetoric Review*, 8(1), 1989, p11.
- 5- See: Worton, Michael and Judith Still, *Ibid*, p4
- 6- See: Dupertuis, R. R, Writing and imitation: Greek education in the Greco-Roman world. *Forum*, 1(1), 2007, p3.
- 7- See: Clark, D. L. Imitation: Theory and practice in roman rhetoric. *The Quarterly Journal of Speech*, 37(1), 1951, p11.
- 8- See: Vandenberg, K. Revisiting imitation pedagogies in composition studies from a Girardian perspective. *Contagion: Journal of Violence, Mimesis, and Culture*, 18, 2011, p114.
- 9- See: Fantham, E. Imitation and decline: Rhetorical theory and practice in the first century after Christ. *Classical Philology*, 73(2), 1978, p103.
- 10- ينظر: حافظ المغربي، أشكال التناص وتحولات الخطاب الشعري المعاصر، دراسات في تأويل النصوص، فكر ونقد، مؤسسة الانتشار العربي، 2010، ص93.
- 11- صنعة الإمام أبي سعيد السكري، شرح ديوان كعب بن زهير، دار الكتب المصرية، القسم الأدبي، مطبعة دار الكتب المصرية القاهرة، 1950، ص154.
- 12- امرؤ القيس، ديوان امرؤ القيس، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف بمصر، ط3، 1969، ص114.
- 13- أبو هلال العسكري، كتاب الصناعتين الكتابة والشعر، تح: علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، القاهرة، ط1، 1952، ص196.
- 14- ينظر: انتوني اشلي بيفان، نقائص جرير والفرزدق، مطبعة بريل، ليدن، 1905، ص200.
- 15- ينظر: ابن قتيبة، الشعر والشعراء، تح: احمد محمد شاكر، دار المعارف، القاهرة، مصر، 1985، ص120؛ ينظر: عبد الحفيظ عبد السلام، نقد الشعر بين ابن قتيبة وابن طباطبا العلوي، دار الفكر العربي، القاهرة، 1978، ص226.
- 16- ينظر: علي بن عبد العزيز الجرجاني، الوساطة بين المتنبي وخصومه، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم- علي محمد البجاوي دار القلم بيروت، 1966، ص16.
- 17- ينظر: عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تح:- محمود محمد شاكر، مطبعة المدني القاهرة، دار المدني، جدة، ط3 1992، ص261.
- 18- ينظر: أحمد سليم غانم، تداول المعاني بين الشعراء، قراءة في النظرية النقدية عند العرب، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، ط1، 2006، ص6.

- 19- ينظر: العسكري، كتاب الصناعتين الكتابة والشعر، مرجع سابق، ص 177-178. وينظر: ابن رشيق، العمدة في محاسن الشعر وأدابه ونقده، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة- مصر، ط 3، 1964، 2، ص 28؛ وينظر: ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة، تح: د. عبد المتعال الصعيدي مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده، القاهرة، 1953 ص 332-333.
- 20- ينظر: محمد بنيس، ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب مقارنة بنيوية تكوينية، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، ط 2، 1985، ص 253.
- 21- ينظر: ابن طباطبا العلوي، عيار الشعر، تح: د. طه الحاجري- د. محمد زغلول سلام، المكتبة التجارية الكبرى القاهرة 1956، ص 10. وينظر: الجاحظ، الحيوان، تح: عبد السلام محمد هارون، المجمع العلمي العربي الإسلامي بيروت، ط 3، 1996، ص 311.
- 22- يوسف وغليسي، إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف الجزائر، ط 1، 2008، ص 400.
- 23- See: Rakesh, Chandra Joshi. Theory of Tradition: Aristotle, Matthew Arnold, and T.S Eliot, *International Journal of Humanities & Social Science Studies (IJHSSS)*. Vol III, III, November 2016, p195.
- 24- See: Eliot, T.S. "Tradition and the Individual Talent". English Critical Texts. Eds. Enright, D.J., a,d Ernst De Chickera. Delhi: Oxford University Press, 1962, pp 294-295.
- 25- ينظر: ميخائيل باختين، قضايا الفن الإبداعي عن دستوفيسكي، تر: جميل نصيف التكريتي، مراجعة: حياة شرارة، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط 1، 1986، ص 56 وما بعدها. وينظر: شجاع العاني، قراءات في الأدب والنقد، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2000، ص 55.
- 26- ينظر: إبراهيم الخطيب، نظرية المنهج الشكلي- نصوص الشكلايين الروس، الشركة المغربية للناشرين المتحدين، ط 1، 1982، ص 31.
- 27- عبد العالي بشير، إشكالية ترجمة المصطلح في الخطاب النقدي المعاصر (التناص نموذجاً)، مجلة المترجم، العدد 10، جويلية- ديسمبر، 2004، ص 130.
- 28- المرجع نفسه.
- 29- المرجع نفسه، ص 136.
- 30- ينظر: تودوروف، التناص، تر: فخري الصالح، مجلة الثقافة الأجنبية، العدد 4- السنة 8، 1988، ص 4.
- 31- ينظر: المرجع نفسه، ص 5.
- 32- ينظر: عبد العالي بشير، مرجع سابق ص 136.
- 33- محمد خير البقاعي، دراسات في النص والتناصية، مركز الإنماء الحضاري، ط 1، حلب، سوريا، 1998، ص 59-60.
- 34- ينظر: جوليا كريستيفا، علم النص، ترجمة فريد الزاهي ومراجعة عبد الجليل ناظم، دار توبقال للنشر، المغرب، ط 2، 1997، ص 21.
- 35- See: Gengembre, Gerard. *Les Grands courants de la critique littéraire*. Paris: Ed. du Seuil, 1996, p46.
- 36- جوليا كريستيفا، مرجع سابق، ص 63.
- 37- ينظر: المرجع نفسه، ص 78.
- 38- ينظر: المرجع نفسه، ص 22.
- 39- عبد العالي بشير، مرجع سابق، ص 136.

- 40- رولان بارت، آفاق التناصية، ترجمة د. محمد خير البقاعي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1988، ص132.
- 41- سعيد يقطين، الرواية والتراث السردى من أجل وعي جديد بالتراث، المركز الثقافي العربي، ط1، 1992، ص28.
- 42- عبد العالي بشير، مرجع سابق، ص136.
- 43- See: Gérard Genette, Introduction à l'architexte, Ed Du Seuil. Paris, 1974, p6.
- 44- See: MAINGUENEAU D., Les termes clés de l'analyse du discours, Seuil, coll., « Mémo », p49, 1996.
- 45- ينظر: حسين جمعة، المسيار في النقد الأدبي، دراسة من منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، ط1، 2003، ص20.
- 46- ينظر: رولان بارت، درس السيميولوجيا، تر: عبد السلام بنعبد العالي، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط3، 1993، ص63.
- 47- ينظر: سعد سلام، التناص التراثي في الرواية الجزائرية، دكتوراه دولة، جامعة الجزائر، 1998، ص85.
- 48- ينظر: رولان بارت، نظرية النص، دراسات في النص والتناصية، تر: محمد خير البقاعي، مركز الإنماء الحضاري، حلب، ط1، 1998، ص38.
- 49- ينظر: خليل موسى، التناص ومرجعياته في نقد ما بعد البنيوية في الغرب، مجلة الآداب العالمية، اتحاد الكتاب العرب، ع143، 2010، ص43.
- 50- عبد العالي بشير، مرجع سابق، ص136.
- 51- See: les grands courants de la critique littéraire, Ibid, p47.
- 7- ينظر: محمد بنيس، مرجع سابق، ص252.
- 53- ينظر: علوي الهاشمي، التعالق النصي في الشعر السعودي الحديث، مجلة مؤتة، العدد 3، سنة 1990، ص29.
- 54- عبد العالي بشير، مرجع سابق، ص136.
- 55- صبري حافظ، أفق الخطاب النقدي، دراسات نظرية وقراءات تطبيقية، دار شرقيات للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 1996، ص59.
- 56- عبد العالي بشير، مرجع سابق، ص137.
- 57- See: Les termes clés de l'analyse du discours, Ibid, p50.
- 58- See: Ibid, p50, 51.
- 59- أحمد طعمه حلي، التناص بين النظرية والتطبيق، شعر البياتي نموذجاً، الهيئة العامة السورية، 2007، ص24.
- 60- حسام احمد فرج، نظرية علم النص رؤية منهجية في بناء النص الفكري، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 2007، ص196-197.
- 61- عبد العالي بشير، مرجع سابق، ص137.
- 62- ينظر: صبري حافظ، التناص وإشارة العمل الأدبي، مجلة ألف، ع4، 1984، ص9.
- 63- ينظر: صبري حافظ، التناص وإشارة العمل الأدبي، مرجع سابق، ص27.
- 64- عبد النبي أضيف، التناص، راية مؤتة، م2، 1993، ص51.
- 65- خليل موسى، التناص والأجناسية في النص الشعري، الموظف الأدبي، (ع305)، 1990، ص83.
- 66- ينظر: نور الدين صدار، النقد العربي القديم وجذور نظرية التناص، مجلة قراءات، العدد الأول، أبريل 2008، ص225.

- 67- ينظر: عبد الملك مرتاض، " فكرة السرقات الأدبية ونظرية التناس، مجلة " علامات في النقد"، النادي الأدبي بجدة، ج 1 مج 1، 1991، ص 88.
- 68- ينظر: عبد الملك مرتاض، المرجع نفسه، ص 89.
- 69- ينظر: حافظ المغربي، مرجع سابق، ص 96.
- 70- ينظر: محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري، استراتيجية التناس، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط 3، 1992، ص 121.
- 71- ينظر: أحمد المديني، ترجمة وتقديم لمارك أنجينو " في أصول الخطاب النقدي الجديد "، دار الشؤون الثقافية، بغداد، سلسلة المائة كتاب، ط 1، 1987، ص 99.
- 72- ينظر: مصطفى بيومي، التناس، النظرية والممارسة، النادي الأدبي، الرياض، السعودية، ط 1، 2010، ص 149.
- 73- ينظر: مصطفى بيومي، قراءة الصورة، ممارسة التناس في النقد العربي المعاصر، مجلة علامات، العدد 80، أغسطس 2014، ص 135.
- 74- ينظر: عبد الستار جبر، المصطلح والقيمة، علامات في النقد، المجلد 51، الأسدي، ماهية التناس لقراءة في إشكاليته، ج 13، مارس 2004، ص 273.

مفهوم الثقافة من المنظورين الغربي والعربي

the concept of culture from a western and arabic perspectives

أ. فاطمة قيدوش*

تاريخ القبول: 2022.02.19

تاريخ الاستلام: 2021.03.21

ملخص: تجمع الدراسات النقدية على أن المصطلح يتشرب معرّفيا ودلاليا من محاضنه الثقافية ويكتسب دلالات جديدة بمجرد نقله وترحيله إلى حقول جديدة وغالبا ما يطبعه نوع من الغموض والضبابية، ولهذا وجب وضعه تحت المجهر التحليلي المعرفي للوقوف على هذه الملاحظات وما رافقه من غموض وذلك بالوقوف على مفهومه اللغوي والاصطلاحي لتحديد ماهيته وجوهره، ومصطلح الثقافة لا يختلف عن غيره من المصطلحات وقد أخذ له تعاريف عدة تنوعت حسب مجالها من الأنثروبولوجيا، وعلم الاجتماع، وعلم النفس والفلسفة، وغيرها من المجالات. كلمات مفتاحية: ثقافة، غرب، عرب، علم، أنثروبولوجيا.

Abstract: Critics agree that the term "culture" take sits cognitive and semantic meanings from the different cultural background sand that it acquires new meanings when conceived from other views.

These new meanings are mostly ditinguished with ambiguity and confusion. In order to stand on its linguistic and terminological meaning , the term should be subjected to more analysis and criticism.

Also, other fields like anthropology, sosiology, psycology and philosophy and other areas.

Keywords: culture, West, Arabs , science, Anthropologie.

1. مقدمة: تعتبر الثقافة من القضايا التي لقيت اهتماما من الباحثين في كافة المجالات، وذلك لارتباطها بالإنسان مباشرة وبكيفية تفاعله داخل مجتمعه، على أساس أن لكل مجتمع ثقافة تميزه عن غيره، وإن تشابهت في بعض المعالم الكبرى بحكم كونها حصيلة فكر إنساني جمعي، إلا أن لكل ثقافة معالم وخصوصية تميز طبقة عن أخرى وفردا عن آخر، والكُلُّ المركب من عادات وتقاليده وأفكار ومعتقدات وسلوك، يصبح بمثابة أنظمة ثقافية توجه الفرد وتتحكم في ذائقته، كما تحدد سلوكه وانتماءه للمجتمع ويصبح خاضعا لأنساقها وبانتقال مفهوم الثقافة من المعنى الفردي الضيق إلى المعنى الاجتماعي ومن مجال ظهوره الأول في المجال الأنثروبولوجي إلى حقول معرفية أخرى تنوعت تعاريفها ودلالاتها، كما ازداد هذا الترحال من فضفاضة معنى المصطلح وتشعبت دلالاته وظهرت مدارس مختلفة تُنظر بمفاهيم متعددة وهذا ما يدفعنا لتتبع تطوره التاريخي ودلالته من خلال طرح بعض الأسئلة لتثير البحث وتثريه من مثل:

- ما مفهوم الثقافة؟ وماهي الحقول التي ارتبطت بها؟
- وهل اختلف مفهوم الثقافة من حقل معرفي إلى آخر؟ وكيف كان ذلك؟
- ثم هل يتقارب المفهوم الغربي للثقافة مع المفهوم العربي؟
- وغيرها من أسئلة تكون معالم للكشف عن المعنى وتتبع دلالته.

2. مفهوم الثقافة

1.2. مفهوم الثقافة عند الغرب: لأجل الوقوف على مفهوم كلمة "ثقافة" من الضروري تتبع كيفية تكون الكلمة وتطورها الدلالي، لأن ذلك مرهونا بتاريخها وتبعيتها للماضي، وذلك التراكم كفيل بإعطاء دلالة متغيرة مع الوقت، زيادة على طابعها الفضفاض لغويا واصطلاحيا لارتحالها المفهومي بين حقول معرفية مختلفة ما أكسبها تعدداً وغنى، وهو من المفاهيم الغامضة فمعناها يختلف من البنيوية إلى الأنثروبولوجيا، ولهذا تعددت تعاريف هذا المصطلح لغويا واصطلاحيا وتضاربت، وقد حصرا ألفراد لويس كروبر Alfred Louis Kroeber وكلايد كلاكهون Clyde Kluckhohn " ما يزيد عن 160 تعريفا في اللغة الإنجليزية في زمنهما وذلك في مجالي الاجتماع والأنثروبولوجيا " (السعيد، 2008)، فكثرة الدراسات مع اختلاف التوجه العلمي والأيدولوجي لكل باحث أعطى هذا الكم من التعاريف.

تشير الدراسات إلى أن أصل كلمة ثقافة لاتيني وهو (cultura)، ويرجع معناه إلى الاهتمام بالأرض وزراعتها واستنباتها وتنمية محصولاتها وهذا ما أدلى به تيري إيغلتن Terry Eagleton في كتابه " فكرة الثقافة " حيث يقول: "من حيث أصل ومعنى وتاريخ الكلمات، هي مفهوم مشتق من الطبيعة. ونذكر أن أحد معانيها الأصلية قديما هو "الزراعة " أو العناية بالنماء الطبيعي (...) وكلمة (coulteur)(سكين المحراث) وهي الكلمة القرينة لكلمة culture تعني "شفرة المحراث ". ونحن نشق الكلمة للدلالة على أسى وأرفع الأنشطة البشرية في مجالات العمل والزراعة والحراثة والحصاد " (إيغلتن، 2012).

فقد ارتبط مفهوم الكلمة بالأرض خاصة وحرثاتها وزراعتها، وتمثلت في الجانب المادي للممارسة لارتباط الإنسان الشديد بعناصر الطبيعة وغايته في تطويعها لصالحه بمختلف الآلات، غير أنها مع الوقت انتقلت من مفهومها المادي إلى المفهوم المجازي في القرن السادس عشر وأصبحت تعني حراثة وتهذيب الأنفس والدلالة على ثقافة الفكر في مسألة العناية بالإنسان جسما، ونفسا، وعقلا، عن طريق التربية والتهذيب والتكوين والتعليم، وبصفة عامة عن طريق مجموع المعارف والآداب الإنسانية المتوفرة في عصر ما، والتي تغرس وتنمي في الإنسان صفات وخصائص محمودة مثل حسن السلوك والتصرف والتدبير والتذوق الرفيع، والحس النقدي والقدرة على الحكم السليم.

ومع القرن الثامن عشر تمّ اعتماد الكلمة و" إدراجها في قاموس الأكاديمية الفرنسية (dictionnaire de l'académie française) (نشرة 1718) وهي في أغلب الأحيان متبوعة بمضاف يدلّ على موضوع الفعل كأن يقال "ثقافة الفنون، ثقافة الآداب" (إيغلتن، 2012). ومعنى ذلك أن هذه الكلمة ظلت مقرونة بتابع من حقول معرفية كالأدب، والفن، والعلوم الدالة في محتواها على ممارسة فعل التثقيف غير أنها سرعان ما تخلّصت من هذه التبعية وأصبحت تمتلك دلالاتها الخاصة، وانتهت إلى استعمالها منفردة للتدليل على تكوين الفرد وتربيته نتيجة التراكم المعرفي.

وفي عصر الأنوار اقترن مفهوم الكلمة بالسياق الاجتماعي والأيدولوجي في تلك الفترة وأصبحت تدلّ على التقدم والتطور والتربية والعقل، ولهذا اقترنت بمفردة قريبة منها "حضارة" ف"كلمة ثقافة كمرادف للحضارة تنتهي إلى روح عصر التنوير وعقيدته في التطور الذاتي العلماني المتقدم والمتطور مرحلياً، وكانت كلمة حضارة إلى حدّ كبير كلمة فرنسية بمعنى التشذيب مع الازدهار الحضاري، فبينما تحيل كلمة "الحضارة في الفرنسية" على الحياة السياسية والاقتصادية والتقنية. نجد كلمة الثقافة الألمانية لها مدلول ديني وفني وفكري" (إيغلتن، 2012).

فمفهوم الثقافة في السياق الفرنسي هو التقدم العلمي والفكري الذي أعطى أولوية للعقل للتحرر والبحث في حين نجد مرادفه في الحضارة الألمانية "kultur" يعني كل المنجزات الفنية والفكرية والأخلاقية التي تكوّن تراث أمة، ومع مطلع القرن التاسع عشر تغيّرت المفاهيم وتحررت لفظة ثقافة من التأثير الأيدولوجي ودخلت المجال العلمي، فقد تميّز عصر النهضة بمناهضة الأفكار اللاهوتية للعصور الوسطى التي كانت عائقاً أمام تطوّر العقل الإنساني، وتوقه إلى الحقيقة ومعرفة أصول الأشياء، ونتيجة ذلك ظهر اتجاه يهتم بدراسة علم الإنسان في مراحل التطورية المختلفة وفق منهج علمي جعل منه ظاهرة طبيعية قابلة للتطبيق وكلّ تلك الأفكار التي كانت رصيда معرفيا في بلورة علم الأنثروبولوجيا، كعلم يدرس تطور الحضارة البشرية في إطارها العامّ وعبر التاريخ الإنساني وثقافة الشعوب وحضاراتها، من أجل المقارنة والتعرّف إلى أساليب حياة هذه الشعوب وتكوّنها بحسب مراحل تطورية معيّنة.

وكانت بذلك الثقافة مادة غنيّة للأبحاث الأنثروبولوجيّة الثقافيّة التي حاولت أن تعطي إجابة موضوعيّة وعلميّة لتنوّع المجتمعات وعاداتها وتقاليدها داخل النسق العام لهذه المجتمعات، فظهرت على إثرها مدارس عدة مع مطلع القرن التاسع عشر.

نشأت لفظة ثقافة في حقول اجتماعية ويعود الفضل للباحث الأنثروبولوجي إدوارد بورنت تايلور *Edward Burnett Tylor* (1832-1917) في إعطاء أول تعريف في كتابه (الثقافة البدائية (primitive culture 1871) عندما قال: "إنّ "ثقافة" أو "حضارة" هي هذا الكلّ المركب الذي يشمل المعرفة والمعتقدات والفن والأخلاق والقانون والعادات وكل القدرات الأخرى التي يكتسبها الإنسان بوصفه عضواً في مجتمع" (الكتاب، 1997).

فقد اقترنت لفظتا ثقافة وحضارة نتيجة السياق الذي كان في تلك الفترة، وإذا كان " انتهى إلى تفضيل ثقافة فلأنّه فهم أنّ " الحضارة" وحتى وإذا ما وضعت فبمعناها الوصفي الخالص تفقد خاصيّة المفهوم الإجرائي حالما تطبّق على المجتمعات البدائية " (الكتاب، 1997). فالحضارة تتطلب إنجازاً مادياً وعلمياً وتقنياً، وهذه الخاصيّة تفتقد لها المجتمعات البدائيّة، ولهذا اقتصر على مفهوم الثقافة الذي يجده أقرب إلى التعبير لأنها خاصية تخص كلّ البشريّة، فكّل الشعوب لها ثقافتها الخاصّة بها وكلّ مجتمع له ما يميّزه عن الآخر، والعناصر الثقافية تشكل فيما بينها وحدة متكاملة تحفظ توازن المجتمع والمعارف والمكتسبات التي تكونت بفعل التراكم المعرفي، يكتسبها الفرد داخل مجتمعه من خلال تفاعله مع الآخرين بعيداً عن الجانب البيولوجي.

يمتاز التعريف الذي قدّمه تايلور بالشمولية لأنه اتّبع في بحثه نهج المقارنة بين ثقافات مختلف الشعوب معتمداً على التقاليد، والعادات، والسلوك، وما يحكمها من قوانين، كما قارن بين الأساطير المختلفة ليتوصل في الأخير إلى وحدة الثقافة الإنسانية لما وجده من تشابه وتقاطع في الموروث الثقافي لكلّ الشعوب والمجتمعات.

ويعدّ تعريف تايلور للثقافة المصدر الأساسي الذي جاءت منه جميع الاشتقاقات الأخرى في ميادين معرفية مختلفة بداية بعلم الاجتماع.

لم يأخذ مفهوم الثقافة حصته مبكراً من البحث الأنثروبولوجي الفرنسي، لأنّ الأمر كان مقتصرًا على لفظة حضارة، وظهر في علم الاجتماع مع إميل دوركايم *Emile Durkheim* الذي أعطى رؤية عن كيفية إنتاج المجتمع، وتشكيله للثقافة، فهو لم يقدّم بتعريف الثقافة، لكنّه اعتمد في دراساته على تفسير وتحليل بعض مظاهر الحياة في المجتمعات البدائية في كتابه " الأشكال البدائية للحياة الدينية"، الذي يُعتبر مصدراً أساسياً لتحديد الظاهرة الدينية، وركّز على كيفية إنتاج المجتمع وتشكيله للثقافة وكيفية تنظيم هذه الأخيرة عمل المجتمع. وانطلق في مفهومه للثقافة من "أن الأفكار الدينية والأخلاق

والقيّم هي حجر الأساس في المجتمعات وهي العناصر البالغة الأهمية في أيّ نظام اجتماعي وليست العوامل الذاتية" (هيولستن 2013).

يربط دوركايم بين الحياة الاجتماعية للجماعة من خلال هذه المعايير التي هي في الأخير تعبير عن ثقافة الجماعة، وتصبح بمثابة الرمز الذي ينظم حياتها، فمجموع هذه التصوّرات الاجتماعية والقيّم، والمعتقدات هي التي تتحكّم في الفرد، وتحدّد نمط معيشتة وتصرفاته، وتكون بمثابة الوعي الجمعي؛ هذا الأخير الذي " يتشكّل من التمثّلات الجماعية والمثل والقيم والمشاعر المشتركة بين كل أفراد ذلك المجتمع، هذا الوعي الجمعي يسبق الفرد ويفرض عليه، وهو بالنسبة إليه خارجي ومتعال " (كوش، 2007). فالوعي الجمعي هو بمثابة قوّة جبرية تفرض سلطتها على الفرد من خلال انساق معينة وهو الذي يحقق وحدة وتماسك المجتمع.

لقد شهد البحث الأنثروبولوجي قفزة علمية مع الباحث الألماني بواز F.boas في تعريفه للثقافة بأنها: "(كلّ) متناسق تتداخل أجزاؤه تداخلا وثيقا، ولكن من الممكن أن نتعرف فيه على شكل بنائي معين أي أن نتعرف فيه على عناصر مختلفة هي التي تكوّن الكلّ " (ابن نبي، مشكلة الثقافة، 1984)، وهنا نقف على أنّ الثقافة هي وحدة متكاملة من عناصر أساسية مثل العادات والتقاليد والمعتقد، في حين نجد داخل هذا البناء ثقافة فرعية أخرى متواجدة داخل هذا الكلّ، لكنّها تحمل سمات تخصّها وتميّزها عن ثقافة أخرى.

ويعرّف رالف الثقافة على أنّها " كلّ متناسق من السلوك المتعلّم ونتائج هذا السلوك، وأنّ العناصر المكوّنة لهذا الكلّ تكون مشتركة بين أفراد المجتمع الواحد وتنتقل بواسطتهم من جيل إلى جيل آخر ويتضمّن السلوك المتعلّم هنا كلّ ما يقوم به الفرد من أفعال سواء كانت ظاهرة أم باطنة" (التومي، 2016).

فالثقافة عند رالف تعتبر كلاً متجانساً، يمثّل المعتقدات والعادات والتقاليد والقيّم، والتي تكون بمثابة معايير يتمّ من خلالها معرفة سلوك الشخص الذي ينتمي إليها، أمّا الخصوصية فهي مجموعة من الثقافة الفرعية المتواجدة داخل الثقافة الرئيسية لمجتمع ما، وهي فرع من الأصل لكنّها تحمل سماته الخاصة التي تميّزها عن ثقافة أخرى، وتكتسب خصوصيتها من المجتمع الذي تستوعب خواصّه فتعمل على تحديد نظام هذا المجتمع في ظلّ أعرافه ومن ذاك تصبح لها الفاعلية والقدرة على السيطرة وهي تتحكّم في سلوك أفراد معينين دون غيرهم لأنّ كلّ مجتمع لديه أنماط من الخصائص الثقافية هي التي تعكس اختلاف هذه الفئات عن بعضها، وهذه الخصوصية تدخل ضمن مهارات هذه الفئة، وتصبح بمثابة ثقافة فرعية تميّز أفراد الجماعة الواحدة وتنتقل من جيل إلى آخر. كما أنّها بالنسبة إليه " تضمّ كلّ مظاهر العادات الاجتماعية في جماعة ما، وكلّ ردود أفعال الفرد المتأثرة

بعادات المجموعة التي يعيش فيها وكلّ منتجات الأنشطة الإنسانية التي تحدّد بتلك العادات " (الدايم، 2011).

فقد انطلق رالف في تعريفه للثقافة من كون كل جماعة لها خصوصياتها الثقافية لا العرقية التي تميّز شعباً عن آخر، فالثقافة عنده ترتبط بالعادات الاجتماعية وما ينتج عنها إثر التفاعل الفردي داخلها، فلا يوجد اختلاف بيولوجي بين الإنسان البدائي والمتحضر، فالأمر يقتصر على التنوع والاختلاف الثقافي الذي يكتسبه الفرد المنتمي لهذه المجموعة، إضافة إلى أنها تشمل الجانب المادي المتمثّل في المنتجات والوسائل وتتمثّل نظرية رالف الجوهرية في أنّ الثقافة هي التي تشكّلنا وليس البيولوجيا.

ومن جهة أخرى عرّف برونيسلاف مالينوفسكي Bronislaw Malinowski الثقافة بقوله: "هي ذلك الكل المتكامل الذي يتكون من الخصائص البنائية لمختلف المجموعات الاجتماعية من الأفكار الإنسانية والمعتقدات والأعراف والحرف والأدوات" (الدايم، 2011).

فهو يجدها وحدة متكاملة من عناصر مختلفة كالأفكار والمعتقدات التي تخصّ جماعة معيّنة وتشكّل بنيتها التكوينية وتحقق لها تناسقاً يُبقي على توازنها، كما تتمثّل في جانبها المادي من الحرف والأدوات التي تخصّها.

ومع مدرسة الثقافة والشخصية برز التيار النفسي ومنه تنطلق روث بن يديكت Roth benidect من فكرة مفادها أن لكلّ ثقافة شخصيتها الجمعية الخاصة، تفرض وجودها على الأفراد الذين نشأوا في هذه الثقافة "وتعرف روث بنديكت الثقافة بأنها: "ذلك الكل المركّب الذي يشمل العادات التي يكتسبها الإنسان كعضو في المجتمع" (الدايم، 2011). فالثقافة عند روث بن يديكت هي ما يكتسبه الفرد من عادات وتقاليد داخل المجتمع باعتباره فرداً منه.

كما تربط شخصية الفرد بمجتمعه فـ"تاريخ الفرد أولاً وقبل كلّ شيء له تكيّف مع الأنماط والمعايير المتوارثة تقليدياً في مجتمعه. ومنذ لحظة ميلاده تشكّل الأعراف التي يولد في ظلّها، خبرته وسلوكه وبحلول الوقت الذي يستطيع فيه التكلّم قد يكون غدا المخلوق الصغير بثقافته وبحلول الوقت الذي يصير فيه كبيراً وقادراً على المشاركة في أنشطتها. فإنّ عاداتها تصبح عاداته ومعتقداتها معتقداته، ومستحيلاها مستحيلاته" (كوبر، 2008)، إذ ترى بن يديكت أنّ شخصية الفرد تتشكّل من خلال ما يتعلّمه، وما يكتسبه وهذا المخزون الثقافي هو الذي يشكّل شخصيته، وتصبح في لحظة معيّنة هذه الثقافة هي التي تحدّد تصرفاته وتشارك في بناء الشخصية على نمطها.

وحسب ما قاله مؤلف كتاب مفهوم الثقافة الاجتماعية "كل ثقافة تميّز، بالنسبة إليها، بما تسميه "pattern"، أي بهيئة معيّنة، بأسلوب ما، بنوع من النموذج إذا جاز القول" (كوش، 2007)، لهذا فكل ثقافة لها نموذج خاص بها يميّزها ويحدّد هيئتها.

أما عالم الأنثروبولوجيا كلود ليفي - ستروس Claude Lévi-Strauss فيعرف الثقافة كالتالي : "يمكن اعتبار كل ثقافة مجموعة أنساق رمزية تتصدّرها اللغة وقواعد التزاوج والعلاقات الاقتصادية والفن والعلم والدين " (كوش، 2007)، فالثقافة هي مجموعة من الرموز مثل اللغة والقواعد والقوانين التي تضبط الزواج بين الأفراد والعلاقات الاقتصادية والفن والعلم، واعتمد ليفي ستروس في دراسته على الأسطورة والقرباة واللغة للبحث باعتبارها رموزا ثقافية مكنته من الوقوف على حقيقة مفادها أنّ الثقافة البدائية هي أصل الثقافات، وما تفرع عنها هو نماذج معدودة ومتشابهة للثقافة الأم.

تنوعت مفاهيم الثقافة في المنظور الغربي، وهذا ما يجعلنا نفتح نافذة على مفهوم هذا المصطلح من المنظور العربي، ومقارنته للوقوف على دلالة أكثر ومدى تماسهما مع بعض.

2.2 مفهوم الثقافة عند العرب: ارتحل مفهوم الثقافة كغيره من بعض المفاهيم من محاضنه الغربية إلى الحقول المعرفية العربية نتيجة الانفتاح الثقافي بين الشرق والغرب، وما رافقه من حركة ترجمة فتحت الآفاق لظهور مصطلحات جديدة لها جذور في المعاجم والقواميس العربية، وأخذت لها تسميات مغايرة، وقد تكون حدائية بحكم منشأها الغربي ولهذا يعاني المصطلح حالة من التغريب بمجرد نقله من لغته الأصلية ومحيطه إلى حقول دلالية أخرى، حيث ينفتح على معانٍ متعددة تكسبه نوعا من الضبابية واللاتحديد، ويدخل بذلك في فوضى التعتيم، وفي هذا الطرح يتساءل مالك بن نبي في كتابه - مشكلة الثقافة:

- من أين جاءت كلمة ثقافة ومنذ متى استخدمت في اللغة العربية؟

وهذا التساؤل يضعنا أمام حقيقة مفادها أن هذه اللفظة بمفهومها الاصطلاحي غريبة المنبت والدلالة وإن كان لها جذور في اللغة العربية، فمعناها يختلف حسب ورودها وتدل على معان مختلفة بعيدة عن الاشتقاق الأصلي للكلمة، وهذا ما جعل ثلة من الباحثين يحفرون في بطون المعاجم العربية والقواميس سعيا للوقوف على دلالتها ومقاربتها بالمعنى الأصلي لها.

فقد وردت لفظة الثقافة في القرآن الكريم بمعنى الظفر بالشئ والتفتيش والتنقيب عنه، فقد جاء في سورة الممتحنة " وإن يثقفوكم يكونوا لكم أعداء ويبسطوا إليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء " الممتحنة الآية 2 " ما يدل على قوة الإدراك، وكذلك وردت في سورة الأنفال في الآية 57 في قوله تعالى " فإِذَا تَثَقَفْتُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَذْكَرُونَ " وجاء في تفسير الآية: " ومعنى " تثقفتم " : تأسروهم وتجعلهم في ثقاف، أو تلقاهم بحال ضعف تقدر عليهم فيها وتغلبهم. " (القرطبي، 2006) وفي كلا الموضعين جاءت الكلمة في سياق الحرب والقتال لأجل النصر والظفر بالشئ "والعلة في ذلك أن الموقف يتطلب النباهة والحذاقة، أي العمل باستراتيجيات هجومية وتكتيكات دفاعية، لدرء المخاطر والفوز على الخصم. وهي بالتالي ليست حربية بالمعنى الحصري بل كفاحية بالمعنى العام " (الزين،

(2014)، فالحرب تتطلب مجهودات جسدية وبالمقابل فكرية تتطلب النباهة وحسن التخطيط لأجل كسب المعارك، وهذا يتطلب قدرات فكرية وذكاء.

أما في المعاجم العربية فإن أصل الكلمة (ث ق ف) توزعت بين الحذق والفطنة والإدراك وحسن التعلم فقد جاء في لسان العرب لابن منظور "ثقف الشيء ثقفا وثقافة وثقوفه: حذقه" (منظور، 1990) وغير بعيد عن هذا المعنى الذي يصب في الحذق والذكاء جاء في القاموس المحيط في مادة ثقف "ثَقَّفَ: كَكَّرَمَ وَفَرَحَ ثَقْفًا وَثَقْفًا وَثِقَافَةً: صَارَ حَازِقًا وَفَطِنًا وَكَذَلِكَ ثَقَفَهُ تَثْقِيفًا: سَوَّاهُ. وَثَاقِفُهُ فَتَقَفُهُ، كَنَصْرِهِ: غَالِبُهُ فَغَالِبُهُ فِي الْحَذَقِ" (آبادي، 2005). وبالإضافة إلى الحذق والفطنة ارتبط بفعل تسوية الشيء وتقويمه من الاعوجاج، كما تدل على المجابهة والمغالبة والانتصار نتيجة قدرات فكرية وذكاء.

وورد في كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي في باب (الثاء)...وَالثَّقَافُ: حديدة تسوى بها الرماح ونحوها، والعدد أثقفة وجمعه ثُقُفٌ. والثقف مصدر الثقافة وفعله ثَقِفَ إذا لَزِمَ، وثقفت الشيء وهو سرعة تعلمه. وقلب ثَقَّفَ أي سريع التعلم والتفهم" (الفراهيدي، 2003). فدل على فعل تسوية الشيء أو تقويم الأسلحة الحربية التي أصابها اعوجاج، كما اقترن المعنى بسرعة التعلم والبديهة والفهم. وبناء على ما سبق ذكره في الموروث العربي سواء الديني أم اللغوي نجد لفظة ثقافة حاملة لمعانٍ متعددة تعكس مفاهيم مختلفة بين الظفر بالشيء، وإدراكه وأخذه، والحذق والكياسة، والفطنة والتسوية والتقويم والتربية وسرعة أخذ العلم وملكات المعرفة وهذا يقارب نظيره في المفهوم الغربي الذي يوحى بالقدرات الذهنية والسلوكية وما يميز الشخص من ذكاء وفطنة وبداهة وقدرة على التعلم والأخذ بالشيء.

غير أن الباحث حسين مؤنس يقرّ على أن الوارد من اشتقاقات لغوية لا تدلّ على المعنى الاصطلاحي المتعارف عليه اليوم لمفهوم "ثقافة"، وهذا ما نقف عليه في قوله: "فليس في معاني لفظ ثقف ما يتفق مع المعنى الذي نريده نحن اليوم من كلمة ثقافة، بل نحن لا نستعمل ثقف ويثقّف بل نقول تثقّف ويتثقّف بمعنى اطلع اطلّعا واسعا في شتى فروع المعرفة، حتى أصبح رجلا مثقفا" (الزين، 2014). فهو يجد فارقا بين المتداول من هذه الكلمة في استعمالنا الحاضر لهذه اللفظة وبين ورودها في المعاجم، فإن كانت الأولى تدل على الحذق والنباهة وسرعة التعلم فإن الثانية يدل معناها على قوة الاطلاع على العلوم، وشتى فروع المعرفة وهذا ما يدفعنا لاقتفاء أثره المفهومي عند المنظرين العرب.

رغم ما رافق المجتمع العربي من تحضر وتمدّن كشف عن ممارسات ثقافية مختلفة، من سلوك ومعارف وتعلّم وتهذيب وغيرها. تعتبر جميعها عن سلوك حضاري وثقافي إلا أن ذلك لم يفرز معنى اصطلاحيا لكلمة ثقافة تتفرّد به، وهذا ما يبيّنه مالك بن نبي بقوله: "لا نجد الكلمة مستعملة في العصر الأموي والعباسي إذ لا أثر لها في اللغة الأدبية أو اللغة الرسمية والإدارية لذلك العصر، فتاريخ هذه الحقبة لم يرو وجود لائحة إدارية خاصة بمنظمة معينة، أو عمل من الأعمال يتصف بالثقافة"

(ابن نبي، مشكلة الثقافة 1984) فرغم التطور الذي شهده العصر الإسلامي بفرعيه الأموي والعباسي، إلّا أن ذلك لم يفرز معنى واضحاً لكلمة ثقافة ويتجسد فعلياً من خلال اللغة بشقيها الأدبي أو المؤسّساتي، ولم تظهر في تلك الفترة الأعمال التي تعبّر في فحواها عن فعل الثقافة بشكل محض.

ويعود مالك بن نبي ويقرّ بوجودها في موضع آخر ويقارب معناها في مقدمة ابن خلدون بقوله: "ولعل ابن خلدون كان يعني بما أطلق عليه (الملّكة) ما تدل عليه لفظة (ثقافة) ممتزجة بالموهبة، فقد ذكر أنّ نوع المحفوظ يقرّر اتجاه صاحبه في الأدب والعلم: فالملّكة الشعرية تنشأ بحفظ الشعر، وملّكة الكتابة بحفظ الأسجاع والترسل، والعلمية بمخالطة العلوم والإدراكات والأبحاث والأنظار والفقهية بمخالطة الفقه" (بن نبي مشكلة الثقافة، 1984). وهذا يدلّ على الملّكة والموهبة حيث تتشكّل هذه الموهبة من خلال الدربة والممارسة في مجالات مختلفة، فهي تنمّ عن القدرات الفكرية في حين غابت لفظة ثقافة.

ويشير زكي الميلاد تمييزاً لما قاله مالك بن نبي إلى أن "الثقافة كمقولة كانت حاضرة عند ابن خلدون (1332-1406م) بالصيغ المختلفة التالية: "الثّقافة" (بفتح الثاء) للدلالة على النباهة في اختلافها عن الفظاظلة؛ "الثّقافة" (بكسر الثاء) للدلالة على الشدة والشوكة؛ "الثّقاف" للدلالة على مجموعة من القيم الذهنية والفكرية واللّغوية في الكسب والتعلّم؛ وأيضاً على الدراية والخبرة في القيام ببعض المهامّ أو الوظائف مثل الملاحاة" (الزين، 2014)، فجاءت دالّة على الفطنة والنباهة والقدرة على التعلّم، لكن هذه الاستعمالات المختلفة للجذر "ث ق ف" ظلت عند ابن خلدون في حدود التداول اللّغوي ولم ترق إلى مصاف تصوّر المفهومي" (الزين، 2014)، حيث يجد أنها اقتصرّت على المعنى اللّغوي وكانت بعيدة عن التصوّر المفهومي الذي عبرت عنه.

إلا أنّ محمّد شوقي الزين يوجّه انتقاداً لما جاء به زكي الميلاد حين يقول عنه: "ولأنّ توقّف... على تحديد المدلولات للجذر اللغوي كما استعملها ابن خلدون: الحذق، المهارة، التهذيب، الظفر، التعديل، التقويم؛ ولم يرفها سوى استعمالات لغوية بحتة لا تقول حدّ الثقافة، فإنّي أختلف معه من كون ابن خلدون أصاب اللب وهو أنّ الثقافة هي بالفعل الحذاقة في اللسان العربي... أقصد أن جوهر الثقافة هو هذه المهارة والموهبة في التفاني في صناعة الشيء... أيّاً كانت ميادين اللعبة أو أقاليم الكفاءة... وهو ما تبدّى لنا مع المقولة في سياقها اللاتيني والإغريقي" (الزين، 2014)، فهذه الصيغ الواردة لمفردة الثقافة تتراوح بين المفاهيم المختلفة الدالة على النباهة والقوة زيادة على دلالتها على الجانب الذهني الدال على الأفكار والرؤى زيادة على ربطها بالجانب المادي.

حيث تغيرت دلالة هذه الكلمة أكثر وقاربت المعنى الأصلي لكلمة ثقافة بمعناها الأصلي culture مع سلامة موسى وذلك في بداية العشرينيات من القرن المنصرم وهو يقول في ذلك: "كنت أول من أفشى لفظة الثقافة في الأدب العربي الحديث، ولم أكن أنا الذي سكّها بنفسه فإنّي انتحلّها من ابن خلدون، إذ وجدته يستعملها في معنى شبيه بلفظ كلتور في الأدب الأوروبي. والثقافة هي المعارف والعلوم

والآداب والفنون التي يتعلمها الناس ويتثقفون بها وقد تحتويها الكتب ومع ذلك هي خاصة بالذهن أما الحضارة فمادة محسوسة في آلة تخترع وبناء يقام ونظام حكم يمارس، ودين له شعائر ومناسك وعادات ومؤسسات فالحضارة مادية وأما الثقافة فذهنية " (عارف، 1994).

فقد استند سلامة موسى على ما جاء به ابن خلدون من مفاهيم تدل في معانيها، على الملكة والحدق والمهارة وما يظهر براعة الإنسان في سرعة الكسب والتعلم والآداب واللياقة، وكذا الجانب المادي من صنائع وابتكارات، وهذا لا يختلف عما جاء في التصور الغربي في عصر الأنوار.

فهذا القول يفند الآراء التي تقول أن هذه الاستعمالات المختلفة للجذر ظلت عند ابن خلدون في حدود التداول اللغوي ولم ترتق إلى مصاف التصور المفهومي بالإيجاب، على أن الكلمة تحمل المعنى ذاته عند ابن خلدون والتي تدل في مجملها على تلك المعارف والعلوم والآداب التي يتعلمها الناس وهي ذهنية صرفة متأثرا في ذلك بالمدرسة الألمانية التي تربط الثقافة بالجانب الذهني في حين تتمثل الحضارة في الجانب المادي.

هذا ما بنى عليه الباحثون العرب غير أن مالك بن نبي تختلف نظريته، وهو يعطي نظرة مبنية على خصوصية المجتمع العربي الإسلامي، فلم ينطلق من سؤال ما هي الثقافة عند العرب؟ بل كان هدفه الأساسي كيفية الحصول على مجتمع ثقافي فعال، وإن كان يرى أن جلّ تعاريف الثقافة تعود في أساسها إلى مدرستين؛ "المدرسة الغربية التي ظلت وفيّة لتقاليد عصر النهضة وترى عموما أن الثقافة ثمرة الفكر، أي ثمرة الإنسان، تقابلها المدرسة الماركسية التي ترى أن الثقافة في جوهرها ثمرة المجتمع" (ابن نبي، مشكلة الثقافة، 1984). وبناء على هذا صاغ مالك بن نبي نظريته للثقافة بأنها «مجموعة الصفات الخلقية، والقيم الاجتماعية التي يتلقاها الفرد منذ ولادته كراشمال أولي في الوسط الذي ولد فيه، والثقافة على هذا هي المحيط الذي يشكل فيه الفرد طباعه وشخصيته" (ابن نبي، شروط النهضة).

فقد حدّد الثقافة في الجزء الأول من التعريف بأنها مجموعة الصفات الأخلاقية والقيم الاجتماعية التي يتلقاها الفرد منذ ولادته وتصبح بذلك بمثابة رأس المال الأولي، أو المخزون الذي يعتمد عليه الفرد في انطلاقته الذي يمكنه من التفاعل في الوسط والتأقلم معه، وفي ذلك يوافق مقومات الإنسان التي يقوم عليها المفهوم الغربي الذي يعتبر الثقافة ثمرة الإنسان. في حين حدّدها في الجزء الثاني بأنها المحيط الذي يشكل فيه الفرد طباعه وشخصيته وهذا ينطبق مع مقومات المجتمع التي يقوم عليها المفهوم الماركسي الذي يرى أن الثقافة ثمرة المجتمع، "مع أخذنا في الاعتبار ضرورة انسجام هذه المعطيات تحدّثه عملية التركيب التي تجريها الشرارة الروحية عندما يؤذن فجر إحدى الحضارات" (ابن نبي، شروط النهضة، د.ت)، في كيان واحد، كما توحى كلمة أولي بأنها هناك ما يوحي بتغير هذه الثقافة وتطورها مع الوقت حينما يتم اكتساب أشياء جديدة مع الوقت.

ويرى مالك بن نبي أنّ هناك خلطا بين مفهوم الثقافة والعلم، ويحدد بأن الثقافة عنده نظرية في السلوك أكثر منها نظرية في المعرفة، ويقول في ذلك: "ومن ثمة فالثقافة ليست مجرد علم يتعلّمه الفرد في المدرسة ويطالعه في الكتب، أي بمعنى أنها ذات مضمون معرفي صرف، بحيث تصبح تساوي النتاج التعليمي أو التخصص في ميدان من ميادين المعرفة، وإنّما هي جوّ عامّ من الأذواق والعادات والقيم التي تؤثر في تكوين الشخصية وتحديد دوافع الفرد وانفعالاته وعلاقاته بالأفراد الآخرين والأشياء" (بن نبي، تأملات، 1986).

تتجاوز الثقافة في نظرية مالك بن نبي فريدة الطابع العلمي وما يتحصّل عليه الفرد من معارف مختلفة من ميادين علميّة شتى، إلى أن تصبح أيضا كل ما يكتسبه الفرد من عادات، وتقاليده وقيم تحدّد شخصيته في مجتمعه وتعامله مع الآخرين، وتحتاج في بنائها إلى عناصر أساسية وجوهرية تدخل في تكوينها وتشكّل معا تركيبا متجانسا يمتلك فعالية في التأثير والتغيير؛ تغيير الوضع القائم بالتخلي عن الأفكار القديمة ومواكبة التحضّر من خلال أفكار جديدة لأجل نهضة عربية إسلامية، وهذه العناصر هي: (التوجيه الأخلاقي. التوجيه الجمالي. المنطق العملي. التوجيه الفني).

وهنا يحاول مالك بن نبي تجسيد الثقافة كفعل وممارسة وتطبيق، أساسها الأخلاق المستمدة من التعاليم الدينية التي يتشكّل عليها الفرد وينفطر على قيمها وتكون في طابعها الاجتماعي الذي يحقق التماسك في المجتمع، ثم الجانب الجمالي الذي تنطلق منه الذات المجتمع من الصوّر المحسوسة الموجودة في المحيط الاجتماعي وتكون موردا لأفكاره، فيبدع أعمالا فنيّة راقية تعكس في جمال تصرفاته وسلوكه وعمله منتجا بذلك لثقافة قيّمة، ومن خلال التطبيق العملي والمنطقي لما توقّر من رصيد معرفي ومادي بطرق علميّة ومنهجية متقنة، ويتّصل ذلك بمختلف النشاطات التي يمارسها الأفراد ويكون بمثابة وسيلة بالنسبة للفرد لتحقيق غايته وفي المقابل تكون وسيلة للمحافظة على كيان المجتمع واستمراره.

غير أنّ الثقافة بمعناها الأنثروبولوجي الذي يبحث في أصل الحضارات كان بعيدا كلّ البعد عمّا تطرقت إليه البحوث العربية عن مفهوم الثقافة التي ارتبطت بمفهوم عامّ في جانبها المعرفي والاجتماعي.

ومع الثقافت والأخذ من المناهج النقدية الغربية في تطبيقها على النصوص وقراءتها وتأويلها أصبح للثقافة معنى مغاير فقد تجاوزت على رأي الغدامي طابع العادات، والتقاليده، والأعراف، وأصبحت الثقافة بمعناها الأنثروبولوجي هي آليات الهيمنة، ومهمتها هي التحكم بالسلوك " مستندا في تعريفه على ما قال به كليفور جيرتز Clifford Geertz، والذي يعرف الثقافة بأنها " آلية للضبط المعياري للسلوك " (كليفور جيرتز، 2009). وفي تعريف مغاير عند إدوارد سعيد تصبح الثقافة : " تحمل تناقضا وجدانيا عميقا، والمرء يجب أن يشعر بهذا التناقض الوجداني إزاءها... فإنّ الثقافة قد استخدمت

بشكل جوهري، لا كشرط للتعاون والجماعية أو الاشتراك، ولكن كشرط للاستعباد بالأحرى " (الأكاديمين، 2018).

فالثقافة من منظور إدوارد سعيد لم تستعمل في طابعها التعاوني والاشتراكي لبناء مجتمعات متألّفة، لكنها وظفت كآلية للهيمنة والاستعباد، وتطويع الشعوب.

لقد ظهرت تعاريف متنوعة لمصطلح ثقافة وخرجت من طابعها الحديث إلى مفهوم ما بعد حداثي وظهرت أنواعا للثقافة وانقسمت إلى ثقافة عليا وأخرى ثقافة سفلى أي ثقافة النخبة وثقافة الهامش.

3. الخاتمة: يظهر الحفر في لفظة ثقافة من المنظور الغربي على أنّها ارتبطت بالجانب المادي حين اقترنت بالأرض ووسائل الزراعة والحرث، ثم انتقلت من المفهوم المادي إلى المفهوم المجازي وأصبحت تعني حراثة وتهذيب الأنفس، عن طريق التربية والتهذيب والتكوين والتعليم، ثم ارتبطت بحقول معرفية كالأدب والفن والعلوم الدالة في محتواها على ممارسة فعل الثقيف، وانتهت إلى استعمالها منفردة للتدليل على تكوين الفرد وتربيته نتيجة التراكم المعرفي. وبعدها دخلت المجال العلمي بداية من حقول اجتماعية ثم أنثروبولوجية لتصبح الرمز الذي ينظم حياة الجماعة، فمجموع هذه التصوّرات الجماعية والقيّم والمعتقدات هي التي تتحكّم في الفرد وتحدّد نمط معيشته وتصرفاته.

أما في المفهوم العربي المعاصر فقد وردت كلمة "ثقافة" لغويا في جانبها المادي الذي اقترن بآلة تقويم وارتبطت معانيها بما يتلاءم مع أحوال العرب في حياتهم المتّسمة بطابع البداوة، وفي أحوالهم التي تغلب عليها الغارات والحروب، ومع تغير أحوال العرب وغلبة الطابع الحضاري واستقرارهم في المدينة، ظهرت معان أخرى لهذه الكلمة واستخدمت الثقافة في بعض معانيها المعنوية؛ لتدل على جانب من التقدم التربوي والفكري، فارتبطت بالتربية والتعليم والتهذيب، وظلت مقترنة بهذا الجانب، وتمثلت في القيم الاجتماعية والعادات والتقاليد ونخلص للجمع بين المفهومين الغربي والعربي للقول بأن الثقافة هي الكلّ المركب من العادات والتقاليد والمعتقدات والصفات الأخلاقية، والقيم، والسلوك التي تميّز فردا عن آخر داخل مجتمعه كما تميّز مجتمع عن غيره وهذه الثقافة تخص الإنسان وحده يكتسبها الفرد داخل مجتمعه من خلال تأثره وتأثيره في الآخرين وتتناقلها الأجيال جيلا بعد جيل.

والثقافة التي يتلقاها الفرد منذ ولادته ويتأثر بها في تفاعله مع الآخرين في الوسط الذي يعيش فيه، تصبح مع الوقت مؤثرا لا شعوريا في توجيه الأفكار، وينعكس أثرها في الأعمال الفنية، والأدبية والنصوص، هذه الأخيرة التي لا تنفصل عن السياقات الثقافية والاشتراطات الاجتماعية التي أنتجتها حين تكون حمالة لمختلف أنساقها.

4. المراجع:

- 1-أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي، (مؤسسة الرسالة، 2006)، ص48
- 2-آدم كوبر: الثقافة التفسير الأنثروبولوجي، تر: تراجي فتحي، (عالم المعرفة، الكويت، 2008)، ص80.
- 3-ابن منظور: لسان العرب، (دار صادر، بيروت، لبنان 1990)، ص19
- 4-تيري إيغلتن: فكرة الثقافة تر: شوقي جلال، (مكتبة الأسرة الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة، مصر 2012) ص13.
- 5-جماعة من الأكاديميين: العين الثالثة-تطبيقات في النقد الثقافي وما بعد الكولونيالي، (دار ميم للنشر، 2018)، ص12.
- 6-الخليل احمد الفراهيدي: كتاب العين، (دار صادر، 2003)، ص204.
- 7-الخنساء التومي: دور الثقافة الجماهيرية في تشكيل هوية الشباب الجامعي، جامعة محمد خيضر بسكرة أنموذجا دكتوراه غير منشورة، جامعة بسكرة، 2016، ص59
- 8-دافيد إنغليز وجون هيولسون: مدخل إلى سوسيولوجيا الثقافة، تر: لماً نصير، (المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة، قطر، 2013)، ص56.
- 9-دنيز كوش: مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية، تر: منير سعيداني، (المنظمة العربية للترجمة، بيروت، 2007) ص48.
- 10-عبد الرحمان عبد الدايم: النسق الثقافي في الكناية رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة مولود معمري تيزي وزو، 2011، ص10
- 11-عبد الله الغدامي: النقد الثقافي (قراءة في الأنساق الثقافية)، (المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2000) ص74.
- 12-فؤاد السعيد: الثقافة والحضارة، مقارنة بين الفكرين الغربي والإسلامي، (دار الفكر، ط1، دمشق سوريا، 2008) ص30
- 13-مالك بن نبي: تأملات، تر: عمر كامل مسقاوي، (دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، 1986)، ص143.
- 14-مالك بن نبي: مشكلة الثقافة، تر: عبد الصبور شاهين، (دار الفكر المعاصر، ط1، دمشق، سوريا، 1984)، ص30.
- 15-مجد الدين بن محمد بن يعقوب الفيروز أبادي: القاموس المحيط، (للطباعة والنشر، 2005)، ص218.

- 16- مجموعة من الكتاب: نظرية الثقافة، تر: علي سيد الصاوي، (عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب الكويت، 1997)، ص 9.
- 17- نصر محمد عارف: الحضارة، الثقافة، المدنية دراسة لسيرة المصطلح ودلالة المفهوم، (المعهد العالمي للفكر الإسلامي عمان، 1994)، ص 27.
5. الهوامش:
- 1- فؤاد السعيد: الثقافة والحضارة، مقارنة بين الفكرين الغربي والإسلامي، دار الفكر، ط 1، دمشق سوريا، 2008، ص 30.
- 2- تيري إيغلتن: فكرة الثقافة تر: شوقي جلال، مكتبة الأسرة الهيئة المصرية العامة للكتاب، (د.ط)، القاهرة - مصر 2012، ص 13
- 3- المرجع نفسه، ص - ص 17-18
- 4- المرجع نفسه، ص 7.
- 5 - مجموعة من الكتاب: نظرية الثقافة، تر: علي سيد الصاوي، عالم المعرفة، (د.ط)، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1997، ص 9.
- 6- الرجوع نفسه، ص 30.
- 7- دافيد إنغليز وجون هيولسون: مدخل إلى سوسيولوجيا الثقافة، تر: لما نصير، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ط 1، الدوحة، قطر، 2013، ص 56.
- 8- دنيز كوش: مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية، تر: منير سعيداني، المنظمة العربية للترجمة، ط 1، بيروت، 2007 ص 48.
- 9- مالك بن نبي: مشكلة الثقافة، تر: عبد الصبور شاهين، دار الفكر المعاصر، ط 1، دمشق، سوريا، 1984، ص 30.
- 10- الخنساء التومي: دور الثقافة الجماهيرية في تشكيل هوية الشباب الجامعي، جامعة محمد خيضر بسكرة أنموذجا دكتوراه، غير منشورة، جامعة بسكرة، 2016، ص 59
- 11- عبد الرحمان عبد الدايم: النسق الثقافي في الكناية رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة مولود معمري تيزي وزو، 2011، ص 10
- 12 - المرجع نفسه، ص 10
- 13 - المرجع نفسه، ص 9.
- 14- آدم كوبر: الثقافة التفسير الأنثروبولوجي، عالم المعرفة، تر: تراجي فتحي، (د.ط)، الكويت، 2008، ص 80.
- 15- دنيس كوش: مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية ص 63.

- 16- المرجع نفسه، ص78.
- 17- أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، تج: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط1، ج10، 2006، ص48.
- 18- محمد شوقي الزين: الثقافة في الأزمنة العجاف فلسفة الثقافة في الغرب وعند العرب دار الأوطان ، ط1، 2014، ص60
- 19- ابن منظور: لسان العرب، دارصادر، بيروت، لبنان ، ج10، مادة (ثقف)، 1990، ج9، ص19.
- 20- مجد الدين بن محمد بن يعقوب الفيروز أبادي: القاموس المحيط، الرسالة للطباعة والنشر، ط8. 2005، حرف الثاء ص218.
- 21- الخليل احمد الفراهيدي: كتاب العين، دارصادر، ج1، باب الثاء، 2003، ص204.
- 22- محمد شوقي الزين: الثقافة في الأزمنة العجاف ، فلسفة الثقافة في الغرب وعند العرب، ص60
- 23- مالك بن نبي، مشكلة الثقافة، ص11
- 24- المرجع نفسه، ص11.
- 25- محمد شوقي الزين: الثقافة في الأزمنة العجاف، ص-ص 61-62.
- 26- المرجع نفسه، ص62
- 27- المرجع نفسه، ص62
- 28- نصر محمد عارف: الحضارة، الثقافة، المدنية دراسة لسيرة المصطلح ودلالة المفهوم، المعهد العالمي للفكر الإسلامي ط2، عمان، 1994، ص27.
- 29- مالك بن نبي : مشكلة الثقافة، ص29.
- 30- مالك بن نبي: شروط النهضة . تر: عبد الصبور شاهين دار الفكر، (د.ط) سوريا، (د.ت)، ص83.
- 31- المرجع نفسه ص84.
- 32- مالك بن نبي: تأملات، تر: عمر كامل مسقاوي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، 1986، ص143.
- 33- جماعة من الأكاديميين: العين الثالثة-تطبيقات في النقد الثقافي وما بعد الكولونيالي، دار ميم للنشر، ط1، 2018، ص12.
- 34- عبد الله الغدامي: النقد الثقافي (قراءة في الأنساق الثقافية) ، (لمركز الثقافي العربي، ط1، الدار البيضاء 2000)، ص74.



ملامح التعايش اللغوي بين اللغة التعليمية واللهجات الجزائرية؛
دراسة معجمية للألفاظ الحضارية في الكتب والمعاجم المدرسية

Linguistic Coexistence between Educational Language and Algerian Dialects.
A lexicographical Study for civilization words in School Dictionary and Textbooks

ط.د. آمال نزار قبايلي*

أ.د. خالد هدنة²

تاريخ القبول: 2021.07.02

تاريخ الاستلام: 2021.04.18

ملخص: أضفى التعدد اللغوي في الجزائر بصفة خاصة وفي القطن العربي بصفة عامة صبغة التنوع على ألفاظ اللغة التعليمية في البيئة المدرسية، وتغيرت الاستراتيجية اللغوية في ظل الإصلاحات الجديدة لقطاع التعليم وفقاً للتجانس الحضاري والتآلف اللغوي بين اللغة العربية واللهجات المحلية بما فيها الأمازيغية، وتبعاً لذلك تأثرت اللغة المستعملة ضمن الكتاب والمعجم المدرسيين كونهما وعاء المادة التعليمية العلمية ومدونة باللغة العربية. ومن هذا المنطلق نقدم هذه الورقة البحثية -وفق دراسة وصفية تحليلية- نروم فيها الوقوف على طبيعة هذا التعايش اللغوي الموظف ضمن النص التعليمي الموجه بالخصوص لتلاميذ المرحلة الابتدائية في المدارس الجزائرية متمثلاً في الألفاظ الحضارية وفق رؤية معجمية.

كلمات مفتاحية: التعايش اللغوي؛ اللغة التعليمية؛ اللهجات الجزائرية؛ المعجم المدرسي؛ الكتاب المدرسي.

Abstract: In Algeria in particular, and in the Arab region in general, Linguistic Pluralism has added diversity to the educational language in the school environment. The linguistic strategy has changed according to the new educational reforms, in accordance with the cultural homogeneity and linguistic harmony between Arabic and local dialects, including Amazigh.

From this point of view, we present this research paper, according to an analytical descriptive study, in which we want to measure the nature of this linguistic coexistence employed within the educational text for the primary school students in Algeria represented by civilized expressions according to a lexicographical view.

Keywords: Linguistic coexistence; educational language; Algerian dialects; textbook; school dictionary.

* - جامعة محمد لمين دباغين، سطيف2، الجزائر، مخبر المقاربة التداولية واستراتيجيات الخطاب.

البريد الإلكتروني: hopestrad@gmail.com (المؤلف المرسل)

2- جامعة محمد لمين دباغين، سطيف2، الجزائر.

البريد الإلكتروني: khal_174@yahoo.fr

1. مقدمة: عرفت الكتب المدرسية تطورات جوهرية لتعزيز الثقافة الجزائرية وتوضيح معالم الهوية الوطنية وتغيرت الاستراتيجية اللغوية في ظل هذه الإصلاحات الجديدة لقطاع التعليم، وتبعاً لذلك تغيرت طبيعة المحتوى المعجمي الموظف ضمن النص التعليمي الموجه لتلاميذ المرحلة الابتدائية في المدارس العربية عموماً والجزائرية بالخصوص، لتُفعّل دور الجانب اللغوي الاجتماعي والتواصلي في العملية التعليمية، فكان لزاماً توظيف ألفاظ من صميم الاستعمال المحلي والدارج للغة في العملية التعليمية.

سنحاول من خلال هذه الدراسة بشقيها النظري والتحليلي الذي سنعتمد فيه على محتوى بعض الكتب المدرسية للمرحلة الابتدائية كعينة للنص التعليمي، وكذا على بعض المعاجم المدرسية التي يمكن للطفل الجزائري أن يقتنمها أو يستشيرها أثناء تفاعله مع نصوص كتبه المدرسية، ونحدد مدى نجاح عملية توظيف ألفاظ اللهجات الجزائرية ضمن اللغة العربية متمثلة في النص التعليمي باللغة العربية الفصحى ضمن الكتب المدرسية في إطار معجمي، ورصد تلك الألفاظ ذات الشحنة الثقافية والحضارية والتي فرضت نفسها لغوياً ضمن المنطوق والمكتوب من اللغة في المدارس ضمن المعجم المدرسي -كونه مكملاً للكتاب المدرسي- يكشف المهم من ألفاظه- فإن وجدت هذه الألفاظ الدخيلة مكاناً في الكتب المدرسية مع ألفاظ اللغة العربية، هل ستجد لها مكاناً في المعاجم المدرسية واللغوية وتعايش بسلا مع نظيرتها الفصحى ضمن النص المعجمي في إطار تعليمي؟

2. اللغة التعليمية في المرحلة الابتدائية: اللغة في التعليم هي "إحدى الوسائل المهمة في تحقيق المدرسة لوظائفها المتعددة، يعتمد عليها كلّ نشاط يقوم به الطالب سواء عن طريق الاستماع والقراءة، أم عن طريق التحدث والكتابة" (الخطيب، 2004)، وتنقسم المرحلة الابتدائية من التعليم إلى طورين؛ الطور الأول والذي يشمل الصفوف الأولى والثانية والثالثة، ثمّ الطور الثاني الذي يشمل الصفوف الرابعة والخامسة، ومن البديهي أن تختلف لغة متعلّم الصفّ الأول عن متعلّم الصفّ الرابع أو الخامس، ذلك ما يقتضيه التدرّج في اكتساب الرصيد اللغوي والمعرفي، ويحدّد عبد الرحمان الحاج صالح الرصيد من اللغة الذي يجب أن يُعلّم للطفل بأنّه: "مجموعة من المفردات والعبارات العربية الفصيحة، أو ما كان على قياسها ممّا يحتاج إليه التلميذ في سنّ معينة من عمره، حتّى يتسنى له التعبير عن الأغراض والمعاني العادية، التي تجري في التخاطب اليومي من جهة ومن ناحية أخرى التعبير عن المفاهيم الحضارية والعلمية الأساسية التي يجب أن يتعلّمها في هذه المرحلة" (حاج صالح، 2012)، وعليه فإنّ اللغة التي يتواصل بها مع الطفل في مرحلته التعليمية الأولى هي ما يُحدث الفارق الذي يجب أن تكون عليه اللغة في كتبه المدرسية، وبالتالي اللغة المعالجة في المعاجم المدرسية الموجهة للمرحلة الابتدائية من التعليم مقارنة بمختلف المعاجم المدرسية الأخرى.

لنقرّ مبدئيًا بغياب مدوّنة تعليميّة عربيّة تجمع نصوص اللّغة المنطوقة والمكتوبة في المرحلة الابتدائية، والتي رغم بناء حجر الأساس فيها لم تُستكمل فتكوّن الأرضيّة الخصبة لتأليف المعاجم المدرسيّة العربيّة في المرحلة الابتدائية اقتداءً بالتي كان لها سبق الريادة من الأجنبية، فنختار أن نقوم بلمحة بحثيّة عن الألفاظ في الكتب المدرسيّة في المرحلة الابتدائيّة والتي من المفترض أن تكون حاضرة مشروحة ضمن وحدات المعاجم المدرسيّة للمرحلة الابتدائيّة.

1.2 الكتاب المدرسيّ: الكتاب المدرسيّ هو المدوّنة التعليميّة التي تعمل على تغيير سلوك المتعلّم، وهو مكوّن أساس من مكوّنات المنهاج التعليميّ بمختلف وحداته ومواده، وأهميته تكمن في أنّه يقدّم للمتعلّمين الموادّ الدراسية بشكل مبسط وممنهج لتحقيق أهداف المنهاج، بالإضافة إلى ما يقدّمه من الحدّ الأدنى من المعارف والمعلومات والخبرات لكلّ متعلّم في مستوى دراسي معيّن (بلعيد، 2009). ومن أهمّ ما يتمّ به تقويم الكتاب المدرسيّ هو سلامة اللّغة ووضوح المعنى، إذ أنّ ألفاظ المعاني والمفاهيم المستجدة في كل طور من الأطوار التعليميّة لا بدّ وأنّ تنسجم مع قدرات المتعلّم بتدرّج، ثمّ إنّها تعبّر عن احتياجاته المعرفيّة المتنوّعة ومنها احتياجه الاجتماعيّ كتعزيز الانتماء والهويّة.

2.2 المعجم المدرسيّ: المعجم المدرسيّ وما يعرف بالقاموس المدرسيّ، وهو الكتيّب الصغير المكمل للكتب المدرسيّة، يعرفه عبد الرحمان الحاج صالح المعجم المدرسيّ بأنّه "معجم وجيز، يخضع لمعايير علمية دقيقة محسوبة، يضمّ مجموعة من المفردات والعبارات العربيّة الفصيحة، أو ما كان على قياسها ممّا يحتاج إليه التلميذ في سنّ معيّنة من عمره، حتى يتسنى له التعبير عن الأغراض والمعاني العادية، التي تجري في التخاطب اليومي والتعبير عن المفاهيم الحضاريّة العلميّة، التي يجب أن يتعلّمها في هذه المرحلة" (الحاج صالح ص676)، ويعرفه عبد العزيز قريش بأنّه: "مجموع الوحدات المعجميّة المتداولة فعليًا في الكتب المدرسيّة في كلّ مستوى معيّن ضمن السياق التعليميّ لهذه الكتب" (قريش، 2007) مشيرًا لارتباطه الوثيق بالكتاب المدرسيّ في دور متكامل.

فإذا سلّمنا بأنّ الكتاب المدرسيّ هو وعاء نصوص اللّغة التّعليميّة الرّئيسي، فيمكن لنا إثر ذلك دراسة حركيّة الألفاظ وتعريفها بين الكتاب المدرسيّ والمعجم المدرسيّ، كون هذا الأخير مستودع ألفاظ اللّغة التعليميّة، ومن هذا المنطلق نأخذ عينّة للبحث من نصوص كتب الصّفّ الثالث المدرسيّة، وذلك لنقف على التّبادل اللغوي بين المعجم المدرسيّ والكتاب المدرسيّ والذي سيوضّح لنا ملامح تعايش اللّهجات الجزائريّة مع اللغة العربيّة في إطار تعليميّ.

3. ألفاظ اللّهجات الجزائريّة في البيئة المدرسيّة:

1.3 اللّهجات الجزائريّة: اللغة العامية هي ما يعرف باللهجة الشائعة واللهجة العربيّة المحكية واللهجة الدارجة، يعرفها محمد أحمد خاطر اللّهجات العربيّة على أنّها: "لسان فريق من النّاس مراعى فيه قيود صوتيّة خاصّة، تلاحظ عند الأداء، أو قيود صوتيّة تلاحظ عند أداء الألفاظ في بيئة معيّنة"

(خاطر، 1989). ويرى أنيس فريجة أن اللغة العامية "قائمة بذاتها حيّة، متطورة نامية تتميز بجميع الصفات التي تجعل منها أداة طبيعية للفهم والإفهام والتعبير عن دواخل النفس" (فريجة، 1989). ويعرّف عبد الرحمن الحاج صالح العامية أنها: "اللغة المستعملة اليوم ومنذ زمان بعيد، في الحاجات اليومية، وفي داخل المنازل، وفي وقت الاسترخاء والعفوية" (الحاج صالح، اللغة العربية بين المشافهة والتقرير، 1990). فنفرّق إذًا بين الاستعمال اللغوي في إطار تعليمي وبين استعمال لغة أخرى للتواصل اليومي بين أفراد المجتمع.

وقد احتوت الجزائر اللغة العربية بعد الفتوحات الإسلامية إلى جانب اللغة الأمازيغية، وتعايشت اللغتان بل وتشعبت بعدها لهجات في مختلف ربوع الوطن ومنها: (القبائلية والشاوية والترقية والشلحية والشلوية والمزابية وغيرها) وتأثرت بهما كونهما اللغتين الرئيسيتين، وكان نتاج هذا التواصل والتنوع الثقافي واللغوي أن بدأت هذه اللهجات بدورها في التأثير -ولو بالشكل البسيط- في اللغة التعليمية.

2.3 ألفاظ اللهجات في المعجم: حاول المعجميون من أنصار الاتجاه المعياري إبعاد ألفاظ اللغة العامية عن المعاجم اللغوية وكذا التعليمية، كون اللغة -من وجهة نظرهم- محفوظة لا يجب أن يعتريها لحن اللهجات، بينما تفتح آخرون على احتواء اللغة التعليمية على المعرب والدخيل والعامي منها، وينظر هؤلاء إلى اللغة كظاهرة اجتماعية تتأثر بالتطور وتتغير، و "من حق كل كلمة تثبت وجودها في المجموعة اللغوية أن تدخل المعجم مع الإشارة إلى طريقة استعمالها" (الجيلالي، 1999) وعلى هذا فإن بوادر التعايش بين ألفاظ اللهجات واللغة في المعاجم المدرسية بدأت في الظهور -على قلتها- بعدما فرضت تلك الألفاظ التعليمية وجودها بالفعل في اللغة التعليمية ضمن ما يوظف من وحدات ودروس في المدرسة، وفي حدود معينة يضبطها وازع الحفاظ على اللغة العربية السليمة من جهة و حتمية الاتصال اللغوي والاجتماعي الذي يفرضه الانتماء اللغوي في المجتمع في إطار معرفي تعليمي من جهة أخرى.

4. ألفاظ اللهجات الجزائرية بين الكتب المدرسية والمعاجم المدرسية: للوقوف على نوعية هذا التعايش في الكتب المدرسية والمعاجم المدرسية والتي يفترض بها أن تقف بدورها على شرح كلّ المفردات التي دخلت حيز الاستعمال في الكتب المدرسية، أخذنا في الجدول الموالي بعض ألفاظ الكتب المدرسية للسنة الثالثة ابتدائي والتي تنتمي إلى اللهجات الجزائرية كما توجد في المعاجم المدرسية بتعريف يقارب المعنى المتعارف عليه في السياق العام للغة العربية، كما استعنا بأربعة معاجم مدرسية اقتنيناها من مكتبات جزائرية، إثنان منها عربي لبناني والآخران من إنتاج دور نشر جزائرية.

الجدول رقم 1: ألفاظ عامية منتقاة من كتابي اللغة العربية والتربية المدنية الثالثة ابتدائي

اللفظ في الكتاب المدرسي	التعريف في معجم المجاني المدرسي (2016)	التعريف في معجم زاد الطلاب (أبو نصري، قبيعة، و. حسن، 2015)	التعريف في معجم الدليل (مؤلفين، الدليل، القاموس المدرسي الجديد المصور، 2014)	التعريف في معجم المغني (مؤلفين، المغني، قاموس مدرسي عربي-عربي، 2019)
جُبَّة ¹	جُبَّة ² (ج جُبَّب): كساء واسع الكَمَيْن يلبس فوق الثَّياب.	الجُبَّة ³ (ج جُبَّب) ثوب واسع الكَمَيْن يلبس فوق الملبس؛ الدَّرْع؛ العظم المحيط بالعين.	الجُبَّة ⁴ : ثوب واسع الكَمَيْن يلبس فوق الملبس؛ الدَّرْع؛ العظم المحيط بالعين.	الجُبَّة ⁵ : [ج. جُبَّب وَجِبَاب]: عظم محيط بالعين، ثوب يلبس فوق الثَّياب. الجُبَّة السِّنَان: ما دخل فيه الرَّمح.
مِلْحَقَة ⁶	مِلْحَقَة ⁷ (ج مَلَحِف): كل ما يُلتَحَفُ به، لِحَافٌ.	المِلْحَقَة ⁸ (ج. مَلَحِف) اللِّحَاف: غطاء يوضع على اللِّحَاف لوقايته من الأوساخ.	المِلْحَقَة ⁹ : (ج. مَلَحِف): اللِّحَاف، رداء تلتحف به المرأة فوق لباسها، غطاء من قماش يغطى به السرير أو نحوه.	المِلْحَقَة ⁹ : [ج. مَلَحِف] اللِّحَاف، غطاء يوضع على اللِّحَاف لوقايته من الأوساخ.
اللِّثَام ¹⁰	لِثَامٌ ¹¹ (ج لُثْم): ما كان على الأنف وما حوله من طرف ثوب أو نقاب.	اللِّثَام ¹² (ج. لُثْم) ما يوضع على الفم أو الأنف من نقاب لستره.	اللِّثَام ¹³ : ما يوضع على الأنف والفم من طرف ثوب أو نقاب لستره.	اللِّثَام ¹⁴ [ج. لُثْم]: نقاب، يوضع على الفم وطرف الأنف، غطاء يغطي من الوجه ما دون العينين.
الكسكس ¹⁵	كُسْكُسٌ ¹⁶ : طعام يصنع من طحين القمح المفروك بالماء والملح يطبخ في الكسكاس على البخار ثم يسقى بالمرق.	-	-	-

- أشار المعجميون في تعريف "الجبة" في القواميس المدرسية إلى أنها تعني ما يلبس فوق اللباس وهو المعنى العام للكلمة عند العرب قديما، بينما تعني في اللغة العامية الجزائرية لباس تلبسه المرأة وليس شرطاً أن يكون فوق اللباس، بل قد تكون هي اللباس.

- "الملحفة" لفظ في العامية الجزائرية تعني لباس المرأة الشاوية، عريض بشكل مميز يربط من الوسط بحزام يسمى "الحميلة"، ولا يوجد وصف له في المعاجم المدرسية يطابق ما هو عليه بالفعل في الثقافة الجزائرية.

- "اللتام": يغطي الرجل الترقى رأسه بعمامة من القماش الأسود في الغالب يلفها حول رأسه بإحكام عدة لفات حتى لا يظهر من وجهه سوى أهداب عينيه ليرى بهما (سعيد، 1994)، وهو ما يقارب ما جاء في تعريف القواميس المدرسية، من غير إضافة أو تخصيص لمعنى عادة الطوارق.

- من الغريب أن يعالج لفظ "الكسكس" -وهو أكلة يختص بها المغاربة بشكل عام والجزائريون بشكل خاص- في معجم لبناني، وتغيب اللفظة كلياً من القواميس المدرسية الجزائرية. ومن أمثلة الألفاظ التي دخلت حيز الاستعمال في غالبية كتب المرحلة الابتدائية، ولم نجد لها أثراً في المعاجم المدرسية الجزائرية -عينه البحث- نورد ما يلي:

الجدول رقم 2: ألفاظ اللغة العامية المنتقاة من كتاب التربية المدنية للسنة الثالثة ابتدائي

اللفظ في الكتاب المدرسي	التعريف في معجم المجاني المدرسي المبسط	التعريف في معجم زاد الطلاب	التعريف في معجم الدليل	التعريف في معجم المغني
طبق الرشته ¹⁷	-	-	-	-
الكاراكو ¹⁸	-	-	-	-
التوارق ¹⁹	-	-	-	-
الزرنه ²⁰	-	-	-	-
سي ²¹	-	-	-	-
آلة الإمزاد ²²	-	-	-	-
المحاجية ²³	-	-	-	-
المالوف ²⁴	-	-	-	-
المبرجة ²⁵	-	-	-	-
قندورة ²⁶	-	-	-	-
الشاوية ²⁷	-	-	-	-
الحايك ²⁸	-	-	-	-

- الرّشتهُ في الثقافة الجزائريّة طبق له رواج في شمال الجزائر بالخصوص، يُصنع من عجین ويُطبخ بمرق أبيض مع اللحم والحمص والخضار، ويُعرّف في معجم المعاني الجامع معناها عجین فطير يعمل رقاقًا ويقطع طولًا ويكسر حين يجف، ويطبخ باللبن غالبًا، لكنّه لا يوجد في المعاجم المدرسيّة عيّنة البحث.

- الكاراكو نوع من اللباس الجزائري، موروث ولا يزال يُلبس، أصله من الجزائر العاصمة، ولا يوجد اللفظ في المعاجم المدرسيّة.

- التوارق: لا يوجد لفظ "التوراق" بالتاء في المعاجم المدرسيّة ولا حتّى اللغويّة، والمعروف في القول: الطوارق بالطاء، من الأمازيغ (البربر) وهم شعب من الرحل يقطنون في مساحة شاسعة من الصحراء الأفريقية تمتد من موريتانيا في الغرب الى تشاد شرقا وتشمل الجزائر وليبيا والنيجر وبوركينا فاسو ومالي التي يطلق عليها الطوارق اسم "أزواد".

- الزرنة: آلة موسيقية هوائية تعمل بالنفخ تتألف من قصبتين وجسمها خشبي حيث يتم النفخ في القصبتين بواسطة الفم، وهي من الآلات الموسيقية الشعبية في شمال العراق وسوريا وتركيا وجنوب الجزائر بالخصوص، ويُعتقد أن التسمية فارسية بمعنى (الناي الجهير).

- اللفظ العامّي "سي" من وحدة طاحونة سي لونيس (مؤلفين، 2018) يحمل دلالة تقدير للرجل في المجتمع الجزائري والعربي عمومًا، لكنّه لا يوجد في المعاجم المدرسيّة رغم حضور اللفظ في اللغة التعلیمیّة وضمن الكتب المدرسيّة.

- الإمزاد هي آلة موسيقية تقليدية عند قبائل طوارق الأهقار، محدبة الشكل تعزفها النساء ومحرمة على الرجال، ويمجدها رجال الطوارق من القبيلة.

ولعلّ الطفل هنا يفهم معاني هذه الألفاظ أكثر من غيرها، كونها جزءًا من لغته الدّارجة، بل ويستأنس بها، مع وجود فوارق ذات فائدة، فيتعرّف طفل الشمال الجزائريّ عن "آلة التندي" الصحراويّة ويتعرّف طفل الجنوب على مفهوم "الملحفة الشاويّة"، ويتعرّف ابن الشرق على "الشدة التلمسانيّة"، في تواصل تراثيّ معرفيّ لغويّ. وفي هذا السياق يؤكّد صالح بلعيد على البعد الرّوحي الذي لا يتنافى ومعالم الهوية، ومن بين الخطوات التي تضمن ذلك؛ يشير إلى تفصيح العامّيات سيّما أنّ المشترك بين اللهجة الجزائريّة والفصحى هو القاعدة (بلعيد، في الهوية الوطنيّة، 2007).

وإنّا لا نبالغ إذ نعمّم ما نخلص إليه من خلال دراستنا المحليّة على كامل الوطن العربي، وليس ببعيد ما حدث خلال عام 2019 حيث أثار استعمال كلمتي: "بريوات" و"بغريز" بالمغرب الشّقيق في الكتاب المدرسي المغربي للسّنة الثّانية ابتدائي حفيظة الرّأي العام بين مؤيّد ومعارض لاستعمال الدّارجة في لغة التّعليم على مواقع التّواصل الاجتماعي، وكان ردّ الوزارة المغربيّة الوصيّة بلاغ توضيحيّ

مفاده أن ليس هناك مبرر تنظيمي أو تربوي يمنع استعمال أسماء مغربية (نوع من اللباس أو الطعام أو ما شابه) في نصّ قرائي وظيفي، كما أنّ لفظ "البغير" موجود بالفعل في معجم الغنيّ حيث يورد عبد الغني أبو العزم الشرح التالي لكلمة بغير: "تكفيني بغيرة واحدة؛ رغيف يُحضّر بخليط الدقيق بالماء وقليل من السمن والملح". وينادي بمواكبة تطوّر اللغة وانفتاح المعاجم على المولد والدخيل والعامي من الألفاظ، ونهج منهج القواميس الأحادية الأوروبية الرائدة على غرار معجم الروبير (Le Robert) (عبد ربي، 2019).

5. خاتمة: من خلال دراستنا هذه نخلص إلى أنّ اللغة التعليمية عمدت إلى احتواء الألفاظ الحضارية التي تنتمي إلى اللهجات المحلية الجزائرية ووظفتها ضمن إطار تعليمي مع اللغة الفصحى، بينما تخطو المعاجم المدرسية تلك الخطوة على استحياء، فلا تزال القواميس في البلاد العربية يتغذى بعضها على بعض ولا تقدّم مداخل جديدة تناسب الإصلاحات الجديدة في السياسات اللغوية الهادفة للتطور والتجديد، ونذيل بحثنا بالتوصيات التالية:

- الألفاظ الحضارية والتراثية والثقافية جزء من اللغة العربية، كونها تشرح حالة اجتماعية متكررة في زمن معين وضمن حيّز جغرافي محدّد؛
- دخلت ألفاظ اللغة العامية الحضارية حيّز الاستعمال في اللغة العربية التعليمية عبر اللغة المنطوقة والمكتوبة في البيئة المدرسية؛
- إنّ غالب الألفاظ الحضارية باللغة العامية -إن وجدت- في القواميس المدرسية لا تُعطى التعاريف المناسبة التي تحمل الشحنة الاجتماعية والثقافية، بل تُبقي على التعاريف الجامدة منذ قرون؛
- لا يستلزم التعريف في المعاجم المدرسية الموجهة لتعلم المرحلة الابتدائية الإطناب في التعريف أو ذكر أصول الكلمات، بل تكفي الإشارة لجنس اللفظ وموقف ومقتضى حال استعماله؛
- لا تتبني أغلب المعاجم المدرسية مبدأ التجديد في إدراج مداخل جديدة من اللغة وإن كانت دخيلة؛
- يجب إعادة النظر في منهج صناعة المعاجم المدرسية لتحتوي ألفاظ اللغة التعليمية حتى وإن كانت لا تنتمي إلى الفصحى؛
- إنّ اتّباع منهج دور النشر الرائدة في مجالي المعجمية والقاموسية التعليمية من شأنه أن يرفع مستوى جودة المعاجم المدرسية العربية.

6. قائمة المراجع:

- أنيس فريحة، اللهجات العربية وأسلوب دراستها، دار الجيل، بيروت، 1989، ص 97.
- جميل أبو نصري، طلعت هشام قبيلة، ورمزية نعمة حسن، زاد الطلاب المعجم المدرسي، بيروت: دار الراتب الجامعية، 2015.
- جولي مراد، معجم المجاني المدرسي المبسط، بيروت: دار المجاني، 2016.
- حلام الجيلالي، تقنيات التعريف في المعاجم المعاصرة، دمشق: اتحاد الكتاب العرب، 1999، ص 320.
- صالح بلعيد، في الهوية الوطنية، الجزائر: دار الأمل، 2007، ص 57.
- صالح بلعيد، دروس في اللسانيات التطبيقية، ط 4، الجزائر: دار هومة للنشر، 2009.
- عبد الرحمان الحاج صالح، اللغة العربية بين المشافهة والتقريب، مجمع اللغة العربية، ع 66، 1990، ص 117.
- عبد الرحمان الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، الجزائر: موفم للنشر، 2012، ص 120.
- عبد الرحمان الحاج صالح، أنواع المعاجم العربية الحديثة ومنهج وضعها، مجلة المجمع العلمي، المجلد 78، ج 3، 676.
- عبد العالي عبد ربي (2019)، على هامش النقاش حول تدريس المناهج التربوية، موقع بلا قيود: https://bilakoyoud.com/index.php/hebergeur/72-2016-07-12-17-35-04/6624-2018-09-29-22-06-05?fbclid=IwAR2wCQMz4hJMkmGr3B8L_ykf3bQ--wOcjsyx8nl-azQ5PN9uEASEPprhK1U
- عبد العزيز قريش، الإشكالات في المعجم المدرسي، المعجم العربي العصري وإشكالاته، ص 175-193، المغرب، معهد الدراسات والأبحاث للتعريب، ص 177، 2007.
- قشاط محمد سعيد، الطوارق عرب الصحراء الكبرى، ليبيا: دار الزّواد، ص 89، 1994.
- مجموعة مؤلفين، الدليل القاموس المدرسي الجديد المصوّر، وهران، الجزائر: دار الأنيس للنشر والتوزيع، 2014.
- مجموعة مؤلفين، الكتاب المدرسي الجزائري للغة العربية السنة الثالثة ابتدائي، الجزائر، 2018.
- مجموعة مؤلفين، المغني قاموس مدرسي عربي-عربي، الجزائر: دار المعاصرة الجديدة، 2019.
- محمد أحمد خاطر، في اللهجات العربية، القاهرة: مطبعة أبناء وهبة، 1989، ص 5.
- محمد كامل الخطيب، اللغة العربية، القسم الأول آراء ومناقشات، منشورات وزارة الثقافة، ط 1، 2004، ص 114.

8. هوامش:

- 1- الكتاب المدرسي الجزائري للغة العربية، السنة الثالثة ابتدائي، 2018/2017، المقطع الثاني: الحياة الاجتماعية، ص38.
- 2- ص184.
- 3- ص167.
- 4- ص83.
- 5- ص89.
- 6- الكتاب المدرسي الجزائري للغة العربية، السنة الثالثة ابتدائي، 2018/2017، المقطع الثاني: الحياة الاجتماعية، ص38.
- 7- ص503.
- 8- ص519.
- 9- ص264.
- 10- كتاب التربية المدنية، السنة الثالثة ابتدائي، الديوان الوطني للمطبوعات المدرسية، 2018 / 2017 ص18.
- 11- ص444.
- 12- ص465.
- 13- ص243.
- 14- ص237.
- 15- الكتاب المدرسي الجزائري للغة العربية، السنة الثالثة ابتدائي، 2018/2017، المقطع السادس: الحياة الثقافية، ص102.
- 16- ص432.
- 17- كتاب التربية المدنية، السنة الثالثة ابتدائي، الديوان الوطني للمطبوعات المدرسية، 2018 / 2017 ص18.
- 18- كتاب التربية المدنية، السنة الثالثة ابتدائي، الديوان الوطني للمطبوعات المدرسية، 2018 / 2017 ص18.
- 19- كتاب التربية المدنية، السنة الثالثة ابتدائي، الديوان الوطني للمطبوعات المدرسية، 2018 / 2017 ص18.
- 20- كتاب التربية المدنية، السنة الثالثة ابتدائي، الديوان الوطني للمطبوعات المدرسية، 2018 / 2017 ص18.
- 21- الكتاب المدرسي الجزائري للغة العربية، السنة الثالثة ابتدائي، 2018/2017، الوحدة الأولى: طاحونة السي لونيس، ص62.
- 22- الكتاب المدرسي الجزائري للغة العربية، السنة الثالثة ابتدائي، 2018/2017، الوحدة الأولى: كم أحب الموسيقى، ص94.
- 23- كتاب التربية المدنية، السنة الثالثة ابتدائي، الديوان الوطني للمطبوعات المدرسية، 2018 / 2017 ص19.
- 24- كتاب التربية المدنية، السنة الثالثة ابتدائي، الديوان الوطني للمطبوعات المدرسية، 2018 / 2017 ص19.
- 25- كتاب التربية المدنية، السنة الثالثة ابتدائي، الديوان الوطني للمطبوعات المدرسية، 2018 / 2017 ص20.
- 26- الكتاب المدرسي الجزائري للغة العربية، السنة الثالثة ابتدائي، 2018/2017، المقطع الثاني: الحياة الاجتماعية، ص38.
- 27- كتاب التربية المدنية، السنة الثالثة ابتدائي، الديوان الوطني للمطبوعات المدرسية، 2018 / 2017 ص21.
- 28- كتاب التربية المدنية، السنة الثالثة ابتدائي، الديوان الوطني للمطبوعات المدرسية، 2018 / 2017 ص21.

نقد ترجمة مالك عبيد أبو شهيوه ومحمود محمد خلف باللغة العربية (1999)
لكتاب صموئيل هنتنغتون

" صدام الحضارات وإعادة بناء النظام العالمي " باللغة الإنكليزية (1996)

Criticism of the Translation of Dr. Malek Abid Abou Chehioua and

Dr. Mahmoud Mohamed Khalef into Arabic of

Written in English "the Clash of Civilizations and the Remaking of World Order"

by Samuel P.Huntington

أ. وسيلة بلقرون *

د: زوليخة بن صافي²

تاريخ القبول: 02 / 07 / 2021

تاريخ الاستلام: 30 / 05 / 2021

ملخص: يتناول هذا المقال نقد الترجمة العربية الصادرة سنة 1999 للدكتور مالك عبيد أبو شهيوه والدكتور محمود محمد خلف لكتاب "صدام الحضارات وإعادة بناء النظام العالمي" الذي ألفه باللغة الإنكليزية صموئيل هنتنغتون عام 1996. الكتاب شكل حدثا بارزا في الأوساط الأكاديمية والثقافية والسياسية واضعا صيغة تفسيرية للصراع العالمي في القرن الواحد والعشرين قائمة على العامل الحضاري والثقافي. تركز عملية النقد هذه على تفحص سلوكيات المترجمين ودراسة مدى نجاحهما في ترجمة وإيصال مختلف الأفكار والمصطلحات الجديدة التي تزخر بها المدونة الإنكليزية والتي تعد وسيلة من وسائل منظري وخبراء الاستراتيجية الغربية لطرح التصورات والخطط المستقبلية. اعتمدت في عملية النقد النظرية السيسولوجية لبيار بورديو المطبقة في علم الترجمة.

توصلت هذه الدراسة إلى أن المترجمين أفلحا إلى حد بعيد في بلوغ هدفهما المتمثل في توعية المواطن العربي بالآخر وتحسيسه بتداعيات أطروحة صموئيل هنتنغتون. غير أن افتقارهما للمنظور السيسولوجي جعلهما يخفقان في ترجمة كثير من مصطلحات منظري صدام الحضارات والنظام العالمي الجديد. كلمات مفتاحية: ملكة المترجم، محفز المدونة، السك الاصطلاحي، الترجمة ممارسة اجتماعية.

* - جامعة أبو القاسم سعد الله -الجزائر 2، معهد الترجمة.

البريد الإلكتروني: w-belgroune@yahoo.ca (المؤلف المرسل).

2- بن صافي زوليخة: جامعة أبو القاسم سعد الله -الجزائر 2.

البريد الإلكتروني: chorafa@hotmail.fr

Abstract: This paper deals with the criticism of translation into Arabic done by Dr Malek Abid Abou Chehioua and Dr. Mahmoud Mohamed Khalef (1999) of the "Clash of Civilizations and the Remaking of World Order", written by Samuel P. Huntington (1996). The book was a prominent event in academic, cultural and political circles stating that the 21st century will experience civilizational and cultural conflicts. The criticism focuses on examining the translators' behaviours and investigating to what extent they succeeded in translating and conveying the ideas and new terms whose the English corpus abounds and which is one of the tools used by Western strategic theorists and experts to present future visions and plans. The sociological theory of Pierre Bourdieu applied in the translation studies was implemented.

This study came to the conclusion that the translators have largely succeeded in achieving their goal of making the Arab citizen conscious about the other and aware of the implications of Samuel Huntington's thesis. However, the translators' lack of a sociological perspective made them fail to translate many of the terms coined by the theorists of the clash of civilizations and the new world order.

Keywords: translator habitus, illusio of the corpus, neologism, social practice of translation

1. مقدمة: عرفت الترجمة عبر مسارها الطويل اهتمام العديد من المنظرين لا سيما علماء اللسانيات، فراح كل واحد منهم يفسرها حسب مفهومه ويحاول تقنينها تمشياً مع ممارسته لها، حتى أصبحت علما قائما بذاته. ركزت نظريات الترجمة منذ عهد شيشرو حتى بدايات القرن العشرين على المفاضلة بين ترجمة الحرف وترجمة المعنى. في مطلع الخمسينات ومع بروز العلوم اللسانية، طُرحت مفاهيم ومصطلحات متنوعة مثل المعنى والتكافؤ والأثر المكافئ والتكافؤ الشكلي والتكافؤ الديناميكي وبرزت نظريات عديدة مثل نظريات الترجمة الوظيفية والتواصلية ونظريات التوطين والتغريب والترجمة الفلسفية الهرمنيوطيقية. وعلى غرار هذه النظريات، اقترحت حديثاً النظرية السيولوجية، هي الأخرى، علم الترجمة مستندة إلى مفاهيمها الخاصة. حيث طبقت المقاربة السيولوجية¹ في علم الترجمة على النصوص الأدبية. في هذا البحث تحديداً تم تطبيقها لأول مرة على نص علمي الذي له مميزاته ومواصفاته التي تختلف عن النص الأدبي. كما تم تطبيقها لأول مرة على نقد نص عربي ناهيك عن نقد ترجمة عربية. ترجمة بعض مفاهيم نظرية بورديو إلى العربية هي

ثمرة بحث واجتهاد. فمثلا مصطلح "habitus" التي هي من الأسس النظرية الهامة في فكر بيار ليس موحدا في اللغة العربية ويختلف باختلاف مستعمله فأحيانا يترجم بالتطبيع وأحيانا أخرى بالسجية والزور والميول والسّمْتُ أو السّيماء علما أن مصطلح "الملّكة"، كصفة راسخة في النفس تمكن صاحبها من القيام بالأعمال المنوطة، استعمله ابن خلدون في كتابه "المقدمة" في الفصل السادس والأربعين "اللغة ملكة صناعية"، يفي بالغرض ويناسبه. مصطلح "illutio" لم يتداول كثيرا في المؤلفات العربية، ومستعملوه من العرب يفضلون إبقاءه في شكله اللاتيني أو ترجمته بالوهم بينما في هذا المقال ترجم بالمحضر اعتمادا على تعاريف بيار بورديو له.

في عملية نقد ترجمة مالك عبيد أبو شهيو ومحمود محمد خلف باللغة العربية (1999)² لكتاب "صدام الحضارات وإعادة بناء النظام العالمي" الذي ألفه باللغة الإنجليزية صموئيل هنتنغتون (1996)³، موضوع هذا البحث، تمت الاستعانة بأربعة مفاهيم نظرية للمفكر بيار ورديو⁴ المطبقة في علم الترجمة، معرفة أدناه في دراسة المدونة الإنجليزية وهي الرأس مال الرّمزي، الحقل، الملكة والمحضر. فالنظرية السيولوجية تسهل الإمام بالمدونتين الإنجليزية والعربية، لأن عملية الترجمة هي ممارسة سيولوجية في المقام الأول، يؤثر فيها بدرجات متفاوتة المحيط الذي أوجدها في مراحلها المختلفة كمشروع وممارسة ومنتج. إذ يسمح التحليل السيولوجي قبل التحليل النصي بتحديد الفضاء الاجتماعي والسياسي والفكري والاقتصادي الذي غدى كلاً من المدونتين لا سيما المدونة الأصلية.

وفي هذا السياق، تم استعمال هذه المفاهيم السيولوجية المطبقة حديثا في علم الترجمة لدراسة وتفحص سلوكيات المترجمين من مختلف الجوانب وعلى وجه الخصوص الجانب الاصطلاحي، لمعينة مدى نجاحهما في الاضطلاع بالمهمة التي التزم بها والمتمثلة في تبليغ وتحسيس وتوعية المواطن العربي بما يخطط له في كواليس ومخابر الأنظمة الغربية⁵. المقاربة السيولوجية تسمح بالإمام الشّامل والدقيق لأن عملية نقد الترجمة قائمة أساسا على عملية المقارنة بين المدونة الأصلية والمترجمة معا ولا يمكن أن تتم إلا عن دراية واطلاع وكلما كان الإمام تاما وشاملا كان النقد أقرب وأصح.

2. دراسة المدونة الإنجليزية : استيعاب النص الأصلي والإمام به إماما كاملا أي معرفة من ألفه وإدراك السياق الذي وُلد فيه والعوامل التي أوجدته وغيرها من المعطيات يسهم في فك رموز النص وإزاحة الغموض الذي يكتنفه. دراسة المدونة الإنجليزية تناولت جوانب أربعة: الرّاسمال الرّمزي الذي يسمح بإظهار أهمية المدونة الإنجليزية ؛ حقل المدونة الإنجليزية الدليل الأول للقراءة ووسيلة لضبط النص من جهة وتحديد العلاقات البنيوية التي تكوّنه من جهة أخرى؛ ملكة الكاتب التي تسمح بتسليط الضوء على قدراته وكفاءته وخبرته؛ محضر المدونة الأصلية الذي يسمح بالبحث عن الرسالة

المراد تمريرها والخطاب المتضمن وهو إحدى الأدوات الهامة لقياس نوعيّة وجودة الترجمة ودليل على استيعاب النصّ الأصلي.

1.2 الرأسمال الرّمزي للمدونة الإنكليزية : الرأسمال الرّمزي هو الشرعيّة التي ينالها الأفراد أو الأشياء أو الموضوعات نتيجة اعتراف الآخرين بهم.⁶ وتتأسس هذه الشرعيّة على الاعتقاد والثقة.⁷ ويعتبر بيار بورديو كل طاقة تستخدم كأداة في عمليّة التنافس الاجتماعي رأسمالاً.⁸ ويتجلى هذا الاعتراف في التّداول الكبير لكتاب صموئيل هنتنغتون " صدام الحضارات وإعادة بناء النّظام العالمي" من خلال نشر الملايين من النّسخ وما أثاره من ردود أفعال متفاوتة بين مؤيد (هنري كسنجر، فرنسيس فوكوياما، روبن هاريس، مايكل إليوت وغيرهم) ومعارض (إدوارد سعيد، فؤاد عجمي، نعوم شومسكي وغيرهم) ومن ترجمات إلى جميع اللغات العالميّة المتداولة وصلت إلى 39 لغة⁹ ولم تبح هذه الأطروحة منابر الجامعات ورؤوف المكتبات وشغلت قرابة عقدين عقول المفكرين والسياسيين.

2.2 حقل المدونة الإنكليزية : يؤكد بيار بورديو بأن الحقل هو إنتاج تاريخي ترتب عنه المصلحة التي هي شرط اشتغاله. يخضع لقوانينه الخاصة وله مسلماته المرتبطة بتاريخه وينتج شكلاً مميزاً من المصلحة التي هي حالة خصوصيّة في عالم الأشكال الممكنة للمصلحة مما يسمح بفهم استقلاليتها عن الحقوق الأخرى.¹⁰ وأنه موقع صراعي يتنافس فيه الأعوان لإحكام السيطرة ويجمعون على أهميّة ذلك¹¹ وأن الثمرات التي يسعى الأعوان إليها تستند إلى علاقة التّظافر الوجودي بين الحقل والملّكة الذي يكون سبب المشاركة في اللعبة الاجتماعيّة¹². الاهتمام الكبير الذي حظي به الكتاب يعود أساساً إلى الحقل الذي ينتمي إليه وملّكة مؤلفه وكذا المحفز الذي تضمنه. ومادام الحقل هو رسالة من المؤلّف والدليل الأوّل للقراءة فلا بد من استقراء المصادر والمعطيات لإبراز حقل الكتاب وتحديدّه. أوضح صموئيل هنتنغتون في مقدمة كتابه، الصفحة 13، بأن كتابه لا يعد بحثاً في علم الاجتماع، بل تفسيراً للتطورات السياسيّة على الصعيد العالمي يسترشد به الباحثون وصناع القرار في الولايات المتحدة لا سيما وأن لهؤلاء رغبة في تبني صيغة جديدة لإدارة الصراع في العالم بعد زوال الخطر الشيوعي وتلاشي حقبة الحرب الباردة. ومادام الحقل هو انعكاس لسلوكيات الأعوان التي تعبر عن ملكتهم، يتعين معرفة ملكة صاحب الكتاب التي يمكن تحديد معالمها نسبياً من خلال سيرته الذاتيّة ومنطلقاته الفكريّة.

3.2 ملكة كاتب المدونة الإنكليزية: الملكة من الأسس النظريّة الهامة في فكر بيار بورديو. يحدد بيار بورديو هذا المفهوم في التّصورات والإدراكات ورؤيّة العالم أو مبادئ التّصنيف.¹³ ويرى أن الملكة تختلف باختلاف الحقول التي يكون العون الاجتماعي طرفاً فيها وباختلاف الموقع الذي يحتله في حقله الخاص. فالملكة نتاج الموقع والمسار الاجتماعي للأعوان.¹⁴ وهي نسق الاستعدادات الدائمة والقابلة للنقل التي يكتسبها العون الاجتماعي من خلال وجوده في حقل اجتماعي بالفضاء الاجتماعي حيث

يعيش وتمكّنه من أن يُكَيّف عمله مع ضرورات الحياة اليومية. إذ يسمح مفهوم الملكة بفهم كيف يصبح الإنسان كائناً منسجماً مع البنية الاجتماعية.

صموئيل فيليبس هنتنغتون عالم سياسي ومختص في العلوم السياسية المقارنة ومن المفكرين الاستراتيجيين في الولايات المتحدة الأمريكية. عمل مستشاراً في الخارجية الأميركية خلال إدارة الرئيس جونسون (حرب فيتنام). أسس عام 1970 رفقة صديقه وارن ديميان مانشل المجلة الفصلية "السياسة الخارجية" بهدف منح الفرصة لوجهات نظر جديدة آنذاك حول السياسة الخارجية الأميركية في فترة الحرب الأميركية في فيتنام وترأس تحريرها حتى عام 1977. اشتغل عامي 1977 و1978 منصب "منسق التخطيط الأمني بمجلس الأمن القومي في إدارة الرئيس جيمي كارتر حيث أسندت إليه مهمة قسم التحليل والاستشراف وكان مسؤولاً عن متابعة قضايا العالم ومساعدة للرئيس الأميركي جيمي كارتر في اتخاذ قرارات في القضايا السياسية الخارجية والأمنية. عُيّن عام 1980 في اللجنة الرئاسية للاستراتيجية المندمجة الطويلة الأمد. أسس معهد "جون أولان" للدراسات الاستراتيجية وتولى منصب مديره من 1989 إلى 1999¹⁵، ومستشاراً في مجلس الأمن الوطني في البيت الأبيض خلال إدارة الرئيس كارتر (ثورة إيران). كان عضواً في معهد "المشروع الأمريكي" وهو من أقرب معاهد البحوث السياسية للإدارة الأميركية في عهد بوش.¹⁶ كان هنتنغتون من بين الستين مثقفاً أمريكياً الموقعين على وثيقة من 10 صفحات تحمل عنوان "رسالة أمريكا، دوافع الحرب" (على الإرهاب) صدرت عن المعهد الأمريكي للقيم وقد كتب نص الوثيقة الأكاديمي "دجين باثك الشتاين" الذي استقى أفكاره من أستاذ علم الاجتماع مايكل والزر المعروف بميله إلى اللوبي الصهيوني.¹⁷ بعد هجمات 11 سبتمبر كتب صموئيل هنتنغتون مقالاً مشهوراً آخر في مجلة "النيوزويك" في 25 ديسمبر 2001 بعنوان "عصر حروب المسلمين" مكرراً رؤيته التي سبق أن طرحها في مقاله ثم كتبه "صدام الحضارات" ومفسراً أبعاد هذه الحروب بالتأكيد على أن نظريته قد تحققت، وأن حروب المسلمين ستشكل الملمح الرئيسي للقرن الحادي والعشرين.¹⁸ آخر كتبه "من نحن؟ التحديات التي تواجه الهوية القومية الأميركية" صدر في عام 2004. قام فيه هنتنغتون بتحليل للهوية القومية الأميركية وحدد ما اعتبرها مخاطر تهدد الثقافة والقيم التي قامت عليها الولايات المتحدة. الفكرة المركزية في كتابه هي استمرار مركزية الثقافة الانجلو-بروتستانتية في الهوية القومية الأميركية. يبدو هنتنغتون في كتبه الأخيرة مهتماً بمستقبل أمريكا السياسي ووحدتها الداخلية وطبيعة العلاقات بين مكوناتها العرقية والدينية الثقافية وكذلك بهيمنتها على المستوى الدولي وإمكان بقائها قوة عظمى قادرة على وراثة النظام العالمي. كتبه ونظرياته مسخرة لخدمة السياسة والاستراتيجية الأميركية. يكتب من أجل تركية وعملقة النسق القيمي الغربي وتعميمه وعولته مع تهميش وتحجيم للأنساق القيمية المختلفة أو المخالفة كما يتصورها النسق الغربي، وذلك ضمن لغة تتراوح ما بين التّهوين من قيمة تلك الأنساق القيمية وإمكاناتها وإسهاماتها الحقيقية

وفاعليتها على أرض الواقع، أو تشويه هذه الأنساق، بحيث إن أثبتت فاعليتها، فهي فاعلية مَرَضِيَّة أو متمرّدة، وضمن هذا السّياق ظهرت أهم الأفكار والآليات ضمن صناعة العدو بما يمثله ذلك من سياقات فكرية وقيمية وحضارية.¹⁹

4.2. محفز المدونة الإنكليزية : مفهوم المحفز " إليزيو" لم يُداول كثيرا في المؤلفات العربية، ومستعملوه من العرب يفضلون إبقاءه في شكله اللاتيني أو ترجمته بـ "الوهم". واعتمادا على تعريفاته وما احتواه من معان على غرار: اللعبة²⁰، شحنة لدى اللاعبين، الانغماس في اللعبة، الايمان بأن اللعبة جديرة بأن تلعب، استثمار الرغبة²¹ الرّهانات، الصيد، الفريسة، المزايا والمكافآت²²... إلخ، تم اختيار كلمة «محفز» في هذا البحث كترجمة لأنها تشمل جميع هذه المعاني.

"الصدام الحضاري"، المحفز، لدى هنتنغتون ليس مجرد مفهوم نظري بل تخطيط استراتيجي ووسيلة من وسائل "إعادة بناء النظام العالمي" الذي يعد هدف السياسة الأمريكية على المدى القريب والمتوسط. تعددت وسائل التّمكن لهذه الفرضية وتنوعت لتشكّل كُلا مركبا ومعقدا من تنظير وتخطيط وخطاب سياسي وشركات متعددة الجنسيات ومنظمات غير حكومية ومن صناعة للحرب وصناعة للعدو وصناعة للإرهاب وصناعة للإعلام وغيرها. وإن اختلفت طبيعة وتنوعت هذه الآليات فإن غايتها واحدة وهي فرض واقع على الآخرين.

إن إعادة بناء النظام العالمي هي نتيجة وحصيلة عدة عوامل وتطورات وأسباب أهمها: انهيار الاتحاد السوفياتي في 19 أوت 1991. لقد شعر حينها الغرب بالقلق لأنّ العدو السوفياتي منح الحد الأدنى من الوضوح والاستقرار على المستوى الدولي، والحرب الباردة جعلت الغرب أكثر تماسكا ووحدة في الرّؤى الاستراتيجية والخيارات السياسية، لكن انتهاءها أدّى إلى ما يسمى بفراغ التّهديد.²³ فجاءت صناعة العدو لملأ الفراغ الإيديولوجي الذي خلفه انهيار المعسكر الشيوعي وانتهاء الحرب الباردة وزوال الخطر والتّهديد الذي كان يواجهه الغرب. ويرى الكاتب البريطاني فرد هاليداي في كتابه "الإسلام وأسطورة المواجهة" أن الاتجاه المعادي للإسلام والمسلمين أخذ يتسع في العالم بسبب انتهاء الحرب الباردة، وانتشار فكرة صيرورة الإسلام عدواً للغرب عوضاً عن الشيوعية، إلى جانب صعود التيار اليميني المتطرف في أوروبا وأمريكا. موقف الغرب من الإسلام يستند إلى ما قاله أرنولد تويني من أن الحضارة الغربية تبحث دائماً عن عدو وصراع على اعتبار أن الذي يقوي الحضارة هو الصراع وإلى فكر توماس هوبز وليو ستراوس اللذان يريان أن العدائية الأصيلة، في الطبيعة البشرية لا يمكن ضبطها إلا عن طريق دولة قوية تقوم على الوطنية لأن الجنس البشري بفطرته شرير ولا بد من حكمه وهذا الحكم لا يمكن إقامته إلا حينما يكون الناس متّحدين، ولا يمكنهم أن يتّحدوا إلا ضد أناس آخرين. وقد اجتهد عدة مفكرون على جعل الإسلام يمثل تهديداً للغرب كما هو واضح من نظرية

زيجنيوبرجنسكي في (هلال الأزمات)، مروراً بنظرية برنارد لويس في (عودة الإسلام)، وانتهاءً بنظرية صامويل هنتنغتون في (صدام الحضارات).

2. دراسة تحليلية للمدونة العربية: بعد دراسة المدونة الإنكليزية من جوانب مختلفة كونها منطلق الترجمة فإن الاهتمام في هذه المرحلة من المقال ينصب على ملكة المترجمين، كون سلوكيات واستراتيجيات المترجمين هو انعكاس لملكتهما في حقل معين. تنتمي المدونة الإنكليزية إلى حقل السياسة والاستراتيجية. تحديد حقل المدونة من الأهمية بمكان في عملية النقد، لأن مميزات النص العلمي يختلف عن النص الأدبي. فالنص العلمي يمتلك خصائص تميزه على غرار الدقة والتحديد والإحصائيات وكثرة المفاهيم العلمية والوضوح والابتعاد عن التعقيد والإطناب والتكلف والاقتراب من الأسلوب العفوي التلقائي وقلة الصور البيانية والمحسنات البديعية. كون المدونة نصاً علمياً جعل الدراسة تركز أساساً على الجانب الاصطلاحي لمعاينة مدى نجاح المترجمين في الاضطلاع بالمهمة التي التزم بها وتعبير آخر إلى أي مدى حافظا على محفز المدونة الإنكليزية المتمثل في الخطاب المتضمن. لأن المصطلحات في النص العلمي هي إحدى مفاتيح الولوج إليه ووسيلة من وسائل ضبط واستيعاب الحقل. وفي هذا المنظور، تمت دراسة عينات من المصطلحات العربية بمقارنتها مع النص الإنكليزي لأهميتها في التنظير والتخطيط بالنسبة للمؤلف، ونجاعتها في رصد الممارسة الفعلية للترجمة وتبسيط الضوء على نقاط القوة ونقاط الضعف لدى المترجمين.

1.3- ملكة المترجمين: يتضح من الوهلة الأولى أن المترجمين على قدم المساواة مع المؤلف، إذ كتب اسمهما على الغلاف الخارجي للمدونة العربية بنفس البنط الذي كتب به اسم المؤلف. يعود السبب إلى شعور المترجمين بالدور الكبير الذي يجب أن يلعباه في مجتمعهما وأمتهم والذي لا يقل أهمية على دور صاحب المدونة الإنكليزية. المؤلف له هدف اقناع الآخرين واكتساب المؤيدين للترتيبات والاستراتيجيات المستقبلية للغرب والمترجمان علمهما واجب التفكير والتحليل والتبليغ خدمة للوطن العربي ونشرا للوعي فيه والتحسيس. يتطلع المترجمان استناداً على ملكتهما إلى إيصال محفز المدونة الإنكليزية للقراء العرب حيث أن العرب أكثر المستهدفين. حرص المترجمين على القيام بمهمة التبليغ والتحسيس وتفسير معنى الصراع الحضاري وإعادة بناء النظام الدولي يظهر في المدونة العربية في المقدمة المعنونة "لماذا ترجمة صدام الحضارات؟" ومن خلال الاستهلال المعنون "مساهمة أولية للوعي بالآخر: منطلقات وآليات صدام الحضارات"، حيث حاولا تحديد الأهداف الكامنة خلف أطروحة "صدام الحضارات"، وفك آليات ومنطلقات خطاها. يلاحظ أن ملكة الكاتب والمترجمين تتقارب وإن كانت تتفاوت. فملكه الكاتب متنوعة بين التدريس والبحث والتأليف والممارسة السياسية من تقارير ودراسات واستشارات للدوائر الرسمية والاستراتيجية في الولايات المتحدة الأمريكية، بينما تجمع ملكة المترجمين بين ملكة المختص السياسي وملكة المترجم. ملكتهما كمختصين في السياسة تتقاطع مع ملكة الكاتب وإن كان

رصيده أكبر بكثير من رصيدهما. فهما يشتركان معه في التدريس²⁴ والتأليف²⁵ وقربهما من الدوائر السياسية²⁶ وإن كان ذلك بدرجة أقل، وعلى غرارهما يحملان مشروعا قوميا ويدافعان عن أيديولوجية معينة حيث صرحا في الصفحة 11: "هذه الوضعية حتمت علينا نقل هذا الكتاب إلى القراء العرب حتى يمكن لنا الإسهام في نشر الوعي بهذه الأطروحة وآلياتها المختلفة و دلالتها بالنسبة للعالم و الوطن العربي وتداعياتها المختلفة."

استخدام ملكة المترجمين خدمة للمواطن العربي واسهاما في وعيه بالآخر لم يكن عملا فرديا أو شخصا بل عملا جماعيا سياسيا. يتجلى العمل الجماعي السياسي في مقدمة المترجمين التي تضمنت الشكر المقدم للمستشار السياسي بأمانة الاتصال الخارجي "الأستاذ سالم عبد الله الهوني" على تقديمه كتاب "صدام الحضارات" هدية لهما فور صدوره وفي تولي الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان بليبيا بإصدار ترجمة الكتاب وحرصها على إيصاله إلى أكبر عدد ممكن من القراء العرب.

الترجمة كعمل سياسي وقومي له مسبباته المتمثلة في قرب المترجمين من الدوائر السياسية والخطاب السياسي الذي كان سائدا آنذاك في ليبيا والمتمحور حول الدفاع عن العروبة والقومية العربية وفي الوضعية السياسية الخاصة والحرية التي كانت تمر به ليبيا في تلك الفترة، إذ كانت تحت وطأة الحصار الدولي بموجب القرار الصادر، تحت ضغط أميركي بريطاني مشترك، عن مجلس الأمن الدولي عام 1992. وهو ما دفع بالمترجمين إلى دق ناقوس الخطر الداهم والمحدد بالأمة العربية. إن ترجمة هذا الكتاب كعمل سياسي وقومي أفرزه المشهد السياسي القائم وتضافرت لتحقيقه عوامل مختلفة على رأسها الملكة المختصة للمترجمين والمشاركة والمتجانسة.

2.3 محفز المدونة العربية: لكل حقل مفاتيحه أي مفاهيمه واصطلاحاته، يغوص من خلالها القارئ في كنه النص ليكشف أسرارته ويرفع الستار عنه وان لم يتمكن المترجم من الإلمام بها فإنه يصعب نقل محفز النص أو الكتاب لغيره. معاينة مدى نجاح المترجمين الدكتور مالك عبيد أبو شهيو والدكتور محمود محمد خلف، اللذين أخذوا على عاتقهما تبليغ القارئ العربي بما يخطط له وما يحاك ضده في كواليس ومخابر الأنظمة الغربية، في الاضطلاع بالمهمة التي التزم بها تتوقف هنا على دراسة مدى توفيقهما في الحفاظ على محفز المدونة الإنجليزية من خلال ترجمتهما لجانب من جوانبها والمتمثل في المصطلحات التي احتوتها دعما للمنظور الحضاري الذي يسوق له الكاتب كأداة من أدوات التنظير. حقل المدونة وملكة كاتبها، صموئيل هنتنغتون، مسخرتان لخدمة السياسة والاستراتيجية الأمريكية. صموئيل وبعض المفكرين والكتاب الذين عاصروه خاضوا معترك التنظير فتهافتت مصطلحات ومفاهيم جديدة وتراشق المفكرين فيما بينهم الصيغ والنظريات على غرار فرانسيس فوكوياما "نهاية التاريخ"، زبغينو بريجينسكي "رقعة الشطرنج الكبرى" وريتشارد بيرل وديفيد فروم "نهاية الشر: كيف نفوز بالحرب على الإرهاب" ووليام كريستول صاحب مشروع القرن الأمريكي الجديد، وهنري

كيسنجر" هل تحتاج أمريكا إلى سياسة خارجية؟ نحو دبلوماسية للقرن الحادي والعشرين" وبارنت ثوماس بي إم بارنت صاحب بلدان "الفجوة" وبلدان "النّواة" ووالف بيترز صاحب حدود الدّم وغيرهم. عني أسلافنا بالمصطلح واجتهدوا ليجعلوا منه علما قائما بذاته حتى تكون أسس العبادة صحيحة ويكون الفرد المسلم سويا في تصرفاته ومناهجه، مدركا وبصيرا لما حوله، غير متناقض مع نفسه وعقله، مواكبا لتطورات عصره ومنفتحا على غيره. المصطلح أو بتعبير أبسط الكلمة مفتاح النّجاح والتّطور لذلك علم الله آدم الأسماء كلها. لقد نبه القرآن الكريم منذ اللحظات الأولى إلى أهميّة المصطلحات، وتمثل ذلك في مواطن منها النّهي القرآني عن استخدام مفردات معينة والإرشاد إلى غيرها، ومن ذلك ما جاء في قوله تعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ" (البقرة: 104). كما عني النّبي صلى الله عليه وسلم بالألفاظ المنطوقة ودلالاتها، ومن ذلك التّفرة بين لفظ الإيمان والإسلام، فيما رواه سعد ابن أبي وقاص (متفق عليه؛ البخاري: 1408، ومسلم: 150).

عدم إلمام المترجمين بمصطلحات النظام الدّولي الجديد الذي يخطط له جعلهما يترجمان، على سبيل الذكر لا الحصر "failed states" ²⁷ "بالدّول المنقرضة"، بينما هي (الدّولة الفاشلة) وهو المفهوم الذي أطلق من قبل دول وهيئات ومؤسسات حكوميّة وغير حكوميّة، على دول عربيّة وغير عربيّة، بهدف التّأثير في أوضاع هذه الدّول من دون استعمال القوّة العسكريّة، وذلك في إطار ما سميّ بالجيل الرّابع من الحروب غير المتماثلة؛ "soft power" ب "القوّة الحساسة" وتارة ب "القوّة اللينة" بينما هي "القوّة النّاعمة" و "hard power" ب "القوّة الجافة" بينما هي "القوّة الصلبة" وهما المفهومان اللذان وضعهما جوزيف ناي، رئيس مجلس الاستخبارات الوطني الأميركي، ومساعد وزير الدّفاع في عهد إدارة بيل كلينتون، في كتابه الصادر عام 1990 بعنوان "مُقدرة للقيادة: الطبيعة المتغيرة للقوّة الأميركيّة" و طوره في كتابه الصادر عام 2004 بعنوان "القوّة النّاعمة: وسائل النّجاح في السّياسة الدّوليّة"، إذ اقترحها كوسيلة للإقناع والتّرويج والتّغيب لأفكار وسياسات الولايات المتحدة الأميركيّة بدل القوّة العسكريّة والاقتصاديّة (القوّة الصلبة).

المصطلح الموحد مطلب من مطالب النّص العلمي؛ عدم ثبات المترجم على مصطلح واحد بتنوع مصطلحات المفهوم الواحد يعد عيبا لأنه يخلق الالتباس وقد يظن القارئ غير المطلع على المدونة الأصليّة بأن المترجم خاض في مفهوم آخر لا علاقة له مع ما سبقه وذلك ما لوحظ فيما يتعلق بـ:

Country, Cleft Country, Kin Country, Torn Westernization, Indigenization, Core State, Lone

.Country

"Kin Country" فمثلا تُرجمت "دولة تشاطرها حضارتها، الدّولة النّسب أو الدّولة الشّقيقة، البلد

الشّقيق، الدّولة الشّقيقة، البلاد الشّقيقة، الدّولة الشّقيقة

و "Lone Country"

بدولة نائية، دولة وحيدة، دولة وحيدة أو عزباء

و "Core State"

بالدولة الأساسية الرائدة أو الكبرى، الدولة الكبرى أو الدولة الأم، الدولة الرئيسية، الدولة

الأساسية

و "Westernization"

بالحدثة على النمط الغربي أو الغربية، الغربية أو التمدن على النمط الغربي، التمدن الغربي.

لم يحترم المترجمان خصائص الحقل، النص العلمي، الذي تنتهي إليه المدونة الإنكليزية بعدم التزامهما في الترجمة بتوحيد المصطلحات وباللجوء إلى الترادف غير المبرر وذلك ما يتناقض مع الأسلوب العلمي الواضح الدقيق. لو تفتنا إلى استعانة الكاتب بمصطلحات مميزة مقتبسة من علوم معينة لتمكن من توحيد هذه المصطلحات باقتراضها من تلك العلوم فمثلا عندما تحدث عن ميزان القوى المتغير استعان بمصطلحات فيزيائية:

Concentric Circles و core states as poles of attraction and repulsion

وعندما حدد وحصر الصراع الحضاري في النزاعات القائمة بين المسلمين والمسيحيين استعان

بمصطلحات جيولوجية Fault Line و Cleft Country

هذه المصطلحات كلها مسخرة لمحفز المدونة الإنكليزية المتمثل في الصراع الحضاري وإعادة بناء

النظام الدولي بما يخدم الغرب. لمزيد من التوضيح والتبسيط تقدم هذه المعاينة في الجدول الآتي:

مقارنة عينات من المصطلحات مثل				
المصطلح الإنكليزي		مقابله في الترجمة		ملاحظات
الصفحة	الكلمة	الصفحة	الكلمة	
20	Westernization	71	الحدثة على النمط الغربي أو الغربية	مصطلح غير موحد. إغفال المصطلحات المتجذرة.
47		113	الغربة أو التمدن على النمط الغربي	اقتراح: التغريب
56		127	التمدن الغربي	

التّباس معاني الألفاظ: الميزان يتغير والتّوازن يختل. اقتراح: تغير ميزان (القوى بين الحضارات)	التّوازن المتغير تغير في الميزان التّوازن المتغير تغير التّوازن تغير التّوازن	64 178 165 514 519	Shifting Balance	13 88 79 309 312
مصطلح غير موحد. اقتراح: التّأصيل أو التّوطين.	التّأصيل الثقافي انبعاث الثقافات المحليّة الأصالة الأصالة أو العودة إلى الموروث التّأصيل أو التّأهيل	64 167 183 187 188	Indigenization	13 81 91 94-93 94
إغفال المصطلحات المتأصلة. اقتراح: "الصحة الإسلامية" أكثر رسوخا.	الانبعاث الإسلامي الانبعاث الإسلامي أو الصحة الإسلاميّة الانبعاث الإسلامي	214 215 -216 217	Islamic Resurgence	109 110 111
سك موفق للمصطلح. له علاقة مع القانون الفيزيائي لقوة الجذب والطرد الذي استعمله الكاتب.	الدوائر المتمركزة	289	Concentric Circles	155
مصطلح غير موحد. اقتراح: دولة المركز ²⁸	الدّولة الأساسيّة الرّائدة أو الكبرى الدّولة الكبرى أو الدّولة الأمّ الدّولة الرّئيسيّة الدّولة الأساسيّة الدّولة الأساسيّة الدّول الأساسيّة	72 110 114 169 182 289	Core State	20 45 47 82 9 155

التفور يستبدل بالطرد وتنقض تستبدل ب تطرد وهذا المصطلح يندرج ضمن القانون الفيزيائي لقوة الجذب والطرد الذي استعمله الكاتب. ²⁹	، الدول الأساسية كأقطاب رئيسية للجذب والتفور إن قوتها (الدول الأساسية) تجذب... وتنفض	289	the core states (are) poles of attraction and <u>repulsion</u> Their power (the core states) attracts ...and <u>repels</u>	155
مفهوم موحد سك موفق للمصطلح	الدولة العضو	249	Member State	132
	الدولة العضو	254		135
	الدولة العضو	289		155
	الدولة العضو	291-290		156
		293		
	الدولة العضو	525		157
مصطلح غير موحد. سك غير موفق. مفهوم الدولة يختلف عن مفهوم البلد. ونائي أو أعزب لا يفي بالمعنى. اقترح: بلد وحيد أو منفرد.	دولة نائية	251	Lone Country ³⁰	133
	دولة وحيدة	254		135
	دولة وحيدة أو عزباء	257		136
	دولة وحيدة	258		137
مصطلح غير موحد. سك غير موفق. التباس بين البلد والدولة. مفهوم الدولة يختلف عن مفهوم البلد. متصدع يتوافق مع باقي المصطلحات التي أخذها الكاتب من علم الجيولوجيا	دولة منقسمة	238	Cleft Country	126
	دولة منقسمة	254		135
	دولة متصدعة	259-258		137
		259		
	دولة منقسمة	306		138
	دولة منقسمة	508		165
	دولة متصدعة			305

اقتراح: بلد متصدع				
مصطلح غير موحد.	دولة ممزقة	98	Torn Country ³¹	39
سك غير موفق.	دولة ممزقة	156		74
التباس بين البلد والدولة. ³²	دولة ممزقة	188		94
	دول مفتتة أو ممزقة	254		135
بلد ممزق عادة يوحي	دولة ممزقة	261		138
بالحروب والنزاعات	دولة ممزقة	261		139
بينما هنا المشكل له	دولة ممزقة	265		141
علاقة بالهوية.	دولة ممزقة	270		144
اقتراح: البلد المتضارب	دولة ممزقة	530		319
مصطلح غير موحد.	دولة تشاطرهما حضارتها	72	Kin Country	20
سك غير موفق	الدولة النسب أو الدولة			
للمصطلح.	الشقيقة			
التباس بين البلد والدولة.	البلد الشقيق	75		28
	الدولة الشقيقة	437		254
اقتراح: البلد الشقيق	البلاد الشقيقة	463		272
	البلد الشقيق	465		273
	الدولة الشقيقة	478		283
	دولة شقيقة	496		295
	البلد الشقيق	519		312
ترجمة خاطئة	الدولة المنقرضة	91	Failed State	35
لمصطلح متداول.				
اقتراح: الدولة الفاشلة				
التباس المعنى	المجتمعات المفتوحة	170	Open Societies	83
اقتراح: منفتحة عكس				
منغلقة				
التباس المعنى	حدود الإسلام الدائمة	437	Bloody Borders	254
اقتراح: الدائمة	غير موجود			285
			تعليق الكاتب في شكل هامش	
مصطلح موحد	خط الصدع	71	Fault Line	20

سك موفق للمصطلح		75		28
يتوافق مع المصطلح		367		207
الآخر الذي له علاقة		425		246
مع الجيولوجيا.		455		252
مصطلح غير موحد.	قوتها الحساسة	169	Soft Power	82
ترجمة خاطئة	القوة اللينة	185-184		92
لمصطلح متداول.		214		
اقتراح: القوة الناعمة	القوة اللينة			109
ترجمة خاطئة	القوة الجافة	185 - 184	Hard Power	92
لمصطلح متداول.		214		
اقتراح: القوة الصلبة	القوة الجافة			109
التباس المعنى:	في التفقات والقوى والمقدرات	179	In Western military	P89
القوى power تختلف	العسكرية الغربية.		spending, forces,	
عن القوات forces.			and capabilities.	
اقتراح: القوات				
مصطلح موحد	الحضارات المتحدية	203	Challenger	102
سك موفق للمصطلح		335	Civilizations	184
		335		185
		365		206
		413		238
اقتراح: الحضارات	الحضارات الأضعف	335	Weaker Civilizations	184
الضعيفة ³³				
مصطلح موحد	الحضارات المتأرجحة	335	Swing Civilizations	185
سك موفق للمصطلح		365		206
		417		241

ذكر النقائص ليس للتقليل من شأن المترجمين أو الجهد المبذول لإيصال كتاب صموئيل هنتنغتون، المنظر والاستراتيجي الأمريكي، إلى القارئ العربي وإنما لشد الانتباه للأخطاء والعثرات لتداركها واستنباط الدروس والعبر. وعملاً بقول نبينا صلوات الله عليه وسلم من اجتهد وأصاب فله أجران ومن اجتهد وأخطأ فله أجر اجتهد، فإنه يجب التنويه باجتهاد المترجمين في السك الموفق لبعض المصطلحات التي

سخرها الكاتب خدمة لنظريته وهو محاولة لا يستهان بها لإثراء القاموس العربي بالمصطلحات الحديثة المتسارعة الوتيرة في عالم يزداد تواصلا وتقاربا، على غرار:

Concentric Circles, Member State, Challenger Civilizations, Swing Civilizations

و Fault Line "خط الصدع" الذي تبنّاه الفرد العربي ومنها المجتمع السياسي إذ استخدم الرئيس بشار الأسد تعبير "خط الصدع"، لتوصيف الحدث السوري وموقعه في عالم اليوم، في بُعدٍ دلاليٍّ مركّبٍ، مُستمد من الجيولوجيا وعلوم الزلازل وتاريخها في المنطقة نفسها.³⁴

3. خاتمة: تطبيق لأول مرة النظرية السييسولوجية التي اقتحمت حديثا علم الترجمة مستندة إلى مفاهيمها الخاصة في نقد نص عربي ناهيك عن نقد ترجمة سمح بترجمة بعض مفاهيم نظرية بورديو وتوحيدها. فمثلا مصطلح «habitus» في اللغة العربية غير موحد ويختلف باختلاف مستعمله ترجم ب "الملكة" بما يتناسب ومفهومه عند بيار بورديو والذي سبق أن استعمله ابن خلدون في كتابه "المقدمة" في الفصل السادس والأربعين "اللغة ملكة صناعية". مصطلح "illuso" لم يتداول كثيرا في المؤلفات العربية، ومستعملوه من العرب يفضلون إبقاءه في شكله اللاتيني أو ترجمته بالوهم. ترجمته إلى اللغة العربية ب "المحفز" يشمل مجمل معاني وتعريفات المصطلح لدى بيار بورديو وهو نتاج بحث واجتهاد شخصي.

تطبيق لأول مرة أيضا المقاربة السييسولوجية في علم الترجمة لنقد نص علمي الذي له مميزاته ومواصفته التي تختلف عن النص الأدبي سمح برصد الجوانب التي يجب تسليط الضوء عليها والآليات المتبعة لتقفي ممارسات المترجم وسلوكياته في حقل من الحقول العلمية بدراسة ملكتهما.

تطبيق النظرية السييسولوجية في نقد ترجمة مالك عبيد أبو شهيو ومحمود محمد خلف سمحت بمعرفة أن المترجمين كانا يطمحان إلى منح المدونة العربية رأسمالا رمزيا معتبرا ليس في ليبيا فقط بل في العالم العربي. كما سمحت بإظهار إلى أي مدى لعب حقل المدونة الذي حدد في السياسية والاستراتيجية وكذا محفز المدونة المتمثل في الصراع الحضاري وإعادة بناء النظام الدولي بما يخدم الغرب في ترغيب المترجمين في إيصال الكتاب للمواطن العربي لتحسيسه ونشرا للوعي. علاوة على ذلك بينت المقاربة السييسولوجية أن الترجمة كعمل سياسي وقومي له مسبباته على رأسها الخطاب السياسي الذي كان سائدا آنذاك في ليبيا والمتمحور حول الدفاع عن العروبة والقومية العربية وفي الوضعية السياسية الخاصة والحرجة التي كانت تمر به ليبيا والمتمثلة في الحصار الدولي. المترجمان أرادا دق ناقوس الخطر الداهم والمهدق بالأمة العربية. كما تكشف من خلال المقاربة السييسولوجية بأن ملكة المترجمين التي تتناسب مع حقل المدونة دفعتهما إلى تبني هذا المشروع القومي كونهما قريبان من الدوائر السياسية، يدرسان العلوم السياسة في الجامعة ويؤلفان في هذا المجال ويترجمانه. ترجمة هذا الكتاب كعمل سياسي وقومي أفرزه المشهد السياسي القائم وتضافرت لتحقيقه عوامل مختلفة

على رأسها الملكة المختصة للمترجمين والمشاركة والمتجانسة. كون المدونة تنتمي إلى الحقل العلمي جعل الدراسة تركز أساسا على الجانب الاصطلاحي لمعاينة مدى نجاح المترجمين في الاضطلاع بالمهمة التي التزم بها لأن المصطلحات في النص العلمي هي إحدى مفاتيح الولوج إليه ووسيلة من وسائل الضبط والاستيعاب. إن كانت دراسة المصطلحات الواردة في النص الإنكليزي التي هي وسيلة من وسائل التنظير والتخطيط الهدف منها تحديد المحفز فإن دراستها في النص العربي ترمي إلى رصد سلوك المترجمين وممارستها لتقصي إلى أي مدى حافظا على محفز المدونة الإنكليزي المتمثل في الخطاب المتضمن. البحث عن مدى محافظة المترجمين على محفز المدونة الأصلية يعد وسيلة من وسائل قياس كفاءتهما ومهارتهما وكذا نجاحهما أو اخفاقهما في مجهودهما. أظهر التطبيق بأن تجانس ملكة المترجمين مع حقل المدونة جعلهما يوفقان في ترجمة عدد كبير من المصطلحات التي سخرها الكاتب خدمة لنظريتهما. كما أظهر أن افتقارهما للمنظور السيوسولوجي جعلهما يخفقان في ترجمة كثيرا من المصطلحات التي استحدثها منظرو صدام الحضارات والنظام العالمي الجديد. ملكة المترجمين المختصة والمتجانسة مع الحقل لم تمنعهما من السقوط في فوضى المصطلحات بتنوع مصطلحات المفهوم الواحد مما عكس ارتباك المترجمين وخلق الالتباس لدى المتلقي. الجانب المعرفي والاصطلاحي هما من مظاهر الامام لاسيما في المجالات المتخصصة (الحقول العلمية) حيث المعرفة تزواج بين المفاهيم العلمية والمصطلحات اللغوية وتتراوح بين التحديد والضبط لتفادي الترادف الذي ينتج فوضى المصطلحات. المصطلح الموحد مطلب من مطالب الحقل العلمي. المقاربة السيوسولوجية أبرزت دور المصطلح في تمكين المترجم بالاضطلاع بمهمته. إن كان المترجم أثناء إنجازه لعمله يحتاج إلى ملكته من كفاءة ومهارة فانه يحتاج أيضا إلى وسائل أخرى للاضطلاع بمهمته على أحسن وجه ومنها صناعة الاصطلاح التي تكون بتفعيل المجامع اللغوية وتحيين المعاجم لتوحيد المصطلحات باستعمال التكنولوجيات الجديدة لا سيما الرقمنة، لأن علم الاصطلاح يواكب التطورات المتسارعة الوتيرة، دون استبعاد التراث الاصطلاحي الغني للغة العربية الذي يمكن أن يكون منطلقا لسك مصطلحات جديدة.

الهفوات والزلات التي وقع فيها المترجمان كان بمقدورهما تفاديها لو أحاطا بالكتاب إحاطة سيوسولوجية تامة. وبالرغم من هذا فإن مراجعة المدونة العربية بتظافر مجهود جميع الأطراف المعنية، كون عملية الترجمة على غرار باقي الأعمال والجهود الفكرية ممارسة اجتماعية، سوف تصلح بدون شك العيب وتزيل الشوائب وتمنح قيمة إضافية لهذه الترجمة التي ستثري كما ونوعا المكتبة العربية. وعموما يمكن القول بأن المترجمين وفقا إلى حد بعيد في ترجمتهما وحافظا على محفز المدونة الإنكليزية وبالتالي الوفاء بالعهد الذي قطعاه على نفسيهما.

5. قائمة المراجع :

1.5 المراجع العربيّة

1. البستاني بطرس، قاموس المحيط: قاموس مطوّل للغة العربيّة، بيروت: مكتبة لبنان ناشرون، 1998.
2. الحميدان عبد الله، المقومات الذهنيّة التّامة في عمليّة التّرجمة، ترجمة: الحسين الحافر، مجلة التّواصل اللساني، المجلد الرابع، العدد الثاني، سبتمبر، 1992.
3. الجندي أنور، معلمة الإسلام، المجلد الأول، بيروت، المكتب الإسلامي، 1980.
4. الجوهري إسماعيل بن حماد، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربيّة، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، المجلد الرابع، الطبعة الرابعة، دار العلم للملايين، 1990.
5. السّعدي محمد، مستقبل العلاقات الدّوليّة من صراع الحضارات إلى أنسنة الحضارة وثقافة السّلام، ط2، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربيّة، 2008.
6. صالح سعد الدّين، احذروا الأساليب الحديثة في مواجهة الإسلام، ط 2، مكتبة الصحابة - مكتبة التّابعين، 1998.
7. الميلاد زكي، تركي على، الإسلام والغرب - الحاضر والمستقبل، دمشق، دار الفكر، 1981.
8. النّاصر إبراهيم ناصر، العولمة: مقاومة واستثمار، البيان، العدد 167، 2018.
9. أنصار بيار، العلوم الاجتماعيّة المعاصرة، ت: نخلة فريفر، ط1، بيروت، المركز الثقافي العربي، 1992.
10. بريجنسكي زيغنيو، الفرصة الثانيّة: ثلاثة رؤساء وأزمة القوة العظمى الأميركيّة، ترجمة: عمر الأيوبي، بيروت دار الكتاب العربي، 2007.
11. بورديو بيير، أسباب عمليّة، ترجمة: أنور مغيث، طرابلس، الدّار الجماهيريّة للطبع والنّشر، 1966.
12. توينبي ارنولد، الحضارة في الميزان، ترجمة: أمين محمود الشّريف، دمشق، منشورات وزارة الثقافة السّوريّة 2006.
13. رودنسون مكسيم، جاذبيّة الإسلام، ترجمة: الياس مرقص، بيروت، دار التّنوير.
14. زريق قسطنطين، في معركة الحضارة، ط3، بيروت، دار العلم للملايين، 1977.
15. سالم لبّيز، أي دور للعولمة في أحداث 11 سبتمبر واحتلال العراق، مجلة شؤون عربيّة، عدد 120، 2005.
16. شلتاغ عبود، الثقافة الإسلاميّة من التّغريب والتّأصيل، بيروت، دار الهادي، 2001.
17. عكاشة شايف، الصراع الحضاري في العالم الإسلامي، ط 1، دار الفكر، 1986.

18. فضل الله محمد إسماعيل، خليفة عبد الرحمن، الأيديولوجيا والحضارة والعولمة، الطبعة الأولى، مصر، مكتبة المعرفة لطبع ونشر وتوزيع الكتب، 2001.
19. قبيسي هادي، السياسة الخارجية الأمريكية بين مدرستين: المحافظة الجديدة والواقعية، ط 1، بيروت، الدار العربية للعلوم ناشرون، 2008.
10. د. مالك عبيد أبو شهيو و د. محمود محمد خلف، "صدام الحضارات وإعادة بناء النظام العالمي"، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، ليبيا، الطبعة الأولى، سنة 1999.

2.5 المراجع الأجنبية

1. BELGROUNE. Wassila (2007), *Sociologie de la traduction (1927) de The Murder of Roger Ackroyd (1926) d'Agatha Christie dans le champ français du roman policier*, mémoire présenté au département d'études françaises comme exigence partielle au grade de Maître ès arts (M.A.), Université Concordia Montréal, Québec, Canada.
2. BOURDIEU, P. (1987) *Choses dites*. Paris : Les Editions de Minuit.
3. BOURDIEU, P. (1980) *Le sens pratique*. Paris : Les Editions de Minuit.
4. BOURDIEU, P. (1997) *Méditations pascaliennes*. Ed. Le Seuil.
5. BOURDIEU, P., WACQUANT, Loic J.D. (1992) *Réponses. Pour Une Anthropologie Réflexive*. Ed. Le Seuil.
6. BOURDIEU P. (1981) Exposé « Quelques propriétés des champs » fait à l'École normale supérieure en novembre 1976 à l'intention d'un groupe de philologues et d'historiens de la littérature, in *Questions de sociologie*, Minuit.
7. BOURDIEU, P. (1976) *Le champ scientifique*. Actes de la recherche en sciences sociales. Vol. 2, n°2-3.
8. BOURDIEU, P. (1979) *La distinction - critique sociale du jugement de gout*. Paris, Ed. de Minuit.
9. BOURDIEU, P. (1984), *Questions de sociologie*. Paris, Ed. de Minuit.
10. CALLON, M. (1986) Eléments pour une sociologie de la traduction. *L'année sociologique*, N° 36, p. 169-208.
11. GOUANVIC, Jean-Marc (2005) *A Bourdieusian Theory of translation, or the*

coincidence of practical instances. Fields.

12. **GOUANVIC, Jean-Marc (2007)** *Pratique sociale de la traduction : le roman réaliste américain dans le champ littéraire français (1920-1960)*. Arras : Artois presses université.

13. **GOUANVIC, Jean-Marc (1999)** *Sociologie de la traduction : la science-fiction américaine dans l'espace culturel français des années 1950*. Arras : Artois presses université.

14. **HARKER H., MAHAR C., WILKES C. (1990)** *An Introduction to the Work of Pierre Bourdieu*. London: Macmillan.

15. **HUNTINGTON, SAMUEL P. (1996)** *The Clash of Civilizations and the Remaking of World Order*. London: Simon & Schuster.

16. **WILSS, W. (1996)** *Knowledge and Skills in Translator Behaviour*, Amsterdam and Philadelphia: John Benjamins.

6. هوامش:

1 - الباحث جون مارك جوانفيك، أستاذ بجامعة كنكورديا بكندا، كتب عدة مؤلفات في هذا الموضوع منها على سبيل الذكر لا الحصر سييسولوجية الترجمة (1999) والممارسة الاجتماعية للترجمة (2007).

- الطالبة طبقت هذه المفاهيم في رسالة الماجستير

« Sociologie de la traduction (1927) de The Murder of Roger Ackroyd (1926) d'Agatha Christie dans le champ français du roman policier », mémoire présenté par Wassila Belgroune, au Département d'études françaises comme exigence partielle au grade de Maître ès arts (M.A.), Université Concordia Montréal, Québec, Canada, 2007.

2 - ترجمة مالك عبيد أبو شهيو ومحمود محمد خلف إلى اللغة العربية، صدرت في طبعها الأولى عن الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان بليبيا سنة 1999

3 - كتاب " صدام الحضارات وإعادة بناء النظام العالمي " لصموئيل هنتنغتون، صدر سنة 1996 عن دار النشر "سايمون أند شاستر"

4 - عالم اجتماع فرنسي (1930 - 2002) طبقت أربعة مفاهيم من فكره في الترجمة: الرأسمال الرّمزي، الحقل، الملكة والمحفز.

5 - مقدمة المترجمين، لماذا ترجمة صدام الحضارات؟ ال صفحة 11 والاستهلال، مساهمة أولية للوعي بالآخر-منطلقات وآليات صدام الحضارات الصفحة 13-61 من المدونة العربية.

6 - بورديو بيير، الرّمز والسّلاطة، ت: عبد السّلام بنعبد العالي، ط2، الدّار البيضاء: دار توبقال، 1990، ص76.

7 - أنصار بيار، العلوم الاجتماعيّة المعاصرة، ت: نخلة فريفر، ط1، بيروت: المركز الثقافي العربي، 1992، ص164.

8 - بورديو بيير، التّمثّل السّياسي، ت: رشيد شقير، في: رشيد شقير، اجتماعيات الإيديولوجيات السّياسيّة، بيروت: مؤسسة الرّؤى للطباعة والنّشر والتّوزيع، 1996، ص: 151.

9 - داود العتيبي، نظرة في كتاب "صدام الحضارات" لهنتنغتون <http://www.saaaid.net/arabic/728.htm>

عبد الحكيم سليمان وادي، بحث في اطروحة صدام الحضارات انظر أيضا: <https://pulpit.alwatanvoice.com/content/print/278666.html>

صامويل هنتنغتون.. منظر "صراع الحضارات"

<https://www.aljazeera.net/encyclopedia/icons>

10- BOURDIEU P., Choses dites, Minuit, 1987, OP.CIT. P.126.

11- BOURDIEU P., Méditations pascaliennes, Seuil, 1997, pp.122-123.

12- Exposé « Quelques propriétés des champs » fait à l'École normale supérieure en novembre 1976 à l'intention d'un groupe de philologues et d'historiens de la littérature, in Questions de sociologie, Minuit, 1984, pp.114-116 .

13- BOURDIEU, P., Outline of a Theory of Practice, Cambridge: Cambridge Uni. Press, 1977. p78.

BOURDIEU, P., The logic of Practice, London: Polity Press, 1992. p52-66: انظر أيضا

14- P.B, Choses dites, ed de Minuit. OP.CIT, p156.

15- صامويل هنتنغتون.. منظر "صراع الحضارات".

<https://www.aljazeera.net/encyclopedia/icons/2016/1/21>

16- محمد علي صالح هل ظلم العرب صموئيل هنتنغتون؟

<https://archive.aawsat.com/details>

17 - سالم لبّيز، أي دور للعولمة في أحداث 11 سبتمبر واحتلال العراق، مجلة شؤون عربيّة، عدد 120، 2005.

18- مجدي خليل هل تتحقق نبوءات صامويل هنتنغتون بعد رحيله؟

<https://www.wataninet.com/2011/12>

19- مقالة هنتنغتون والرودود عليها، مركز الدراسات الاستراتيجية والبحوث والتوثيق، الغرب وبقية العالم بين صدام الحضارات وحوارها، بيروت، مركز الدراسات الاستراتيجية والبحوث والتوثيق، 2000.

20- PASCAL DURAND (Université de Liège), Illusio :

<http://ressources-ius.info/index.php/lexique/21-lexique/41-illusio>

21- Exposé «Quelques propriétés des champs» fait à l'école normale supérieure en novembre 197 à l'intention d'un groupe de philologues et d'historiens de la littérature, in Questions de sociologie, Minuit, 1984, pp.114-116.

22- PAUL COSTEY, l'illusio chez Pierre Bourdieu. Les (més)usages d'une notion et son application au cas des universitaires : <http://traces.revues.org/2133>.

23- محمد السعدي، مستقبل العلاقات الدولية من صراع الحضارات إلى أنسنة الحضارة وثقافة السلام، بيروت، لبنان، مركز دراسات الوحدة العربية، ط2، 2008، ص184.

24- الغلاف الداخلي للمدونة العربية ورد بأنه كلاً من المترجمين أستاذ العلوم السياسية المشترك بقسم العلوم السياسية بجامعة الفاتح (ليبيا).

25- مالك عبيد أبو شهيو ألف كتاب "نقد الفكر الغربي: منطلقات وآليات صدام الحضارات-الغرب والإسلام-صموئيل هنتنغتون"، دار الرّواد، طرابلس، ليبيا؛ دار أكاكوس، بيروت، لبنان، 2001. نشر في عام 2013 مقالا بصحيفة الميادين -السنة الثالثة، العدد 30-116 جويلية إلى 5 أوت 2013-عنوانه "مخاطر وتحديات الأمن الوطني وانعكاساتها على بناء الدولة في المرحلة الانتقالية". ألف كتاب آخر "لماذا تخلفت ليبيا -هكذا حكم العسكر"، الصادر عن دار الرّواد للطباعة والنشر الليبية. أما الدكتور محمود محمد خلف نشر في 18 فيفري 2016 مقالا في صحيفة "الوسط" تحت عنوان "تأملات في التطور السياسي في ليبيا". عام 1993 ألف الدكتوران معا «الايديولوجيا والسياسة: دراسات في الايديولوجيات السياسية المعاصرة"، الجزء الثاني، طرابلس: الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، 1993. كما ترجم معا، "الطريق الثالث -تجديد الديمقراطية الاجتماعية"، انطوني جينز، ط1، طرابلس، دار الرّواد، 1999.

26- في مقدمة المترجمين، لماذا ترجمة صدام الحضارات؟ في الصفحة 12، يشكر المترجمان المستشار السياسي بأمانة الاتصال الخارجي لتقديمه كتاب صدام الحضارات هدية لهما فور صدوره.

27- مفهوم "الدولة الفاشلة" كيف نشأ وتطور.. ولماذا هناك 20 دولة عربية ينطبق عليها التوصيف؟ وما هي؟ <https://www.raialyoum.com/index.php>

انظر أيضا : <https://www.britannica.com/topic/failed-state>

28- شيماء صفدي، يُعرّف قاموس ميريام ويبستر قوة الجذب المركزي على أنها: " القوة اللازمة لإبقاء الجسم المتحرك على طريق منحنى متجه إلى الداخل نحو مركز الدوران"، بينما يُعرف قوة الطرد المركزي على أنها: «القوة المستشعرة من جسم ما خلال تحركه بطريق منحنى والذي يتجه إلى الخارج بعيداً عن مركز الدوران». https://sci-ne.com/article/story_23740

29- و لقد كَتَبَ و حاضَرَ في المنظور المعاصر للنظرية الدكتور عبد الله النفيسي، و الذي وضع تأصيلًا و تفصيلًا لتركيبية المنظومة الدولية و الأدوات أو الآليات التي يوفها "المركز" في فرض هيمنته على دول الهامش".

30- A lone country lacks cultural commonality with other societies. The most important lone country is Japan. S. Huntington, p136-137.

31- Torn countries are identifiable by two phenomena. Their leaders refer to them as a "bridge" between two cultures, and observers describe them as Janus-faced. "Russia looks West —and East"; "Turkey: East, West, which is best?"; "Australian nationalism: Divided loyalties"; are typical headlines highlighting torn country identity problems. S. Huntington, P139.

32- الكاتب يفرق بين البلد والدولة فحسبه هناك الدولة المركز والدولة العضو فقط. حسب المدونة اليابان دولة مركز وبلد وحيد بينما كل من هايتي واثيوبيا دولة عضو وبلد وحيد.

33- استعمل المترجمان هذا المصطلح في المدونة العربية في الاستهلال الصفحة 23.

34- عقيل محفوض، خط الصدع في مدارك وسياسات الأزمة السورية، قراءة تفكيكية، دار الفارابي، 2017.



Omission in Translating "Horror Symbolism"

in Edgar Allan Poe's "The Fall of The House of Usher"

الحذف في ترجمة "رموز الرعب" في "سقوط منزل عائلة آشر" لإدغار آلان بو

Rim Benmansour *

تاريخ القبول: 2021.11.27

تاريخ الاستلام: 2021.03.03

Abstract: The translation of gothic literature entails conveying cultural and symbolic elements that can be unfamiliar to the readers of the target language, consequently, translators are required to reproduce these features while still prioritizing the feeling of horror that the readers are supposed to experience. In order to achieve that, they have to find adequate equivalents, but when they are not able to, some of them opt for omission. The aim of this paper is to evince whether the strategy of omission that was heavily relied on by Nadia Farid was a wise choice for the translation of the selected excerpts from "The Fall of the House of Usher". Comparing these examples in the original language and their translation will help determine if the latter produces the same effect of visceral Horror for target readers as the original text.

Keywords: Edgar Allan Poe, Gothic Literature, Horror, Symbolism, Omission.

ملخص: تعتمد ترجمة الأدب القوطي على نقل عوامل ثقافية ورمزية يمكن أن تكون غير مألوفة بالنسبة لقارئ اللغة الهدف، إذ يتعين على المترجم نقل تلك المضامين مع إعطاء الأولوية لشعور الرعب الذي يجب أن ينتاب القارئ والذي يعد أهم خاصية لهذا النوع من الأدب. ومن أجل الوصول إلى ذلك يجب على المترجمين تحقيق التكافؤ من خلال إيجاد عبارات تُحدث نفس الأثر الذي تحدثه تلك الموجودة في النص الأصلي، لكن عندما يتعذر فعل ذلك، يلجأ البعض منهم إلى استراتيجية الحذف التي قد تم توظيفها بكثرة عند ترجمة قصة إدغار آلان بو القصيرة "سقوط منزل عائلة آشر" لذا تطرقنا في بحثنا إلى استراتيجية الحذف لنرى إذا كانت هذه الأخيرة كفيلة بتحقيق أثر الرعب في نفسية قارئ اللغة الهدف وذلك من خلال دراسة نماذج تحمل في طياتها رمزية القصص القوطية.

كلمات مفتاحية: إدغار آلان بو، الأدب القوطي، إستراتيجية الحذف، الرعب، الرمزية.

* - معهد الترجمة، جامعة الجزائر2، الجزائر.

البريد الإلكتروني: benmansourrim2012@gmail.com (المؤلف المرسل)

1.Introduction:

Translating any literary work is a challenging task for translators, whose aim is to render a text which is as faithful to the original text as possible, especially when it comes to translating gothic literature as this genre is characterized with themes that were unprecedented back when the romantic movement was prevailing, The aim of this research is to figure out whether omission was successful or not in rendering the meaning and the horror effect carried in the selected examples extracted from the Fall of the House of Usher.

The effect of omission on translation was studied by choosing examples that contain the symbols of visceral fear and horror from the above-mentioned short story, along with their translation in Arabic to showcase the gain or loss that may have been caused.

The effect of visceral fear and horror previously mentioned is called "The sublime effect", this latter has to do with the setting, the atmosphere, and characters portrayed in gothic literature. These are some of the main pillars of any gothic novel or short story and the purpose behind their use is to captivate readers and turn them into characters that would experience every traumatic event in the story along with the real protagonists.

Edgar Allan Poe's objective was to create stories that would terrify readers but at the same time, would also fascinate and mesmerize them so much that it would be impossible for them to stop reading. He was fully aware of the effect that his representation of the gothic would have on the readers of his stories, in this regard, Allen (1969) explained:

"The claim of a predetermined effect is firmly based of Poe's consciousness of the reader's reaction. The idea of selecting an effect implies that the author assumes an established standard of reactions on the reader's side" (as cited in Takahashi,2011, p.01)

In order to achieve that effect Poe relied on symbolism which according to Zohdi (2018):

"...has a different value because it makes the story richer than in meaning for readers and help them relate themselves to the characters and plot. Symbolism is among stylistic devices, which has been used a lot in previous literary works, as the works of Chaucer and Shakespeare. Symbols are used to add beauty to work and decorate a work of art and in some cases for purposes such as political, social and cultural." (p.314)

Symbolism has its origins in the 19th century in France and symbols were used to express ideas concerning religion, art, history, and even literature, they were used to depict the thoughts of the writers in addition, they gave an insight into the latter's mind; their thoughts and the way they saw the world. Symbolism is said to enrich the narrative by inferring ideas on the unconscious level, in that respect, Diel argued that: "the symbol is a vehicle at once universal and particular. Universal, since it transcends history; particular, because it relates to a definite period of history" (as cited in Zohdi, 2018, p.315). In addition, a literary symbol is "something that means more than what it is. It is an object, a person, a situation, an action, or some other item that has a literal meaning in the story, but suggests or represents other meanings as well" as Perrine (1974) stated. (as cited in Elaheh, 2011, p.20)

Edgar Allan Poe's short stories are still very popular as they still transcend through the decades, because the mysteries, the fear, and the suspense they contain still have the same effect on readers, and the factor which stands out is the unexplainable and unknown fears that distress the characters, and Poe's use of symbolism enabled him to infer certain thoughts and ideas without having to unveil them because if those were expressed in a direct way they probably wouldn't have had the same effect on his readers.

According to Zohdi (2018) there are two kinds of symbolism: Conventional Symbolism (cultural or universal) and personal symbolism. Conventional symbolism has to do with the culture of people who belong to the same society and who agree to give a certain meaning to any given sign; of course, this kind of symbolism is different from one society to another, for example, seeing an owl is considered as a bad omen for Arabic people as it symbolizes death; whereas in other cultures owls symbolize wisdom. As for personal symbolism, it changes from one person to the other, as the interpretation of any idea or word differs according to the individual's culture or job, for example, for some people the symbol of happiness is wealth, whereas for others, it is family and friendship.

2. Symbolism in the fall of the House of Usher:

The fall of the house of Usher is one of the most famous gothic short stories ever written, and it contains numerous gothic symbols which make it a unique literary masterpiece that is

still a people's favorite. This short story contains numerous gothic symbols and in her essay about the significance of symbolism in Edgar Allan Poe's works Rahman (2015) averred that:

"Edgar Allan Poe was fascinated by using symbols as it is a more indirect way for expressing one's own ideas and notions. Most of his works are enriched with symbols which carry the essence of those works. For example, in the short story „The Fall of the House of Usher“, Poe not only highlights the structural fall of that house, rather emphasizes the ending of the Usher bloodline." (p.10)

The themes contained in the fall of the house of Usher represent the symbols that Poe wanted to infer subliminally throughout his story and these are: The theme of evil, isolation, madness and illness; mystery, family, fungus and decay, the tarn and the lake around the house, the bridge, the storm, the moon, the painting, the poem, and the collapse of the house inside the tarn.

3. Literature Review:

Omission is a strategy which translators recourse to in order to render structural complexities or elements that are proper to a certain culture.

In this regard, Bilous et al.(2020) asserted that: "such translation transformations can only be used in particular cases where, for example, cultural specific information is unimportant for its recipient, excessive or impossible to understand." (p.2674)

It is also required according to Nida (1964) "to avoid redundancy and awkwardness" (as cited in Sharma,2015, p.06)

Nevertheless, omission could weaken the pragmatics laid by the author within the text and it can also have a significant effect on its content which could lead to a shift or deformation of the text coherence because according to Bilous et al.(2020):

"The omission of a phrase affects the syntactic structure of the sentence, and the omission of one or more sentences can affect textuality in general, for example some important information may remain out of focus." (p.2674)

Van Dijk (1988) stated that the strategy of deletion, which can be used interchangeably with omission, is based on internal and external consideration (as cited in Sharma, 2015), the internal considerations are sometimes subjective and have to do with professional and

ideological norms and values, the external ones have to do with the impossibility of checking the veracity of controversial details.

On the other hand, Baker (1992) acknowledged the strategy of deletion and she defined it as "omission of a lexical item due to grammatical or semantic patterns of the receptor language" (as cited in Sharma, 2015, p.08) she also added that this strategy is extreme but explained that in some contexts it is not harmful to omit a word or an expression especially if it allows the translator to avoid writing a lengthy and distracting explanation.

However, some scholars refer to omission as being the most obvious form of translation loss; which means that a text would lose important elements including its meaning if this strategy is relied on, in this respect, Khanmohammad and Aminzad stated that additions and omissions might inflict irreparable damages on the text if the loss-gain balance is overlooked. (2015)

In addition to that, Sharma (2015) said that omission can be the result of the cultural clashes that exist between the source language and the target language and it often occurs while translating texts from English into Arabic and he explained that the use of this translation strategy reaches its peak in subtitling translations as the translator omits words that do not have equivalents in the target tongue, or that may be ambiguous or even misinterpreted by the receptors.

He then mentioned that translators would rather not opt for omission especially in vital translations because they think it might dilute the original meaning of these latter.

He also explained that saying that omission can only cause a distortion in the meaning of the source text is wrong and if the meaning conveyed by a certain expression is not necessary or that it would require a lengthy explanation on the part of the translator to convey it, it would be a better option just to dismiss it.

On the other hand, and as it was previously mentioned some theorists believe that omission is the result of the incompetence of translators who opt for it, Alwazna (2014) affirmed that the failure of a translator to convey an element of meaning can cause loss, and if the latter is not competent in the target language, he/she will delete some words and phrases and as a result loss will occur, he also added that the other cause of loss is due to the

linguistic and extralinguistic differences between the source and target language in addition to extralinguistic discrepancies which include the cultural and religious dissimilarities between these languages which hinder the translation process by forcing translators to resort to omission because of their incapacity to find the proper equivalent in the target language. (as cited in Tiwiyanti and Retnomurti, 2017)

4. Research methodology:

This research used a descriptive-qualitative method, as an analysis of some passages from the Fall of The House of Usher that contain gothic symbolism was carried out, and considering the fact that this whole literary genre is unfamiliar to other cultures especially the Arabic one, the main aim of this study is to demonstrate whether the use of omission has generated gain or loss and most importantly, whether resorting to it has made reading this story as enjoyable and distressful for Arabic readers as it is for the readers of the original language.

5. Data analysis procedure:

The examples studied down below showcase the symbols and themes contained in the fall of the house of Usher along with their translations in Arabic and their descriptions.

These descriptions consist of comparisons between the English and the Arabic versions which are going to help determine whether the translator succeeded in rendering the same effect of horror that the readers of the original language would feel.

6. Data analysis: The five examples down below contain horror symbols such as: the weather, death and terror, ghosts, the haunted house of Usher, illness, death, corps and burial.

6.1 Example 1 (Weather Symbolism)

"During the whole of a dull, dark, and soundless day in the autumn of the year, when the clouds hung oppressively low in the heavens, I had been passing alone, on horseback, through a singularly dreary tract of country, and at length found myself, as the shades of the evening drew on, within view of the melancholy House of Usher." (Poe, 1839, p.03)

"في يوم مظلم من أيام الخريف، كنت مسافرا على ظهر جواد خلال الطريق قفر مترامي الأطراف... وعندما حل الظلام كنت قد وصلت إلى مشارف منزل عائلة آشر." (فريد، 1986، ص. 71)

Although the description of the weather is very detailed in the English version as the author pictured that day as "a dull, dark and soundless day when the clouds hung oppressively low in the heavens" which perfectly sets the tone of horror, the translator used only one adjective "مظلم" which translates into "dark". The translation cannot possibly have the same impact as the original description as this latter allows the readers to imagine what that scene looked like and also makes them able to feel immersed in the story. In addition, the translator dismissed the expression that stated that the narrator was alone.

Furthermore the translator didn't choose to use a metaphor to transfer the following expression "as the shades of the evening drew on" as she used a much more simple expression saying "عندما حل الظلام" and decided to dismiss the expression "view of the melancholy" which could be translated into "المنظر الكئيب" which diminishes the sublime/Horror effect for the Arabic reader.

6.2 Example 2 (death and terror symbolism)

"...but then without those doors there *did* stand the lofty and enshrouded figure of the lady Madeline of Usher. There was blood upon her white robes, and the evidence of some bitter struggle upon every portion of her emaciated frame. For a moment she remained trembling and

reeling to and fro upon the threshold—then, with a low moaning cry, fell heavily inward upon the person of her brother, and in her violent and now final death-agonies, bore him to the floor a corpse, and a victim to the terrors he had anticipated." (Poe, 1839, p25)

"ولكن هناك... عند مدخل الباب... كان يقف جسد الليدي مادلين أشر في الكفن، كان هناك قطرات من الدماء فوق أثوابها البيضاء وآثار من نضال مريض كان يبدو على كل شبر من جسدها، وقفت ترتعش لبرهة في مدخل الباب ثم في صرخة حزن خافتة، اندفعت نحو شقيقها وألقت بنفسها عليه في .. فقد كان رودريك أشر. عنف، و في صرخة للمصير المحتوم، قامت بسحبه معها على الأرض... جثة ميتا... ضحية الرعب الذي هو نفسه قد تنبأ به."

(فريد، 1986، ص. 109)

In this example the narrator is describing the scene where Lady Madeline came out of her tomb, saying that her figure was "loft and enshrouded" the term enshrouded was preserved in Arabic as the translator used the expression "في الكفن" but she dismissed the word lofty

which means that her body was elevated from the floor , and that diminishes the horror effect , then the narrator said that she had blood all over her "emaciated" body but the translator decided to remove this adjective even though it is necessary to portray the image of a cadaverous body.

She also erased the expression " reeling to and fro upon the threshold" where the writer pictured Madeline going back and forth upon the doorstep and that also wasn't a wise decision as the Arabic reader is certainly not going to imagine the horrific image of Madeline's soon to be corps.

6.3 Example 3 (Ghost symbolism)

"Here again I paused abruptly, and now with a feeling of wild amazement—for there could be no doubt whatever that, in this instance, I did actually hear (although from what direction it proceeded I found it impossible to say) a low and apparently distant, but harsh, protracted, and most unusual screaming or grating sound—the exact counterpart of what my fancy had already conjured up for the dragon's unnatural shriek as described by the romancer."(Poe ,1839,p. 22-23)

"عند هذه الكلمات جاءت إلى أذني صرخة ضعيفة على البعد، كان صوت صرير أو صراخ يشبه إل حد بعيد أنين التنين الذي كنت أقرأ عنه في تلك اللحظة، ولكن هذه الصرخة لم تكن من وحي خيالي..". (فريد، 1986، ص. 103). فقد سمعتها فعلا

The narrator is admitting to getting more and more scared as the strange sounds keep coming, and here again the strategy that the translator opted for is omission as the first sentence was completely left out "Here again I paused abruptly, and now with a feeling of wild amazement—for there could be no doubt whatever that, in this instance, I did actually hear (although from what direction it proceeded I found it impossible to say)" although the sentence here is very important as it depicts the unexplainable fear that baffled the narrator as he couldn't understand where these sounds were coming from or come to the fact that Roderick was right about the fact that these weren't hallucinations. As for the description of the sound the author said that it was a "distant, but harsh, protracted, and most unusual screaming or grating sound" but in Arabic the translator has chosen to describe it as "صرخة" which is far from being a literal translation as "كان صوت صرير أو صراخ"

harsh translates into خشن in Arabic and protracted into ممتد or مطول and grating into "مزعج" and she has chosen the adjective "صيرير" which could be translated into "squeaking" to replace all of these adjectives although this latter doesn't fit the brief.

She also replaced the term shriek which can be translated into "صراخ" with the word "أنين" which means "moaning" or "whining" in addition to dismissing the adjective unnatural.

As for the final part of this sentence "the exact counterpart of what my fancy had already conjured up for the dragon's unnatural shriek as described by the romancer." The narrator expressed that the object of his imagination had conjured up the dragon's shriek, the verb conjure up can be translated into "استحضار" and although this image gives this sentence more relevance the translator decided to omit it by simply saying that what the narrator has heard was not imaginary but real by saying "ولكن هذه الصرخة لم تكن من وحي خيالي.. فقد سمعتها فعلا" As a matter of fact she decided to omit the whole story that the narrator was reading to Roderick.

6.4 Example 4 (Haunted house and illness symbolism)

"Nevertheless, in this mansion of gloom I now proposed to myself a sojourn of some weeks. Its proprietor, Roderick Usher, had been one of my boon companions in boyhood; but many years had elapsed since our last meeting. A letter, however, had lately reached me in a distant part of the country—a letter from him—which, in its wildly importunate nature, had admitted of no other than a personal reply. The MS. gave evidence of nervous agitation. The writer spoke of acute bodily illness—of a mental disorder which oppressed him". (Poe, 1839, p.04)

"كان منزل رودريك أشر الذي كان صديق طفولتي.. ولقد مرت سنوات عديدة منذ رأى كل منا الآخر. فقد كنت أعيش في ذلك الوقت في منطقة منعزلة من البلدة لذلك فقد كتب لي أخيرا خطابا مستفيضا يحدثني فيه عن مرضه الخطير وعن الاضطراب العصبي الذي أصابه." (فريد، 1986، ص71)

The translator removed the first sentence of the paragraph "Nevertheless, in this mansion of gloom I now proposed to myself a sojourn of some weeks" even though there is no point of dismissing it as it gives a perfect description of the gloomy feeling the narrator got from looking at the house of Usher. In addition to that she also removed the expression "had admitted of no other than a personal reply" and "The MS. Gave evidence of nervous

agitation". After reading both sentences it feels like the Arabic version is a summary of the original sentence written in a much simplified language but it also lacked the elements that would have given it a much greater impact.

6.5 Example 5 (Death, corps and burial symbolism)

"Having deposited our mournful burden upon tressels within this region of horror, we partially turned aside the yet unscrewed lid of the coffin, and looked upon the face of the tenant. A striking similitude between the brother and sister now first arrested my attention; and Usher, divining, perhaps my thoughts, murmured out some few words from which I learned that the deceased and himself had been twins, and that sympathies of a scarcely intelligible nature had always existed between them. Our glances, however, rested not long upon the dead—for we could not regard her unawed. The disease which had thus entombed the lady in the maturity of youth, had left, as usual in all maladies of a strictly cataleptical character, the mockery of a faint blush upon the bosom and the face, and that suspiciously lingering smile upon the lip which is so terrible in death. We replaced and screwed down the lid, and, having secured the door of iron, made our way, with toil, into the scarcely less gloomy apartments of the upper portion of the house." (Poe, 1839, p. 17-18)

"ووضعنا حملنا الحزين على مصطبة خشبية داخل القبو، ولم يكن غطاء التابوت قد تم تثبيته بعد، فقمنا برفعه لنلقي نظرة أخرى على وجه مادلين أشر، ولأول مرة ألاحظ الشبه الواضح بين الأخ وربما استمع صديقي إلى أفكاره فقد أخذ يتمتم وقال إنهما كانا توأمين، ثم قال أنه كان وأخته، هناك تفاهم غريب يجمع بينهما دائماً.. توافق خفي غير واضح أو محسوس لأي شخص آخر. لكننا لم نتحمل النظر إليها لمدة طويلة، فقد ترك المرض على وجهها مسحة من الحمرة الباهتة، وكانت هناك ابتسامة غامضة تبدو على شفيتها، ابتسامة مرعبة للموت. وقمنا بإعادة غطاء التابوت و تثبيته ثم غادرنا القبو، وأغلقنا الباب الحديدي خلفنا وأخذنا في الصعود إلى الجزء العلوي من المنزل، الذي كان أيضاً معتماً مثل القبو الذي تركناه في التو."

(فريد، 1986، ص. 93)

The author perfectly described the basement saying that it was "a region of horror" considering the fact that it then became home to Lady Madeleine's corps, but the translator opted for a more basic option calling it exactly what it is "القبو" which undermines the horror effect.

In addition to this, he mentioned the disease that took the life of Lady Madeleine saying that it “.. had thus entombed the lady in the maturity of youth, had left, as usual in all maladies of a strictly cataleptical character, the mockery of a faint blush upon the bosom and the face.”

We can easily notice that the whole sentence used by the writer to depict the effect of the disease on the departed Madeleine was erased from the Arabic version as well as the word “bosom” which refers to the chest area of the body probably because the translator thought it would be inappropriate for the target readers.

7. Discussion and Interpretation of the results:

After analyzing the examples in this short story, it became noticeable that the strategy of omission was excessively resorted to, and sometimes unnecessarily; the use of this latter here did not do the translated text any favors because the key to achieving the sublime/horror effect is the detailed description of gothic elements which was overlooked in this case.

The original examples studied above contain a number of symbols which are: the weather, death, horror, the ghost of lady Madeleine, the haunted house, illness in addition to death, corps and burial.

All of these were rendered in a manner that took away from their effect of visceral fear and horror and this was due to the decision of the translator to erase or drastically shorten the descriptions that Edgar Allan Poe presented in order to make the readers see every single scenery and live all of the events at the same time as the protagonists as if they were part of this story.

The review of related literature revealed that omission and deletion have been advocated by a few theorists such as Nida (1964, as cited in Sharma,2015) who explained that both strategies could be a judicious choice in order to avoid redundancy and awkwardness that the translator may encounter as a result of cultural differences.

On the other hand, some theorists such as Mona Baker (1992) expressed that deletion could be a wrong choice as it is extreme but she also added that it is sometimes inevitable to resort to it to avoid an unnecessary and lengthy explanation. Others such as Bilous et

al.(2020) as well as Sharma(2015) also explained that omission could lead to a distortion in meaning and that it could weaken the pragmatics laid by the author in a text but that it is needed in some cases where culture represents an obstacle for the translator.

Furthermore, Khanmohammad and Aminzad (2015) explained that translators shouldn't opt for the strategy of omission because they assume it might dilute the meaning of the original texts and finally Alwazna (2014) even went to say that omission is a sign of incompetence on the part of the translator as it prevents the readers from having full access to the source text.

8. Conclusion:

In view of what was mentioned in the discussion above, the intention behind this paper was to give an understanding and insight into the concept of omission in the process of translation in the hope that it will pave the way for further research about this topic.

The use of omission is necessary when translators encounter situations where they cannot find the right and adequate equivalents especially when it comes to rendering a text full of symbolic, cultural and stylistic elements into a culture where these are unfamiliar.

Nevertheless, based on our findings the use of omission when translating the Fall of the house of Usher was not justified in addition to being unnecessary and dismissive. Furthermore, relying on it, in this case, has also caused a loss as the translator dismissed a lot of descriptions that have to do with gothic symbolism which is the main element that can produce the effect of terror that the readers are supposed to feel while reading any gothic work. Therefore, it is safe to say that the translator was not able to preserve the authenticity of Poe's masterpiece and that deleting such an important number of elements and descriptions from the story is clearly not going to make the Arabic readers appreciate this short story at its fair value.

9. References:

1. Bilous O, Chernyshenko I, Lelelka T, Tarnavska M, Verezubenko M (2020). Omission and addition in the translation of Deutsche Welle TV news from German into Ukrainian Vol.7, pp.2670-2679.

2. Elaheh, F. (2011). Symbols, metaphors and similes in literature: A case study of "Animal Farm" Journal of English and Literature Vol. 2(2), pp. 19-27
3. Khanmohammad H , Aminzad A (2015). A Study of Additions and Omissions in English Translations of Persian-based Social, Cultural and Political News Headlines: A Case Study of ISNA News Agency in Arab Spring, Islamic Azad University.
4. Rahman, S. (2015). Significance of Symbolism in Edgar Allan Poe's selected works, "Bachelor of Arts in English" BRAC University.
5. Sharma, V. (2015). The Relevance of Addition, Omission and Deletion (AOD) in Translation, International Journal of Translation Vol. 27, No. 1-2, JAN-DEC.
6. Takahashi, R. (2011). Edgar Allan Poe's terror of the relationship "madness" in The Tell Tale Heart.
7. Tiwiyanti, L, Retnomurti, A.B. (2017). Loss And Gain In Translation Of Culture-Specific Items In Ahmad Tohari's Lintang Kemukus: A Semantic Study, Lingua Cultura, 11(1).
8. Zohdi, I. (2018). Symbolism in Edgar Allan Poe's Selected Short Stories, Theory and Practice in Language Studies, Vol. 8, No. 3, pp. 314-319.

• **Source text and its translation:**

1. Poe, E.A. (1838). The Fall of the House of Usher, Burton's Gentlemen's Magazine.
2. بو، إ.أ. (1838). سقوط منزل عائلة آش. ترجمة نادية فريد. (1986). الهيئة المصرية العامة للكتاب.



Overcoming the Dilemma of Using Translation within an EFL Classroom

التغلب على معضلة استخدام الترجمة داخل فصل دراسي للغة الإنجليزية كلفة أجنبية

BENSAFA Abdelkader

تاريخ القبول: 2021.12.10

تاريخ الاستلام: 2021.08.31

Abstract :ELT or English Language Teaching is considered a multidisciplinary domain. In other words, the study of ELT draws its principles with other disciplines including: psychology, sociology, technology, ethnography, educational psychology, applied linguistics, and translation. Most of the problems are related to the use of the mother tongue (L1) in an ELT course where the core of the process is the language used by both teachers and students. In addition to this, the use of French as a prerequisite contributes in the dilemma of the usefulness as to the limitations of using translation in an ELT class. The aim of this paper is to shed light on the issues mentioned. Besides, it will try to find solution to overcome the problematic situation regarding when, where, and how to make the shift to translation (be it to L1 or French), when teaching English in particular, of great value.

Keywords : EFL, Translation, Mother Tongue, L1, French

المخلص: يعتبر تدريس اللغة الإنجليزية أو تدريس اللغة الإنجليزية مجالا متعدد التخصصات. بمعنى آخر ترسم دراسة ELT مبادئها مع التخصصات الأخرى بما في ذلك: علم النفس، وعلم الاجتماع، والتكنولوجيا والإثنوغرافيا وعلم النفس التربوي، واللغويات التطبيقية، والترجمة. ترتبط معظم المشكلات باستخدام اللغة الأم (L1) في دورة تدريس اللغة الإنجليزية حيث يكون جوهر العملية هو اللغة المستخدمة من قبل كل من المعلمين والطلاب. بالإضافة إلى ذلك، فإن استخدام اللغة الفرنسية كشرط أساسي يساهم في معضلة الفائدة من قيود استخدام الترجمة في فصل تدريس اللغة الإنجليزية. الهدف من هذه الورقة هو تسليط الضوء على القضايا المذكورة. إلى جانب ذلك، سيحاول إيجاد حل للتغلب على الموقف الإشكالي فيما يتعلق بوقت وأين وكيفية التحول إلى الترجمة (سواء كانت إلى L1 أو الفرنسية)، عند تدريس اللغة الإنجليزية على وجه الخصوص، ذات قيمة كبيرة.

الكلمات المفتاحية: اللغة الإنجليزية كلفة أجنبية، الترجمة، اللغة الأم، اللغة الأولى، اللغة الفرنسية.

Introduction : Translation is considered as an important part of the ELT enterprise for a long time, and then a significant missing point as well. Throughout history, and more precisely with the appearance and then the total dominance of communicative methodologies, the notion of translation was quickly condemned to the past, alongside other 'traditional' tools such as dictation, reading aloud and drills. Nevertheless, it and these other abandoned activities are now an element of many communicative classrooms and successful aids to learning, although the approach to using them has changed.

According to Duff (1989): *"teachers and students now use translation to learn, rather than learning translation"*. When it comes to the notion of translation activities usually used while teaching, many scholars argue that there is shift from L1 to L2. Despite the fact that the reverse path, i.e., a shift from L2 to L1 which is also used and can be seen in lessons with more specific aims, translating either from L1 to L2 or vice versa have noticeable objectives to fulfil such as: enhancing the communicative process, developing a highly cognitive as to metacognitive visions, motivating both teachers and students at different levels, and constructing important communicative results.

1. Translation in ELT context

As mentioned above, translation is rooted in the foundation of language teaching throughout history. However with the emergence of new methodologies and techniques; it is started to be less used and in some cases totally rejected. No one can neglect the fact that translation was a key element of the Grammar Translation Method (GTM), which was derived from the classical method of teaching Greek and Latin. Regarding GTM, it was seen as a negative learning experience as having learners memorizing huge lists of rules and vocabulary is quite boring. Besides, the method involved learners in a process of translating whole literary or historic texts word for word.

Unsurprisingly, new methodologies attempts to improve on this paving the way for their existence. As a result, The Direct or Natural Method established in Germany and France around 1900 was a response to the obvious problems associated with the Grammar Translation Method.

The common core the Direct Method was built around was that both teachers and learners are highly requested not to use their native language but just the target one. In the same vein, the later Audio-Lingual Method took the idea of teaching the language directly without using the L1 to explain new items as its point of departure. Consequently, humanistic methodologies such as the Silent Way, Total Physical Response, and Communicative approaches moved even further away from the L1, and from these arise many of the objections to translation.

2. Translation in Language Teaching:

Starting from the 20th century, it has been generally assumed that L2 should be taught without reference to the learners' L1. This conception became a popular belief amongst teachers that the translation of L1 gets in the way with the acquisition of L2.

Newson (1988) hypothesised that translation can be used either as a teaching or testing tool. four disadvantages push him to say that: (1) it encourages thinking in one language and transferring to another, with accompanying interference; (2) it deprives teacher and learner of the benefit of working within a single language; (3) it gives false belief of the idea that there is a perfect one-to-one correspondence between languages; and (4) it does not facilitate achievement of generally accepted aims such as emphasis on the spoken language.

Conversely, Carreres (2006) opposed what Newson said putting forward some arguments against using translation as a language teaching tool:

- ✓ Translation is an artificial exercise that has no place in a communicative methodology. Also, it is restrictive in that it confines language practice to two skills only: reading and writing.
- ✓ Translation into L2 is counterproductive in that it forces learners always to view the foreign language through their mother tongue; this causes interferences and a dependence on L1 that inhibits free expression in L2.
- ✓ Translation into L2 is a purposeless exercise that has no application in the real world, since translators normally operate into and not out of their mother tongue.
- ✓ Translation, particularly into L2, is a frustrating and de-motivating exercise in that the student can never attain the level of accuracy or stylistic polish of the version presented to

them by their teacher. It seems to be an exercise designed to elicit mistakes, rather than accurate use of language.

✓ Translation is a method that may well work with literary-oriented learners who enjoy probing the intricacies of grammar and lexis, but it is unsuited to the average learner.

Marsh, 1987, however argues the fact that translation is not a suitable exercise in the initial stages of learning. His idea was developed based on what has been argued on among educationalists that learners need to acquire a significant level of proficiency in the L2 language before they can tackle translation productively. As a result, they need to have moved beyond beginner's level. According to Owen (2003) the rationale against using translation is founded on obliging learners to share their precious L2 use time with the L1; this is not a productive use of the opportunities given by the class.

Despite the preceding arguments declared against the notion of translation in teaching, there are, if fact, strong arguments which endeavour it. The following part will shed light on them. First, as an opposite perspective, no one can neglect the fact that translation was misconceived and overused for the simple reason that it could be seen as a victim of the grammar-translation method, rather than the foundation of its evils.

Yet, the problem was not in translation itself, but in the existing practices or the teaching methodology which separated language from its communicative function. Undeniably, translation itself as it takes place in the real world is essentially linked to a communicative purpose. As Duff (1989: 6) puts it, "translation happens everywhere, all the time, so why not in the classroom?"

So far, the outcomes of the aggressive reactions against the grammar-translation method in teaching languages were a complete discredit of translation itself as a teaching tool. In other words, what was wrong with the GTM was not the use of translation, but rather how badly it was used. According to Titford (1985: 78) Learners of a foreign language do refer to their mother tongue to aid the process of acquisition of L2 or, in other words they "translate silently". In this respect, translation into L2 can help them systematize and rationalize a learning apparatus that is taking place anyway.

When it come to the argument that learners will never need to translate into L2 in their practical life, logically speaking one can say that it is directly linked to an ideal situation rather than a description of actual practice. Perhaps It is true that native command of the target language is a prerequisite when translating a text. But, in reality, EFL learners need to translate into L2 to prepare them for what they might find outside the context of classroom, i.e., real live or targeted situations.

The idea that translation is a motivating activity has been supported by many researchers. Carreres (2006), for example, conducted a questionnaire and came to the conclusion that learners overwhelmingly perceive the translation exercises they were exposed to as useful for language learning. Consequently, it was in response to student feedback that he decided to introduce translation more substantially in language classes. He added that translation, by its very nature, is an activity that invites discussion and students are only too happy to contribute to it, often defending their version with remarkable passion and persuasiveness.

Moreover, Lavault (1985) pointed out that one of the reasons quoted by teachers to explain their use of translation in the classroom was that students asked for this exercise and enjoyed it, too. Similarly, Conacher (1996) reported excellent student response to a translation course. Hervey et al. (2002) also gathered enthusiastic feedback from the students attending her translation course at the University of St Andrew's in Scotland.

It has been mentioned in the previous discussion that translation ought to be introduced to advanced levels but not for beginners. As far as this point, Carreres (2006) views translation activities as forming a continuum between the extremes of literal, explicative translation and that of communicative translation as it takes place in the professional world. The former denotes that translation into L1 is merely an effective tool to help learners grasp a particular L2 structure. As a result, stylistic considerations are set aside. The latter synthesises that the focus is to be put on the communicative value of a given text. All of which facilitate the task for Learners who are expected to produce a text that could function in the L2 culture. Both approaches, provided they are carefully applied, have their place in the languages classroom and they should be viewed as mutually enhancing rather than exclusive.

Another point to mention here is the way or even the ways translation is taught. Malmkjaer (1998) argues that translation, if taught in a way that resembles the real life activity of translating, can bring into play the four basic language skills and yield benefits in L2 acquisition. He adds that some recent thinking on language learning has stressed the potential of translation as a means of language learning, if the process is regarded as the development of multi-linguistic competence. All of which help develop the communicative competence amongst learners.

In the same line with what has been said above, Shiyab and Abdullateef (2001) consider translation extremely important for foreign language teaching simply because it allows conscious learning and control of the foreign language, and as a result, it reduces native language interference. Accordingly, using translation can make learning meaningful as the learner is an active participant in the process. Thus, Translation has also been used to teach grammar. In this respect, teachers can show students equivalent and non-equivalent structures between L1 and L2.

Many studies suggested a positive and facilitative role of translation (Newmark 1991; Husain 1994; Kern 1994; Omura 1996). Recent research in pragmatics also suggests that greater awareness of L1 helps in the more effective communicative use of L2. Translation is a means by which both languages can be assessed. Rather than being seen as an obstacle to real language use, translation might more effectively be viewed as a way of fine-tuning the language to be used in given situations and conditions (Owen, 2003).

Liao (2006) summarizes the positive aspects of using translation: (1) it can help students comprehend L2; (2) it can help students to check whether their comprehension is correct; (3) it eases memory constraints in memorizing more words, idioms, grammar, and sentence structures; (4) it can help students develop and express ideas in another language; and (5) it can help reduce learning anxiety and enhance motivation to learn L2. In summary, the arguments for using translation in the language classroom outweigh the arguments against it.

The Case under Investigation

When looking to the historical background and more precisely the colonial period of Algeria which lasted more than 130 years, French is the main actor. The dominance of that language is part of the linguistic situation in Algeria. Though having no official status, French is widely used at different levels. First, the governmental level either spoken (by the ministers and even the president in their speech delivered to Algerians!!) or written (whole and sometimes headings of documents). Second, the cultural level especially using French in the daily speech (what is called code mixing). Third the media level either spoken (channels delivering their programs in that language) or written (daily newspapers such as Quotidian D'Oran, El Watan, El Moudjahid etc). The last level- the main concern of this discussion- is education where French is integrated in all stages of education starting from the primary school, the middle, secondary, and higher education. In sum French is seen as being a de facto co-official language of Algeria.

In recent methodologies underlying the ELT enterprise, many teachers and theorists see the validity and reliability of using translation as an activity in communicative classrooms (although few course book writers offer ideas and materials for this area). Below are some of the ways translations can have a positive impact; many of these also serve as responses to the objections and criticisms expressed above:

- ❖ Designed well, translation activities in the classroom can practise the 4 skills and the 4 systems. In terms of communicative competence, they require accuracy, clarity and flexibility. Duff: it 'trains the reader to search (flexibility) for the most appropriate words (accuracy) to convey what is meant (clarity)'.
- ❖ Following on from this, translation is by its nature a highly communicative activity; the challenge is to make sure that the content being communicated is relevant and that we exploit all possibilities for communication during the activity.
- ❖ Translation in groups can encourage learners to discuss the meaning and use of language at the deepest possible levels as they work through the process of understanding and then looking for equivalents in another language.

❖ Translation is a real-life, natural activity and increasingly necessary in a global environment. Many learners living in either their own countries or a new one need to translate language on a daily basis, both informally and formally. This is even more important with the growing importance of online information.

❖ Whether we encourage it or not, translation is a frequently used strategy for learners; if we accept this, we need to support them in developing this skill in the right way, e.g. by discussing its role.

❖ Translation can be a support for the writing process, especially at lower levels. Research has shown that learners seem able to access more information in their own L1, which they can then translate.

❖ Discussion of differences and similarities during the translation process helps learners understand the interaction of the two languages and the problems caused by their L1. It also helps learners appreciate the strengths and weaknesses of the L1 and L2, for example in the comparison of idiomatic language such as metaphors.

❖ Teachers can focus translation activities on highly specific learning aims, such as practice of certain vocabulary, grammar points, styles and registers, etc. It also lends itself well to work with other tools such as e-mail and class web pages.

❖ Finally, for many learners developing skills in translation is a natural and logical part of reaching higher levels, and being able to do this well is highly motivating.

Conclusion

Translation as part of the communicative ELT classroom approach is still a controversial area and one that provokes strong opinions. Translation as a method of language teaching is still a subject under research and continues to be one of the most frequently discussed topics among teachers of English. In our opinion, this activity should be considered in a wider range of situations than is currently the case. It can be used for language practice and improvement in a similar manner to role play, project work and conversation. This paper has attempted to show that translation can be introduced purposefully and imaginatively into the language learning programme.

References

- Carreres, A. (2006, December). Strange bedfellows: Translation and language teaching. The teaching of translation into L2 in modern languages degrees: Uses and limitations. In *Sixth Symposium on Translation, Terminology and Interpretation in Cuba and Canada*. Canadian Translators, Terminologists and Interpreters Council. Retrieved from http://www.cttic.org/publications_06Symposium.asp.
- Duff, A. (1994). *Translation*. Oxford University Press.
- Hervey, S., Higgins, I., & Haywood, L. (2002). *A course in translation method: Spanish to English*. London: Routledge.
- Husain, K. (1994). Translation in the ESL classroom: Emerging trends, *International Journal of Translation* 1(2), 115-30.
- Kern, R. G. (1994). The role of mental translation in second language reading. *Studies in Second Language Acquisition* 16, 441-61.
- Lavault, T. E. (1985). *Les fonctions de la traduction dans l'enseignement des langues*. Paris: Didier Erudition.
- Liao, P. (2006). EFL learners' beliefs about and strategy use of translation in English learning. *RELC Journal* 37(2), 191-215.
- Malmkjaer, K. (1998). *Translation and language teaching*. Manchester, UK: St Jerome.
- Marsh, M. (1987). The value of L1/L2 translation on undergraduate courses in modern languages. In H. Keith and I. Mason (Eds.), *Translation in the modern languages degree* (pp. 22-30). London: Centre for Information on Language Teaching and Research.
- Newmark, P. (1991). *About translation*. Clevedon, UK: Multilingual Matters.
- Newson, D. (1988, April). *Making the best of a bad job: The teaching and testing of translation*. Paper presented at the Annual Meeting of the International Association for Teachers of English as a Foreign Language. Edinburgh, Scotland.
- Omura, Y. (1996). *Role of translation in second language acquisition: Do learners automatically translate?* Unpublished PhD thesis, University of Texas, USA.
- Owen, D. (2003). Where's the treason in translation? *Humanizing Language Teaching* 5 (1).

Shiyab, S., & Abdullateef, M. (2001). Translation and foreign language teaching. *Journal of King Saud University Language & Translation* 13. 1-9

Titford, C. (1985). Translation: A post-communicative activity. C. Titford and A. E. Hieke (eds.) *Translation in foreign language teaching and testing*. Tübingen: Narr. 73-86.



